مكتبة الجاحظ

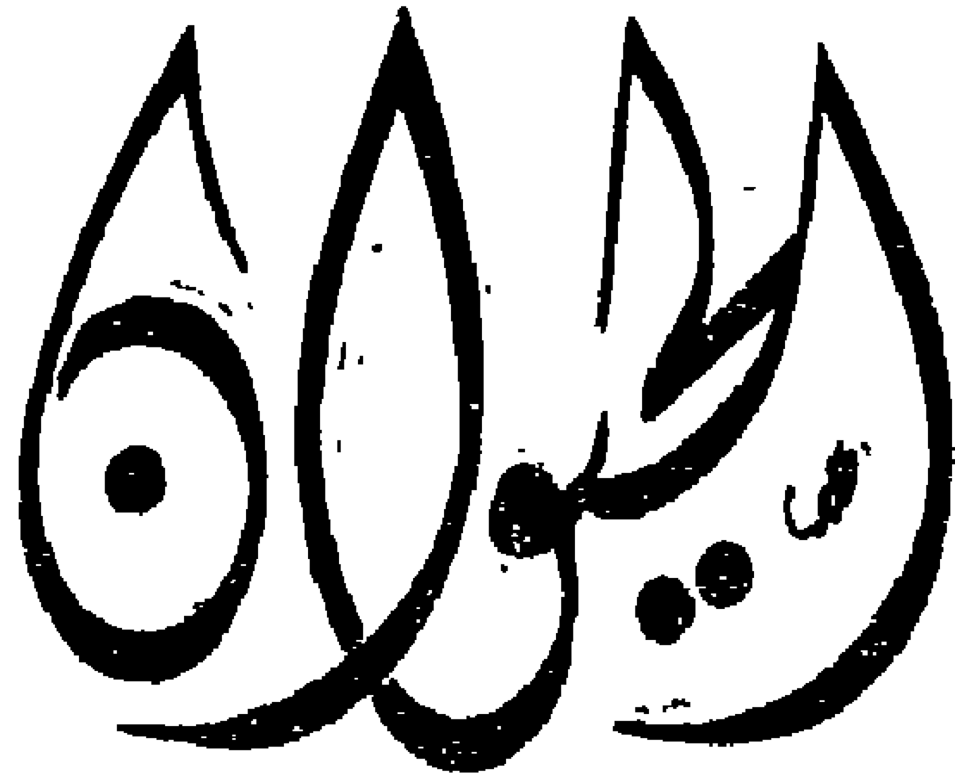
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

كتاب الحيوان



[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمي في المسابقات الأدبية التي نظمها المجمع اللغوي ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

الجزء الرابع

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم - خلفاء

كتاب الحيوان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الرابع

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م

تنبيه :

كل تكملة موضوعة بين معقفين فى هذا الجزء خاصة ، متروكة بدون تعليق وتنبيه ، فهى من النسخة الشنقيطية المرموز لها بالرمز (س) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم

نَبدأُ فى هذا الجزءِ ، بعَوْنِ اللهِ وتأييدِه ، بالقول فى جُمْلة الذّرّة والنملة ، كما شرَطنا به آخرَ المصحَفِ[1] الثّالث . ولا حولَ ولا قوّةَ إلّا باللهِ العليّ العظيم[2] . ٢

(خصائص النملة)

قد علمْنا أنْ ليس عندَ الذَّرّةِ غَناءُ الفرَسِ فى الحرب ، والدَّفْع عن الحريم . ولكنّا إذا أردْنا موضِعَ العجَبِ والتّعجيب ، والتَّنْبيهَ على التدبير ، ذكرنا الحسيسَ القليلَ ، والسَّخيفَ المَهين ؛ فأرَيْناكَ ما عنده من الحِسِّ اللطيفِ والتَّقْديرِ الغريب ؛ ومِنَ النَّظر فى العواقب ، ومشاكلةِ الإنسان ومزاحَمَتِه .

والإنسانُ هو الذى سُخِّر له هذا الفَلَكُ بما يشتمل عليه .

وقد علِمْنا أنّ الذَّرّةَ تدّخرُ للشتاء فى الصَّيف ، وتتقدَّمُ فى حال المُهلةِ ، ولا تُضيعُ أوقاتَ إمكانِ الحزم . ثم يبلغ [من][3] تفقُّدها وحُسْنِ خُبرِها ، والنَّظر فى عواقبِ أمْرِها ، أنّها تخافُ على الحبوب التى ادّخَرَتْها للشّتاء

(١) س ، ه : « الجزء » . وما أثبت من ط هو ما اختاره الجاحظ فى تسمية أجزاء هذا الكتاب . انظر تقديم الكتاب ص ٢٨ فى صدر الجزء الأول .

(٢) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .

(٣) الزيادة من س ، ه وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد (٣ : ١٩٩) .

فى الصيف ، أنْ تعفَنَ وتُسَوِّسَ[1] ، ويقبَلَهَا بطنُ الأرض ؛ فتخرِجُها إلى ظهرها ؛ لتُيبِّسها وتُعيدَ إليها جَفوفها[2] ، وليضربَها النَّسِـيمُ وَينفىَ عنها اللَّخَنَ والفَساد .

ثمَّ ربَّما كان - بل يكون[3] أكثرَ مَكانُها نَدِيًّا . و [إنْ[4]] خافتْ أن تنبت نَقَرتْ موضع القِطْمِير[5] من وسط الحبّة ، وتعلم أنَّها من ذلك الموضع تبتدئُ وتنبتُ وتنقلب ، فهى تفلق الحبّ كلَّه أنصافاً . فأمَّا إذا كان الحب من حبِّ الكزْبُرة[6] ، فلقته أرباعاً ؛ لأنَّ أَنْصافَ حبِّ الكزبرة ينبت مِنْ بين جميع الحبوب . فهى على هذا الوجه مجاوزةٌ لفِطنةِ جميع الحيوان ، حتَّى ربَّمَا كانت فى ذلك أحزمَ مِن كثيرٍ من الناس .

ولهـا مع لطافة شخْصها وخِفَّة وزنها ، فى الشمِّ والاسترواح[7] ما ليس لشىء .

٣ وربَّما أكلَ الإنسانُ الجرادَ أو بعضَ ما يشبه الجرادَ ، فتسقط[8] من يدِه الواحدةُ أو صدرُ الواحدة ، وليس يرى بقُربِهِ ذَرَّةً ولا له بالذَّرِّ عَهْدٌ

(١) يقال : ساس الطعام يساس سوسا ، بالفتح ؛ وسوس كسمع ، وسيس كقيل ، وسوس بفتح السين وتشديد الواو المفتوحة .

(٢) كذا على الصـواب فى س . وفى ط ، هـ : « ليبسها ويعيد إليها جفوفها » .

(٣) س : « لكون » .

(٤) الزيادة من نهاية الأرب (١٠ : ١٧٥) .

(٥) القطمير : شق النواة ، وهو يريد هنا شق كل حبة . ط ، هـ : « أن ينبت بقرب » وأثبت ما فى س .

(٦) الكزبرة والكسبرة ، بضم الكاف والباء فى كل منهما - وقد تفتح الباء - : ضرب من الأبازير معروف .

(٧) الاسترواح : التشمم .

(٨) س : « فيحتط » .

فى ذلك المنزل ، فلا يلبثُ أن تقبِل ذَرَّةٌ قاصدةٌ إلى تلك الجرادة ، فتروَمها وتحاولَ قَلْبها ونقلها ، وسحبها وجرَّها ، فإذا أعجزَتْها بَعْدَ أنْ بَلَغَتْ عُذرًا ، مَضَتْ إلى جُحرِها راجعةً ، فلا يلبَث ذلك الإنسانُ أنْ يراها قد أقبَلَتْ ، وخَلفَها صُوَيْحِباتُها كالخيطِ الأسْوَدِ الممدُود ، حتى يتعاونَّ عليها ، فيحملنها .

فأوَّلُ ذلك صِدْقُ الشَّمّ لما لا يشَمُّه الإنسانُ الجائع . ثمَّ بُعْدُ الهِمّةِ ، والجراءَةُ على محاولةِ نقل شيءٍ فى وزْنِ جسمِها مائةَ مرَّة ، وأكثَرَ من مائةِ مرّة .

وليسَ شيءٌ من الحيوان يقْوَى على حمْلِ ما يكونُ ضعف وزنه[1] مراراً غيرَها . وعَلَى أنَّها لا ترضى بأضْعافِ الأضعافِ ، إلَّا بَعدَ انقطاعِ الأنفاس .

(كلام النمل)

فإنْ قلت : وما علَّم الرَّجُلَ أنَّ الَّتى حاولتْ نَقْلَ الجرادَةِ فعجَزَت ، هى التى أخبَرَتْ صُوَيْحباتِها من الذَّرّ ، وأنها كانت على مقدَّمتهن ؟ قلنا : لِطُول التَّجربة ، ولأنّا لم نرَ ذرَّةً قط حاولَتْ نقْلَ جرادةٍ فعَجَزتْ عنها ، ثم رأيناها راجعةً ، إلَّا رأينا مَعها مِثْلَ ذلك ، وإنْ كنَّا لا نَفْصِلُ فى العينِ بَيْنَها وبَيْنَ أخوَاتِها ؛ فإنَّه ليس يقَعُ فى القلبِ غيرُ الذى قلْنا . وَعَلَى أنّنا لم نرَ ذرَّةً قطُّ حملت شيئاً أو مَضت إلى جُحرِها فارغةً ، فتلقاها

(١) ط ، ه : « ضعفه » .

ذَرّةٌ ، إلّا واقفَتْها ساعة وخبَّرَتْها بشيءٍ . فدَلَّ ذلك على أنّها في رجوعِها عن الجرادة ، إنّما كانت لأشْباهِها كالرّائدِ لا يكذِبُ أهلَهُ[1].

ومن العجَب أنّكَ تُنْكِرُ أنّها توحي إلى أختِها بشيءٍ ، والقرآنَ قد نطَقَ بما هو أكثرُ من ذلك أضعافا . وقال رُؤْبة بن العجَّاج[2] :

لو كنْتُ عُلِّمْتُ كَلَامَ الْحُكْلِ[3] عِلْمَ سُلَيْمَانَ كَلَامَ النَّمْلِ

وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ حَتَّى إذا[4] أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ[5] سُلَيمانُ وَجُنُودُهُ

---

(١) الرائد : من يرود الكلأ والمنزل : أى ينظره ويطلبه ويختار أفضله . والعبارة إشارة إلى المثل المعروف : « الرائد لا يكذب أهله »، يضرب للذى لايكذب إذا حدث . وإنما قيل ذلك للرائد لأنه إن لم يصدقهم فقد غرر بهم .

(٢) كذا جاءت النسبة فى الصحاح وثمار القلوب ٣٤٩ ، ٥١٥ وأمثال الميدانى (١ : ٤٥٤ ، ٢ : ٨٥) وبلوغ الأرب (٣ : ٢٢٠) وستأتى أيضاً فى ص ٢٣ . لكن قال ابن برى : « الرجز للعجاج » . انظر اللسان (حكل) . ومثل هذه النسبة عند الدميرى (حسل) .

(٣) ابن برى : « صوابه : أو كنت ». وقبله :

تسألُنى من السِّنِينَ كَمْ لِي فقلتُ : لو عُمِّرْتُ عُمرَ الحِسْلِ

وقد أتاه زمن الفِطَحْلِ والصَّخْرُ مبتلٌّ كطينِ الوحلِ

أو كنت قد أوتيت علم الحكل كنتَ رهينَ هَرَمٍ أو قتلِ

والحكل من الحيوان، بالضم : مالايسمع له صوت، كالذر والنمل . والحسل ، بالكسر : ولد الضب ، زعم الأصمعى أنه يبلغ مائة سنة ثم يسقط سنه ، فعند ذلك يسمى ضبا. انظر ثمار القلوب ٣٣٢ .

(٤) فى الأصل : « فلما أتوا » . وهو تحريف من الناسخين، وستأتى صحيحة فى ص١٥ ، ٢٠ وقد اتفق السبعة على القراءة المثبتة .

(٥) تحتمل أن تكون جوابا للأمر ، وأن يكون نهيا بدلا من الأمر . والمعنى لاتكونوا حيث أنتم فيحطمنكم ، على طريقة : لا أرينك هنا .

وهُمْ لا يَشْعُرُونَ . فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ . فقد أخبر القرآنُ أنها قدْ عرَفتْ سليمانَ وَأَثْبَتَتْ عيْنَــهُ[١] ، وأنَّ علْمَ منطقها عندَه ، وأنها أمرتْ صُوَيحِباتها[٢] بما هو أحزَمَ وأسلم . ثمَّ أخْبَرَ أنها تعرفُ الجنودَ من غير الجنود ، وقد قالت : ﴿ وهُمْ لا يَشعُرُونَ ﴾ . ونَخَالُكَ أيها المنكِرُ تبسُّمَهُ بحالهنَّ[٣] ، أنَّك لم تعرِفْ قبْلَ ذلك [الوقتِ وبَعْدَهُ ، شيئاً مِنْ هذا الشكل من الكلام ، ولا تدْبيراً فى هذا المقدار . وأمَّا ما فوقَ ذلك فليس لك أن تدَّعِيَــه . ولكن ، ما تنكِرُ من أمثاله وأشباهه وما دُونَ ذلك ، والقرآنُ يدلُّ على] أنَّ لَهَا بياناً ، وقولاً ، ومنطقا يَفصِلُ بينَ المعانى التى هى بسَبيلها ؟ ! فلعلها مكلَّفة ، ومأمورةٌ منهيَّة ، ومُطيعةَ عاصية . فأوَّل ذلك أنَّ المسألةَ من[٤] مسائلِ الجهالاَت ، وإنَّ مَنَ دخَلَتْ عليه الشُّبهة من هذا المكانِ لَنَاقِصُ ٤
الرَّوِيَّة[٥] رَدىُّ الفِكْرة[٦] . وقد علمنا ، وهم ناس ولهم [بذلك] فضيلةٌ فى الغريزةِ وفى الجنسِ والطَّبيعة . وهم ناسٌ إلى أن ينتهوا إلى وقت البلوغِ ونزولِ الفَرْض[٧] حتَّى لو وَرَدَتْ ذَرَّة لشربتْ مِنْ أعلاه .

---

(١) أى ذاته . ط ، هـ : « فأثبت » .

(٢) س : « صواحباتها » على طريقة جمع الجمع .

(٣) كذا فى س . أى تبسم سليمان بما رأى من حال النمل . ط ، هـ : « تشبه بحالهن » .

(٤) هـ ، ط : « عن » . وأثبت مافى س .

(٥) الروية : النظر والتفكير . ط ، هـ : « الناقص الرؤية » صوابه فى س .

(٦) فى الأصل : « ودنى الفكرة » ، ولعل صوابه ما أثبت .

(٧) ط ، هـ : « الغرض » محرف . وفى العبارة وسابقتها ولاحقتها اضطراب .

(شعر فيه ذكر النمل)

وقال أبو دهبَلٍ (١) :

آبَ هــذا اللَّيلُ فاكتَنَعا   وأمَرَّ النَّــومُ فامتَنَعا (٢)
فى قِبابٍ وَسْــطَ دَسْكَرَةٍ   حَوْلَهَا الزَّيْتون قد يَنَعَا (٣)
[ولهــا بالمـاطرون إذا   أكلَ النملَ الذى جَمعَا (٤)]
خــرْفةٌ ، حتى إذا ارتَبَعَتْ   سَكنتْ مِنْ جِلَّقٍ بِيَعَا (٥)

---

(١) اسمه وهب بن زمعة الجمحى ، وفى الأغانى (٦ : ١٥٠) أنه قال الشعر فى آخر خلافة على . ومدح معاوية وعبد الله بن الزبير . وقد كان ابن الزبير ولاه بعض أعمال اليمن . وأنه كان سيداً شريفاً ، يحمل الحمالات ، ويعطى الفقراء ، ويقرى الضيف . . . وقد انفرد الجاحظ بنسبة الأبيات الآتية إلى أبى دهبل . والصحيح أنها ليزيد بن معاوية ، يتغزل بها فى نصرانية كانت قد ترهبت فى دير خراب ، عند الماطرون . انظر الكامل ٢١٧ ليبسك وخزانة البغدادى (٣ : ٢٧٩ بولاق) ومعجم ياقوت (المـاطرون) واللسان (كنع) . وفى الكامل أيضاً أن بعضهم ينسبه إلى الأحوص .

(٢) ط : « أرب هذا » ، وصوابه فى س ، هـ والمعجم واللسان. ورواية الأخفش فى حواشى الكامل : « طال هذا الهم » ورواية ياقوت : « آب هذا الهم » . واكتنع : حضر ودنا . وأمر : صار مرا . وضبطه البغدادى بالبناء للمفعول ، ولست أذهب مذهبه .

(٣) الدسكرة ، بفتح الدال : بناء يشبه قصراً حوله بيوت ، وجمعها دساكر ، تكون للملوك . والوجه فى ترتيب هذا البيت أن يكون بعد الرابع ، كما ورد فى الخزانة والمعجم .

(٤) المـاطرون ، بكسر الطاء ، ويروى بفتحها ؛ وبفتح النون ، ويروى بكسرها . ويروى أيضاً : « بالمـاطرين » وهى رواية المبرد . الذى جمعا : أى الذى جمعه . والنمل يأكل فى وقت الشتاء ما جمعه فى زمن الصيف .

(٥) الخرفة ، بالضم : مايجتنى . ورواية العباب والمقاييس والمخصص (١١ : ٩) : « خلفة » بكسر الخاء وباللام بعدها . والخلفة : الثمر يظهر بعد الثمر الكثير . وهذا اللفظ لايزال مستعملا عند زراع مصر . وارتبعت : دخلت فى الربيع . وجلق بكسر الجيم واللام المشددة المكسورة ، قال ياقوت : اسم لكورة الغوطة كلها ، وقيل بل هى دمشق نفسها ، وقيل موضع بقرية من قرى دمشق .

عِنْدَ غيرِى فالتمس رَجلاً يأكلُ التَّنُّوم والسَّلَعَا(١)
ذاكَ شيءٌ لستُ آكِله وأَرَاهُ مَأْكَلاً فَظِعا(٢)

وقال أبو النَّجم فى مثل ذلك(٣) :

وكانَ نُشَّابَ الرِّياحِ سُنبُلهْ(٤) واخضرَّ نَبتاً سِدْرُهُ وحَرْمَلُهْ(٥)
وابيضَّ إلاَّ قاعه وجَدْوَلُهْ(٦) وأصبحَ الرَّوضُ لَوِيّا حَوْصَلُه(٧)
واصفَرَّ من تَلْعٍ فليجٍ بَقلُه(٨) وانحتَّ من حَرشَاءِ فَلْجٍ خَرْدَلُه(٩)

---

(١) التنوم ، بفتح التاء وتشديد النون المضمومة : شجر له حمل صغار كمثل حب الخروع ، ويتفلق عن حب يأكله أهل البادية ، وكذا النعام ، وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورق . قلت : كأنه ما يسمى اليوم بعباد الشمس . والسلع ، بالتحريك : شجر يرتقى حبالا خضرا لا ورق لها ، وقضبانه تلتف على الغصون وتتشبك ، وله ثمر مثل عناقيد العنب صغار ، فإذا أينع اسود ، فتأكله القرود .

(٢) الفظع ، ككتف : الفظيع .

(٣) انظر بعض أشطار هذا الرجز فى جمهرة ابن دريد (٢ : ١٣٣) والاشتقاق ١٨٢ والمزهر (٢ : ٣٥٨) .

(٤) جعل سنابل الزرع كأنها رماح للرياح تشرعها فى كل جهة . س : « نشات » وهو محرف .

(٥) السدر ، بالكسر : شجر النبق . والحرمل ، كجعفر : نبت يرتفع ثلث ذراع وله ورق كورق الصفصاف .

(٦) ابيض الروض : صوح نباته . وإنما سلم نبت القاع والجدول من ذلك لما بقى من الماء فيهما . وقد اضطره الشعر فرفع ما بعد إلا . وحقه النصب .

(٧) حوصل الروض : قراره ، وهو أبطأ هيجا . واللوى : ما بين الرطب واليابس .

(٨) التلع ، بالفتح : جمع تلعة ، وهى مجرى الماء من أعلى الوادى . والفليج ، بالجيم : عنى به المتسع . ط : « فليح » وقد حرك قاف « بقله » لوزن الشعر .

(٩) ط ، هـ : « فلح » ، صوابه فى س واللسان (حرش ، قطر) . والفلج : النهر الصغير . والحرشاء بفتح الحاء وبالشين : خردل البر . وهى فى الأصل ، « خرساء » ، صوابها من اللسان فى موضعيه .

وانشقّ عن فصح سواء عنطله(١) وانتفض البَرْوَقُ سُوداً فُلفُلهْ(٢)
واختلَفَ النَّمْلُ قِطارًا يَنقُله(٣) طارَ عَنِ المُهْر نَسيلٌ يُنْسِلُهْ(٤)

(استطراد لغوى)

قال أبو زيد : الحمكة القمْلة ، وجمعه حَمَك : وقد ينقاسُ ذلك في الذَّرّة .

قال أبو عبيدة : قرية النمل من التُّراب(٥) ، وهى أيضاً جُرثومة النمل .

وقال غيره : قرية النمل ذلك التراب والجُحرُ(٦) بما فيه من الذرّ والحبّ والمازِن . والمازِنُ هو البيض ، وبه سمّوا مازن .

---

(١) كذا فى الأصل . ولعل صواب : « عنطلة » : « عنصله » ، والعنصل ، كقنفذ : البصل البرى .

(٢) البروق ، بفتح الباء والواو بينهما راء ساكنة : شجر ضعيف له ثمر حب أسود صغار . وهو الذى يقال فيه المثل : « أشكر من بروقة » ؛ لأنها تعيش بأدنى ندى يقع من السماء . ط ، ھ : « البرذون » صوابه فى س . وانظر لهذا الشطر الاشتقاق والمزهر .

(٣) اختلف : أقبل وأدبر . والقطار : أصله للإبل أن يتلو بعضها بعضاً على نسق . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « فطار » وفى س ، ھ : « فطاراً » ، وصواب روايته من اللسان . ولفظ « ينقله » هى فى ط ، ھ : « نيقله » بتقديم النون . صوابه فى س . وفى اللسان : « تنقله » .

(٤) النسيل ، بفتح النون : مايسقط من الصوف والشعر والريش . وأنسل الحيوان الصوف والشعر والريش : أسقطه . وكلمه « طار » أراها جوابا لشرط فى أبيات قبل هذه . وفى الأصل : « يسيل سنبله » ولعل الوجه فيه ما أثبت .

(٥) ط ، ھ : « الزاب » ولا وجه له . وصوابه فى س . وفى اللسان : « وقرية النمل : ما تجمعه من التراب » . وفى المخصص (٨ : ١٢٠) : « أبو عبيد : قرية النمل وجرثومته : ما يجمع من التراب » .

(٦) فى الأصل : « الحجر » ووجهه ما أثبت .

قال أبو عَمْرو(١) : الزِّبال ما حملت النملةَ بفِيها ، وهو قولُ ابنِ مَقبل :

كريم النِّجارِ حَمَى ظَهرَه فلم يُرْتزَأ بِرُكوب زِبالا(٢)

(شعر فى التعذيب بالنمل)

وأنشد ابن نُجَيم(٣) .

هَلَكُوا بالرُّعافِ والنمل طَوْرًا ثمَّ بالنَّحس والضِّبابِ الذُّكورِ(٤)

وقال الأصمعىُّ فى تسليط اللهِ الذَّرَّ على بعضِ الأمم :

لحقوا بالزهْوَيَيْنِ فأمسَوْا لا ترى عُقْرَ دارهم بالمبِينِ(٥)

سلَّط الله فازرا وعُقَيفَا نَ فجازاهُمُ بدارِ شَطون(٦)

---

(١) هو أبو عمرو بن العلاء . س : « أبو عمر » .

(٢) البيت فى صفة فحل من فحول الإبل . والنجار ، بالكسر : الأصل . حمى ظهره : أى منع ظهره من الركوب . ويرتزأ ، بالبناء للمفعول : ينتقص . وفى ط ، ه : « يرتوا » و س : « يوتوا » تحريف ما أثبت من اللسان (زبل) المخصص (٨ : ١٢٠) . و « كريم » هى فى الأصل « كرم » وصوابها فى المرجعين السابقين .

(٣) فى ط ، ه : « لجيم » . وفى س : « لجيم » . وصوابه ما أثبت . واسمه يحيى بن نجيم . وأسلفت ترجمته فى (٢ : ٣٥١) .

(٤) الرعاف ، بالراء المضمومة : سيلان الدم : وقد تحدث الجاحظ عن الإهلاك بالرعاف فى (٦ : ١٥٠) . س : « بالعرف » تصحيف . والضباب : جمع ضب ، ذلك الحيوان .

(٥) لعل « الزهويين » اسم مكان . س : « بالزهوتين » . ه : « بالزهويين » وعقر الدار : أصلها . وقيل : وسطها . ط : « عقد » صوابه فى س ، ه .

(٦) يقال عقفان ، كعثمان ، وعقيفان بهيئة التصغير ، وسيأتى شرحه . وفى الأصل : « عقيقان » بقافين ، وهو تصحيف صوابه فى اللسان . والرواية فيه :

سُلِّطَ الذَّرُّ ، فازرٌ أو عُقيفا نَ فأَجلاهم لدارِ شَطُون

ط : «فجازاهم به إشطون» صوابه فى س ، ه .

يَتبَعُ القَارَّ والمسافرَ مِنْهُمْ   تحتَ ظلِّ الهدى بذات الغُصون(١)

فازر ، وعقَيفَان(٢) : صِنفان من الذّرّ ، وكذلك ذكروه عن دغفل [بن حنظلة] الناسب(٣) . ويقال : إنّ أهل تِهامَة هلَكوا بالرُّعافِ مرّتين . قال : [وكان آخِرُ من مات بالرُّعاف من سادة قريش ، (٤)] هِشامَ ابنَ المغيرة .

قال أميّةُ بن أبي الصَّلت في ذلك :

نَزِعَ الذِّكْرَ في الحياةِ وغنا   وأراهُ العذاب والتَّدميرا(٥)
أرسَلَ الذَّرَّ والجرادَ عليهم   وسنِيناً فأهلكَتْهُمْ ومُورَا(٦)
ذَكَرُ الذَّرِّ إنَّه يفعل الشَّـــرَّ   وإن الجرادَ كان ثُبُورا(٧)

---

(١) القار ، تقرأ باختلاس الألف ليستقيم الوزن . وهو مقابل المسافر . وفي الأصل : « الفار » بالفاء . و « الهدى » هي في ط ، ه : « الندى » .

(٢) عقيفان بقاف تليها ياء ثم فاء ، وبهيئة التصغير .

(٣) النص في لسان العرب : « قال دغفل النسابة : ينسب النمل إلى عقفان والفازر . فعقفان جد السود ، والفازر جد الشقر » .

(٤) هذه الزيادة الضرورية أثبتها اعتماداً على ما ورد في الحيوان (٦ : ١٥٠) حيث يتحدث الجاحظ عن الرعاف .

(٥) أي سلبه الله حسن الذكر في حياته . و « غنا » هي كذلك في ط ، ه . وفي س : « غنى » وأراها محرفتين . ورواية الديوان ٣٤ : «سلب الذكر في الحياة جزاء» . والضمير عائد إلى فرعون ، إذ يقول أمية قبل هذا البيت :

وبفرعون إذ تشاق له المـا   ء فهلا لله كان شـكورا
قال إني أنا المجير على النا   س ولا رب لي على مجيرا
فمحاه الإله من درجات   ناميات ، ولم يكن مقهورا

وأما البيت الآتي ، فهو من أمية حديث عن العذاب الذي ألحقه الله ببعض الأمم ، انظر الديوان .

(٦) السنين : جمع السنة ، وهي القحط والأزمة . والمور ، بالضم : الغبار بالريح . س : « دموراً » ولها وجه ؛ فالدمور بالضم . أصله أن يهجم الرجل على القوم ، أو يدخل عليهم بغير إذن ، وأثبت ما في ط ، ه والديوان ، والحيوان ، (٦ : ١٥٠) .

(٧) الثبور : الهلاك .

(نملة سليمان)

وقرأ أبو إسحاقَ[1] قولَه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِن الجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّى إذا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ ﴾ فقال : كان ذلك الوادِي معروفاً بوادِي النملِ ؛ فكأنَّهُ كانَ حِمًى . وكيف نُنْكِرُ[2] أن يكونَ حمًى ؟ ! [و][3] النَّمْلُ ربَّما أجْلَتْ أمَّةً من الأُمَمِ عن بلادهم .

ولقد سألْتُ أهل كسكر[4] فقلت : شَعِيرُكُمْ عَجَبٌ ، وأرْزُكُمْ عَجبٌ ، وسمكُكم[5] عجب ، وجِداؤُكمْ عجب ، وبطُّكم عجَبٌ ، ودَجَاجُكم عجب ، فلو كانَتْ لَكم أعناب ! فقالوا : كلُّ أرْض كثيرةِ النَّمْلِ لا تصلُح فيها الأعناب . ثمَّ قرأ : ﴿ قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ ، فجعل تلك الجِحَرَةَ[6] مَسَاكِن . والعربُ تسميها كذلك . ثمَّ قالَ : ﴿ لا يَحطِمَنَّكمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ﴾ فجمعَتْ من اسمه وعينه ،

(١) هو إبراهيم بن سيار النظام .
(٢) ط ، ه : « فكيف ينكر » .
(٣) الزيادة من ثمار القلوب ٣٤٥ .
(٤) كسكر ، بوزن جعفر : كورة من كور فارس . عن معجم ياقوت .
(٥) هذا هو الموافق لما سبق في ج ٣ ص ٢٩٥ س ٢ . وفي ط ، ه : « سمنكم » وفي س : « صحتكم » وربما كانت هذه الأخيرة محرفة عن : « صحناكم » وقد سبق تفسيرها في حواشي (٣ : ٢٩٥) .
(٦) الجحرة ، بجيم مكسورة تليها حاء مفتوحة : جمع جحر . وفي الأصل : « الحجرة » محرف .

وعرفتِ الجُندَ من قائد الجند ، ثم قالت : ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ فكانوا معذورينَ وكنتم ملومينَ ، وكان أشدَّ عليكم . فلذلك قال : ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَولِهَا﴾ لِمَا رَأَى مِنْ [بُعْدِ[1]] غورِها وتَسْديدِها ، ومعرفتها . فعند ذلك قال : ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَى وَالِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ .

(أمثال فى النمل)

قال : ويقال : « ألطف[2] من ذَرَّةٍ » و : « أضْبطُ مِنْ نملة[3] » .

قال : والنَّملة أيضاً : قرحَةٌ تعرضُ للسَّاق ، وهى معروفةٌ فى جزيرة العرب[4] .

قال : ويقال : « أَنْشبُ مِنْ ذَرَّة[5] » .

(قول فى بيت من الشعر)

فأمَّا قَوْلهُ[6] :

لَوْ يَدِبُّ الحَوْلِىُّ مِنْ وَلدِ الذَّ ... رِّ عَلَيْهَا لأنْدَبَتْهَا الكلومُ[7]

---

(١) الزيادة من س ، هـ .

(٢) ألطف ، من اللطافة ، وهى الدقة . س : « ألحف » من الإلحاف ، وهو الإلحاح ؛ لأنها تلح فى طلب قوتها .

(٣) أضبط ، من الضبط ، وهو شدة اللزوم . ويقال أيضاً « أضبط من ذرة ، ومن الأعمى ، ومن صبى » انظر أمثال الميدانى (١ : ٣٩١) .

(٤) فسرها صاحب القاموس بقوله : « قروح فى الجنب . . . . وبثرة تخرج فى الجسد بالتهاب واحتراق ، ويرم مكانها يسيراً ، ويدب إلى موضع آخر كالنملة » .

(٥) فى الأصل : « أنسب » .

(٦) هو حسان ، كما فى الموشح ٦٣ ، من قصيدة فى ديوانه ٣٧٦ — ٣٨٠

(٧) أندبتها : أثرت فيها . والكلوم : جمع كلم ، بالفتح وهو الجرح . قالوا : وأفضل من قول حسان هذا ، قول امرئ القيس (انظر الموازنة ١٣٦) :

من القاصرات الطرف لودب محول ... من الذر فوق الإتب منها لأثرا

فإنَّ الحولىَّ منها لا يُعْرَفُ مِنْ مَسَانِّهَا(١) ، وإنمـا هو كما قال الشاعر :

تلقّط حَوْلِىّ الحصى فى منازلٍ مِن الحىِّ أمْسَتْ بالحَبَيَيْن بلْقعا(٢)

قال : وحولىُّ الحصى : صغارها . فشبَّهه بالحولىِّ من ذوات الأربع .

(أحاديث وآثار فى النمل)

ابن جُريجٍ ، عن ابن شهاب ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن
ابن عباس ، أنَّ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلَّم قال : « مِنَ الدَّوابِّ أربَعٌ ٦
لا يُقْتَلْنَ : النَّملة ، والنَّحْلة ، والصُّرَد ، والهُدهُد » .

وحدَّثنا عبدُ الرحمن بنُ عبدِ الله المسعودىّ ، قال : حدّثنا الحسن ابن سعد ، مولى على بن عبد الرحمن بن عبد الله(٣) قال : « نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزِلاً فانطلق لحاجته ، فجاء وقد أُوقَدَ رجلٌ على قريَةِ نَملٍ ، إمَّا فى شجرةٍ وإمَّا فى أرض ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ فَعَلَ هذا ؟ ! أَطْفِئْهَا أَطفِئْهَا ! » .

ويحيى بن أيوب ، عن أبي زُرعة بنِ جرير(٤) ، قال : أنبأنا أبو زرعة

(١) المسان : الكبار السن . ط ، هـ : « مسكنها » ، وصوابه فى س .

(٢) ط : « بالجبيين » . وفى الموازنة ١٣٧ : « بالحيين » .

(٣) س : « مولى عبد الرحمن بن عبد الله » .

(٤) هو أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلى الكوفى ، اختلف فى اسمه ، فقيل هرم ، وقيل عمرو ، وقيل عبد الله ، وقيل عبد الرحمن ، وقيل جرير . من الرواة الثقات . تقريب التهذيب .

عن أبي هريرة قال : « نزل نَبِيٌّ من الأنبياء تحتَ شَجَرةٍ ، فعضّتْه نملةَ ، فقام إلى نَمْلٍ كثير تحتَ شجرةٍ فقتَلَهُنَّ ، فقيل له : أفلا نَمْلَةً واحدة ؟ ! » .

وعبد الله بنُ زيادٍ المدنيُّ ، قال : أخبرني ابنُ شهابٍ ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : « سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نزَلَ نبيٌّ من الأنبياء تحتَ شجَرةٍ ، فقرَصَتْهُ نَمْلَةٌ ، فأمَرَ بجَهَازِه[1] فأُخرِجَ مِنْ تحتها ثمَّ أمَرَ بقَرْيَةِ النَّمْلِ فأُحرِقتْ ، فأَوْحَى اللهُ إليه : أفي أنْ قَرَصَتْكَ نملةٌ أهلَكْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ يسبِّحونَ الله تعالى ؟ ! فهلاَّ نَمْلةً واحدة ! » .

يحيى بن كثير ، قال : حدَّثنا عُمر بن المغيرة بن الحارث الزِّمَّانيّ[2] ، عن هشامٍ الدَّسْتَوَائيّ[3] قال : إنَّ النَّمْلَ والذَّرَّ إذا كانا في الصَّيفِ كلّه ينقُلْن الحبَّ ، فإذا كان الشتاءُ وخِفْنَ أن ينبت فلقْنَه .

هشام بن حسَّان ، أنَّ أهلَ الأحنفِ بن قيس لَقُوا من النَّمْلِ أذًى ، فأمرَ الأحنف بكرْسِيٍّ [فوُضِع عند جُحْرهنَّ ، فجلَسَ عليه ثمَّ تشهَّد] فقال : لَتَنْتَهِنَّ أَوْ لَنُحَرِّقَنَّ عليكُنَّ ، أَوْ لَنَفْعَلَنَّ أَوْ لنفْعَلَنَّ[4] ! قال : فذهبن .

---

(١) الجهاز ، بالفتح : المتاع . والكسر لغة رديئة . وانظر إسناد هذا الحديث والقول فيه عند الدميري .

(٢) ط ، هـ : « الزناني » . وأثبت ما في س ، وكتب في جانب منها : « خ : الزناني » .

(٣) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ . « ابن الدستوائي » . وانظر ما أسلفت من تحقيق في هذا الراوي (٣ : ٥٣٧ — ٥٣٨) وكذا تذييل الجزء الثالث .

(٤) ط ، هـ : « أو لتفعلن » بالتاء ، وليس بشيء . والتكرار لتأكيد الوعيد

وعوف بن أبي جميلة[١] عن قسامةَ بن زُهير[٢] قال : قال أبو موسى الأشعَرِيّ : إنّ لكلّ شيءٍ سادةً، حتّى إنّ للنمل سادة .

عبد الله بن زيادٍ المدنيّ ، قال : أنبأنا ابن شهابٍ ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقول : خرج نبيٌّ من الأنبياء بالناسِ يستَسقون ، فإذا هُمْ بِنَملة رافعةٍ رأسها إلى السماء ، فقال ذلك النبيُّ : ارجعُوا فقد استُجِيبَ لكم مِن أَجْلِ هذا النَّمْلِ ! » .

مِسْعَر بن كِدَام[٣] ، قال . حدّثنا زيد القمّيُّ[٤] عن أبي الصِّدِّيق النَّاجِي[٥] قال « خرج سليمانُ بنُ داوُدَ — عليهما الصلاة والسلام — يستسقى فرأى نملةً مستلقِيةً على ظهرها ، رافعةً قوائمَها إلى السماء وهي تقول :

---

(١) عوف بن أبي جميلة ، بفتح الجيم ، الأعرابي العبدى البصرى ، ثقة رمى بالقدر وبالتشيع . مات سنة ست ، أو سبع وأربعين بعد المائة ، وله ست وثمانون . تقريب التهذيب .

(٢) قسامة ، بفتح القاف ، ابن زهير المازنى البصرى ، راو من التابعين البصريين ، وكان ممن افتتح الأبلة مع عتبة بن غزوان . الإصابة ٧٢٨٠ .

(٣) مسعر ، بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح المهملة ، ابن كدام ، ككتاب ، ابن ظهير الهلالى ، أبو سلمة الكوفى . ثقة ثبت فاضل مات سنة اثنتين ، أوثلاث أو خمس وخمسين بعد المائة . تقريب التهذيب ، والمعارف ٢١١ . قال ابن قتيبة : « وكان يقول : من أبغضنى فجعله الله محدثا ! » . لعله يريد ما يعانون من مشقة التثبت . وفى الأصل : « مسعود » ، وهو تحريف .

(٤) كذا ورد فى الأصل بالقاف ، ولعله « العمى » البصرى قاضى هراة ، الذى ترجم له ابن حجر فى التقريب ١٧٣ . قالوا : إنما قيل له العمى لأنه إذا سئل عن شىء قال : لا حتى أسأل عمى .

(٥) أبو الصديق بتشديد الدال المكسورة : هو بكر بن عمرو — وقيل ابن قيس — الناجى بالنون والجيم المكسورة ، وهو لقب له ، بصرى ثقة مات سنة ثلاث ومائة . وفى الأصل : « الباجى » وصوابه فى القاموس والتقريب .

اللهمَّ إنَّا خلقٌ من خلْقِك ، ليس بنا غنًى عن سقْيك ؛ فإمَّا أنْ تسقِينا وترزُقنا ، وإمَّا أنْ تُميتَنا وتُهلكنا ! فقال : ارجعوا فقد سُقِيتم بدعوة غيركم ! » .

(تأويل آية)

وحدثني أبو الجهجاه قال : سأل أبو عمرو المكفوف[1] عن قوله تعالى :

٧ ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ . فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا ﴾ . فقلت له : إنَّ نذراً يعجب[2] منه نبيٌّ من الأنبياء ثمَّ يعظُمُ خطرُه حتى يُضحِكه لَعَجيب ! قال : فقال : ليس التأويل ماذهبتَ إليه . قال : فإنَّه قد يضْحَك النبيٌّ ، عليه السلام ، من الأنبياء مِنْ كلامِ الصبيّ ، ومِنْ نادرةٍ غريبة . وكلُّ شيءٍ يظهَرُ من غير معدِنه ، كالنَّادرة تُسمع من المجنون ، فهو يُضحِك . فتبسُّمُ سُليمانَ عندى على أنَّه استظرف ذلك المقدارَ من النَّملة ، فهذا هو التأويل .

(سادة النمل)

وقال أبو الجهجاه : سألتُه عن قول أبي موسى[3] : إنَّ لكلِّ شيءٍ سادةً حتى الذَّرّ . قال : يقولون : إنّ سادَتها اللَّواتى يخرُجْنَ من الجُحْر ، يرتَدْنَ بجماعتها ، ويستبقنَ إلى شمِّ الذى هُو مِنْ طعامهنّ .

---

(١) المعروف : أبو عمر ، وهم جماعة فى تقريب التهذيب . س : « المكفولى » .
(٢) س : « إن تدبيراً يتعجب » .
(٣) هو أبو موسى الأشعرى ، كما سبق فى الصفحة التى مضت .

(تأويل شعر لزهير)

وقال زهَير :

وقَالَ سأقضي حاجَتى ثمَّ أتَّقى　　　عَدُوِّى بألْفٍ مِنْ وَرَائى مُلَجَّمِ
فشَدَّ ولم تَفْزَع بُيُوتٌ كثيرةٌ　　　لَدَى حيثُ ألقَتْ رَحْلَهَا أمُّ قشْعَمِ [1]

قال بعض العلماء : قرية النمل .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال فى لسانه حُبْسة : إذا كان فى لسانه ثِقَلٌ يمنعُه من البيان . فإذا كان الثِّقَلُ الذى فى لسانه من قِبَل العُجْمة [2] قيل : فى لسانه حُكْلة . والحُكلُ من الحيوان كلُّه ما لم يكن له صوتٌ يُستَبَان باختلاف مخارجه ، عند حَرَجِهِ ، وضجَرِه ، وطلبِهِ ما يغذُوه ، أو عندَ هِيَاجه إذا أراد السِّفاد ، أو عند وعيدٍ لقتالٍ ، وغيرِ ذلك من أمره .

(رأى الهند فى سبب اختلاف كلام الناس)

وتزعم الهندُ أنّ سبَبَ مالَه كثُرَ كلامُ الناس واختلفَتْ صُوَرُ ألفاظِهم [3] ، ومخارجُ كلامهم ، ومقاديرُ أصواتهم فى اللِّين والشِّدّةِ ،

---

(١) يقول : شد على عدوه وحده فقتله ، ولم تفزع بيوت كثيرة ، أراد أنه لم يستعن عليه بأحد . س : « يفزع » هـ : « يقرع » ، وهذه الأخيرة محرفة . وأم قشعم : الحرب ، أو المنية ، أو الضبع ، أو العنكبوت ، أو الذلة . وبكل فسر قول زهير .

(٢) فى الأصل : « العجمية » .

(٣) بعد هذه فى كل من ط ، هـ : « واتسعت على قدر اتساع معرفتهم » . وهو =

وفى المـدِّ والقَطْع – كثرةُ (١) حاجاتهم . ولِـكثْرِ (٢) حاجاتهم كثرتْ خواطرُهم وتصاريفُ ألفاظِهم ، واتّسعت على قدْرِ اتّساع معرفتهم .

قالوا : فحواتِـج السَّنانير لاتعدُو خمسةَ أوجه : منهاصياحُها إذا ضربت، ولذلك صورة . وصياحُها إذا دعت أخَواتها وآلافها(٣) ، ولذلك صورة(٤) . وصيـاحُها إذا دعَتْ أولادَها للطُّعْم ، ولذلك صورة . وصياحُها إذا جاعَتْ ، ولذلك صورة(٥) . فلما قلَّتْ وجوهُ المعرفةِ ووجوهُ الحاجات ، قلَّتْ وجوهُ مخارج الأصواتِ . وأصواتها تلك فيما بينها هو كلامها .

وقالوا : ثمَّ من الأشياء ما يكونُ صوتها خفيًّا فلا يفهمهُ عنها إلا ما كان مِن شـكلها . ومنها(٦) مايفهم صاحبَه بضروبِ الحركاتِ والإشاراتِ والشمائل . وحاجاتها ظاهرةٌ جليَّة ، وقليلةُ العددِ يسيرة . ومعها من المعرفة مالا يقصُر عن ذلك المقدار ، ولا يجوزه . ٨

[و] رَاضَةُ الإبلِ ، والرِّعاءُ ، وَرُوَّاضُ الدَّوَابِّ فى المُروجِ ، والسُّوَّاسُ ، وأصحابُ القنْص بالـكلابِ والفهود ؛ يعرِفون باختلاف الأصواتِ والهيئات والتشوُّف ، واستحالةِ البصرِ ، والاضطرابِ ، ضروباً من هذه الأصناف ، مَا لا يعرف مِثلَه من هو أعقلُ منهم(٧) ، إذا لم يكن له مِنْ مُعَايَنَةِ أصنافِ

= تـكرار لعبارة ستأتى بعد سطرين . وإثباتها هنا يفسد الكلام . فالوجه حذفها كما فى س .

(١) ط ، هـ : « كثرت » ، ووجهه ما أثبت من س .

(٢) ط ، هـ : « ولـكثرت » ، صوابه ما كتبت من س .

(٣) الآلاف بمد الهمزة فى أوله : جمع إلف بالـكسر وهـو الأليف . ط : « آلافهات » صوابه فى س ، هـ .

(٤) ط : « وجه » . وسياق القول يقتضى ما أثبت من س ، هـ .

(٥) ذكر الجاحظ ، كما رأيت ، أربعة أوجه ، لاخمسة . فهو سهو منه .

(٦) فى الأصل : « ومنتهى » .

(٧) فى الأصل : « منه » .

الحيوان ما لهُمْ[١] . فالُحكْلُ من الحيوان [من[٢]] هذا الشكل . وقد ذكرناه مرّة. قال رُؤبة[٣] :

لَوْ أَنَّنِي عُمِّرْتُ عُمْرَ الحِسْلِ   أَوْ أَنَّنِي أُوتيتُ علمَ الُحكْلِ

عِلْمَ سُليمانَ كَلاَمَ النَّمْلِ

(تأويل بيت للعُمَانى)

وقال أبو العباس محمَّد بن ذؤيب الفُقَيميُّ وهو الذى يقال له العُمانيُّ[٤] فى بعض قصائده فى عبد الملك بن صالح . والعُمانيُّ ممن يُعَدُّ من جمَع الرَّجزَ والقصيد ، كعُمَرَ بنِ لجإ[٥] ، وجرير بن الخَطفى ، وأبى النَّجم وغيرهم . قال العُمانيّ :

وَيَعْلَمُ قَوْلَ الُحكْلِ لوَ أَنَّ ذَرَّةً   تسَاوِدُ أُخرَى لَمْ يَفُتْهُ سِوادُها[٦]

يقول : الذَّرُّ الذى لا يُسمَع[٧] لمناجاته صوت ، لو كان بينها سِوَادٌ[٨] لفهِمَه . والسِّواد هو السِّرار[٩] . [قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم لابن مسعود :

---

(١) فى الأصل : « لغيرهم » .

(٢) ليست بالأصل .

(٣) انظر ماسبق من التنبيه فى ص ٨ .

(٤) سبقت ترجمته فى (٢ : ١٦٦)

(٥) فى الأصل : « كعمرو » وصوابه ماأثبت ، وقد سبقت ترجمته فى (١ : ٣٤٩). و « لجأ » هو والد عمر ، وأصل اللجإ المعقل ، والملاذ . فهو اسم مصروف ، وليس مما أتى على وزن الفعل ، وانفرد صاحب القاموس بقوله إنه جد عمر ، وأن والده يسمى الأشعث .

(٦) ط : « تساور أخرى » وصوابه فى س ، ه والبيان (١ : ٤٠ ، ٣٢٥) .

(٧) ط ، ه : « لم يسمع » . والأوجه ما أثبت من س .

(٨) ط : « سواء » صوابه فى س ، ه .

(٩) ط ، ه : « السواد » والماء لا يفسر بالماء ! صوابه فى س . والسرار ، بالكسر : التحادث سراً .

« أُذُنَكَ حتى أساوِدَك» أى تسمع سِوادِى . وقالت ابنةُ الُخسِّ : «قرْبُ الوسادِ]
وطولُ السِّواد[1] » .

قال أبو كبير الهذلىُّ :

ساودت عنْها الطَّالبِينَ فلمْ أنَمْ حَتَّى نَظَرْت إلى السِّماكِ الأعْزَلِ[2]

وقال النمرُ بنَ تَوْلَب :

ولقَد شهِدْت إذا القِدَاحُ تَوَحَّدَتْ وشَهِدْتُ عندَ الَّليل مُوقِدَ نَارِها[3]
عَنْ ذاتِ أَوْلِيَــةٍ أساوِدُ رَبَّهَا وكَأَنَّ لَوْنَا المِلْحِ تحتَ شِفَارِها[4]

وقد فسَّرْنا شأنَ الحكل[5] :

وقال التيميُّ الشاعرُ[6] المتكلم – وأنشد لنفسه وهو يهجو ناساً من بنى تَغْلِبَ معروفين – :

عُجْم وحُكْلٌ لاتُبِينُ ، ودِينُها عِبادَةُ أعلاجٍ عليها البرانسُ[7]

(١) قالت هذا حين سئلت : « ما حملك على أن زنيت بعبدك ؟ » . انظر البيان (١ : ٣٢٤) ، والحيوان (١ : ١٦٩) ، والصناعتين ٣٢٠ .
(٢) ط ، هـ : « ساورت » ، صوابه فى س . والسماك الأعزل : منزلة من منازل القمر ، وهو نجم يظهر مع الفجر .
(٣) القداح هنا قداح الميسر . توحدت : أى أخذ كل رجل قدحا ولم يقدر على غيره ؛ لشدة الزمان وغلاء اللحم .
(٤) عن ذات أولية : أى من أجل ناقة ذات أولية ، رعت وليا بعد ولى من المطر فسمنت . أساود ربها : يقول : أساره وأناجيه لأختدعه عنها فيسمح بها ليجرى عليها الميسر . وكأن لون الملح فوق شفارها : أى أن الشفار التى تذبح بها وتقطع يعلق بها شحم هذه الناقة السمينة فيحكى ذلك لون الملح . ط : « أساور » صوابه فى س ، هـ ، والميسر والقداح ص ١١٨ والمعانى الكبير ١١٦٠ .
(٥) انظر ص ٢٣ وكذا ص ٢١ .
(٦) ذكره الصولى فى الأوراق ٧٦ باسم « التيمى بن محمد » .
(٧) الأعلاج : جمع علج ، بالكسر ، وهو الرجل من كفار العجم . والبرانس : جمع برنس ، وهو القلنسوة الطويلة ، وكان النساك يلبسونها فى صدر الإسلام . والبرنس أيضاً : كل ثوب رأسه منه ملتزق به ، دراعة كان أو ممطراً أو جبة . وفى حديث عمر : « سقط البرنس عن رأسى » هو من هذا . والرواية فى البيان (١ : ٤٠) : « ولكن حكلا لا تبين » .

ففصَلَ بينَ الُحكْل والعُجْم ، فجعل العُجْمَ[1] مثلَ ذواتِ الحافر والظِّلْف والخفِّ ، وجعل الُحكْلَ كالذّرِّ والنّمل والخنافس ، والأشكال التى ليست تصيحُ من أفواهها . فقال لى يومئذ حفصٌ الفَرْدُ[2] : [أشهَدُ] أنَّ الذى يقال فيه حقٌّ[3] ، كان والله نصرانيًّا ، ثمَّ صار يخبر عن النصارى كما يخبر عن الأعراب !

(بين الأصمعى والمفضَّل)

[و] قال الأصمعىّ للمفضَّل ، لما أنشد المفضَّلُ جعفرَ بنَ سليمانَ[4] ٩

قولَ أوسِ بن حجر :

وذاتَ هِـدمٍ عارٍ نواشِرُها   تُصْمِتُ بالماء تَوْلَباً جَدِعا[5]

---

(١) ط ، هـ : « ذوات العجم » وكلمة « ذوات » مقحمة .

(٢) من المجبرة ، وكان من أهل مصر ، قدم البصرة فسمع بأبى الهذيل واجتمع معه وناظره ، فقطعه أبو الهذيل . وله عدة تصانيف سردها ابن النديم فى الفهرست ٢٥٥ مصر ١٨٠ ليبسك .

(٣) ط ، هـ : « حق » ، وهو على الصواب فى س .

(٤) كذا أيضاً فى التنبيهات على أغاليط الرواة فى نسختنا الخطية . وفى اللسان أنه سليمان ابن على الهاشمى .

(٥) الهدم ، بالكسر : الثوب الخلق المرقع . هـ ، س : « عدم » والعدم ، بالضم الفقر وفقدان المال ، ولم أجد هذه الرواية فيما عندى . والنواشر : عصب الذراع من داخل وخارج . وعريت نواشره : فقدت ما يكسوها من لحم ، وهو علامة المجاعة . تصمت بالماء تولبا : أى تسكت ولدها الذى يبكى من الجوع بشىء من الماء . وأصل التولب : ولد الحمار ؛ لكن أوساً أساء الاستعارة لجعله الطفل تولباً انظر العمدة (٢ : ٢٠٤) . وهذا البيت قد وهم فيه قدامة فظن أن سوء الاستعارة هذا يسمى معاظلة وقال : لا أعرف المعاظلة إلا فاحش الاستعارة . وانظر الرد عليه فى كل من الصناعتين ١٥٥ وسر الفصاحة ١٥١ . والبيت من قصيدة جيدة يرثى بها فضالة بن كلدة مطلعها :

أيتها النفس أجملى جزعا   إن الذى تحذرين قد وقعا

وقبل البيت :

ليبكك الشرب والمدامة وال   فتيان طرا وطامع طمعا

وانظر ما قيل فى مجالس العلماء للزجاجى وحواشيه ص ١٤ والمقاييس (جدع) .

فجعل الذّال معجمة ، وفتحها ، وصحّف ، وذهب إلى الأجذاع[1] .

قال الأصمعيّ : إنما هي : « تَوْلَباً جَدِعا » الدّال مكسورة . وفى الجَدِع يَقُول أبو زبيد :

ثُمَّ استقاها فـلم يقطَعْ نظامُها عن التضبُّبِ لا عَبْلٌ ولا جَدِعُ[2]

وإنّما ذلك كقول ابن حَبْنَاءَ الأشجعيّ[3] :

وأرْسَلَ مُهْمَلاً جَدِعاً وخَفًّا ولا جَدِعُ النَّباتِ ولا جَدِيبُ[4]

فنفخ المفضّلُ ، ورفع بها صوتَه ، وتـكلّم وهو يصيح . فقال الأصمعيّ : لو نفخْتَ بالشَّبُّور لَمْ ينفعك ! تـكلَّمْ بكلامِ النَّمل وَأَصِبْ[5] !

---

(١) الأجذاع : جمع جذع بالتحريك ، وهو من الحافر ما كان فى الثالثة .

(٢) التضبب : السمن وكثرة اللحم . ﻫ فقط : « التضبيب » . والجدع ، كـكتف : فعل بمعنى مفعول ، ولا يعرف مثله . وهو السيئ الغذاء .

(٣) ابن حبناء ، يطلق على (خمسة من الشعراء) ثلاثة منهم إخوة ، وحبناء ، اسم أمهم كما فى القاموس ومعجم المرزبانى ٣٦٩ والمؤتلف والمختلف ١٠٥ ، أو هو لقب لأبيهم لقب به لحبن أصابه . والحبن : داء فى البطن يعظم منه ويرم. الأغانى (١١ : ١٥٦). وأعرف هؤلاء الإخوة الثلاثة هو المغيرة بن حبناء ، وكان بينه وبين أخيه صخر مناقضات شعرية روى بعضها أبو الفرج (١١ : ١٦٢ – ١٦٣) . وثالث هذين الأخوين هو يزيد بن حبناء وكان من الخوارج ، وكان أخوه المغيرة من رجال المهلب ابن أبى صفرة . ويعرف بهذا الاسم أيضاً أخوان آخران ،أحدهما بلعاء بن قيس الكنانى وأخوه جثامة . وأمهما الحبناء بنت وائلة . وقد تقدمت ترجمة بلعاء فى (٢ : ٦٠) . جاء فى ط : « حنباء » صوابه فى ﻫ ، س . على أنى أستبعد صحة العبارة هنا إذ ليس أحد من هؤلاء الشعراء الخمسة من تصح له نسبة « الأشجعى » . والمعروف بهذه النسبة من الشعراء هو جبهاء (ويقال أيضاً جبيهاء بالتصغير) وهو شاعر بدوى من مخاليف الحجاز ينتهى نسبه إلى بكر بن أشجع . نشأ وتوفى فى أيام بنى أمية ، وهو من المقلين ، وله حديث مع الفرزدق فى الأغانى . (١٦ : ١٤١) .

(٤) المراد بالخف هنا الإبل .

(٥) تجد هذه القصة مع بسط وتفصيل ، فى اللسان (جدع) .

والشَّبُّور : شيء مثل البُوق ، والكلمة بالفارسيّة[١] . وهو شيءٌ يكون لليهود ، إذا أراد رأسُ الجالوت[٢] أن يحرِّم كلامَ رجلٍ منهم نفَخُوا عليه بالشَّبُّور .

(تحريم الكلام لدى اليهود والنصارى)

وليسَ تحريمُ الكلام مِن الحدود القائمةِ فى كتبهم ، ولكنَّ الجاثَلِيقَ[٣] ورأسَ الجالوتِ ، لأَيمكنُهُما فى دار الإسلام حبسٌ ولاضرْب ؛ فليس عندهما إلّا أنْ يغرِّما المالَ ، ويُحرِّما الكلام . على أنَّ الجاثليق كثيراً ما يتغافل عن الرَّجلِ العظيمِ القدْر ، الذى له من السُّلطان ناحيةٌ .

وكان طيمانو[٤] رئيس الجاثليق ، قد همَّ بتحريم كلام عَون العباديِّ[٥] ، عند ما بلغه من اتِّخاذ السَّرارىّ[٦] ، فتوعَّده وحلف : لئن فعل ليُسْلِمَنَّ ! وكما ترك الأشقيل[٧] وميخاييل[٨] وتوفيل[٩] ،

(١) الصحيح أنها مأخوذة من العبرية. انظر الاستدراكات .

(٢) انظر لتفسير هذه الكلمة تذييل هذا الجزء .

(٣) الجاثليق ، بفتح الثاء : رئيس من رؤساء النصارى يكون تحت يده المطران ، ثم الأسقف ، ثم القسيس ، ثم الشماس .

(٤) كذا . ولعله : « طيمائوس » كما أفادنيه حضرة المحقق القدير الأب أنستاس .

(٥) العبادى : نسبة إلى العباد ، بكسر العين ، وهم قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة .

(٦) السرارى : جمع سرية ، وهى الأمة المملوكة التى بوئت بيتا . ونظام التسرى ، أى اتخاذ السرارى ، نظام إسلامى يقصد به تكثير نسل المسلمين . والتسرى محظور على النصارى . انظر رسائل الجاحظ بهامشة الكامل (٢ : ١٧٦) .

(٧) كذا فى س ، هـ . وفى ط : « الأشفيل » .

(٨) س : « متخاييل » .

(٩) وجه الصواب فيه : « ثيوفيل » أو « تيوفيل » .

سَمْلَ عَيْنِ مَنْوِيل[1] — وفى حكمهم أنَّ من أعان المسلمين على الرُّوم يقتل ؛ وإن كان ذا رأى سَمَلوا عينَيه ولم يقتلوه — فتركوا سُنَّتهم فيه .

وقد ذكرنا شأنَهم فى غير ذلك ، فى كتابنا على النَّصَارى[2] . فإن أردتَه فاطلبْه هنالك .

(تأويل بيت لابن أبى ربيعة)

وقال عُمر بن أبى ربيعة :

لَوْ دَبَّ ذرٌّ فوقَ ضاحِى جِلْدِها   لَأَبَانَ مِنْ آثارِهنَّ حُدُورُ[3]

والحَدْر : الورَم والأَثَرُ[4] يكون عن الضَّرْب .

---

(١) سمل عينه : فقأها . وبدل هذه العبارة فى ط : « وسموعين ومنويل » وفى ﻫ : « سمل عين ومنويل » ، وصوابه فى س .

(٢) فى الأصل : « النصرى » ، وهو تحريف . وكتابة الجاحظ عن النصارى وثيقة تاريخية هامة ، تظهرنا على حقائق غريبة ، وتبين لنا مدى اتصال النصارى بالمسلمين فى عصره . وقبل عصره . وتجد فقراً منها بهامشة الكامل (٢ : ١٤٨ — ١٩٨) .

(٣) ضاحى جلدها : أى جلدها الضاحى المشرق . وأبان هنا فعل لازم بمعنى بان وظهر . و « حدور » فاعل أبان ، ومنه فى الكتاب : « حم والكتاب المبين » أى البين الظاهر ، فى أحد وجهى تأويله . وفى ط ، وكذا اللسان (مادة حدر) والمخصص (٢ : ٨٠) « حدورا » بالنصب ، وهو خطأ صوابه فى ﻫ ، س ؛ إذ أن البيت من قصيدة مضمومة الروى ، كما فى ديوان عمر ص ١٢ ، مطلعها :

لمن الديار كأنهن سطور   تسدى معالمها الصبا وتنير

وقبل البيت :

تلك التى سبت الفؤاد فأصبحت   والقلب رهن عندها مأسور

(٤) فى الأصل : « والحدر والورم الأثر » ، وصوابه ما أثبت .

(التسمية بالنمل)

وقد يسمَّى بِنملة ونُمَيْلة ، ويكتنون بها . وتسمَّوا بذَرٍّ ؛ واكتنوا بأبى ذرّ . ويقال : سيفٌ فى مَتْنِه ذرٌّ ، وَهُوَ ذرِّىُّ السَّيف[1] .

(شعر فى صفة السيف)

وقال ابن ضبَّة[2] :

وقد أغـــدُو مع الفتيـــا نِ بالمنجـــردِ الــتِّرِّ[3]

وذى البِرْكةِ كالتَّـــابو تِ والمَحْـــزِمِ كالقَرِّ[4]

---

(١) فى الأصل : « ذر السيف » وأصلحته معتمداً على لسان العرب ، وفيه : « وفرى السيف : فرنده وماؤه ، يشبهان فى الصفاء بمدب النمل والذر . قال عبد الله ابن سبرة :

كل ينوء بماضى الحد ذى شطب جلى الصياقل عن ذريه الطبعا

(٢) ذكره الجاحظ فى البيان (٣ : ٧٦) مع الشعراء العرجان . وهو القائل :

وكنت أمشى على رجلين معتدلا فصرت أمشى على أخرى من الشجر

(٣) المنجرد من الخيل : القصير الشعر ، وذلك من علامات العتق والكرم . ط ، هـ : « بالمنجر » س : « بالمتجرد » ، وصوابه ما أثبت كما فى اللسان (ترر) . والتر من الخيل : المعتدل الأعضاء ، الخفيف ، الدرير . ط ، هـ : « والبتر » وأثبت الصواب من س واللسان . وقد روى ابن الشجرى هذا البيت فى أماليه (١ : ٨٢) :

وقد أغدو إلى الهيجا ء بالمحتنك الــثر

روى الكلمة الأخيرة بالثاء المثلثة قال : « يقال سحاب ثر ، الكثير الماء . واستعاروه للفرس الكثير الجرى » .

(٤) البركة ، بالكسر : الصدر . والتابوت : الصندوق يحرز فيه المتاع ، وهى كلمة عبرية الأصل . والمحزم ، كمجلس : موضع الحزام . والقر ، بالفتح : الهودج :

معِى قاضبــةٌ كالمِلْـحِ فى مَتْنَيْــهِ كالذَّرِّ[1]
وقــد أعْتَسِرُ الضَّرْبَةَ تَشْــنِى شَــتْنَ الشَّتْرِ[2]

وقال الآخر :

تَكادُ الرِّيح ترمِيهَا صرارا وتُرْجَفُ إن يُلثِّمها خِمارُ[3]
وتحسَبُ كلَّ شىءٍ قِيلَ حَقًّا وَيُرْعِبُ قلبَها الذَّرُّ الصِّغارُ

وقال أوسُ بنُ حجَرٍ ، فى صفة السَّيْفِ :

كأَنَّ مدبَّ النَّمْلِ يَتَّبِعُ الرُّبَا وَمَدْرَجَ ذَرٍّ خافَ بَرْدًا فأَسْهَلَا[4]
على صفحتيه بعد حِينِ جِلائه كَفَى بالّذِى أبلى وأنعَتَ مُنْصُلَا[5]

---

(١) القاضبة ، أراد به السيف القاضب ، فالتاء فيه للمبالغة ، كراوية . ولم أر هذه اللفظ لهذا المعنى فى كتاب . وجعله كالملح فى بياضه . والعرب يشبهون الشىء الأبيض بالملح كما سبق تشبيه الشحم به فى ص ٢٤ س ٧ . وجاء هذا البيت مخروما فى اللسان (مادة ترر) . ويمكن تصحيحه وإكماله مما هنا .

(٢) أعتسر الضربة ، أصله من اعتسر الرجل الكلام : إذا اقتضبه قبل أن يزوره ويهيئه . يقول : يفاجىء عدوه بالضربة السريعة . ط ، س : « أعسر » صوابه فى هـ . والشتر ، بالفتح : الجرح . وفى الأصل : « الشبر » ولا وجه له وأما « شتن » فهى فى ط : « شنن » والكلمتان غير واضحتين .

(٣) س : « تلثمها » ، والوجه ما أثبت من ط ، هـ .

(٤) الربا : جمع ربوة ، وهو المكان المرتفع . وفى الأصل : « الدبا » ولا وجه له وصوابه فى ديوان أوس وعيون الأخبار (٢ : ١٨٧) ومعاهد التنصيص (١ : ٤٨) والشعراء ١٥٧ . وأسهل : صار فى السهل من الأرض .

(٥) ط : « على صفحة من » ، والوجه « صفحتيه » مع حذف « من » كما فى س ، هـ والديوان . ورواية الديوان : « على صفحتيه من متون جلائه » .

(انتقام عَقيل بن عُلَّفة ممَّا خطب إحدى بناته)

قال : وخطب إلى عَقيل بن علّفة بعضَ بناتِه رجلٌ من الحُرَقة[١] من جُهينة ، فأخذَه فشَدَّهُ قِماطاً ، ودهن آسته برُبٍّ وقَمَطهُ[٢] وقرَّبه من قريةِ النَّمل ، فأكل النملُ حُشوَةَ بطنِه[٣] .

(شِعرٌ فيه ذِكر النمل)

وقال ذو الرُّمّة :

وقَرْيَةٍ لاجِنٍّ وَلاَ أَنسِيَّةٍ　　مُدَاخَلَةٍ أبوابُها بُنِيَتْ شَزْرَا[٤]
نَزَلْناَ بهـا مانبتغى عندَها القِرَى　　ولـكنَّها كانت لمنزلنا قَدْرا[٥]

وقال أبو العتاهية :

أَخبِثْ بدارٍ هَمُّهَا أَشِـــبٌ　　جَثْل الفُرُوعِ كثيرةٌ شعَبُــه[٦]
إنَّ استِهانَتَها بِمَنْ صرَعَتْ　　لَبِقَــدْرِ مَا تَعْلو بِهِ رُتَبُه[٧]

---

(١) كذا على الصواب فى ط ، هـ وهى قبيلة . وفى س : « الحدقة » محرف . وفى الأغانى (١١ : ٨٢) أنه من بنى سلامان بن سعد .
(٢) قمطه : جمع بين يديه ورجليه . والرب بضم الراء ، هو الدبس ، أو هو ثفل السمن والزيت . وفى الأغانى : « ودهن استه بشحم » .
(٣) القصة فى الأغانى برواية تختلف كثيراً عن هذه .
(٤) أراد بالقرية قرية النمل . مداخلة : مخالفة فى بعضها بعضاً . شزرا : على غير استقامة فهى معوجة .
(٥) رواية الديوان ١٧٧ : « لا نبتغى عندها » .
(٦) أشب : كثير ، من قولهم شجر أشب : ملتف . جثل : كثير الورق . ط ، هـ : « جبل » صوابه فى س .
(٧) فى الأصل : « أزرا سياستها بمن صرعت » وهو تحريف صوابه من ديوان =

وإذا استوَتْ للنَّمل أجنِحَةٌ حتى يَطيرَ فقدْ دنَا عَطبُه[1]

وقال البَعيث :

وَمَوْلَى كَبَيْتِ النمل لاخيْرَ عندَه لمولاه إلَّا سَعْيــه بنَمــيمِ

(بعض ما قيل فى النمل)

قال : وقد سمعت بعضَ الأعراب[2] يقول : إنهُ لَمَامٌ نَمْــلٌ . على قولهم : « كذبَ علىَّ نَمِلٌ[3] » إذا أرادُوا أنْ يخبرُوا أنهُ نمام . وقال حميد بن ثَوْر ، فى تهوين[4] قوَّة الذَّرّ :

منعَّمَة ، لو يُصْبِــحُ الذَّرُّ سارياً على جِلْدِها بضَّتْ مدارِجُهُ دما[5]

وقال الله عزّ وجل : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يرَهُ . وَمَنْ يعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .

قال : وقيل لعائشةَ ـــ رضى الله تعالى عنها ، وقد تصدَّقتْ بحبَّةِ عنب ـــ : أتَصَدّقينَ[6] بحبَّةِ عنب ؟ ! قالت : إن فيها لَمَثَاقِيلَ ذَرّ[7]

= أبى العتاهية ص ٣٥ وثمار القلوب ٣٤٦ . « لبقدر » هى فى الأصل : « فبقدر » وأثبت ما فى الديوان والثمار ومروج الذهب (٣ : ٣٩٢) . و« تعلو » هى فى ط : « نقلوا » ، وتصحيحه من س ، ه والثمار والمروج . وبدلها فى الديوان : « تسمو » .

(١) فى الديوان : « وإن استوت » وانظر الكلام على البيت عند الدميرى .

(٢) س : « قال : وسمعت أعرابيا » .

(٣) النمل ككتف والنامل والمنمل – كمحسن – والمنمل ـــ كمنبر – والنمال ، كل أولئك بمعنى النمام .

(٤) س : « توهين » والتهوين : التقليل . والتوهين : الإضعاف . وهما متقاربان .

(٥) مدارج الذر : موضع دروجه . بضت : خرج منها الدم .

(٦) تصدقين بمعنى تتصدقين ، حذفت إحدى التاءين تخفيفاً . ط فقط : « أتتصدقين » .

(٧) مثاقيل : جمع مثقال ، بمعنى مقدار . س : « مثاقيل ذرة » صوابه فى ط ، ه . وعائشة رضى الله عنها ، تنظر إلى الآية السابقة .

(لغز فى النّمْل)

ومِمّا قيل فى الشِّعر من اللُّغز[١] :

فما ذو جَناحٍ له حافرٌ وليس يضُرُّ ولا ينفعُ

يعنى النَّمل . فزعم أنَّ للنَّمل حافرًا ، وإنَّما يَحْفِرُ جُحره ، وليس ١١ يَحْفِرُه بفمه[٢] .

(التعذيب بالنمل)

وعذَّب عُمَرُ بن هُبيرة[٣] سعيدَ بن عَمْرو الحَرَشىّ[٤] بأنواع العذاب فقيل له : إن أردت ألاّ يُفْلِحَ أبدًا فمُرْهُمْ أن ينفُخوا فى دُبُرِه النَّمل . ففعلوا فلم يفلِحْ بعدها .

---

(١) البيت الآتى فى محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) .

(٢) وإنما يحفره بقوائمه الست . انظر الدميرى .

(٣) فى الأصل : « عمرو بن هبيرة » ، وصوابه ما أثبت . وعمر هذا ، أمير من الدهاة الشجعان ، ولى الجزيرة فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، ثم ولاه يزيد بن عبد الملك إمارة العراق وخراسان ، ثم عزله هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ فلم يعرف له خبر بعد ذلك ، وكان قائد أسطول المسلمين فى غزوة القسطنطينية سنة سبع وتسعين . انظر التنبيه والإشراف ١٤١ . وكان عمر يكنى أبا المثنى ، وفيه يقول الفرزدق ليزيد (المعارف ١٧٩) :

أوليت العراق ورافديه فزاريا أحذ يد القميص

تفنق بالعراق أبو المثنى وعلم قومه أكل الخبيص

(٤) سعيد بن عمرو الحرشى ، أحد قواد العرب ، وهو الذى قتل شوذبا الخارجى وفتك بمن معه ، وولاه ابن هبيرة خراسان سنة ١٠٣ ، ثم بلغه أنه يكاتب الخليفة مباشرة ولا يعترف بإمارته فعزله وعاقبه . والحرشى ، بفتح الحاء والراء ، نسبة إلى الحريش بن كعب بن ربيعة . وفى الأصل : « بن عمر » وصوابه من البيان (١ : ٣٨٩) وكتاب الوزراء (٦١) . و « الحرشى » هى فى الأصل : « الجرشى » بالجيم ، وصوابه فى البيان والطبرى (٨ : ١٧٥) ، وقد أورد الطبرى القصة .

(ما يدّخر قوته من الحيوان)

قالوا : وأجناسٌ من الحيوان تَدَّخِرُ ، وتُشَبَّهُ فى ذلك بالإنسان ذى العقل والرَّوِيَّة[١] وصاحبِ النَّظرِ فى العواقب ، والتفكير فى الأمور : مثلُ الذّرّ ، والنّمل ، والفأر ، والجرذان ، والعنكبوت ، والنّحل . إلّا أنَّ النحل لا يدَّخر من الطعام إلّا جنساً واحداً ، وهو العسل .

(أكل الذَّرِّ للنمل)

وزعم اليقطرىّ[٢] أنّك لو أدخَلْتَ نملةً فى جُحر ذرٍّ لأكلتْها ، حتى تأتىَ على عامّتها . وذكر أنّه جرَّب ذلك .

(أكل الضِّباع للنمل)

وقال صاحب المنطق : إنَّ الضِّباع تأكل النمل أكلًا ذريعا ؛ وذلك أنَّ الضِّباعَ تأتى قريَةَ النَّمْلِ فى وقتِ اجتماعِ النّمل ، فتلحَس ذلك النَّملَ بلسانِها ، بشهوةٍ شديدةٍ ، وإرادة قويّة .

(أكل النمل للأَرضة)

قالوا : وربّما أفسدت الأَرَضة على أهل القرى منازلَهم ، وأكلتْ كلَّ شىءٍ لهم . ولا تزالُ كذلك حتى يَنْشو[٣] فى تلك القرى النَّمل ،

---

(١) الروية : النظر والتفكير . ط ، هـ : « الرؤية » صوابه من س .

(٢) يروى عنه الجاحظ فى البيان ، وكنيته أبو عثمان .

(٣) كذا فى س . وفى هـ : « ولا يزال » . وفى ط « ولا يزالوا » وهذه الأخيرة محرفة . و « ينشو » هى « ينشؤ » سهل همزها ، وهى بمعنى ينشأ ، فهذا =

فيسلط الله ذلك النّملَ على تلك الأَرَضة ، حتى تأتىَ على آخرها . وعلى أنَّ النَّمْلَ بعد ذلك سيكونُ له أذى ، إلاّ أنّه دونَ الأرضةِ تعدِّيا . وما أكثرَ ما يذهَبُ النَّمل أيضاً من تلك القُرى ، حتى تتمَّ لأهلها السَّلامةَ من النَّوعين جميعاً .

وزعم بعضهم أنَّ تلك الأَرَضَة بأعيانها تستحيل نَمْلاً ، وليسَ فَناؤُها لأكلِ النَّمْلِ لها ، ولكنَّ الأرضةَ نفسَها تستحيلُ نملًا . فعلى قدْرِ ما يَستحيل منها يُرَى النقص[1] فى عددِها ومضَرَّتِها على الأيام .

(مثل فى النمل)

قال : وبالنَّمْلِ يُضرب المَثل ؛ يقال : « جاءوا مِثْلَ النَّمْل » .

والزِّنج نوعان ، أحدهما يفخَر بالعدد ، وهم يسمُّون النَّمل ، والآخَر يفخَر بالصَّبرِ وعِظَمِ الأبدان ، وهم يسمُّون الكلاب . وأحدهما يكبو والآخرُ ينبو . فالكلابُ تكْبو ، والنَّمل تنبو[2] .

(أجنحة النمل)

قال : ومن أسبابِ هلاك النَّمْلِ نباتُ الأجنحة له . وقد قال الشاعرُ[3] :

= الفعل يقال من باب منع ومن باب كرم ، كما فى القاموس . ط ، س : « ينشبوا » ولا تصح إلا بتكلف . وأثبت مافى هـ .

(١) س : « النقصان » .

(٢) انظر البيان (٣ : ٥١) . وليس « تكبو » و «تنبو» لفظين عربيين ، بل هما من ألفاظ الزنج فيما يظهر ، فقول الجاحظ : « فالكلاب تكبو » لعل معناه تسمى « تكبو » بالزنجية . وتجد اضطرابا فى رسم هاتين الكلمتين ، فمرة بدئتا بالياء ، ومرة بدئتا بالتاء وعسى أن يهدينا إلى صوابهما أحد الصوماليين .

(٣) هو أبو العتاهية كما سبق ص ٣٢ .

وإذا استوَتْ للنّمْلِ أجنحةٌ حتى يَطِيرَ فقَدْ دَنَا عَطبُه[١]

وإذا صارَ النَّمل كذلك أخصبَتِ العصافير ؛ لأنها تصطادها فى حال طيرانها .

(وسيلة لقتل النمل)

[قالوا[٢]] : وتُقْتَلُ بأنْ يصبَّ فى أفواه بيوتها القَطِران والكِبريتُ الأصفر ، ويُدَسَّ فى أفواهها[٣] الشَّعر . وقد جرَّبنا ذلك فوجدناه باطلا . انتهى .

١٢ باب

جملة القول فى القِرْدِ والِخنزير

وفى تأويل المَسْخ ، وكيف كان ، وكيف يُمسَخُ الناس على خلقتهما[٤] دونَ كلِّ شىء ، وما فيهما من العِبرة والمحنة ؛ وفى خصالها المذمُومة ، وما فيهما من الأمُورِ المحمودة ؛ وما الفَصْل[٥] الذى بينهما فى النَّقص ، وفى الفَضْل ، وفى الذمِّ وفى الحمد .

---

(١) س ، ه : « دنا أجله » وهو خطأ . انظر ص ٣٢ .
(٢) بمثل هذه الزيادة يستقيم الكلام ، وينسجم أوله مع آخره .
(٣) أى أفواه بيوتها .
(٤) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .
(٥) فى الأصل : « الفضل » بالضاد المعجمة ، ووجهه ما أثبت .

(ما ذكر في القرآن من الحيوان)

وقد ذكر الله عزَّ وجلَّ فى القرآن العنكبوتَ ، والذَّرَّ والنَّمْل ، والكلبَ ، والحمار ، والنَّحلَ ، والهُدهدَ ، والغرابَ ، والذئب[1] ، والفِيلَ والخيل ، والبغال ، والحمير ، والبقَرَ ، والبعوضَ ، والمعز ، والضأن ، والبقرة ، والنعجة ، والحوت ، والنُّون[2] . فذكر منها أجناساً فجعلها مثلاً فى الذِّلَّة والضَّعف ، وفى الوهْن ، وفى الْبَذَاءِ ، والجهل .

(هَوانُ شأن القرد والخنزير)

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِى أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ ، فقلَّلَهَا كما تَرَى وحقّرها ، وضرب بها المثل. وهو مع ذلك جلَّ وعلا ، لم يمسخ أحداً من حَشْو أعدائه وعظمائهم بعوضة .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شيئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ . إنَّما قرَّع الطالب فى هذا الموضع[3] بإنكاره وضعفه ، إذ عجز ضعفُه عن ضَعْفِ

---

(١) س : « الدب » صوابه فى ط ، هـ . وليس فى القرآن الكريم ذكر الدب ، وإنما هو « الذئب » ورد فى قصة يوسف .

(٢) النون : الحوت العظيم ، وقد سمى يونس عليه السلام : ذا النون فى قوله تعالى : « وذا النون إذ ذهب مغاضبا » لأن النون كان قد التقمه فى اليم ، انظر مفردات الراغب . والجاحظ لم يستوعب ماورد فى القرآن من الحيوان ، وإلا فقد أغفل ذكر الإبل ، والثعبان ، والجراد ، والحية ، والسلوى ، والضفادع ، والغنم ، والفراش ، والقمل .

(٣) ط فقط : « الموضوع » .

مطلوب لا شيءَ أضعَفُ منه ، وهو الذباب . ثمّ مع ذلك لم نجدْه جلَّ وعلا . ذَكَرَ أنَّهُ مسخ أحدًا ذُبابا .

وقال : ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ ، فَدَلَّ بوهْن بيتِه على وهْن خلقْه ، فكان هذا القولُ دليلًا على التَّصغيرِ والتَّقليل . وإنما لم يقل : إنِّى مسختُ أحدًا من أعدائى عنكبوتاً .

وقال تعالى : ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ ، فكان فى ذلك دليلٌ على ذمِّ طباعه ، والإخبار عن تسرُّعِهِ وبذائِه . وعن جهله فى تدبيره ، وترْكِهِ وأخْذه . ولم يقل إنى مسختُ أحدًا من أعدائى كلباً .

وذكر الذَّرَّة فقال : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ، فكان ذلك دليلاً على أنّه من الغايات فى الصِّغَر والقِلَّة ، وفى خِفَّة الوزْن وقلة الرجحان . ولم يذكرْ أنّه مسَخَ أحدًا من أعدائِه ذرَّة .

وذكر الحِمار فقال : ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ ، فجعله مثلًا فى الجهل والغفلة ، وفى قلّةِ المعرفةِ وغِلَظِ الطَّبيعة . ولم يقلْ إنِّى مسختُ أحدًا من أعدائى حمارًا .

وكذلك جميع ما خَلق وذَكر من أصناف الحيوان بالذمِّ والحمد . فأمَّا
١٣ غير ذلك ممَّا ذكر من أصناف الحيوان[1] ، فإنّه لم يذكرْهُ[2] بذمٍّ ولا نقص ، بل قد ذكر أكثَرَهنّ[3] بالأمور المحمودة ، حتَّى صار إلى ذكر

(١) الكلام من مهلل : « بالذم والحمد » ساقط من س .
(٢) س : « يذكر » .
(٣) س : « أكثرها » .

القرد فقال : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴾ فلمْ يكنْ لهما فى قلوب النَّاس حال . و [لو][1] لم يكن جعل لهما فى صُدور[2] العامّة والخاصّة من القُبْح والتَّشويه ، ونذالةِ النَّفس ، ما لم يَجعلْهُ لشيءٍ غيرهما من الحيوان ، لما خصَّهما الله تعالى بذلك .

وقد علمْنا أنَّ العقربَ أشدُّ عداوةً وأذًى ، وأفسَدُ ، وأنَّ الأفعى والثُّعْبانَ وعامَّةَ الأحناش[3] ، أبغَضُ إليهم وأقتَلُ لهم ، وأنَّ الأسَدَ أشَدُّ صَوْلةً ، وأنَّهم عن دفعهم له أعجز ، وبغضَهم له على حسب قوّته عليهم ، وعجزِهم عنه ، وعلى حَسبِ سوءِ أثره فيهم . ولم نَرَهُ تعالى مسَخَ أحداً من أعدائه على صورة شيءٍ من هذه الأصناف . ولو كان الاستنذالَ والاستثقالَ والاستسقاطَ أراد ، لكان المسخ على صورة بناتِ وَرْدانَ أولى وأحقَّ[4] . ولو كان التَّحقيرَ والتَّصْغيرَ أرَادَ ، لكانت الصُّؤابة والجِرْجِسَة[5] أولى بذلك . ولو كان إلى الاستصغار ذهَبَ لكان الذَّرُّ والقمْل والذُّبابُ أولى بذلك . والدَّليل على قولنا قوله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِى أَصْلِ الْجَحِيمِ . طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ ، وَلَيْسَ أن النَّاسَ رأوْا شيطاناً قطُّ على صورة ، ولكنْ لما كان الله [تعالى] قد جعل[6] فى طِباع جميع الأمم استقباحَ جميعِ صُورِ الشَّياطين ، واستسماجَه وكراهتَهُ ، وأجرى على ألسنة جميعهم ضرْبَ المثل فى ذلك — رجع بالإيحاش والتّنفير ، وبالإخافة

(١) ليست بالأصل .
(٢) س : « قلوب » .
(٣) الأحناش : الحيات ، جمع حنش بالتحريك . وفى الأصل : « الأجناس » محرف .
(٤) « على صورة » ساقط من س . و « أراد ، لكان » هى فى س : « إذا كان » ، محرف .
(٥) الجرجس ، بكسر الجيمين : البعوض الصغار . فى الأصل : « الحرجسة » صوابه ما أثبت .
(٦) فى الأصل : « جعل لها » وكلمة : « لها » مقحمة .

والتفزيع [١] ، إلى ما قد جعله اللهُ فى طباع الأوَّلين والآخِرين وعندَ جميعِ الأمم على خلاف طبائع جميع الأمم [٢] .

وهذا التأويل أشبهُ مِن قولِ مَنْ زعَمَ مِن المفسِّرين ، أنّ رءوسَ الشّياطين نبات ينبت باليمن [٣] .

وقال الله عزّ وجلّ لنبيِّه : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ، أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ ، فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ فذكر أنه رِجْس ، وذكر الخنزير ، وهو أحد المسوخ [٤] ، ولم يذكر فى هذه الآية التى أحصى فيها أصنافَ الحرام ، وأباح ما وراء ذلك — القردَ .

وصار بعضهم إلى تحريمه من جهة الحديث . وهو عند كثيرٍ منهم يحتمل المعارَضة .

(مساوى الخنزير)

فلولا أنّ فى الخنزير معنًى متقدِّماً [٥] سوى المسخ ، وسِوى ما فيهِ من قبح المنظر وسَماجة التّمثيل ، وقبح الصوت ، وأكل العَذِرة ، مع الخلاف الشديد

---

(١) فى الأصل : « والتقريع » .

(٢) الخلاف بمعنى الاختلاف .

(٣) ممن ذكر هذا التأوين ، فخر الدين الرازى فى تفسير سورة الصافات ، ولكنه مع ذلك استظهر تأويل الجاحظ ، وهو الذى مال إليه أكثر المفسرين . ومما أولوا به الآية أيضاً أن تكون « الشياطين » ضربا من ضروب الحيات .

(٤) المسوخ : جمع مسخ ، ط : « الممسوخ » . والأوجه ما أثبت من س ، هـ .

(٥) ط ، هـ : « متقدماً ما » تصحيحه من س .

واللِّواط المفْرط[1] والأخلاقِ السمجة ، ما ليس فى القرد الذى هو شريكه فى المسخ — لَمَا ذَكَرَه دونه .

14

(علة النص على تحريم الخنزير فى القرآن ، دون القرد)

وقد زعم نَاسٌ أنَّ العربَ لم تكنْ تأكلُ القرودَ . وكان من تنصَّرَ[2] مِن كبار القبائِل وملوكِها يأكلُ الخِنزير ، فأظهر لذلك تحريمَهُ ؛ إذ كان هناكَ عالَمٌ من الناس ، وكثير من الأشراف والوضعاء ، والملوكِ والسُّوقة ، يأكلونهُ أشدَّ الأكْل ، ويرغَبون فى لحمه أشدَّ الرغبة . قالوا : ولأنَّ لحم القرد يَنْهَى عن نفسِهِ . ويكفِى الطبائعَ فى[3] الزَّجرِ عنهُ غَنَثُه[4] . ولحم الخنزير ممّا يُستَطابُ ويُتواصَفُ ، وسَبيلُ لحم القردِ كسَبيل لحمِ الكلب بل هو شرٌّ منهُ وأخبَث . وقد قال الشاعر[5] للأسديِّ الذى لِيمَ بِأكل لحمِ الكلب[6] :

يا فقعسيٌّ لِمْ أكلْتَه لِمَهْ   لو خافَكَ اللهُ عليهِ حَرَّمَهْ

فما أكلْتَ لحمَهُ ولاَ دَمَهْ

وليس يريد بقوله : « لو خافك الله عليهِ » أنّ الله يخافُهُ على شىء أو يخافه[7] من شىء . ولكنّهُ لمّا كانَ الكلبُ عندَهُ مما لا يأكله أحد

---

(١) ط ، هـ « واللواطة المفرطة » : وإنما هو « اللواط المفرط » كما فى س .

(٢) ط : « تنصر » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٤) الغنث بالتحريك : ثقل الطعام على النفس ، وفى الأصل : « غثه » .

(٥) الشاعر هو سالم بن دارة كما سبق فى (١ : ٢٦٧ ، ٢ : ١٥٩) .

(٦) أى لامه الناس بأكله لحم الكلب ، وفى الأصل : « لم يأكل لحم الكلب » وهو عكس المراد .

(٧) ط ، هـ : « يخاف » فى الموضعين . وأثبت ما فى س .

وَلا يُخافُ عَلَى أَكْلِهِ إلاّ المضطرُّ ، جعل بدل قوله : أمِنَ الكلبُ على أكْل لحمه ، أنّ الله هو الذى لم يَخَفْ ذلك فيحرِّمه . وهذا ممّا لا تقف الأعرابُ عليه ، ولا تَتبّعَ الوهمُ مواضِعَه ؛ لأنّ هذا بابٌ[1] يدخل فى باب الدِّين ، فيما يُعرَف بالنَّظر .

(ما قيل فى جودة لحوم الكلاب)

وقد يأكل أجْراءَ[2] الكلاب ناسٌ ، ويستطيبونها فيما يزعمون . ويقولون : إنّ جرو الكلب أسمنُ شيءٍ صغيراً ، فإذا شبَّ استحال لحمه ، كأنّه يشبَّه بفرخ الحمام ما دام فرخا وناهضا ، إلى أن يستحكم ويشتدّ .

(ذكر من يأكل السنانير)

وما أكثر من يأكل السَّنانير . والذين يأكلونها صِنفان من الناس : أحدهما الفتى المغرور ، الذى يقال له أنت مسحور ، ويقال له : من أكل سِنَّوراً أسودَ بهيما لم يعمَلْ فيه السِّحر ، فيأكله لذلك . فإذا أكله لهذه العلّة ، وقد غسل ذلِكَ وعصره ، أذهب الماءُ زُهُومَته ، ولم يكن ذلك المخدوعُ بمستقذِرٍ ما استطابه . ولعلّهُ أيضاً أن يكون عليه ضربٌ من الطّعام[3] فوق الذى هو فيه ، فإذا أكله على هذا الشّرط ، ودبّر هذا التدبير ، ولم ينكره ، عاوده . فإذا عاوده صار ذلك ضراوة له .

---

(١) ط : « فى باب » ، والوجه حذف « فى » كما فى س ، هـ .

(٢) أجراء ، بفتح الهمزة وسكون الجيم : جمع جرو ، وهو هنا ولد الكلب .

(٣) س : « من حيث الطعام » ! .

والصِّنف الآخر أصحاب الحمام ، فما أكثر ماينصِبُون المصائدَ[١] للسَّنانير ، التى يُلقَّوْن منها فى حمامهم[٢] . وربَّما صادف غيظُ أحدهم وحَنَقَه وَغَضَبَهُ عليه ، أن [يكون] السِّنَّور مُفرِطَ السِّمن ، فيدعُ قتْله ويذبَحُهُ . فإذا فعل ذلك مرَّةً أو مرتين ، صار ضراوةً عليها . وقد يتقَزَّز[٣] الرَّجلُ من أكل الضَّبِّ والوَرَل والأرنب ، فما هو إلاَّ أنْ يأكُله مرَّةً لبعض التَّجرِبة ، أو لبعض الحاجة ، حتى[٤] صار ذلك سبباً إلى أكلها ، حتى يصير بهم الحال[٥] إلى أن يصيروا أرغبَ فيها من أهلها .

(طيب لحم الجراد)

وهاهنا قومٌ لا يأكلون الجرادَ الأعرابىَّ السمين ، ونحن لانعرف طعاماً أطيبَ منه . والأعراب إنّما[٦] يأكلون الحيَّاتِ على شبيهٍ بهذا الترتيب ولهذه العوارض .

(أكل الأفاعى والحيات)

وزعم بعضُ الأطبَّاء والفلاسفة ، أنَّ الحيَّاتِ والأفاعىَ تؤكل نِيئةً[٧] ومطبوخة ، ومشويَّة ، وأنها[٨] تغذو غِذاءً حسَنا .

---

(١) كذا بالأصل . والوجه : « المصايد » بلا همزة ، مثل معايش .

(٢) أى يصيبهم الشر من السنانير .

(٣) ط ، هـ : « يتقذر » وهذا الفعل لا يحتاج إلى « من » ، فيقال « تقذر الشىء » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٥) س : « تصير بهم الحال » ، والحال تذكر وتؤنث .

(٦) ساقطة من س .

(٧) ط ، هـ : « نية » ، وهى صحيحة أيضا . انظر الاستدراكات .

(٨) ط ، هـ : « فإنها » .

(رؤبة وأكله الجرذان)

وزعم أبو زيد ، أنَّه دخل على رؤبةَ ، وعنده جِرذَانٌ قد شَوَاهُنّ ، فإذا هو يأكلهنَّ ، فأنكر ذلك عليه ، فقال رؤبة : هُنّ خيرٌ من اليرابيعِ والضِّباب وأطيَبُ ؛ لأنها عندكم تأكُلُ الخبزَ والتمرَ وأشباهَ ذلك . وكفاك بأكل الجرذان !

ولولا هولُ الحيّاتِ[1] فى الصُّدور من جهة السُّموم ، لكانت من جهة التقذُّر[2] أسهلَ أمرًا من الجرذان .

(أكل الذِّبان والزنابير)

وناسٌ من السُّفالة[3] يأكلون الذِّبَّان . وأهلُ خُراسانَ يُعجَبون باتّخاذ البَزْماوَردِ[4] من فِراخ الزَّنابير ، ويعافون أذنابَ الجرادِ الأعرابيِّ السمين . وليسَ بين رِيح الجَرادِ إذا كانت مشويّةً وبينَ رِيح العقارِبِ مشْويَّةً فرق . والطَّعْمُ تبعٌ للرائحة[5] : خبيثُها لخبيثها ، وطيِّبها لطيِّبها .

وقد زعم ناسٌ ، ممن يأكلون العقاربَ مشويَّة ونِيئةً ، أنها كالجراد[6] السِّمان .

---

(١) ط : « أن الحيات » وتصحيحه من س ، هـ .

(٢) س : « التقزز » .

(٣) السفالة ، بالضم : من بلاد الزنج فى شرقى إفريقية . وفى الأصل : « الصقالبة » . وهو تحريف ، صوابه مما سبق فى (٣ : ٣٢٣ س ٧) .

(٤) انظر ما أسلفت من شرح هذه الكلمة فى (٢ : ٢٤٩ التنبيه الرابع) .

(٥) س : « الرائحة » .

(٦) فى الأصل : « كالفراخ » ، وصوابه ما أثبت ، كما سيأتى واضحاً فى (٥ : ٣٥٦) حيث يقول الجاحظ « وريح العقارب إذا شويت مثل ريح الجراد . وما زلت أظن أن الطعم أبداً يتبع الرائحة ، حتى حقق ذلك عند بعض من يأكلها مشوية ونية أنه ليس بينهما وبين الجراد الأعرابى السمين فرق » .

وكان الفضلُ بنُ يحيى يوجِّه خدمَهَ فى طلب فراخِ الزَّنابير ليأكلها ، وفراخُها ضربٌ من الذِّبَّان .

(أكل لحوم البراذين)

فأمَّا لحوم البراذين فقد كثر علينا وفِينا ، حتى أنِسْنا به . وزعم بعضهم أنَّه لم يأكلْ أطيبَ من رأس بِرْذَونٍ وسُرَّتِه . فأمَّا السُّرَّةُ والمَعْرَفة[1] فإنهم يزاحِمون بها الجداءَ والدَّجاج ، ويقدِّمون الأسرامَ المحشوَّة .

(أكل السراطين ونحوها)

ومِن أصحابنا مَن يأكل السَّراطين أكلاً ذريعاً . فأما الرَّقُّ[2] والكوسج[3] فهو من أعجب طعام البحريِّين . وأهل البَحر يأكلون البلبل[4] وهو اللَّحم الذى فى جوف الأصداف .

والأعرابىُّ إذا وجد أسودَ سالخاً[5] ، رأى فيه مالا يرى صاحب الكسمير فى كسميره[6] .

---

(١) المعرفة ، كمرحلة : موضع العرف من الفرس .

(٢) الرق : سلحفاة المياه .

(٣) الكوسج : جنس من الأسماك الغضروفية كبير يخشى شره ، وهو فى الماء شر من الأسد فى البر ، يقطع الحيوان فى الماء بأسنانه ، كما يقطع السيف الماضى . ويسمى بالقرش فى سواحل البحر الأحمر . وكلب البحر Dogfish نوع صغير منه . وذكر الأب أنستاس فى مجلة المشرق أن القرش معرب : Karcharias اليونانية . انظر معجم المعلوف ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٤) ط : « الليل » ، وأثبت ما فى س ، هـ .

(٥) الأسود السالخ : ضرب من الحيات .

(٦) كذا بالأصل ، وانظر ما سيأتى فى حواشى (٦ : ٨٤) .

(أكل ديدان الجبن)

وخبَّرنى كم شئتَ[1] من الناس ، أنَّه رأى أصحابَ الجُبْن الرَّطبِ[2] بالأهوازِ وقراها ، يأخذون[3] القِطعةَ الضَّخمة من الجبْن الرَّطب[4] ، وفيها ككواء الزنابير[5] ، وقد تولَّدَ فيها الدِّيدان ، فينفضها وسْطَ رَاحتِه ، ثمَّ يقمَحُها[6] فى فيهِ ، كما يقمَحُ السَّويق والسُّكَّر ، أو ماهو أطيبُ منهُ .

(ذكر بعض أنواع العذاب)

وقد خبَّر الله تعالى عن أصحاب النِّقم ، وما أنزل الله من العذاب ، وما أخذ من الشكل والمقابلات ، فقال : ﴿فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾ ، وقال : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ

---

(١) وردت هذه العبارة أيضاً فى ص ١٤٠ من هذا الجزء . كما ورد مثلها فى ص ٢٤ : « وقد خبرنا من لايحصى من الناس » . واستعمال « كم » فاعلا ، هو لغة رديئة حكاها ابن عصفور ، وخرج عليها هو قوله تعالى : « أو لم يهد لهم كم أهلكنا » . انظر مغنى اللبيب .

(٢) فى الأصل : « الجبن والرطب » ، وأثبت الصواب موافقاً ما سبق فى (٣ : ٣٢٣ س ٩) . والمراد به ذلك النوع المعتق من الجبن ، الذى يسميه عامة مصر : « المش » بكسر الميم . وجاء فى القاموس : « والأرنة بالضم : الجبن الرطب » . وهناك الجبن اليابس كانوا يملحونه ويجففونه . انظر تذكرة داود .

(٣) س: « يأخذ أحدهم » .

(٤) ط ، هـ : « والرطب » ، والصواب من س . وانظر التنبيه الثانى من هذه الصفحة .

(٥) الكواء ، بالكسر : جمع كوة بالفتح ، وهى الخرق فى الحائط ، أو الثقب فى البيت .

(٦) قمح السويق ونحوه ، من باب سمع : استفه .

بِأَصْحَابِ الفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا ٦٦
أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ﴾ .

وليس من هذه الأصنافِ شيءٌ أبلغُ في المُثْلة والشُّنْعةِ ، مِمَّن[1] جَعَلَ منهم القِرَدَةَ والخنازير .

(ما يقبل الأدب من الحيوان)

فالخنزير يكون أهليا ووحشيا ، كالحمير[2] والسَّنانير مما يعايش النَّاس . وكلها لاتقبل الآداب . وإنَّ الفُهُودَ وهي وحشيَّةٌ تقبل كلها ، كما تقبلُ البوازِي ، والشَّواهين ، والصقورة[3] ، والزُّرَّق ، واليُؤيؤ ، والعُقَاب ، وعَنَاق الأرض[4] ، وجميعُ الجوارحِ الوحشيَّات . ثمَّ يفضلها الفهدُ بخَصْلةٍ غريبة وذلك أنّ كبارَها ومَسانَّها أقبلُ للآدابِ ، وإن تقادَمتْ في الوحْش[5] ، مِنْ أولادها الصغار ، وإن كانت تقبل الآداب ؛ لأنَّ الصغير إذ أُدِّبَ

---

(١) في الأصل : « من أن » .

(٢) ويجمع الحمار أيضاً على أحمرة ، وحمر — بضمتين وبضمة — وحمور ، وحمرات ، ومحموراء . جاء في ط : « كالحمامير » وهو تحريف ، صوابه ما أثبت من هـ ، س .

(٣) الصقر يجمع على أصقر وصقور وصقورة ، وصقار وصقارة بكسر صاديهما ، وصقر بالضم . ط ، هـ : « والصقور » . وأثبت ما في س . والجاحظ يميل إلى هذا الجمع كما سبق في (٣ : ١٨٢ ، ٥٣٩) .

(٤) عناق الأرض ، بفتح العين : دويبة أصغ من الفهد حسن الصورة ، لونه أحمر ، وفي أعلى كل من أذنيه شعرات سود ، يصيد كل شيء حتى الطير ، ويسمى أيضاً التفة ، وهو بالفارسية سياه كوش ، وبالإفرنجية : Caracal . وفي الأصل : « عتاق الأرض » بالتاء . صوابه ما أثبت .

(٥) في مباهج الفكر ، نسختي الخطية : « التوحش » والعبارة تتجه بكل منهما .

فبلغ ، خرج خِبًّا مُوَاكِلا(١) ، والمسنُّ الوحشيُّ يخلُص لك كُله ، حتى يصير أصيدَ وأنفعَ . وصغارُ سباعِ الطَّير وكبارُها على خلاف ذلك ، وإن كان الجميع يقبل الأدب . والخنزيرُ وإن كان أهليًّا فإنهُ لايقبل الأدبَ على حال ، حتى كأنَّهُ - وإن كان بهيمةً - فى طباع ذئب .

وذلك أنَّ أعرابيًّا أخذَ جرْوَ ذئب وكان التقطه التقاطا ، فقال : أخذْتهُ وهو لا يعرف أبويَهِ ولا عملَهُما ، وهو غِرٌّ لم يصدْ شيئاً ، فهو إذا ربَّيناه وألَّفناه ، أنفعُ لنا مِن الكلب . فلمّا شبَّ عدا على شاة لهُ فقتلَها وأكل لحمها ، فقال الأعرابيُّ :

أكَلْتَ شُوَيهتى وَرَبِيتَ فِينَا فَمَنْ أَدْرَاكَ أَنَّ أباكَ ذِيبُ(٢)

فالذئب وجرو الذئب إذا كانا سبعين وَحْشِيَّيْنِ [كانا(٣)] ثمَّ من أشدِّ الوحْشِ توحُّشا ، وألزمِها للقِفار ، وأبعَدِها من العمران .

والذِّئب أغدَر من الخنزير والخِنَّوص(٤) ، وهما بهيمتان .

---

(١) الخب ، بالفتح ويكسر : الخداع الخبيث . ط : « حبيبا » ، ه : « جبنا » ، صوابه فى س . وانظر ما سيأتى فى (٦ : ٤٧١) .

(٢) س : « فن أنباك » ومثل هذه الرواية فى (٦ : ٢٤ ، ٧ : ١٨٧ ، ٢٥٣) حيث تعاد القصة . وانظر محاضرات الراغب (١ : ١٢٢) ومثل هذه القصة عن عجوز أعرابية عند الدميرى . والشعر فيه :

بقرت شويهتى وفجعت قلبى وأنت لشاتنا ولد ربيب
غذيت بدرها وربيت فينا فمن أنباك أن أباك ذيب
إذا كان الطباع طباع سوء فلا أدب يفيد ولا أديب

(٣) مثل هذه الزيادة ضرورى ليستقيم الكلام .

(٤) الخنوص ، كسنور : ولد الخنزير .

(ضرر الخنزير)

وأمّا ضرره وإفساده ، فما ظنّك بشيءٍ يُتَمَنّى له الأسَد ؟ ! وذلك أن الخنازير[١] إذا كانت بقرب ضِيَاعِ قومٍ هلَكتْ تلك الضِّياع ، وفسَدتْ تلك الغَلاّت . وربّما طلب الخنزير[٢] بعضَ العروقِ المدفونَةِ فى الأرض فيخرِّب مائَةَ جريبٍ[٣] ، ونابه ليس يغلبه مِعْول . فإذا اشتدَّ عليهم البلاءُ تمنَّوا أن يصير فى جَنْبتهم[٤] أسد . ولربّما صار فى ضياعهم الأسد فلا يَهِيجونَه ، ولا يؤذونَه ، ولو ذهب إنسانٌ ليحفر له زُبيةً[٥] منعوه أشدَّ المنع ؛ إذ كان ربّما حَمَى جانبَهم من الخنازير فقط . فما ظنّك بإفسادها ، وما ظنّك ببهيمةٍ يُتَمَنّى أن يكون بدلها[٦] أسد ؟ ! ثمَّ مع ذلك إذا اجتمعوا للخنازير بالسِّلاح ، وبالآلاتِ والأدوات التى تقتل بها ، فربّما قتل الرَّجُلَ منهم ، أو عقرَهُ العقرَ الذى لا يندمِل ؛ لأنّه لا يضرب بنابه شيئاً إلاّ قطعَه ، كائناً ما كان . فلو قَتلوا فى كلِّ يوم منها مائَةً وقتلتْ فى كلِّ يومٍ إنساناً واحداً ، لما كان فى ذلك عِوض .

---

(١) ط ، هـ : « الخنزير » بالإفراد . والوجه الجمع كما أثبت من س .

(٢) ط ، هـ : « الخنازير » بالجمع . والوجه الإفراد كما أثبت من س .

(٣) الجريب ، يقال فى الأرض كما هنا ، ومقداره عشرة آلاف ذراع ، أو ثلاثة آلاف وستمائة ذراع ، يختلف ذلك باختلاف البلدان . وأما جريب الطعام ، فهو أربعة أقفزة .

(٤) الجنبة ، بالفتح : الناحية . س ، هـ : « جنتهم » وليست مرادة فيما أرى . وأثبت المراد من ط .

(٥) الزبية ، بالضم : حفرة يصاد بها الأسد .

(٦) س : « مكانها » .

١٧ والخنازير تطلب العَذِرَة ، وليست كالجلاَّلة(١) ؛ لأنها تطلب أحَرَّها وأرطبَها وأنتنَها ، وأقربها عهداً بالخروج . فهى فى القرى تعرِف أوقاتَ الصُّبحِ والفجْر ، وَقبلَ(٢) ذلك وبعدَه ؛ لبُروزِ(٣) النَّاس للغائط . فيعرف من كان فى بيته نائماً فى الأسحار ومع الصُّبح ، أنَّه قد أسْحَرَ(٤) وأصبح ، بأصواتها ومرورِها ، ووقْعِ أرجلها فى(٥) تلك الغِيطان ، وتلك المتبرَّزات . ولذلك ضربُوا المثلَ ببكور الخنزير ، كما ضربوا المثــل بحذَرِ الغراب ورَوَغان الثَّعلب .

على أنَّ الثَّعلبَ ليس بأرْوَغَ من الخنْزير ، ولا أكَدَّ للفارس ، ولا أشدَّ إتعاباً لصاحبه .

(بعض أسباب المسخ)

فأمَّا قُبْحُ وجهِه فلو أنَّ القُبح والإفلاس ، والغَدْر والكذب ، تجسَّدت ثمَّ تصوَّرتْ(٦) لَمَا زادتْ على قبح الخنزير . وكلٌّ ذلك بعضُ الأسباب التى مُسِخ لها الإنسان خنزيراً .

وأنَّ القرد لَسَمِجُ الوجْه ، قبيحُ كلِّ شىء(٧) . وكفاك به أنَّه للمثل المضروب — ولكنَّهُ فى وجهٍ آخَرَ مليحٌ . فمِلْحه(٨) يعترض على قُبْحه

---

(١) الجلالة من الحيوان : التى تأكل الجلة والعذرة .
(٢) الواو ليست بالأصل ، وأثبتّها من مباهج الفكر ، وفيها أيضاً : « قبيل » مكان : « قبل » .
(٣) كذا فى ط ، ه ومباهج الفكر . وفى س : « لخروج » .
(٤) أسحر ، بالسين : صار فى السحر ، والسحر : الوقت قبيل الصبح . ط ، ه : « أصحر » بالصاد ، ولا تليق هنا . وأثبت الصواب من س ومباهج الفكر .
(٥) فى الأصل : « إلى » ، وصوابه فى مباهج الفكر .
(٦) كذا فى ثمار القلوب ٣٢١ نقلا عن الجاحظ . ط ، ه : « تجسم وتصور » س : « تحشد ثم تصور » ، وصوابهما ما أثبت . وانظر سائر القول .
(٧) فى ثمار القلوب : « قبيح فى كل شىء » .
(٨) الملح ، بالكسر ، بمعنى الملاحة ، يقال : ملح ملحاً وملاحة .

فيمازجُه ويُصلِح منه . والخِنزيرُ أقبح منه ؛ لأنّه ضربٌ مُصمَتٌ بهيم ، فصار أسمجَ ببعيدٍ .

(وثب الذكورة على الذكورة)

وحدّثني بعضُ أهل العلم ، ممّن طال ثَواؤه في أرض الجزيرة ، وكان صاحبَ أخبارٍ وتجربة ، وكان كلفاً بحبِّ التبيّن[1] ، معترضاً للأُمور ، يحبُّ أنْ يُفْضِيَ إلى حقائقها ، وتثبيت أعيانها بعللها ، وتمييز[2] أجناسها ، وتعرّف مقاديرِ قواها ، وتصرُّف أعمالها ، وتنقُّل حالاتها ؛ وكان يعرِفُ للعلم قَدْرَهُ ، وللبيان فضلَهُ .

قال : ربّما رأيت الخنزير الذّكر وقد ألجأه أكثرُ مِن عِشرينَ خنزيرا إلى مَضِيق ، وإلى زاوية ، فينزُون عليه واحداً واحداً[3] ، حتى يبلغ آخرُهم .

وخبّرني هذا الرّجل وغيرُه من أهل النّظر وأصحابِ الفكر ، أنّهم رأوا مثلَ ذلك من[4] الحمير . وذكروا أنّ ذلك إما تأنيثٌ في طبعه ، وإمّا أنْ يكون له في أعينها من الاستحسان شبيهٌ بالذى يعترى عيونَ بعضِ الرجال في الغلمان ، والأحداثِ الشّبّاب .

وقد يكون هـذا بين الغَرانِق والكَرَاكيّ . والتّسافُد بين الذّكر والأنثى . والسافد والمسفود إذا كانا من جميع الذكورة ، كثيرٌ في جميع أصناف

---

(١) في الأصل : « التبيين » ، وهو تحريف يتكرر كثيراً . وإنما هو « التبين » بمعنى التفهم والاكتناه .

(٢) في الأصل : « وتميز » .

(٣) بدله في مباهج الفكر ، وكذا نهاية الأرب (٩ : ٣٠٠) : « ثم ينزو عليه الأمثل فالأمثل » .

(٤) س : « في » .

الحيوان ، إلّا أنّه فى جميع الخنازير والحمير أفشى . وأمّا[1] تسافُد الحمام الذّكر والأنثى للذّكر[2] ، فأكثرُ من أن يكون فيه تنازع .

(معارف فى الخنزير)

وباب آخر ممّا ذكر صاحب المنطق ، فزعم أنّ من الخنازير ماله ظِلف واحد[3] ، وليس لشىء من ذوات الأنياب فى نابه من القوّة والذَّرَب ما للخنزير الذكر ، وللجملِ ، والفهد ، والكلب .

قال : والإنسان يلقى أسنانه[4] ، وكذلك الحافر والخفّ .

قال : والخنزير لايلقى أسنانَه ألبتّة .

(من لم يثغر)

١٨ ويقال : إنّ عبد الصّمد بنَ علىّ[5] لم يُثغر قط[6] ، وأنّه دخل قبره بأسنان الصّبا .

---

(١) ط ، هـ : « فأما » .

(٢) كذا فى س . وفى ط ، هـ : « الذكر للأنثى والأنثى للذكر » .

(٣) يعنى ظلفا غير مشقوق كأنه الحافر . وجاء فى (٧ : ٢٤٠) : « وفى الخنازير ماليس ظلفه بمنشق » .

(٤) كذا على الصواب فى س . وفى ط ، هـ : « والإنسان لايلقى أسنانه » .

(٥) هو عبد الصمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ويكنى أبا محمد ، ولى الجزيرة لأبى جعفر المنصور ، وكان أقعد بنى هاشم فى عصره . المعارف ١٦٣ .

(٦) يقال ثغر ، بالبناء للمجهول ، وأثغر ، بالبناء للفاعل : سقطت أسنانه . وانظر العقد (٦ : ٢٣١) .

(أسنان الذئب والحية والضبع)

وزعم بعضهم أنَّ أسنان الذِّئبِ مخلوقَةٌ فى الفكّ ، ممطولةٌ(١) فى نفس العظم . وذلك ممَّا توصف به أسنان الحيَّة . قال الشَّاعرُ :

مُطِلْنَ فى اللَّحْيَيْنِ مَطْلاً إلى الـــرَّأسِ وَأَشْدَاقٍ رَحِيبَاتِ(٢)

والشَّاعِرُ يمدحُ الشيءَ فيشدِّدُ أمرَه ، ويقوِّى شأنهُ ، وربَّما زاد فيه ، ولعلَّ الذى قال فى الذِّئب ما قال ، هذا أراد .

ولا يشكُّون أنَّ الضبع كذلك .

(مرق لحم الحيوان)

قال : وليس يجمُدُ(٣) مرق لحم الحيوان السَّمين، مثل الخنزير والفرس ، وأمَّا ما كان كثير الثرب(٤) فرقته تجمد(٥) ، مثل مرق لحم المِعْزَى .

(١) المطل : أصله السبك والطبع . ط ، هـ : « معطوطة » وصوابها من س ومما سبق فى (٢ : ٢١٤ س ٢) .

(٢) سبق البيت فى (٢ : ٢١٤) ، وسيعاد فى هذا الجزء ص ١٨٠ ، ٢٨٢ .

(٣) يجمد ، بالجيم : أى يصير جامداً ، والمراد يجمد ما يكون فوقه من الإهالة ، أى الدسم . وسيأتى مثل هذا المعنى بصورة أخرى فى ص ٩٤ . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط ، س « يحمل » وفى هـ : « يحمد » . وكتب فى هامشة س : « خ يحمد خ تحمد » وكل أولئك محرف .

(٤) الثرب : شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء .

(٥) فى الأصل: « تحمل » . وانظر التنبيه الثالث من هذه الصفحة .

(طباع الخنزير)

قال : والخنزير الذَّكر يقاتِل فى زمن الهيْج ، فلا يدَعُ خنزيراً إلاّ قتله ، ويدنُو من الشَّجرة ويدلكُ جلدَه ، ثمّ يذهب إلى الطين والحمأة فيتلطخ به ، فإذا تساقط عاد فيه .

قال : وذكورة الخنازير تطرد الذُّكورة عن الإناث ، وربّما قتل أحدُهما صاحبه وربّما هلكا جميعا ، وكذلك الثِّيرانُ والكِبَاشُ والتُّيوس فى أقاطيعها ، وهى قبل ذلك الزّمان[1] متسالمة .

(ما يعرض لبعض الحيوان عند الهيج)

والجمل فى تلك الحالة[2] لا يدَعُ جملاً ولا إنساناً يدنُو من هَجْمَتِه[3] . والجمل خاصّةً يكره قُربَ الفَرَس ، ويقاتله أبدا .

ومثل هذا يعرِض للذِّئبة والذِّئب . والأُسد ليس ذلك من صفاتها ؛ لأنّ بعضَها لا يأوى إلى بعض ، بل ينفرد كلٌّ واحدٍ بلبؤته . وإذا كان للذِّئبة الأنثى جِرَاء[4] ساءت أخلاقُها وصَعُبت ، وكذلك إناث الخيل والفيل : يسوءُ خلقها فى ذلك الزّمان ، والفيّالون يحمونها النّزْو ؛ لأنها إذا نزت جهِلتْ جهلاً شديداً ، واعتراها هَيْجٌ لا يُقام له . وإذا كان ذلك الزّمانُ أجادوا عَقْلَه ، وأرسلوه فى الفيَلة الوحشيّة . فأمّا الخنزير والكلبُ فإنهما لا يجهلان على النّاس ؛ لمكان الألفة .

(١) أى زمان الهيج .
(٢) ط ، ه : « الحالات » .
(٣) الهجمة ، بالفتح : جماعة الإبل من الأربعين إلى المائة .
(٤) جراء : جمع جرو ، وهو ولدها . س : « جرى » ، مصغر جرو .

قال : وزعم بعضُ النَّاس أنَّ إناثَ الحبلِ تمتلئ ريحاً فى زمان هيْجها ، فلا يباعدون الذُّكورة عنها ، وإذا اعتراها ذلك ركضَتْ ركضاً شديدا ، ثمَّ لا تأخذ غرباً ولا شرقاً ، بل تأخذ فى الشِّمالِ والجنوب .

ويعرض مثل هذا العَرَضِ لإناث الخنازير . فإذا[1] كان زمَنُ هَياج الخنازير ، تطأطئ رءوسها ، وتحرِّك أذنابهاَ تحريكاً متتابعا ، وتتغيّر أصواتُها إذا طَلبت السِّفاد . وإذا طلبت الخنزيرةُ السِّفادَ بالت بولاً متتابِعا .

(تناسل الخنازير)

قال : وإناث الخنازير تحمل أربعة أشهر . وأكثرُ ما تحمل عشرون خِنَّوصا[2] . وإذا وضعت أجراءً كثيرَةً لم تَقْوَ على رِضاعها وتربيتها .

قال : وإناث الخنازير تحمل مِنْ نزوةٍ واحدة ، وربما كان من أكثر . وإذا طلبت الذكرَ لم تنزع حتى تطاوع وتسامحَ ، وترخىَ أذنابها . فإذا فعلت ذلك[3] تكتفى بنزْوةٍ واحدة .

١٩ ويُعلَفُ الذَّكرُ الشَّعيرَ فى أوان النَّزْو ، ويصلح للأُنثى .

(مدد الحمل للحيوان)

والخنزيرة تضع فى أربعةِ أشهر ، والشَّاة فى خمسة ، والمرأةُ والبقرةُ فى تسعة أشهر ، والحافر كله فى سنة .

---

(١) س : « وإذا » .

(٢) الخنوص ، كسنور : ولد الخنزير .

(٣) س : « فعند ذلك » .

(خصائص الخنزير)

قال : ومتى قلعت العينَ الواحدة من الخنزير هلك . وكثيرٌ من الخنازير تبقى خمسة عشر عاما . والخنزير ينزو إذا تمّ له ثمانية أشهر ، والأنثى تريد الذّكر إذا تمّت لها ستّة أشهر . وفى بعض البلدان ينزو إذا تمّ له أربعة أشهر ، والخنزيرة إذا تمّت لها ستّة أشهر ، ولكنَّ أولادهما لا تجيء كما يريدون . وأجود النّزْو أن يكون ذلك منه وهو ابن عشرة أشهر إلى ثلاث سنين . وإذا كانت الخنزيرة[1] بكرًا ولدت جِراءً ضعافا ، وكذلك [البكر] من كل شيء .

وقالَ اللهُ تبارك وتعالى : ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَارَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ ثمَّ ذكر [غيرَ[2]] الطيِّبات فقال : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ، وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ، ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ[3] ﴾ .

---

(١) ط : « الخنيزيرة » بالتصغير .

(٢) ليست بالأصل : وبها يصح الكلام .

(٣) الدم : أى الدم المسفوح ، وكان أهل الجاهلية يصبونه فى الأمعاء ويشوونها . وانظر ص ٩٦ . وما أهل به لغير الله : أى ما رفع الصوت لغير الله به ، كقولهم : باسم اللات والعزى عند ذبحه . والموقوذة : المضروبة بنحو خشب ، أو حجر ، حتى تموت . والمتردية : التى تردت من علو أو فى بئر فاتت . والنطيحة : التى نطحتها غيرها فاتت . وما أكل السبع : أى ما أكل منه سباع الحيوان الصائد . والنصب : واحد الأنصاب ، وهى أحجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويتقربون بذلك . والاستقسام بالأزلام : ما كانوا يفعلونه من التياسر بالأقداح على الجزور .

ثمّ قال : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ[1] أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ ، وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ .

(استطراد لغوى)

وقوله تعالى : ﴿ طَيِّبَاتِ ﴾ تحتمل وجوهاً كثيرة ، يقولون : هذا ماءٌ طيِّب ، يريدون العُذوبة . وإذا قالوا للبُرِّ والشَّعيرِ والأرز طيِّب ، فإنما يريدون أنَّه وسَطٌ ، وأنّه فوقَ الدُّون . ويقولون : فمٌ طيِّب الرِّيح ، وكذلك البُرّ ، يريدون أنّه سليم من النَّتْن ، ليس أنَّ هناك ريحاً طيبة ولا ريحاً منتنة . ويقولون : حلالٌ طيِّب ، وهذا لا يحل [لك[2]] ، ولا يَطيب لك ، وقد طاب لك : أى حلَّ لك ، كقوله : ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ ﴾ .

---

(١) عطف على : « من لعنه الله » أى « ومن عبد الطاغوت » . وقرئ : « عابد الطاغوت » ، و « عبد الطاغوت » نعت كفطن ويقظ ، و « عبدة الطاغوت » ، و « عبد الطاغوت » جمع كخدم . والطاغوت منصوبة فى قراءة حفص ، مجرورة فى القراءات الأربع التى سردتها . والمراد به الكهنة ، أو من أطاعوه فى معصية الله .

(٢) الزيادة من هـ ، س .

(٣) س : « انكحوا » ، وهو وجه جائز فى الاستشهاد حيث يصح ترك الواو والفاء ونحوهما ، فى أول الاستشهاد ، وقد سبق مثله فى (٣ : ١٥) ، وسيأتى نظيره فى ٢٧٦ . وقد كتب إلى حضرة المحدث الكبير الأستاذ أحمد محمد شاكر ، أن الشافعى جرى على هذا النحو فى ثلاثة مواضع من « الرسالة » وهى : رقم ٦٤٣ قول الشافعى : « لقول الله : يحل لهم الطيبات » والتلاوة « ويحل » . ورقم ٩٧٤ قول الشافعى : « وقال : قاتلوا المشركين كافة » والتلاوة : « وقاتلوا » . ورقم ٩٧٥ قوله : « وقال : اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » والتلاوة : « فاقتلوا » .

قال طُوَيْسٌ المغنِّى لبعضِ[1] ولد عثمانَ بنِ عفَّان[2] : لقدْ شَهِدْتُ زِفاف أمِّك المبارَكةِ إلى أبيك الطيِّب . يريد الطَّهارَة . ولو قال : شهدت زِفاف أمِّك الطيِّبة إلى أبيك المبارك ، لم يحسُنْ ذلك ؛ لأنَّ قولك طيِّب إنَّما يدلّ على قدر ما اتَّصلَ به من الكلام . وقد قال الشّاعِرُ[3] :

والطيِّبون مَعاقِدَ الأُزْرِ[4]

وقد يخلو الرَّجلُ بالمرأة فيقول : وجدتها طيِّبة . يريد طَيِّبة الكَوْم[5] لذيذة نفس الوطء . وإذا قالوا : فلان طيِّب الخُلُق ، فإنما يريدون الظَّرْفَ والمِلْح[6] .

وقال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ حَتَّى إذا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ وجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ ، يريد ريحاً ليستْ بالضعيفة ولا القويّة .

---

(١) طويس هذا ، هو الذى يقال فيه : « أشأم من طويس » وذاك أنه — كما يقولون — ولد يوم قبض الرسول ، وفطم يوم وفاة أبى بكر ، وختن يوم مقتل عمر ، وزوج يوم مصرع عثمان ، وولد له ولد يوم قتل على . وهو أول من تغنى بالمدينة غناء يدخل فى الإيقاع . وعمر حتى مات فى ولاية الوليد بن عبد الملك .

(٢) هو سعيد بن عثمان بن عفان ، وكان سأل طويساً : أينا أسن ، أنا أو أنت ياطويس ؟ فأجابه طويس بالجواب الآتى . انظر البيان (١ : ٢٦٣) . وأول الجواب فى البيان : « بأبى أنت وأمى ، لقد . . . » إلخ .

(٣) هو الخرنق بنت هفان ، من مرثية لها ترثى بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد الضبعى ، وابنها علقمة ، وأخويه حسان وشرحبيل ، ومن قتل معهم من قومهم . الخزانة (٢ : ٣٠٦ بولاق) .

(٤) صدر البيت :

* النازلين بكل معترك *

والأزر : جمع إزار ، وسكن الزاى للشعر . وهو ما ستر النصف الأسفل من الإنسان . والمعنى أنهم أعفاء . ط : « الأرز » ، صوابه فى س ، هـ .

(٥) الكوم ، بالفتح ، بمعنى الوطء .

(٦) الملح ، بالكسر ، بمعنى الملاحة .

ويقال : لا يحلُّ مال امرئ مسلمٍ إلّا عن طِيبِ نفْسٍ منه . وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً ﴾ وقال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ ، وذلك إذْ[١] كانت طيِّبة الهواء والفواكهِ ، خصيبةً .

وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ثمّ قال : ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ .

وفى هذا دليلٌ على أنّ التأويلَ فى امرأةِ نوحٍ وامْرأة لوط ، عليهماالسلام ، على غير ما ذهب إليه كثيرٌ من أصحاب التّفسير : وذلك أنهم حينَ سمِعوا قوله عزّ وجلّ : ﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا ﴾ فدلَّ ذلك على أنّه لم يَعْنِ الخيانةَ فى الفرْج .

وقد يقع اسمُ الخيانة على ضروب : أوّلها المالُ ، ثمّ يشتقُّ من الخيانة فى المال الغشُّ فى النصيحةِ والمشاورةِ . وليس لأحدٍ أنْ يوجِّه الخبرَ إذا نزل فى أزواج النبى صلّى الله عليه وسلّم وحَرَم الرُّسُل ، على أسمَجِ الوجوه ، إذا كان للخبر مذهبٌ فى السّلامة ، أو فى القُصُور على أدنى العيوب[٢] . وقد علِمْنا أنّ الخيانةَ لا تتخطّى إلى الفرج حتّى[٣] تبتدئ بالمال . وقد

---

(١) فى الأصل : « إذا » .

(٢) القصور ، بمعنى الانتهاء . وفى الأصل : « المقصود » ، وليس لها وجه .

(٣) ط ، هـ : « قد » .

يستقيم أن يكونا من المنافقين فيكون ذلك منهما خيانة عظيمة . ولا تكون نساؤهم زوانيَ ، فيلزمهم أسماءٌ قبيحة . وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾ وقال : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالاً طَيِّباً ﴾ وقال : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ وقال : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ و : ﴿ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ وقال : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ فقوله : طيِّب ، يقع في مواضعَ كثيرةٍ ، وقدْ فصَّلنا بعض ذلك[1] في هذا الباب .

ثم رجع بنا القولُ إلى موضعنا من ذِكْر الخنزير

ثمّ قال : ﴿ قُلْ لاَ أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً
٢١ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .
ألَا تراه قد ذكر أصنافَ ما حرَّم ولم يذكرْها بأكثرَ من التّحريم ، فلمّا ذكر الخنزير قال : ﴿ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ﴾ ؟ ! فجعل الخنزير وإن كان غير مَيتة أو ذكَر الذّابح عليه اسم الله ، أنَّه رِجْسٌ[2] . ولا نعلم لهذا الوجه إلّا الذي خصّهُ الله به من ذكر المسخ ، فأراد تعظيمَ شأنِ العِقاب ونزولِ الغضَب ، وكان ذلك القول ليس ممّا يضرّ الخنزير ، وفيه الزّجر عن محارمه ، والتّخويفُ

---

(١) ط ، هـ : « بعضها » .

(٢) ط : « رجسا » موضع : « أنه رجس » .

من مواضع عذابه . و [إنْ قِيلَ[1]] : ينبغى أن يكون مسخَ صورة القرد ، فهلَّا ذكره فى التحريم مع أصناف ما حرَّم ، ثمّ خصَّهُ أيضاً أنّه من بينها رجس ، وهو يريد مذهبه وصفته ؟ قلنا : إنّ العربَ لم تكن تأكلُ القرودَ ، ولا تلتمسُ صيدَها للأكل . وكلُّ مَن تنصَّرَ من ملوك الرُّومِ والحبشةِ والصِّين ، وكلُّ مَن تمجَّس من مَلكٍ أو سُوقة ، فإنَّهُمْ كانوا يرون لِلَحْمِ الخنزير[2] فضيلة ، وأنّ لحومَها ممّا تقوم إليهِ النفوسُ ، وتنازِع إليه الشَّهوات . وكان فى طباع الناس من التكرُّه للحوم القِرَدةِ ، والتقذُّر[3] منها ما يُغنى عن ذكرها . فذكر الخنزير إذْ كان بينهما هذا الفرق ، ولو ذكر ذلك وألحقَ القردَ بالخنزير لموضع التحريم ، لكان ذلك إنما كان على وجه التوكيد لما جعله الله تعالى فى طبائعهم من التكرُّه والتقذّر ، ولا[4] غير ذلك .

وقال الله عزَّ وجَلَّ : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ[5]﴾ .

---

(١) زيادة يقتضيها الكلام . وجواب الاعتراض فى السطر الثالث .

(٢) ط ، ه : « لحم الخنزير » وصوابه فى س .

(٣) خير منه : « التقزز » .

(٤) س : « لا » بحذف الواو .

(٥) الذين هادوا : اليهود . والمراد بالظفر المخلب والحافر أيضاً . والمراد بالشحوم شحوم الثروب وشحوم الكلى . حملت ظهورهما : أى ما علق بظهورهما من الشحم . والحوايا : الأمعاء ، واحدها حاوية . والشحم الذى اختلط بالعظم هو شحم الألية . لاتصاله بالعصعص . ط بعد : « . . . عليهم شحومهما » : كلمة « الآية » . وجاءت مسرودة فى س ، ه إلى « وإنا لصادقون » .

(وجوه التحريم)

وقد أنبأك[1] كما ترى عن التّحريم أنّهُ يكون مِنْ وجوه : فنها مايكون كالكذب والظلم والغَشم[2] والغدْر ؛ وهذه أمورٌ لا تَحلُّ على وجهٍ من الوجوه. ومنها ما يحرم فى العقْل مِن ذبح الإنسانِ الطِّفلَ . وجعَلَ فى العقول التبيُّنَ[3] بِأَنّ خالق الحيوانِ أو المالكَ له ، والقادرَ على تعويضه ، يقبح[4] ذلك فى السماع على ألسنة رسله .

وهذا مِمّا يحرم بعَينِهِ وبذاتِهِ ، لأنهُ[5] حرِّم لعلة قد يجوز دفعها . والظلم نفسُه هو الحرام ، ولم يحرَّم لعلة غير نفسهِ .

وباب آخر ، هو ما جاء من طريق التعبُّد ، وما يعرف بالجملة ، ويعرف بالتفسير .

ومنهُ ما يكون عقاباً ، ويكون مع أنهُ عِقابٌ امتحاناً واختباراً ، كنحو ما ذكر من قوله : ﴿ ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ ﴾ وكنحو أصحاب البقرةِ الذين قيلَ لَهُمْ : اذْبَحُوا بَقَرَةً ؛ فإنّى أريد أن أضرِبَ بها القتيل ثم أحْيِيهما جميعا . ولو اعترضوا مِن جميع البقر بقرة فذبحوها ، كانوا غير مخالفين ؛ فلمّا ذهبوا مذهب التلكّؤ والتعلّل[6] ، ثم التعرُّض ، والتعنُّت[7] فى طريق التعنّت ، صار ذلك سبب تغليظِ الفرض[8] .

---

(١) كذا على الصواب فى س ، ه‍ . وفى ط : « أنبأناك » .

(٢) الغشم : الظلم .

(٣) فى الأصل : « التبيين » وانظر التنبيه ١ ص ٥١ .

(٤) س ، ه‍ : « أن يقبح » وكلمة « أن » مقحمة .

(٥) فى الأصل : « وأنه » ، والوجه ما أثبت .

(٦) التلكؤ : الإبطاء والاعتلال . ط ، س : « التلكى » ه‍ : « التلظى » صوابه ماأثبت . والتعلل : بمعنى التماس العلل . ط : «التعليل» ؛ صوابه ماأثبت من س ، ه‍ .

(٧) كذا . ولعلها : « التعلل » .

(٨) وذلك أنهم سألوا موسى أسئلة ثلاثة ، فكلما سألوا سؤالا زاد عليهم التكليف =

وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ ، وقال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ . ومثله : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَالَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا ﴾ ، يجوز أن يكونَ إنّما يريدون صَرْف العذاب ، ويجوز أن يكون إنما يريدون تخفيف الفرائض . وقد يجوز أن يكونَ[1] على قول من قال : لا أستطيع النظرَ إلى فلانٍ ، على معنى الاستثقال[2] .

٢٢

وبابٌ آخرُ من التحريم ، وهو قَوْله : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَاحَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ[3] ﴾ .

(شعر في الخنزير)

وقال مروان بن محمد[4] :

يَمْشِي رُوَيْدًا يُرِيدُ ختلكم[5] كمشي خِنزيرةٍ إلى عَذِرَة[6]

= انظر الآيات ٦٧ – ٧١ من سورة البقرة . ولو أنهم أطاعوا الأمر بادئ بدء لما عرض لهم هذا التشديد .

(١) في الأصل : « يجوز إذا » وانظر ماسبق .

(٢) في الأصل : « الاستقبال » .

(٣) إسرائيل هو يعقوب عليه السلام . وكان حرم على نفسه بعض الطعام ، كلحوم الإبل وألبانها .

(٤) هو أبو الشمقمق الذي سبقت ترجمته في (١ : ٢٢٥) .

(٥) كذا في ط . وفي س ، ه : « خلمكم » ، وصوابه « حلقتكم » كما سبق في (١ : ٢٣٩) .

(٦) ط : « غذرة » ، وتصحيحه من س ، ه .

وقال آخر[١] :

نِعْمَ جَارُ الخنزيرةِ المرضِعُ الغَرْ ثَى إذا ما غــدا ، أبُو كلثوم[٢]
طاوياً قد أصاب عند صــديقٍ مِنْ ثريد مُلَبَّــدٍ مَأْدُوم[٣]
ثمّ أنحَى بِجَعْرِهِ حاجبَ الشَّمْ سِ فَأَلْقَى كالمِعْلَفِ المهْدُوم

(جرير والحضرمي)

وقال أبو الحسن[٤] : وفد جريرٌ على هشامٍ ، فقال الحضرمى : أيُّكُمْ يشتمهُ ؟ فقالوا : ما أحدٌ يقْدِمُ عليهِ ! قال : فأنا أشتمهُ ويرضَى وَيَضْحَك ! قال : فقام إليهِ فقال : أنت جرير ؟ قال : نعم . قال : فلا قرّبَ اللهُ دارَك ولا حيًّا مَزَارك ! يا كَلْب ! فجعل جريرٌ ينتفخ ، ثمَّ قال لهُ : رَضيتَ فى شرفك وَفضْلك وَعَفافك أنْ تهاجِيَ القردَ العاجز[٥] ؟ ! يعنى الفرزدق . فضحك .

فحدَّث صديقٌ لى أبا الصَّلَع السِّنديّ[٦] بهذا الحديث ، قال : فشِعْرى أعجبُ من هذا ؛ لأنى شتمت البُخَلاء ، فشتمت نفسى بأشدَّ ممّا شتمتهم . فقال : وَما هو ؟ قال قولى :

لا تَرَى بيتَ هجاءٍ أبداً يُسْمَعُ مِنِّى
الهِجَا أَرْفَعُ مِمَّنْ قَدْرُهُ يصغرُ عَنِّى[٧]

---

(١) هو الحكم بن عبدل ، كما سبق فى (١ : ٢٣٦) .
(٢) الغرثى ، بالغين : جمع غرثان ، وهو الجائع . هـ : « الفرثى » صوابه فى ط ، س والبيان (٣ : ٣١١) .
(٣) فى الجزء الأول : « من ثريد ملبق » . والمأدوم : المخلوط بالأدم بالضم ، وهو ما يخلط به الخبز .
(٤) هو أبو الحسن المدائنى الأخبارى الراوية .
(٥) ط : « الفاجر العاجز » وأثبت ما فى س ، هـ .
(٦) ذكره ابن النديم فى الشعراء المقلين ١٦٤ ليبسك ٢٣٣ مصر ، وذكره المرزبانى فى المعجم ٣١١ باسم « أبو الضلع » فى حرف الضاد المعجمة . هـ : « المندى » .
(٧) س : « ينقص غنى » .

(طريفة)

قال أبو الحسن : كان واحدٌ يسخَر بالنَّاس ، ويدَّعى أنَّه يَرقِى من الضِّرس إذا ضربَ على صاحبه . فكان إذا أتاه مَن يشتكى ضِرسه قال له إذا رقاه : إيَّاك أنْ تذكر إذا صِرتَ إلى فِراشك القِردَ ؛ فإنَّك إنْ ذكرته بَطَلَتِ الرُّقية ! فكان — إذا أَوَى إلى فراشه — أَوَّلَ شىء يخطر على باله ذِكرُ القرد ، ويبيت على حاله من ذلك الوَجَع ، فيغدو إلى الذى رقَاه ٢٣
فيقول له : كيف كنت البارحة ؟ فيقول : بِتُّ وَجِعًا ! فيقول : لعلَّك ذكرْت القرد ! فيقول : نعم ! فيقول : مِنْ ثَمَّ لم تنتفع بالرُّقية !

(شعر لبعض ظرفاء الكوفيين)

وقال بعضُ ظُرَفاءِ الكوفيِّين :

فإنْ يشْرَبْ أبو فَرُّوخَ أشْرَبْ   وإنْ كانت معتَّقَـةً عُقَارَا[1]
وإن يأكلْ أبو فـرُّوخَ آكُلْ   وإن كانت خَنانِيصاً صِغـارَا[2]

---

(١) انظر للكلام على صرف «فروخ» اللسان (فرخ) حيث أنشد البيت الثانى برواية أخرى . والعقار ، بالضم : الخمر ؛ لمعاقرتها ، أى ملازمتها الدن ، أو لعقرها شاربها عن المشى .

(٢) الخنانيص : جمع خنوص ، كسنور ، وهو ولد الخنزير . والبيتان فى عيون الأخبار (٣ : ١٦) . والثانى منهما فى اللسان (فرخ) .

(قرد يزيد بن معاوية)

وقال يزيد بن معاوية(١) :

فَمَنْ مبلِغُ القِردِ الذى سَبَقتْ به جيَادَ أميرِ المؤمنين أتَانُ
تَعَلَّقْ أبا قَيْس بها إنْ أطعتَنى فليس عليها إن هلَكْتَ ضَمانُ(٢)

(جزع بشار من شعر حماد)

وزعم الجردانى أنَّ بشَّاراً الأعمى ، لم يجزَعْ من هجاءٍ قطُّ كجزَعِه مِن بيتِ حمَّادِ عَجْردٍ ، حيث يقول :

ويا أقبَحَ مِن قِردٍ إذا ما عَمِى القِرْدُ

(١) س : « أبو يزيد بن معاوية » ، وصوابه ما أثبت من ط ، هـ وأمالى الزجاجى ٤٦ والمخصص (١٣ : ١٧٧) . ونهاية الأرب (٩ : ٣٣٧) وفى مروج الذهب (٣ : ٧٧) أن القائل بعض شعراء الشام ، وكذا فى مباهج الفكر ١٢٢ . وللبيتين قصة طريفة فقد ذكروا أن يزيد بن معاوية كان له قرد يلعب به ، فلامه الناس على اتخاذه ، فأمر به فشد على أتان وحشية ، ثم أطلقت ، وأمر أن تطلبه الخيل ، فركض الخيل ، وتنادت الفرسان فى طلبه فنجا ولم يدرك . وأنشد يزيد البيتين الآتيين (برواية أخرى) :

تمسك أبا قيس على أرحبية فليس علينا إن هلكت ضمان
فقلت من الشخص الذى سبقت به جياد أمير المؤمنين أتان

قلت : ومعنى اللعب بالقرد هو السباق به . ويتضح ذلك من النص الآتى عن نهاية الأرب : « وفى القرد من قبول التأديب والتعليم مالاخفاء به عن أحد ؛ حتى إنه درب قرد ليزيد بن معاوية على ركوب الحمير والمسابقة عليها » .

(٢) أبو قيس : كنية القرد ، كما فى المخصص . بها : أى بالأتان .

(شعر فى الهجاء)

وقال بُشَير بن أبى جَذِيمة العَبسىّ[١] :

أتَخْطِرُ لِلأَشْرافِ حِذْيَمُ كبرة   وهل يستعدُّ القِرْدُ للخَطَرَانِ[٢]
أبى قِصرُ الأذْنابِ أن يخْطِرُوا بها   ولُؤْمُ قُرودٍ وَسْط كلِّ مكانِ
لقد سمِنَتْ قِرْدانُكُم آلَ حِذْيِم   وأحسابُكم فى الحىِّ غيرُ سِمانِ[٣]

الأصمعىُّ[٤] عن أبى الأشهب[٥] عن أبى السليل قال : ما أبالى أخنزيراً رأيتُ يَجُرُّ برجله[٦] ، أو مثل[٧] عبيد ينادى : يالَ فُلان !

---

(١) هو بشير ، بهيئة التصغير ، ابن أبى جذيمة بن الحكم بن مروان بن زنباع بن جذيمة العبسى ، ذكره الآمدى فى المؤتلف والمختلف ٦١ . وروى له أبو تمام الأبيات الآتية فى حماسته (٢ : ١٨٢) . وفى الأصل : « بشر بن المندى » ، وهو تحريف غير صالح .

(٢) تخطر : من خطر البعير : ضرب بذنبه يمينا وشمالا . والكبرة ، بالكسر : العظمة ، أو التجبر . يقول لقبيل حذيم : أتحدثون أنفسكم بمباراة الأشراف ؟ ! وجعلهم قرودا لخستهم . والقرد لاذنب له يخطر به . ورواية الحماسة : « أتخطر للأشراف يا قرد حذيم .

(٣) سئل أبو الندى عن معنى هذا البيت فقال : كنى بالقردان هنا عن القمل . أى سمنت أجسامكم وعظمت ، ودقت أحسابكم ولؤمت . وأصل القردان ، بالكسر : جمع قراد بالضم ، وهو دويبة تلزم الإبل ومعاطنها . ورواه أبو تمام : « قعدانكم » جمع قعود ، وهو الذكر الشاب من الإبل . جعل قعدانهم سمينة لأنهم يؤثرونها باللبن على الضيف والجار ، فأحسابهم غير سمان . وقد رد أبو محمد الأعرابى رواية أبى تمام . التبريزى (٤ : ٩) .

(٤) ط : « وقال الأصمعى » ، صوابه ما أثبت من س ، هـ .

(٥) س : « ابن الأشهب » .

(٦) س : « برجليه » .

(٧) س : « قتيل » .

(استطراد لغوى)

الأصمعىُّ عن أبي ظبيان[1] قال : الخُوز[2] هم البُناة [3] الذين بنوا الصرح[4] واسمُهم مشتقٌّ من الخنزير . ذهب إلى اسمه بالفارسية [خوك[5]] ، فجعلت العرب خُوك[6] خُوزاً[7] . إلى هذا ذهب .

(تناسل المِسخ)

و [قد] قال النَّاسُ فى المِسْخ بأقاويلَ مختلفة : فمنهم من زعم أنَّ المِسْخ لا يتناسل ولا يبقى إلاَّ بقدر ما يكون موعظةً وعِبْرة ، فقطعوا على ذلك[8] الشهادةَ . ومنهم مَن زعم أنَّه يبقَى ويتناسل ، حتى جعل الضَّبَّ والجِرِّىَّ[9] ، والأرانب ، والكلاب وغيرَ ذلك ، من أولادِ تلك الأمم التى مُسِخت فى هذه الصُّور . وكذلك قولُهم فى الحيَّات .

وقالوا فى الوزَغ : إن أباها[10] ، لمَّا صنع فى نَار إبراهيمَ وبيت المقْدِس ماصنع[11] ، أسَمَّه الله وأبرصَه ، فقيل : « سامّ أبرص » . فهذا الذى

(١) لم أعثر له على تعريف .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من س . وبدلها فى ط : « الحزر » صوابه ما أثبت من ﻫ ومن معجم البلدان . والخوز بالضم : أهل خوزستان .

(٣) البناة ، بالضم : جمع بان . وبدله فى المعجم : «الفعلة» . ط ، ﻫ : « البنات » محرفة .

(٤) الصرح ، بالفتح : بناء عظيم قرب بابل ، يقال إنه قصر بختنصر . عن المعجم .

(٥) فى الأصل ، وهو هنا س : « هزر » وتصحيحه من معجمى استينجاس وريتشاردسن ، والمعارف لابن قتيبة ص ٢٧٠ . وانظر معجم البلدان (خوز) .

(٦) فى الأصل : « خزر » وصوابه ما أثبت . انظر التنبيه السابق .

(٧) فى الأصل : « خنزيرا » . والوجه ما كتبت .

(٨) ط ، ﻫ : « تلك » . والشهادة معمول قطعوا .

(٩) الجرى : ضرب من السمك . زعم أصحاب الخرافة أنه كان أمة من الأمم مسخها الله انظر الحيوان (١ : ٢٩٧ س ٥) .

(١٠) س ، ﻫ : «أباهم » . وقديستعمل ضمير العاقلين لغيرهم. وقد عقد الثعالبى فى سر العربية فصلاً لذلك ، عنوانه : (فصل فى إجراء غير بنى آدم مجراهم فى الإخبار عنه) .

(١١) فى سنن ابن ماجه ، عن عائشة رضى الله عنها ، أنه كان فى بيتها رمح موضوع ، فقيل =

نرى[1] هو من ولده ؛ حتّى صار فى قتله الأجرُ العظيم ، ليس على أنّ الذى يقتُله كالذى يقتل الأُسْدَ والذِّئاب ، إذا خافها على المسلمين .

وقالوا فى سهيل[2] ، وفى الزُّهَرة[3] ، وفى هارُوت وماروت[4] ، وفى قبرى وعبرى أبَوَى ذِى القرنين[5] ، وجُرْهم[6] ، ماقالوا .

= لها : ما تصنعين بهذا ؟ فقالت : أقتل به الوزغ فإن النبى صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما ألقى فى النار لم يكن فى الأرض دابة إلا أطفأت عنه ، غير الوزغ فإنه كان ينفخ عليه النار ، فأمر صلى الله عليه وسلم بقتله . وكذا رواه الإمام أحمد فى مسنده . وكذا رووا أنه لمّا أحرق بيت المقدس كانت الأوزاغ تنفخه . الدميرى .

(١) س : « يرى » .

(٢) سهيل ، ذاك النجم . زعموا أنه كان عشاراً باليمن . الحيوان (١ : ٢٩٧) وتأويل مختلف الحديث ١٠ . ومما يشبه هذه الخرافة مازعموا أن ذئباً دخل الجنة لأنه أكل عشاراً .

(٣) الزهرة : ذاك الكوكب . زعموا أنها كانت بغيا عرجت إلى السماء باسم الله الأعظم فسخها الله شهابا . تأويل مختلف الحديث ١٠ .

(٤) زعم العوام ، متتبعين حكاية اليهود ، أنهما ملكان مثلا بشرين ، وركب فيهما الشهوة ، فتعرضا لامرأة يقال لها الزهرة ، فحملتهما على المعاصى والشرك ، ثم صعدت إلى السماء بما تعلمت منهما من السحر — انظر التنبيه السابق وتفسير البيضاوى — وقال الجاحظ فى شأنهما : « وكان الملك من الملائكة إذا عصى ربه فى السماء ، أهبطه إلى الأرض فى صورة رجل وفى طبيعته ، كما صنع بهاروت وماروت ، حين كان من شأنهما وشأن الزهرة — وهى أناهيد — ما كان » . انظر الحيوان (١ : ١٨٧ س ٤) . والمذهب القرآنى فيهما أنهما ملكان أنزلا لتعليم السحر ، ابتلاء من الله للناس ، وتمييزاً بين السحر والمعجزة ، وكانا يقولان لمن يعلمانه : « إنما نحن فتنة فلا تكفر » ، أى نحن نعلم العلم لا العمل ؛ فعلم السحر لا بأس به ، وأما العمل به فحظور ممنوع .

(٥) وكذا جاءا بالباء الموحدة فى فقه اللغة بدون اختلاف فى النسخ ، وثمار القلوب ٢٢٦ وكذا فى الجزء الأول من نسخة كوبريلى . راجع هذه الطبعة (١ : ١٨٨) . وفى رسائل الجاحظ ٩٧ ساسى : « قيرى وعيرى » بالمثناة التحتية . وفى ط : « فزى وعبرى » و هـ : « فزى وعزى » و س (فرى — مهملة — وعبرى) أما أولها فزعموا أنها أم ذى القرنين ، وأنها كانت آدمية ، وأما الآخر فهو أبو ذى القرنين ، وكان من الملائكة فيما زعموا . انظر الحيوان (١ : ١٨٨) وثمار القلوب . جاء فى الأصل بعده : « وفى أبوى » . وكلمة : « فى » مقحمة كما ظهر لك . وجاء فى ط ، هـ : « ذوى القرنين » تحريف صوابه فى س .

(٦) جرهم هذا هو ابن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام ، فيما يرى نساب =

(القول فى المَسْخ)

٢٤ فأمَّا القول فى نفس المَسْخ فإنَّ النَّاس اختلفوا فى ذلك : فأمَّا الدُّهريَّة فهم فى ذلك صِنفان : فمنهم مَن جَحَد المسْخَ وأقرَّ بالخسْف[١] والرِّيح والطُّوفان ، وجعل الخسف كالزَّلازل ، وزعم أنَّه يُقِرُّ منَ القذْف بما كان من البَرَد الكِبَار[٢] ؛ فأمَّا الحجارة فإنَّها لا تجىء من جهة السَّماء . وقال : لستُ أجوِّز إلَّا ما اجتمعت عليهِ الأمَّة أنَّه قد يحدث فى العالم . فأنْكَر المسْخَ البتَّة .

(أثر البيئة)

وقال الصِّنف الآخَر : لا ننكر أنْ يفسُدَ الهواءُ فى ناحيةٍ من النواحى فيفسدَ ماؤهم[٣] وتفسُدَ تُربتهم ، فيعملَ ذلك فى طباعهم[٤] على الأيَّام ،

= العرب . قالوا : ولما ترك إبراهيم ولده إسماعيل وأمه بمكة ، جاءت رفقة من جرهم فنزلوا شعاب مكة ، فنشأ إسماعيل مع أولادهم وتعلم الرمى ونطق بلسانهم ثم خطب إليهم فزوجوه امرأة منهم ، قال ابن إسحاق : هى بنت مضاض بن عمرو الجرهمى . والزعم الذى أشار إليه الجاحظ هو قولهم : إن بعض الملائكة عصى الله فأهبط إلى الأرض فى صورة رجل تزوج أم جرهم فولدت له جرهما . انظر الحيوان (١ : ١٨٧ س ٧) . والعرب يسمون ما تولد بين الملك والآدمى — فى زعمهم — . « العلبان » بالعين . فقه اللغة ٨٢ الحلبى .

(١) يقال خسف الله به الأرض : جعلها تسوخ به . قال تعالى فى شأن قارون : « فخسفنا به وبداره الأرض » .

(٢) أى أنه يجوز عنده أن تقذف السماء على الناس برداً كبارا . فأما سقوط الحجارة من السماء للتعذيب فهو ينكره . والانتقام بمطر الحجارة جاء فى القرآن الكريم على أنه عقاب لقوم لوط : « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود » . هود ٨٢ . « فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل » . الحجر ٧٤ . « لنرسل عليهم حجارة من طين » . الذرايات ٣٣ . فى الأصل : « أنه يقرب من القذف » ، وصوابه ما أثبت .

(٣) ط ، هـ : « مائهم » ، صوابه فى س .

(٤) س : « طبائعهم » .

كما عمل ذلك فى طباع الزَّنج ، وطباع الصَّقالبة(١) ، وطباع بِلادِ يأجوج ومأجوج(٢) . وقد رأينا العَرب وكانوا أعراباً حينَ نزلوا خراسانَ ، كيف انسلخوا من جميع تلك المعانى ، وترى طباعَ بلاد الترك كيفَ تطبَعُ الإبلَ والدَّوابَّ وجميعَ ماشيتهم : من سبُعٍ وبهيمةٍ ، على طبائعهم . وترى جرادَ البقولِ والرَّياحِين ودِيدانَها خُضْراً ، وتراها(٣) فى غير الخُضرة على غير ذلك . وترى القمْلة فى رأس الشابِّ الأسودِ الشَّعر سوداء ، وتراها فى رأس الشَّيخ الأبيضِ الشَّعر بيضاء ، وتراها فى رأس الأشْمَط شمطاء ، وفى لون الجملِ الأورق(٤) . فإذا كانت فى رأس الخَضِيب بالحمرةِ تراها حمراء . فإنْ نَصَلَ خضابه صار فيها شُكْلةٌ من بين بيضٍ وحُمْر(٥) .

وقد نرى حَرَّة بنى سُلَيم(٦) ، وما اشتملت عليه من إنسانٍ وسبع ، وبهيمةٍ وطائر ، وحشرة فتراها كلَّها سوداء .

---

(١) الصقالبة : جنس يسكن بين بلاد بلغار وقسطنطينية . معجم البلدان . وقد بين خصائصهم المسعودى فى التنبيه والإشراف ٢٢ .

(٢) جنس من الآسيويين ، بنى من أجلهم سد الصين الذى بناه الإسكندر ، وبين المسعودى طباعهم بأنهم فى عداد البهائم .

(٣) ط ، ه : « أو تراها » س : « ونراها » .

(٤) الشمط محركة : بياض الرأس يخالط سواده ، ويستعمل أيضاً فى غير الرأس . وكلمة « شمطاء » والواو بعدها ليستا فى س ، ه . وفى التنبيه والإشراف ص ٢٧ حيث تجد مثل هذا الكلام : « شهباء » . والشهبة نحو الشمط . والأورق من الإبل : ما فى لونه بياض إلى سواد . وانظر رسائل الجاحظ (٢ : ٢١٩ - ٢٢٠) .

(٥) الشكلة ، بالضم : اختلاط البياض بالحمرة . وفى الأصل : « شكله » محرف .

(٦) الحرة ، بالفتح : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار . وسليم ، هو بهيئة التصغير — ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ، وهذه الحرة فى عالية نجد . وانظر الكلام بتفصيل فيما اشتملت عليه هذه الحرة ، فى رسائل الجاحظ ٧٨ ساسى وثمار القلوب ٩٦ .

وقد خبَّرَنَا من لا يُحصَى من النَّاس أنّهم قد أدركوا رجالاً من نبَط بَيسان[١] ، ولهم أذنَابٌ إلاّ تكنْ كأذنَاب التماسيح والأسد والبقر والخيل وإلّا كأَذنَاب السَّلاحف والجِرْذان ، فقد كان لهم عُجوبٌ[٢] طِوالٌ كالأذنَاب .

وربَّما رأينا الملاّح النَّبَطِي فى بعض الجعفريّات[٣] على وجههِ شبهُ القِرْد . وربَّما رأينا الرَّجلَ من المغرِب فلا نجد بينــهُ وبين المِسخ ، إلاّ القليل .

وقد يجوز أن يصادف ذلك الهواء الفاسدُ ، والماءُ الخَبيث ، والتربةُ الرديَّةُ ، ناساً فى صفةِ هؤلاء المغربيِّين[٤] والأنباط ، ويكونون جُهّالا ، فلا[٥] يرتحلون ، ضَنانَةً[٦] بمساكنهم وأوطانهم ، ولاينتقلون . فإذا طال ذلك عليهم زادَ فى تلك الشعور ، وفى تلك الأذناب ، وفى تلك الألوان الشُّقْر ، وفى تلك الصُّوَر المناسبةِ للقرود .

قالوا : ولم نعرفْ ، ولم يثبُتْ عندنا بالخبر الذى لايعارَض ، أنّ الموضع الذى قلب صُوَر قوم إلى صور الخنازير ، هو الموضع الذى نقل صُوَر قَوْمٍ إلَى صُوَرِ القرود . وقد يجوز أن تكون هذه الصُّورُ انقلبت فى مهبِّ الريح الشمالى ، والأخرى

---

(١) بيسان ، هذه قرية من قرى الموصل . وانظر الخبر فى معجم ما استعجم ١٢٨٣ فى رسم (ميسان) بالميم .

(٢) العجوب : جمع عجب ، بالفتح ، وهو أصل الذنب .

(٣) كذا . والمعروف « الجعفر » وهو النهر الصغير ، أو الكبير ، أو الملآن ، أو فوق الجدول .

(٤) ط ، هـ : « المشوهين » . وأثبت ما فى س .

(٥) س : « ولا » .

(٦) الضنانة بالفتح : مصدر ضن يضن ، بالفتح والكسر : بخل .

في مهبِّ الجنوب[١] . ويجوز أن يكون ذلك كان في دهرٍ واحد ؛ ويجوز أن يكون بينهما دهرٌ ودهور . ٢٥

قالوا : فلسْنا ننكر المِسْخ إن كان على هذا الترتيب ؛ لأنَّه إن كان على مجرى الطَّبائع ، وماتدور به الأدوار ، فليس ذلك بناقضٍ لقولِنا ، ولا مثْبتٍ لقولِكُمْ .

قال أبو إسحاق[٢] : الذى قلتم ليسَ بمُحالٍ ، ولا يُنْكَر أن يحدُثَ في العالَم برهاناتٌ ، وذلك المِسخ كان على مجرى ماأُعطوا من سائر الأعاجيب ، والدَّلائل والآيات . ونحن إنَّما عرفنا ذلك من قِبَلهم . ولولا ذلك لكان الذى قلتمْ غيرَ ممتنِع . ولو كان ذلك المِسْخُ في هذا الموضع على ما ذكرتم ، ثمَّ خبر بذلك نبىٌّ ، أو دَعا بِهِ نبىٌّ ، لَكان ذلك أعظَمَ الحُجَّة .

فأما أبو بكر الأصمّ[٣] ، وهشام بن الحكم[٤] ، فإنَّهُما [كانا[٥]] يقولان بالقلْب ، ويقولان : إنَّه إذا جاز أنْ يقلب اللهُ خَرْدلةً من غير أن يزيد فيها جسماً وطولا[٦] [أو عرضا[٧]] جاز أنْ يقلب ابنَ آدمَ قِرداً من غير أن ينقص من جسمه طولا أو عرضاً[٨] .

---

(١) انظر لتوضيح هذا الكلام ما سبق في (٣ : ١٧٢ — ١٧٣) . وانظر أيضاً الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٦٩) .

(٢) هو النظام .

(٣) اسمه عبد الرحمن بن كيسان ، كان من أئمة المعتزلة ؛ ذكره عبد الجبار الهمذانى في طبقات المعتزلة وقال : كان من أفصح الناس وأورعهم وأفقههم ، وله تفسير عجيب . قال ابن حجر : وهو من طبقة أبي الهذيل العلاف وأقدم منه . لسان الميزان (٣ : ٤٢٧) .

(٤) سبقت ترجمته في (٣ : ١١) .

(٥) هـ : « فكانا » .

(٦) س : « طولا » بحذف الواو .

(٧) الزيادة من س ، هـ .

(٨) كذا في ط . وفى س : « منه طولا جسما أو عرضا » هـ : « من جسم طولا أو عرضاً » .

وأمّا أبو إسحاق فقد كان — لولا ماصَحَّ عنده من قول الأنبياء وإجماع المسلمين على أنّه[1] قد كان ، وأنّه قد كان حُجَّةً وبرهاناً فى وقته — لكان لا ينكر مذهبهم فى هذا الموضع .

وقوله هذا قولُ جميعِ من قال بالطَّبائع ولم يذهَبْ مذهب جهمٍ[2] ، وحفص الفَرْدِ[3] .

وقال ابن العنسىّ[4] يذكر القرد :

فهلاَّ غَدَاةَ الرَّمْلِ يَا قِرْدَ حِذْيَمٍ   تُؤامِرُهَا فى نَفْسها تَسْتَشِيرُها

(القول فى تحريم الخنزير)

قال : وسأل سائلون[5] فى تحريم الخنزير عن مسألةٍ ؛ فمنهم من أراد الطَّعن ، ومنهم من أراد الاستفهام ، ومنهم مَنْ أحبَّ أن يعرف ذلك من جهة الفُتيا ؛ إذ[6] كان قولُه خلافَ قولنا .

قالوا : إنّما قال الله : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾ فذكر اللَّحمَ دونَ الشَّحم ، ودونَ الرَّأس ، ودونَ المخِّ ، ودونَ العصَب ،

---

(١) أى القلب والمسخ .

(٢) هو جهم بن صفوان السمرقندى ، رأس الجهمية . وكان يتولى القضاء فى عسكر الحارث بن شريح ، الخارج على أمراء خراسان : فقبض عليه نصر بن سيار فقتله .

(٣) الفرد ، بفتح الفاء ، لقب له . وفى الأصل : « القردى » ، وفى لسان الميزان ٢ : ٣٣٠ وكذا الفرق بين الفرق ٢٠٢ : « القرد » وصوابه ما أثبت من القاموس وفهرست ابن النديم فى غير ماموضع . قال ابن النديم : « من المجبرة ومن أكابرهم . . . وكان من أهل مصر ثم قدم البصرة ، فسمع بأبى الهذيل واجتمع معه فناظره ، فقطعه أبو الهذيل » .

(٤) كذا فى س . وفى ط ، هـ : « ابن العيسى » بالياء بعد العين .

(٥) فى الأصل : « سائل » والوجه الجمع ، كما يتطلب التفريع الآتى .

(٦) فى الأصل : « إذا » .

ودون سائرِ أجزائه ؛ ولم يذكره كما ذكر المَيْتة بأسرها ، وكذلك[١] الدَّم ؛ لأنَّ القول وقع على جملتهما ، فاشتمل على جميع خصالها بلفظٍ واحد ، وهو العموم . وليس ذلك فى الخنزير ؛ لأنّه ذكر اللّحم من بين جميع أجزائه وليس بين ذِكْر اللَّحْم والعظْم فرق ، ولا بينَ اللَّحْمِ والشَّحم فرق . وقد كان ينبغى فى قياسكُمْ هذا لو قال : حرِّمت عَلَيكُمُ الميتَة والدَّم وشَحْم الخنزير ، أن تحرِّموا الشحم ، وإنّما ذكر[٢] اللّحم ، فلِمَ حرَّمتم الشّحم ؛ وما بالُكمْ تحرِّمونَ الشّحم عند ذكْر غيرِ الشّحم ! فهلاّ حرَّمتم اللّحم بالكتاب ، وحرّمتم ما سِواه بالخبر الذى لا يُدْفَع ! ؟ فإن بقيَتْ خصلةَ أو خَصلتانِ ممَّا لم تُصيبوا ذِكْره فى كتابٍ منزَّل ، وفى أثرٍ لا يدفع ، ٢٦
رددتموه إلى جهة العقل .

قلنا : إنّ للنّاس عاداتٍ ، وكلاماً[٣] يعرِّف كلَّ شيءٍ بموضعه ، وإنما ذلك على قدر استعمالهم له وانتفاعهم به .

وقد يقول الرجل لوكيله : اشتر لى بهذا الدِّينارِ لحماً ، أو بهذه الدراهم ، فيأتيه باللّحم فيهِ الشّحم والعظْم ، والعِرق والعصب والغُضروف ، والفؤاد والطِّحال ، والرِّئة ، وببعض أسقاط الشاة وحشو البطن . والرأس لحمٌ ، والسَّمك أيضاً لحم . وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَأْكُلوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها ﴾ . فَإنْ كانَ الرَّسول ذهب إلى المستعمَل من ذلك ، وترَكَ بَعضَ مايقع عليهِ اسمُ لحم فقد أخذ بما عليه صاحبه. فإذا قال حرمت عليكم لحما فكأنه قال: لحم الشّاة والبقرة

(١) فى الأصل : « فكذلك » .
(٢) س : « حرم » .
(٣) ط : « وكل ما » هـ : « وكلاما ما » ، وأثبت الصواب من س .

والجزور . ولو أنّ رجُلاً قال : أكلت لحما - وإنما أكل رأساً أوكبداً أو سمكاً - لم يكنْ كاذباً . وللنّاس أن يضعُوا كلامَهم حيثُ أحَبُّوا ، إذا كان لهم مجازٌ، إلاّ فى المعامَلات .

فإنْ قُلت : فما تقول فى الجِلد ؟ فَلَيس للخنزير جلد ، كما أنّه ليس للإنسان جلدٌ إلاّ بقطع ما ظهر لك منه بمـا تحتَه ، وإنّما الجِلْد ما يُسْلَخُ ويُدْحَس(١) فيتبرأ ممَّا كان بِه مُلتزقا(٢) ولم يكن مُلتحما ، كفرق ما بين جلد الحَوْصَلة والعِرْقين(٣) .

فإنْسألتَ عن الشَّعر ، وعن جلد المُنْخَنِقة والمَوقُوذةِ والمتردِّيَة والنَّطِيحة وما أكل السَّبُع(٤) ، فإنّى أزعم أنّ جلدهُ لاَ يُدْبَغ وَلاَ يَنْتَفِـعُ بِه إلاّ الأساكفة ، والقول فى ذلك أنّه كلَّهُ محرّم . وإنما ذلك كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ ﴾ ، وكقَوْله عزّ وجَلّ : ﴿ وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَىْءٍ إنِّى فَاعِلٌ ذٰلِكَ غَدًا إلاّ أَنْ يَشَاءَ اللّهُ ﴾ .

والعربُ تقُول للرَّجُل الصانع نجَّاراً ، وإن كان لاَيعمل بالِمثْقَبِ والمنشار ونحوه ولاَ يضرب بالمضلع ونحو ذلك . وتسمِّيه خبَّازا إذا كان يطبخ ويعجن . وتسمِّى العِيرَ لطيمة(٥) ، وإن لم يكن فيها ما يحمل العِطْر إلاّ واحد . وتقول : هذه ظُعُنُ فلاَنٍ ، للهوادج إذا كانت فيها امرأةٌ واحدة . ويقال : هؤلاء بنو فَلان ، وإن كانت نساؤهم أكثرَ من الرجال .

---

(١) دحس الرجل الشاة : أدخل يده بين جلدها وصفاقها للسلخ .

(٢) ﻫ : « ملتصقا » ، وهما سيان .

(٣) ﻫ : « والعرفين » ، محرف .

(٤) سبق تفسير هذه الكلمات فى ص٥٦ .

(٥) العير ، بالكسر : القافلة . أو الإبل تحمل الميرة ، لا واحد لها من لفظها : واللطيمة : العير تحمل المسك والعطر .

فلما كان اللحم هو العمود الذى إليه يُقْصَد ، وصار فى أعظم الأجزاء قَدْرًا ، دَخَل سائرُ تلك الأجزاءِ فى اسمِهِ . ولو كان الشّحمُ معتزلاً من الَّلحم ومفْرَدًا فى جميع الشِّحام ، كشحوم الكُلى[1] والثُّروب ، لم يجزْ ذلك . وإذا تكلمتَ على المفردات لم يكن المخُّ لحما ، ولا الدِّماغ ، ولا العظم ، ولا الشّحم ، ولا الغضروف ، ولا الكروش ، ولا مَا أشبه ذلك . فلما قال : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ﴾ ، وكانت هذه الأشياء
المشبَّهة باللَّحم تدخل فى باب العموم فى اسم اللحم ، كان القَوْلَ واقعًا ٢٧
على الجميع .

وقال الشاعر :

مَنْ يَأْتِنا صُبحاً يُرِيدُ غَدَاءَنَا … فالهَامُ مُنْضَجَةٌ لَدَى الشَّحَّامِ[2]
لحمٌ نَضِيجٌ لَا يُعَنِّى طابخا … يُؤْتَى به مِنْ قبْلِ كلِّ طعامِ[3]

(مسألة الهدهد)

وإذْ قد ذكرْنا بَعض الكلامِ ، والمسائلَ فى بعْض الكلام ، فسنذكر شأْنَ الهدهُد والمسأَلة فى ذلك. قال الله عزّ وجَلّ : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ . لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ[4] ﴾ ، ثم قال : ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ يعنى الهدهُد . فقال لسليمان المتوعد له بالذَّبح عقوبة له ــ والعقوبة لا تكون

(١) فى الأصل : « الكلا » وصواب كتابتها بالياء ، وهى جمع كلية ، بالضم .

(٢) الغداء ، بفتح الغين بعدها دال مهملة : طعام الغدوة ، بالضم ، وهى أول النهار . والهام : الرءوس ، واحدها هامة . والشحام : مطعم الشحم .

(٣) لا يعنى ، بالنون ، من العناء . وفى ﻫ ، س : « لا يعيى » بالياء .

(٤) فى الأصل : « أولا يأتينى » .

إلاّ على المعصية لبشريٍّ آدميّ لم تكن عقوبته الذَّبح ، فدلّ ذلك على أنّ المعصية إنما كانت له ، ولا تكون المعصيةُ لله إلاّ ممّن يعرف الله ، أو ممّن كان يمكنه أن يعرفَ الله تعالى فَتَرَكَ ما يجبُ عليه من المعرفة — وفى قولِه لسليمان : ﴿ أَحَطْتَ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ . إِنِّى وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ . ثمّ قال بعد أنْ عرفَ فصْل(١) ما بين الملوك والسُّوقة ، وما بين النِّساء والرجال ، وعرف عِظَم(٢) عرشِها ، وكثرةَ ما أوتيت(٣) فى ملكها ، قال : ﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ ، فعَرَف(٤) السُّجُود للشمس وأنكرَ المعاصى . ثمّ قال : ﴿ أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلهِ الَّذِى يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ(٥) ﴾ ، ويتعجَّب من سجودهم لغير الله . ثمّ علمَ أنّ الله يعلم غيبَ السَّموات والأرض ، ويعلم السِّرَّ والعلانية . ثمّ قال : ﴿ اللهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ، وهذا يدلُّ على أنّهُ أعلمُ مِن ناسٍ كثيرٍ من المميِّزين المستدلِّين الناظرين .

قال سليمان : ﴿ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ثمّ قال : ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِى هٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ . قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّى أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ . إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ

---

(١) فى الأصل : « فضل » بالضاد المعجمة ، وإنما هو بالصاد المهملة ، بمعنى الفرق .
(٢) فى ط : « عظيم » . والوجه ما أثبت من ﻫ ، س .
(٣) س : « أعطيت » .
(٤) أى الهدهد .
(٥) قرأ حفص وعلى والكسائى بالتاء الفوقية على الخطاب ، والباقون بالتحتية على الغيبة غيث النفع ٢٤٥ وابن القاصح ٣٠١ .

وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِي(١) بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ وذلك أنها قالت : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ . وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ ، [ثم(٢)] قال سليمان للهدهد : ﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً

٢٨ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [و] قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ . قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ . فطعن فى جميع ذلك طاعنون ، فقال بعضهم : قد ثبتَ أنَّ الهدهد يحتمل العقاب والعتاب ، والتَّكليف والثَّواب ، والوَلاية(٣) ، ودخولَ الجنّة بالطّاعة ، ودخولَ النَّار بالمعصية ؛ لأنَّ المعرفةَ تُوجب الأمرَ والنَّهيَ ، والأمرَ والنَّهيَ يوجبان الطاعةَ والمعصية ، والطاعةَ والمعصيةَ يوجبان الوَلاية والعَداوة ، فينبغى للهداهد أنْ يكون فيها العدوُّ والولىُّ ، والكافر والمسلم ، والزِّنديق والدَّهرىّ(٤) . وإذا

---

(١) قرأ نافع والبصرى بإثبات ياء بعد النون الثانية وصلا لا وقفا ، والمكى وحمزة بإثباتها وصلا ووقفا ؛ إلا أن حمزة يدغم النون الأولى فى الثانية . والباقون بحذفها وصلا ووقفا . غيث النفع ٢٤٥ .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) الولاية ، بالفتح وتكسر : مقابل العداوة .

(٤) الدهرى ، بفتح الدال : الذى يقول بقدم الدهر ، ولا يؤمن بالبعث . وهناك الدهرى =

كان حُكْمُ الجنس حُكما واحداً لزم[1] الجميعَ ذلك . وإن كان الهدهدُ لا يبلغ عندَ جميع الناس فى المعرفة مبلغَ الذرَّة ، والنملة ، والقملة ، والفيل ، والقرد ، والخنزير ، والحمام — وجميع هذه الأمم ، تُقَدِّمُهَا عليه فى المعرفة — فينبغى أن تكونَ هذه الأصنافُ المتقدِّمَةَ عليه ، فى عقول هذه الأمَّة والأنبياء.

وقد رأينا العلماء يتعجَّبون من خرافات العَرَب والأعراب فى الجاهليَّة ومن قولهم فى الدِّيك والغراب[2] ، ويتعجَّبون من الرِّواية فى طوق الحمام ؛ فإنّ الحمام كان رائِدَ نوح على نبينا وعليه السلام[3] .

وهذا القول الذى تؤمنون به فى الهدهد ، من هذا النوع[4] .

قلنا : إنّ الله تعالى لم يقل : وتَفَقَّدَ الطَّير فقال ما لى لا أرى هدهدًا من عُرْض الهداهد[5] ، فلم يوقع قولَه على الهداهد جُملة ، ولا على واحدٍ منها غير مقصودٍ إليه ، ولم يذهب إلى الجنس عامَّة ، ولكِنَّهُ قالَ: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ فأدخلَ فى الاسم الألفَ واللام ، فجعله معرفة فدلَّ بذلك القصد على أنَّه ذلك الهدهدُ بعينه . وكذلك غرابُ[6] نوح ، [وكذلك] حمارُ عُزَير ، وكذلك ذِئب أُهبانَ بنِ أوس[7] ؛ فقد كانَ لِلّهِ فيه وفيها تدبيرٌ ، وليجعَل ذلك آيةً لأنبيائه ، وبرهاناً لرسله .

= بضم الدال ، وهو الرجل المسن منسوب إلى الدهر أيضاً ، فخالفوا بينهما ، رفعا للالتباس . شرح الشافية ٨٩ . وفى القاموس : « الدهرى ويضم : القائل ببقاء الدهر » .

(١) ط : « ألزم » .

(٢) انظر ص ٣١٨ من الجزء الثانى ، و ص ٤١٠ من الجزء الثالث .

(٣) انظر ص ٣٢١ من الجزء الثانى .

(٤) س : « الشكل » .

(٥) من عرض الطير : بضم العين ، أى من عامة الطير .

(٦) ط ، هـ : « وكان كغراب نوح » . وانظر لغراب نوح ص ٣٢١ من الجزء الثانى .

(٧) انظر ما أسلفت من الكلام فى (٣ : ٥١٣) .

ولا يستطيع أعقلُ الناس أن يعملَ عمل أجرإ النَّاس ، كما لا يستطيع أجرأُ النَّاس أن يعملَ أعمالَ أعقلِ الناس . فبأَعمال المجانينِ والعُقلاءِ عرَفنا مُقدارهما من صحّة أذهانهما وفسادها(١) ، وباختلاف أعمالِ الأطفالِ والكهول عرفْنا مقدارَهما في الضعْف(٢) والقوَّة ، وفي الجهل والمعرفة . وبمثل ذلك فصَلنا(٣) بين الجماد والحيوان ، والعَالِمِ وأعلمَ منه ، والجاهلِ وأجْهلَ منهُ(٤) .

ولو كان عند السِّباعِ والبهائمِ ما عند الحكماء والأدباء ، والوزَراء والخلَفاء ٢٩
والأمَمِ(٥) والأنبياء ، لأثمرت تلك العقول ، باضطرار ، إثمارَ تلك العقول . وهذا بابٌ لا يخطئُ فيهِ إلاَّ المانِيَّةُ(٦) وأصحابُ الجهالات فقط . فأمَّا عوامُّ

---

(١) في الأصل : « وفسادها » . والضمير عائد إلى الأذهان . وفي س : « عرفنا ماغاب من صحة أذهانهم » .

(٢) ط ، هـ : « في الضعيف » ووجهه ما أثبت من س .

(٣) فصلنا ، بالصاد المهملة ، بمعنى ميزنا . وفي الأصل : « فضلنا » بالضاد المعجمة ، محرف .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٥) الأمم : جمع أمة بالضم ، والأمة : الإمام ، ومنه قول الله : «إن إبراهيم كان أمة» في تفسير أبي عبيدة . س : «والأمة» ، وهذه محرفة عن « الأئمة » .

(٦) المانية : أتباع ماني ، متنبئ زعم أنه الفارقليط الذي بشر به عيسى عليه السلام واستخرج مذهبه من المجوسية والنصرانية ، وكان يقول : إن مبدأ العالم من كونين أحدهما نور والآخر ظلمة ، وأنهما في صراع مستمر لا ينتهي إلا بانتهاء الدنيا . وفرض على أتباعه صلوات معينة وصوما رسمه لهم . وقتل ماني في مملكة بهرام بن سابور ، وأتباعه يزعمون أنه ارتفع إلى جنان النور . وكان ملوك الفرس يطاردون أتباعه ، فلما انتثر أمر الفرس وقوى أمر العرب ، وجدوا لديهم سعة صدر ، فنزحوا إليهم في أيام بني أمية ؛ فإن خالد بن عبد الله القسري كان يعني بهم ، وكان يرمى بالزندقة . حتى كانت أيام المقتدر فانهم جلوا إلى خراسان . انظر ابن النديم ٤٥٦ — ٤٧٤ . وقد جعل ابن النديم النسبة إليه (مناني) وهي نسبة شاذة ، و (مانوي) وهي نسبة جائزة . ومثل الأولى في الشذوذ : « حرناني » نسبة إلى مدينة حران . و « عناني » نسبة إلى عاني من اليهود . وانظر مفاتيح العلوم ٢٥ .

الأمم ، فضلا عن خواصهم ، فهم يعلمون مِن ذلك مثلَ مانعلم . وإنّما يُتفاضَل بالبيان والحِفظ ، وبنسق المحفوظ[١] . فأمَّا المعرفة فنحن فيها سـواء . ولم نعرف العقلَ وعدمه ونقصانه ، وإفادته ، وأقدارَ معارفِ الحيوان إلاّ بِماَ يظهر منها[٢] . وبتلك الأدلَّة عرفنا فرقَ مابين الحيِّ والميت ، وبين الجماد والحيوان .

فإن قال الخصم : مانعرف كلامَ الذِّئب ، ولا معرفة الغُراب ، ولاعلم الهدهد . قلنا : نحن ناسٌ نؤمن بأَنَّ عيسى عليه السلام خَلِق من غير ذكرٍ وإنّما خُلِق من أُنثى ؛ وأنَّ آدَمَ وَحَوَّاءَ خُلقا من غير ذكرٍ وأنثى ، وأنَّ عيسى تكلَّم فى المهد ، وأنَّ يحيى بن زكريَّا نطق بالحكمةِ فى الصِّبا ، وأنَّ عقيماً ألقَحَ ، وأنَّ عاقرًا ولدت[٣] ؛ وبأَشياءَ كثيرةٍ خرجت خارجيةً من نَسَقِ العادة[٤] . فالسَّبب الذى به عرَفنا أنَّه قد كان لذلك الهدهد مقدارٌ من المعرفة ، دونَ ماتوهَّمتم وفوق مامع الهدهد . ومتى سأَلتمونا عن الحجَّة فالسبيل واحدة . ونحن نقرُّ بأَنّ مَن دخـل الجَنة من المجانين والأطفال يدخلون عقلاَءَ كاملين ، من غير تجارِبَ وتمرينٍ وترتيب . فسأَلتكُمْ عما ألهم الهدهد ، هى المسألة عمَّا أُلهِم الطفل فى الجنة .

---

(١) كذا فى هـ . وفى ط ، س : « المحفوظة » .

(٢) أى من المعرفة . وفى الأصل : « وأقدار معارف أسباب الحيوان وما يظهر منها » .

(٣) إشارة إلى زكرياء عليه السلام وزوجه ، فإنه كان كبيراً حين ولد له يحيى ، وكانت امرأته عاقراً : « قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر» . وإلى إبراهيم عليه السلام وزوجه أيضاً : « قالت ياويلتى ءألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا » .

(٤) كذا فى س . وفى ط : « وبأشياء كثيرة خارجة عن نسق العادة » و هـ : « وبأشياء كثيرة خارجة من . . » الخ .

فإن قال قائل : فإنْ [كانَ[١]] ذلك القولُ كلُّه ، الذى كان من الهدهد ، إنما كان على الإلهام والتّسْخير ، ولم يكن ذلك عن معرفةٍ منه ، فلِمَ قال ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ ﴾ ؟ قلنا : فإنه قد يتوعَّد الرَّجُلُ ابنَه - وَهو بَعْدُ لم يَجرِ عَلَيْهِ الأحكامُ - بالضَّرب الوجيع ، إن هو لم يأْتِ السُّوق أو يحفظْ سورَةَ كَذَا وَكَذَا ؛ فلا يعنِّفُهُ أحدٌ على ذلك الوعيد . ويكذبُ فيضربه على الكذب . ويضرب صبيًّا فيضربه لأنه ضربه . وهو فى ذلك قد حَسُنَ خطُّه ، وجاد حسابُه ، وشدَا من النَّحو [والعروض[٢]] والفرائض[٣] شدْوًا حسنا ، ونفع أهلَه ، وتَعلم أعمالاً ، وتكلَّم بكلام ، [و[٤]] أجاب فى الفتيا بكلامٍ فَوْقَ معانى الهدهد فى اللَّطافة وَالغموض . وَهُوَ فى ذلك لم يكمل لاحتّمال الفرض[٥] وَالْوِلاية وَالعَدَاوَة .

فإن قال : فهل يجوز لأحدٍ أن يقول لابنهِ : إنْ أنت لم تأتِ السُّوق ذبحتك ، وهُوَ جادٌّ ؟ قلنا : لا يجوز ذلك . وَإِنَّما جاز ذلك فى الهدهد لأن سليمان — وَمَنْ هو دونَ سليمان من جميع العالم — له أن يذبح الهدهدَ والحمامَ والدِّيك ، والعَناق[٦] والجدْى . والذَّبحُ سبيلٌ من سُبُل مناياهم . فلو ذبحهُ سليمانَ لم يكن فى ذلك إلاَّ بقدر التَّقديم والتأخير ، وإلاَّ بقدْر صَرفِ[٧] مابين أن يموت حتْفَ أنفِهِ ، أو يموتَ بالذَّبح . ولَعَلَّ صَرْفَ مابينهما

(١) ليست بالأصل . وبها يستقيم الكلام .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من هـ . وفى ط : « العرائض » ، صوابه فى س .

(٤) ليست بالأصل . وهى ضرورية .

(٥) ط : « الغرض » ، صوابه فى س ، هـ .

(٦) العناق ، كسحاب : الأنثى من ولد المعز .

(٧) الصرف : الزيادة . ط ، هـ : « ضرب » ، صوابه فى س .

لايكون إلاَّ بمقدار ألم عِشرين دِرَّة(١) . ولعلَّ نتْف جناحِه يَفِى بذلك الضرب . وإذا قلنا ذلك فقد أعطينا ذلك الهدهدَ بعينه حقَّ ما دلَّت عليه الآية ، ولم نجزْ ذلك فى جميع الهداهد ، ولم نَكُنْ(٢) كَمَنْ ينكر قدرة الله على أن يُرَكِّبَ(٣) عصفورًا من العصافير ضربًا من التراكيب يكون أدهى من قيس بن زهير(٤) . ولو كان الله تعالى قد فعل ذلك بالعصافير لظهرت كذلك دلائل .

على أنَّا لو تأوَّلنا الذَّبحَ على مثالِ تأويلِ قولنا فى ذبْح إبراهيم إسماعيلَ(٥) عليهما السلام — وإنما كان ذلك ذبحاً فى المعنى لغيره(٦) — أو على معنى قول

(١) أى عشرين ضربة بالدرة . والدرة ، بالكسر : السوط ، ويغلب استعمالها فى سياط السلاطين . وكلمة « إلا » ساقطة من س .

(٢) فى الأصل : « ولم يجز ذلك فى جميع الهداهد ولم يكن » .

(٣) ط ، هـ : « تركب » ، ولا تصح إلا بتقديم « على » على كلمة : « قدرة » وصوابها من س .

(٤) الدهاء : جودة الرأى وكمال العقل . وقيس بن زهير هو سيد عبس ، وكان له ضلع كبيرة فى حرب داحس والغبراء ، وهو صاحب داحس . ذكروا من دهائه أنه مر ببلاد غطفان ، فرأى ثروة وعديدا ، فكره ذلك ، فقال له الربيع بن زياد العبسى : إنه يسوءك ما يسر الناس ! فقال : ياابن أخى ، إنك لاتدرى . إن مع الثروة والنعمة التحاسد والتباغض والتخاذل ، وإن مع القلة التعاضد والتوازر والتناصر . وكان يقول : « أربعة لايطاقون : عبد ملك ، ونذل شبع ، وأمة ورثت ، وقبيحة تزوجت ! » . انظر أمثال الميدانى (١ : ٢٥٠) . ولحرب داحس والغبراء ، الأغانى (٧ : ١٤٣ ، ١٦ : ٢٣) والعقد (٣ : ٣١٣) والكامل لابن الأثير (١ : ٣٤٣) والميدانى (١ : ٣٥٩ ، ٢ : ٥١) . هـ : « أدمى » وهو تحريف .

(٥) س : « إسحاق » . وقد اختلف المؤرخون المسلمون ، وكذلك أصحاب التفاسير فى الذبيح منهما ، والأعرف عندهم أنه « إسماعيل » بأدلة سردها البيضاوى فى تفسيره . انظر سورة الصافات ، وليس فى القرآن الكريم نص على أحد منهما . وفى سفر التكوين ، الأصحاح الثانى والعشرين ، ماينص صراحة على أن الذبيح إسحاق . وإلى هذا الرأى مال معظم الصحابة . انظر المعارف ١٧ وآكام المرجان ٢٠٩ وابن سلام ١٥٨ .

(٦) وهو الكبش ، فإن إسماعيل ، أو إسحاق ، لم يذبح ، وإنما هم أبوه بذبحه ، ووقع الذبح فعلا على الكبش . س : « ذبحا فى العين » ، صوابه فى ط ، هـ .

القائل : أمّا أنا فقد ذبحته وضربت عنقَه ، ولكن السيف خانني . أو على قولهم : المِسْك الذَّبيح[1] ، أو على قولهم : فجئت وقدْ ذَبَحَني العطش — لكان ذلك مجازًا .

ولو أنّ صَبيًّا مِن صبياننا سُئل ، قبل أن يبلُغَ فرضَ البلوغ بساعة ، [وكان[2]] رأى مَلِكة سبإ[3] فى جميع حالاتها ، لما كان بعيدًا ولا ممتنعا أن يقولَ : رأيتُ امرأةً مَلِكَة ، ورأيتها تسجُد للشّمس من دون الله ، ورأيتُها تُطِيعُ الشّيطانَ وتَعْصِى الرّحمن . ولا سيما إنْ كانَ من صِبيان الخلَفاء والوُزراء ، أو مِنْ صبيان الأعراب .

والدّليل على أنّ ذلك الهدهدَ كان مسخّرا وميَسّرًا ، مُضِيُّه إلى اليمن ، ورجوعُه من ساعته .

ولم يكن من الطّير القواطعِ فرجع إلى وكره . والدّليل على ذلك أنّ سليمان عليه السلام لم يقل : نعم قد رأيت كلّ ما ذكرتَ ، وأنت لم تعلم حين مضَيت بطّالاً هاربا من العمل ، أتُكْدِى أم تنجح ، أو ترى أُعجوبةً أو لا تراها . ولكنّهُ توعّدهُ على ظاهر الرّأى ، ونافره القول ؛ ليُظهرَ الآيةَ والأعجوبة .

(طعن الدهرية فى مُلْك سليمان)

ثمّ طعَن فى مُلك سُليمانَ ومَلِكةِ سبإ ، ناسٌ من الدُّهريّة ، وقالُوا[4] : زعمتم أنَّ سُليمان سأل ربّه [فقال] : ﴿رَبِّ هَبْ لِى مُلْكًا لاَيَنْبَغِى لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِى﴾

(١) أى الذى شقت فأرته . وفأرة المسك : نافجته ، أى وعاؤه .
(٢) ليست بالأصل ، وبها يصلح الكلام .
(٣) ليست فى س . وبدلها فى ه : « سبأ » ، محرفة عما أثبت من ط .
(٤) فى الأصل : « وقال » .

وأنّ الله تعالى أعطاه ذلك ، فملّكه على الجنّ فضلاً عن الإنْس ، وعلّمه منطِق الطّير ، وسخّر له الرّيح ، فكانت الجِنّ له خَوَلاً ، والرِّياحُ له مسخرة ثمّ زعمتم — وهو إمّا بالشّام وإمّا بسَوَادِ العِراق — أنّه لا يعرف باليمن مَلِكَةً هذه صفتُها . وملوكُنا اليومَ دونَ سليمانَ فى القدْرة ، لا يخفى عليهم صاحب الخَزَر ، ولا صاحبُ الروم ، ولاصاحبُ الترك ، ولاصاحب النُّوبة . وكيف يجهل سليمانُ موضِعَ هذه المِلكة ، مع قرْبِ دارِها واتّصَالِ بلادها ! وليس دونَها بحارٌ ولا أوعارٌ ؛ والطريق نَهجٌ للخُفِّ والحافر والقدَم[١] . فكيف
٣١ والجنُّ والإنسُ طوعُ يمينه . ولو كان ، حين خبّره الهدهدُ بمكانها ، أضربَ عنها صفْحًا ، لكان لقائلٍ أن يقول : ما أتاه الهدهدُ إلّا بأمرٍ يعرفه . فهذا وما أشبهَهُ دليلٌ على فساد أخباركم .

قُلنا : إنّ الدُّنيا إذا خلاّها الله وتدبيرَ أهلها ، ومجارىَ أمورِها وعاداتها كان لعمرى كما تقولون . ونحن نزعمُ أنّ يَعْقوبَ بنَ إسحاق بنِ إبراهيمَ كانَ أنبهَ أهْلِ زمانِه ؛ لأنّه نبيٌّ ابنُ نبيٍّ . وكان يوسُف وزير مَلِكِ مصر من النّباهة بِالموضع الذى لا يُدفَع[٢] ، وله البُرُدُ[٣] ، وإليهِ يرجع جوابُ الأَخبار ، ثمّ لم يعرِفْ يَعقوبُ مكانَ يوسُفَ ، ولا يوسفُ مكانَ يَعقوبَ عليهما السلام — دهرًا من الدُّهور ؛ مع النّباهةِ ، والقُدْرةِ ، واتّصال الدارَ .

وكذلك القولُ فى موسى بنِ عمرانَ ومَنْ كانَ معه فى التِّيه[٤] ، فقد

---

(١) طريق نهج : واضح . والخف : أى الإبل . ط ، هـ : « الخف » صوابه فى س .

(٢) النباهة : الشهرة . ط ، هـ : « ومن » والوجه حذف الواو ، والنص فى س « والملك النباهة فى الموضع الذى لايدفع » . وليس بشىء .

(٣) البرد : جمع بريد .

(٤) التيه ، هو الموضع الذى ضل فيه موسى عليه السلام وقومه . قال ياقوت : « وهى أرض بين أيلة ومصر وبحر القلزم جبال والسراة من أرض الشام » .

كانوا أمّةً من الأمم يتَسكَّعُونَ (١) أربعين عاماً ، فى مقدارِ فراسخَ يسيرةٍ ولا يهتدون إلى المخرج . وماكانت بِلادُ التِّيه إلاّ من ملاعبهم ومُنْتزَهاتِهم (٢) . ولا يعدم مثلُ [ذلك (٣)] العسكرِ (٤) الأَدلاَّءَ والجَمَّالين (٥) ، والمكارِينَ (٦) ، والفُيُوجَ (٧) ، والرُّسلَ ، والتّجار : ولكنَّ الله صَرَفَ أوهامَهم ، ورفع ذلك الفَصْلَ (٨) مِن صدورهم .

وكذلك القول فى الشَّياطين الذين يسترِقون السَّمْعَ فى كلِّ ليلة ، فَنقُولُ (٩) : إنَّهم لو كان كلما أراد مُريدٌ (١٠) منهم أن يصعَدَ ذكَرَ أنّه قد رُجِم صاحبه (١١) ، وأنّه كذلك منذ كان لم يصل معه أحدٌ إلى استراقِ السَّمْع (١٢) ، كان محالاً أن يرومَ ذلك أحَدٌ منهم مع الذِّكر والعِيان .

---

(١) تسكع : ذهب فى ضلاله . ومثله تسكع بتقديم السين . ط ، ه : « يكسعون » والوجه ماأثبت من س .

(٢) كذا بتقديم النون فى الأصل .

(٣) الزيادة من س ، ه .

(٤) كان بنو إسرائيل قد خرجوا ليملكوا الأرض المقدسة بالقتال . انظر تفسير سورة المائدة للآيات ٢٠ – ٢٦ وسفر العدد ، الأصحاح ٣٢ ، ٣٣ .

(٥) الجمالين ، بالجيم . وفى (٦ : ٢٦٨) : « الحمارين » .

(٦) المكارين : جمع مكار . والمكارى : من يكترى الناس منه دابته ، أى يستأجرونها .

(٧) الفيوج ، بالضم وفى آخره جيم : جمع فيج بالفتح ، وهو رسول السلطان المسرع فى مشيه ، يحمل الأخبار من بلد إلى بلد ، معرب من « پيك » بالفارسية . ط ، س : « الفيوح » ، صوابه فى ه .

(٨) الفصل هنا بمعنى التمييز . ط ، ه : « القصد » وأثبت مافى س .

(٩) ط ، ه : « فتقول » بالتاء ، صوابه فى س .

(١٠) إن قرئت بالضم ، كانت من أراد بمعنى شاء . وإن قرئت بالفتح كانت من التمرد .

(١١) ط ، ه : « قد رجم أو رجم صاحبه » ، والوجه ما أثبت من س .

(١٢) س : « سمع » .

ومثل ذلك [أنّا] قد علمْنا أنّ إبْليسَ لا يزالُ عاصِياً إلى يوم البَعث .
ولو كان إبْليسُ فى حال المعْصيَة ذَاكِراً لإخبار الله تَعالى[1] أنّه لا يزالُ عاصياً وهو يَعلم أنّ خَبرَه صِدقٌ ، كان محالاً أنْ تدعُوَه نفسُه إلى الإيمانِ ، ويطمَعُ فى ذلك ، مع تصدِيقِهِ بأنّه لا يختار الإيمانَ أبداً .

ومن المحـال أن يجمَع بين وجود[2] الاستطاعة وعـدم الدَّواعى وجواز الفعل .

ولو أنّ رجلاً عَلِم يقيناً أنّه لا يخرُج من بيتِه يومَه ذلك ، كان محالاً أن تدعُوَه نفسه إلى الخروج ، مع علمه بأنّه لا يفعل . ولـكِنّ إبْليس لمـا كانَ مصروفَ القَلب عن ذِكْر ذلك الخبر[3] ، دخل فى حَدِّ المستطيعين .

ومثل ذلك أنّ النبى صلى الله عَليه وسلم لَمّا بشره الله بالظّفرِ وتمام الأمر[4] بشَّر أصحابَه بالنَّصر ، ونزولِ الملائكة . ولو كانوا لذلك ذاكرين فى كلِّ حالٍ ، لم يكن عليهم مِنَ المحاربة مؤونة . وإذا لم يتـكلفوا المؤونة[5] لم يؤجَروا . ولـكِنّ الله تَعالى بنظره إليهم رفَع[6] ذلك فى كثيرٍ مِن الحالات

(١) كذا فى س . وفى ط : « ذكر إخبار الله تعالى » وفى هـ : « ذاكرا لأخبار الله تعالى » . وما فى هـ محرف .
(٢) فى الأصل : « وجوب » بالباء .
(٣) أى عن تذكر ذلك الخبر .
(٤) الكلام من أول الفقرة إلى هنا ساقط من س . والجاحظ يشير بكلامه هذا إلى ما كان فى وقعة أحـد ، مما تشير إليه الآيات ١٢٢ — ١٢٦ من سـورة آل عمران .
(٥) س ، هـ : « المؤن » .
(٦) س : « دفع » بالدال .

عن أوهامهم ؛ ليحتملوا[1] مشقّة القِتال ، وهم لا يعلمون : أيغلِبُون أم يُغْلَبون أو يَقْتلُونَ أم يَقتلون .

٣٢ ومثل ذلك ما رفع من أوهام العَرب ، وصرف نفوسهم عن المعارَضَة للقرآن ، بَعْدَ أنْ تحدَّاهم الرَّسولُ بنظْمه . ولذلك لم نَجِدْ أحَداً طمِع فيه . ولو طمِعَ فيه لتَكلفه ، ولو تكلف بَعضهُمْ ذلك فجاء بأمر[2] فيه أدنى شُبهة لعظمت القضيَّةُ[3] على الأعراب وأشباهِ الأعْراب ، والنِّساءِ وأشباه النساء ، ولألْقَى ذلك للمسلمين عملاً ، ولطَلبوا المحاكمَةَ والتراضى ببعض العرب ، ولكثُرَ القيلُ والقال .

فقد رأيتَ أصحابَ مُسيْلِمة[4] ، وأصحاب ابن النوَّاحة[5] إنما تَعَلَّقُوا بما ألَّف لهُمْ مُسَيلمة من ذلك الكلام ، الذى يَعلمُ كلُّ مَن سمِعه أنّه إنمَا عَدا على القرآن فسلَبه ، وأخَذَ بَعضَه ، وتَعاطى أن يُقَارِنَه . فكان لله ذلك التَّدبيرُ ، الذى لا يبلُغه العِبادُ ولو اجتَمَعوا له .

فإنْ كان الدَّهرىُّ يريدُ من أصحابِ العِبادَاتِ والرُّسُلِ ، ما يريد من

---

(١) س : « ليتحملوا » .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) فى الأصل : « القصة » .

(٤) هو أبو ثمامة ، مسيلمة بن حبيب الحنفى من أهل اليمامة ، ادعى النبوة بمكة قبل الهجرة ، وصنع أسجاعا ، عارض فيها بزعمه القرآن ، منها قوله : « والشمس وضحاها . فى ضوئها وجلاها . والليل إذا عداها . يطلبها ليغشاها . فأدركها حتى أتاها . وأطفأ نورها ومحاها » ، وقوله : « ياضفدع نقى نقى . كم تنقين . لا الماء تكدرين . ولا الشرب تمنعين » . وكان قد قوى أمره فى اليمامة ، وظهر جدا بعد وفاة الرسول ، فأرسل أبو بكر خالد بن الوليد فى جيش لمقارعته ، فكان له النصر على بنى حنيفة فى يوم اليمامة ، وقتل مسيلمة وكثير من أتباعه ، واستشهد من المسلمين ألف ومائتا رجل .

(٥) فى الأصل : « بنى النواحة » . وانظر الاستدراكات .

الدَّهريّ الصِّرفِ ، الذى لا يُقِرُّ إلا بما أوجدَه العِيان ، وما يَجرى مَجرَى العِيان ــ فَقَدْ ظَلَمَ .

وقد علِم الدَّهريُّ [أنّنا نعتقِد(١)] أنّ لنا ربًّا يخترع الأجسامَ اختراعا وأنّهُ حَىٌّ لا بحياة ، وعالمٌ لا بعلم(٢) ، وأنّه شىءٌ لا ينقسم ، وليس بِذِى طُول ولا عرْض ولا عُمق ، وأنّ الأنبياء تحيِى(٣) الموتى . وهذا كلُّه عنْدَ الدهرىِّ مستنكَر ، وإنّما كان يكون له عَلَيْنَا سبيل(٤) لو لم يكن الذى ذكرنا جائزا فى القِياس ، واحتجْنا إلَى تثبيت الرُّبوبيَّةِ وتصديقِ الرِّسالة ، فإذا كان ذلك جائزاً ، وكانَ كونُه غيرَ مستنكَرٍ ، ولا محالٍ ، ولا ظلم ، ولاعيب ، فلم يبقَ له إلاَّ أن يسألَنَا عن الأصْلِ الذى دعا إلى التَّوحِيدِ ، وإلَى تثبيت الرسل .

وفى كتابِنا المنزل الذى يدلُّنا على أنّه صِدْقٌ ، نَظْمُه البدِيع الذى لا يقدِر على مثله العباد ، مَعَ ما سِوَى ذلك من الدّلائِلِ التى جاء بها مَنْ جاء به .

وفيه مسطور أنّ سليمانَ بنَ داودَ غبرَ حِيناً ــ وهو ميّت ــ معتمِداً على عصاه ، فى الموضع الذى لا يُحْجَب عنه إنْسِىٌّ ولا جِنِّىٌّ ، والشّياطينُ منهُم المكْدودُ بالعَمَل الشديد(٥) ، ومِنهُمَ المحبوسُ والمستعبد ، وكانوا كما قال

---

(١) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إلى مثلها .

(٢) هذا مذهب المعتزلة ؛ إذ ينفون عن الله عز وجل صفاته الأزلية ، فيقولون : ليس لله علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا أى صفة أزلية .

(٣) ط ، هـ : « تحى » صوابه فى س .

(٤) بدله فى س : « وإنما كان يكون له علة » .

(٥) المكدود : المرهق المتعب . ط ، هـ : « بالغل الشديد » ، والأوجه ماأثبت من س .

الله تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَايَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِي[1] وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾ وقال : ﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ . وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ وَأَنَّهُ غَبَرَ كذلك حيناً وهو تُجاهَ أعينِهم[2] ، فلاهُمْ عرَفُوا سجيَّةَ وُجوهِ الموتَى ، ولا هو إِذْ كان ميِّتاً سقَط سُقوطَ الموتى . وثبتَ قائماً معتمداً[3] على عصاه ، وعصاه ثابتةٌ قائمةٌ فى يده ، وهو قابضٌ عليها . وليستْ هذه الصِّفَةُ صفةَ مَوتانا .

وقال : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَالَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ . ونحنُ دونَ الشّياطينِ والجنِّ فى صِدْق الحسِّ ، ٣٣
ونُفوذِ البصر ، ولوْ كُنَّا مِن بعضِ الموتى بهذا المكان ، لما خَفِيَ علينا أَمرُه وكان أدنى ذلك أَنْ نظنَّ ونرتاب . ومتى ارتابَ قومٌ وظَنُّوا وماجُوا[4] وتكلموا وشاوروا ، لَقِنُوا وثبَّتُوا[5] . ولا سيَّما إذا كانوا فى العذاب ورأَوْا تَباشِيرَ الفرَج .

---

(١) الجوابى : جمع جابية ، وهو الحوض الجامع . وإثبات الياء فى آخر الكلمة وصلا ووقفا قراءة ابن كثير ومجاهد ، وإثباتها وصلا فقط قراءة ورش وعاصم . وحذفها وصلا ووقفا قراءة الباقين . وهذه القراءة الأخيرة هى مافى س ، هـ . وما أثبت من ط هو القراءة الأولى .

(٢) تجاه ، يصح ضبطها بالضم والكسر والفتح . عن القاموس .

(٣) ط : « معتمد » ، وهو خطأ ظاهر .

(٤) هـ : « وناجوا » ، أى ناجى بعضهم بعضا .

(٥) لقنوا : عرفوا وفهموا . فى الأصل : « ولقنوا » وإنما هو جواب الشرط . و « ثبتوا » أى سكنت قلوبهم بقوة البرهان والدلالة . وفى الكتاب : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ماتثبت به فؤادك » .

ولولا الصَّرْفة(١) التي يُلقيها الله تعالى على قَلْبِ مَنْ أَحَبَّ ، و [لولا(٢)] أنّ الله يقدِرُ على أنْ يشغَلَ الأوهامَ كيف شاء ، ويذكِّر بما يشاء ، ويُنَسِّيَ مايشاء ، لما اجتمع أهلُ داره وقصْره ، وسُوره ورَبَضِه(٣) ، وخاصَّتُه ، ومن يخدُمه من الجنِّ والإنْس والشَّياطين ، على الإطباق بأنَّه حَيٌّ . كذلك كان عندهم . فحدث ما حَدَثَ من موته ، فلمَّا لم يشعُروا به كانوا على ما لم يزالوا عليه . فعلِمْنا أنَّ الجنَّ والشّياطينَ كانت تُوهِم الأغبياء والعَوَامَّ ، والحَشْوَة(٤) والسِّفلة ، أنَّ عندهما شيئاً من عِلْمِ الغيب — والشياطين لا تعلم ذلك — فأراد الله أنْ يكشِف من أمْرهم للجُهَّال ما كان كَشَفَه للعلماء . فبهذا وأشباهه من الأمور نحنُ إلى الإقرار به مضطرُّون(٥) بالحجَج الاضطراريَّة فليس لخصومنا حِيلةٌ إلاَّ أن يواقِفونَا(٦) ، وينظروا فى العلَّة التى اضطرتنا إلى هذا القول ؛ فإن كانت صحيحةً فالصَّحيحُ لا يُوجِب إلا الصحيح . وإن كانت سقيمة علِمْنا أنَّمَا أُتِينَا من تأويلنا(٧) .

وأما قوله : ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ ﴾ فإنَّ التَّعذيبَ يكون بالحبس ، كما قال الله

---

(١) الصرفة ، بالفتح : أن يصرف الله عبده عن أمر . ط : « المعرفة » س : « الصدقة » صوابهما فى هـ .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) الربض ، بالتحريك : سور المدينة .

(٤) الحشوة ، بالضم والكسر : أصله الدغل فى الأرض . أراد به الدون من الناس .

(٥) س : « مضطرين » .

(٦) يواقفونا ، بتقديم القاف ، من المواقفة ، وهى أن يقف المرء مع غيره فى خصومة ومجادلة . وفى الأصل : « يوافقونا » بتقديم الفاء ، وليس بشىء .

(٧) أتينا : أى قهرنا وغلبنا . وفى الأصل : « أوتينا » ولا يصح بها الكلام . ط ، هـ : « أن ما » والوجه ما أثبت من س . وفى س أيضاً « علم » مكان « علمنا » و « أقاويلنا » موضع « تأويلنا » .

عزَّ وجلَّ : ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِى الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ . وإنّما كانوا مُخَيَّسِينَ[1] .

وقد يقول العاشق لمعشوقته : يا معذّبتى ! وقد عذّبتنى[2] !

ومن العذاب مايكُونُ طويلاً ، ومِنْه مايكُونُ قصيرَ الوقْت . ولوخسفَ اللهُ تَعالى بقومٍ فى أقلَّ من عُشْر ساعة[3] لجاز لقائل أن يقول : كان ذلك يوم أحلَّ الله عذابَه ونِقمتَه ببلاد كذا وكذا .

(قوة الخنزير وشدة احتماله)

وقال أبو ناصرة : الخنزير ربّما قتل الأسد ، وما أكْثرَ ما يَلْحَقُ بصاحب[4] السَّيفِ والرُّمح ، فيضربُه بِنابِهِ ، فيقطعَ كلّ ما لقِيه من جسَده : من عظمٍ وعصَبٍ ، حتى يقتلَه . وربّما احتال أن ينبَطح[5] على وجهِه على الأرض ، فلا يغنى ذلك عنْه شيئاً .

وليس لشيءٍ من الحيوان كاحتمال بدنِه لوَقْع السهام ، ونفوذِها فِيهِ .

(بعض طباع الخنزير)

وهو مع ذلك أرْوَغُ من ثعلب ، إذا أراده الفارس . وإذا[6] عدا أطمَعَ فى نفْسه كلّ شىء ، وإذا طولب أعيا الخيْلَ العِتاق . والخنزيرُ مع ذلك أنْسَلُ

---

(١) المخيس ، هو من قولهم : إبل مخيسة : لا تسرح . ط : « محبوسين » وهى صحيحة بمعنى « مخيسين » . س ، هـ : « محبسين » ، تحريف ما أثبت .

(٢) ط ، هـ : « عذبتينى » . وانظر الاستدراكات .

(٣) ط ، س : « ساعات » ، والوجه فيه ما أثبت من هـ .

(٤) س : « صاحب » .

(٥) كذا على الصواب فى س . وفى ط ، هـ : « ينتطح » .

(٦) س : « فإذا » .

الخلْق ؛ لأنَّ الخِنزيرةَ تَضَعُ عِشرين خِنَّوْصاً ، وهو مع كَثْرة إنساله — مِنْ أقوى الفحُول على السِّفاد ، ومعَ القُوّة على السِّفاد هو أطولها مُكْثاً فى سفادِه ، فهْوَ بذلك أجمَعَ للفحُولة[1] .

٣٤ وإذا كانَ الكلبَ والذِّئبُ موصوفَين بشدّة القَلْبِ ؛ لطُول الخطْم[2] ، فالخنْزيرُ أولى بذلك .

وللفِيل نابٌ عجيب ، ولكِنَّهُ لقصر عنقه لا يبلغ النّابُ مبلغا[3] ، وإنّما يستعينُ بخُرطومِهِ ، وخرطومُهُ هو أنفه ، والخطْمُ غير الخرطوم .

(ما قيل فى طيب لحمه وإهالته)

قال أبو ناصرة : وله طيب ، وهُو طِيبُ لحمِهِ ولحمُ أولاده[4] . وإذا أرادُوا وصفَ اختلاط[5] ودَك الكُرْكيِّ[6] فى مَرَق طبيخ ، قالُوا : كأنَّ إهالتَه إهالة خنزير[7] ؛ لأنَّه لا يسرع إليها[8] الجمود . وسرعةُ جمودِ إهالة

(١) فى الأصل : « أجمع الفحولة » ولا تصح . وفى ط ، هـ زيادة : « بهذا » فى آخر الجملة ولا وجه لها كما فى س .

(٢) سبق مثل هذا الكلام فى (٢ : ٢١٣ س ١) .

(٣) ط : « لقصر عنقه لايبلغ الباب يقصر عنه ولا يبلغ » الخ . وأثبت صوابه من س ، هـ .

(٤) بدل هذه العبارة فى هـ : « وله طيب لحمه » فقط . وجملة « وله طيب » ساقطة من س .

(٥) كذا على الصواب فى هـ . وفى ط ، س : « اختلاف » .

(٦) الكركى ، بالضم : طائر كبير أغبر اللون أبتر الذنب طويل العنق والرجلين : Crane . قال الدميرى : « وللملوك مصر وأمرائها فى صيده تغال لايدرك حده ، وإنفاق مال لايستطاع حصره وعده » . ط : « الكركى » ، صوابه فى س ، هـ .

(٧) الإهالة ، بالكسر : الشحم . والودك : الدسم . هـ : « أهاله إهال خنزير » ، محرف .

(٨) س : « إليه » محرف .

الماعز في الشّتاء عيب . وللضّأن في ذلك بعض الفضيلة على الماعز ؛ ولا يلحق بالخنزير .

(قبول عظم الخنزير للالتحام بعظم الإنسان)

وإذا نقص من الإنسان عَظْمٌ واحْتِيجَ إلى صِلتِهِ في بعض الأمراض لم يلتحِمْ بِهِ إلاّ عَظْمُ الخنْزِير .

(صوت الخنزير)

وإذا ضُرب فصاح لم يكن السّامِعُ يفصِلُ بينَ صوتِه وبينَ صوت صبيٍّ مضروب[1] .

(طيب لحمه)

وفى إطباقِ جميع الأممِ على شهوةِ أكله واستطابَةِ لحمِهِ ، دليلٌ على أنَّ له فى ذلِكَ ما ليس لغيْره .

(زعم المجوس فى المنخنقة ونحوها)

والمجوس تزعم أنَّ المُنخنقَة والموقوذَة والمتردِّية[2] ، وكلَّ ما اعْتُبط ولم يمت حَتْفَ أنفِه[3] ، فهو أطْيب لَحْماً وأحلى ؛ لأنَّ دَمَه فِيهِ ، والدم حُلوٌ

---

(١) وقد تهيأ لابن آوى مثل هذا الصوت كما سيأتى فى (٥ : ٢٨٨) .

(٢) س : « المنخنق والموقوذ والمتردى » . وانظر ماسبق ص ٥٦ .

(٣) اعتبط ، بالبناء للمفعول : مات من غير علة . ويقال مات حتف أنفه : أى بلا ضرب ولا قتل . ط ، هـ : « وكلما اعتبط » الخ ، وصواب كتابته ماأثبت . وبدلها فى س : « إذا اعتبط » الخ .

دَسِم . وإنما عافَه مَن عافَه من طَريق العادة والدِّيانة ، لا من طريق الاستقذار والزُّهْدِ الذى يكُون فِى أصل الطبيعة .

(اختلاف ميل الناس إلى الطعام)

وقد عافَ قومٌ الجِرِّىَّ والضِّبابَ[(١)] على مثل ذلك ، وشُغِف بهِ آخرون .

وقد كانت العربُ فى الجاهليَّة[(٢)] تأكل دمَ الفصْد[(٣)] ، وتفضِّل طَعمه ، وتُخبر عَمَّا يورثُ من القوَّة .

قال : وأىُّ شىءٍ أحسَنُ من الدّم ، وهل اللَّحمُ إلا دَمٌ استحالَ كما يستحيل اللَّحمُ شحماً ؟ ! ولكنَّ الناس إذا ذكروا معناه ، ومن أين يخرج وكيف يخرج ، كانَ ذٰلِكَ كاسِرا لهُمْ ، ومانعاً من شهوتِه .

(بعض ما يغير نظر الإنسان إلى الأشياء)

وكيف حال النَّار فى حسنها[(٤)] ، فإنّه ليس فى الأرض جسمٌ لم يصبغ أحسن منْه[(٥)] . ولَوْلَا معرفتهُمْ بقتْلها وإحْراقِها وإتلافها ، والألم والحُرْقةِ المولدين[(٦)] عنها ، لتضاعف ذلك الحُسْن[(٧)] عِنْدَهُمْ . وإنَّهم ليَرَوْنَها

---

(١) الجرى ، بالجيم المكسورة بعدها راء مشددة مكسورة : ضرب من السمك سبق الكلام عليه فى (١ : ٢٣٤) . والضباب ، بالكسر : جمع ضب .

(٢) ط : « فالجاهلية » ، صوابه فى س ، هـ .

(٣) وذلك بأن يضعوا الدم ، بعد فصده فى الأمعاء ويشوونها . انظر ص ٥٦ .

(٤) س : « جنسها » ، وأراه تحريفاً .

(٥) كذا فى ط ، س . وفى . هـ : « لم يصنع أحسن منه » .

(٦) ط : « المولودين » صوابه فى س ، هـ .

(٧) س : « الحس » ، محرف .

فى الشِّتاء بغير العُيونِ التى يرونَها بها فى الصَّيف . ليس ذلك إلَّا بقدْر ما حدَثَ من الاستغناءِ عنها .

وكذلك جِلاءُ السَّيف ؛ فإنَّ الإنسانَ يَستحسِنُ قَدَّ السَّيفِ وخَرْطَه ، وَطبْعَهُ وبريقَه . وإذا ذكر صنيعَهوالذى هُيِئَ له ، بدَا لهُ فى أكثرِ ذلك[1] ، وتبدَّل فى عينه ، وشغَلَه ذلك عن تأمُّل محاسنه .

ولولا علْم النَّاس بعداوة الحيَّاتِ[2] لهم، وأنَّها وحشيَّة لا تَـأْنَس ولاتقبل أَدَباً ، ولا تَرْعَى حقَّ تربِية ، ثمَّ رأَوا شيئاً من هذه الحيَّاتِ[2] البيض ، المنقَّشَةِ الظُّهور — لَمَا بَيَّتُوها ونوَّمُوها إلَّا فى المهد ، مع صبيانهم .

(ردٌّ على من طعن فى تحريم الخنزير)

فيقال لصاحب هذه المقالة[3] : تحريم الأغذيَةِ إنَّمَا يكونُ من طريق العبادة والمحْنة ، وليس أنَّ جوهَرَ شىء من المأكول[4] يوجِبُ ذلك . ٣٥
وإنَّمَا قلنا : إنَّا وجدْنا الله تعالى قد مسَخَ عباداً من عباده فى صُوَر الخنزير [دونَ بقِيَّة[5] الأجْناس ، فعلمنا أنَّه لم يَفْعَلْ ذلك إلَّا لِأُمُورٍ اجتمعتْ فى الخنزير[6]] . فكان المسخ على صورته أبلَغ من التَّنكيل . لم نقُلْ إلاَّ هذا

(١) بدا له : أى نشأ له رأى آخر .
(٢) ط : « الحياة » ، وإنما هو جمع حية كما فى س ، ه .
(٣) هذا البحث الآتى متعلق بما سبق فى ص ٧٤ — ٧٧ ساسى وليس له ارتباط بما مر قريباً .
(٤) إلى هذه الكلمة ينتهى المجلد الأول من النسخة الخطية المرموز إليها برمز « س » وتبتدئ المعارضة بعدها من أول المجلد الثانى منها .
(٥) ه : « جميع » .
(٦) الزيادة من س ، ه .

(طباع القرد)

والقرد يَضْحَكُ ويَطْرَب ، ويُقْعى ويَحكى ، ويتناولُ الطَّعامَ بيديه ويضعه فى فيه ، ولَهُ أصابعُ وأظفار ، ويَنْقى[١] الجوز ، ويأنس الأُنْسَ الشَّديد ، وَيَلْقَنُ بالتَّلقين الكثير ، وإذا سقَط فى الماء غرِق ولم يسبَحْ ؛ كالإنسانِ قبل أنْ يتعلَّمَ السِّباحة . فلم تجد النَّاسُ للذى اعترى القِرْدَ من ذلك — دونَ جميعِ الحيوان عِلّةً — إلّا هذه المعانى التى ذكرتها[٢] ، من مناسبَة الإنسانِ مِن قِبَلِها .

ويُحكى عنه من شدَّة الزِّواج ، والغَيرةِ على الأزواج ، ما لا يحكى مثلُه إلّا عن الإنسان ؛ لأنَّ الخنزيرَ يَغَارُ ، وكذلك الجملُ والفرَسُ ، إلاّ أنها لا تزاوج . والحِمارُ يَغارُ ويحمى عانَتَهُ الدَّهر كُلَّهُ[٣] ، ويضرِبُ فيها كضربه لو أصابَ أتَاناً من غيرها . وأجناس الحمام تزاوج ولا تَغار .

واجتمَع فى القرد الزِّواج والغَيرة ، وهما خَصلتانِ كريمتان ، واجتماعهما من مفاخرِ الإنسانِ على سائر الحيوان. ونحن لم نرَ وجْهَ شىءٍ غيرِ الإنسان أشبَهَ صورةً وشبها ، على ما فيه من الاختلاف ، ولا أشبَهَ فماً ووجْهاً بالإنسان ، من القِرْد . ورُبّما[٤] رأيْنا وجهَ بَعْضِ الحمر[٥] إذا كان ذا خطْمٍ ، فلا نَجِدُ بَيْنَهُ وبين القِرْدِ إلّا اليسيرَ .

---

(١) أصله من قولهم : نقى العظم نقيا : استخرج نقيه . والنقى بالكسر : مخ العظام وشحمها . فالمعنى يستخرج لب الجوز .

(٢) س : « ذكرتاها » .

(٣) العانة : جماعة الحمر الوحشية .

(٤) ط : « وبما » ، تصحيحه من س ، ه .

(٥) لعل المراد بالحمر هنا الروس . وجاء فى التنبيه والإشراف ١٢٢ : « والروم تسميهم روسيا . معنى ذلك : الحمر » . فى الأصل : « بعض وجه الحمر » .

(أمثال فى القرد)

وتقول[1] الناس : « أكْيسُ من قِشَّة[2] » ، و « أمْلَحُ مِنْ رُبَّاح[3] » ولم يقل أحد : أكيس من خِنزيرٍ ، وأملَحُ من خِنّوص . وهو قول العامّة : « القرد قبيحٌ ولكنّه مليح » .

(كفّ القرد وأصابعه)

وقال النّاس فى الضبِّ : إنه مِسخٌ . وقالوا : انْظُر إلى كفِّه وأصابعه . فكَفّ القرد وأصابعهُ[4] أشْبَهُ وأصنَعُ . فقدَّمَتِ القردَ على الخنزير من هذا الوجه .

(علة تحريم لحم الخنزير)

وأمّا القولُ فى لحمه ، فإنّا لم نزعمْ أنّ الخنزيرَ هو ذلك الإنسان الذى مُسخ ، ولا هو من نَسله ، ولم ندَعْ لحمهُ من جهة الاستقذارِ لشهوته فى العَذِرة ، ونحن نجد الشَّبُّوط والجرّىَّ[5] ، والدّجاج ، والجرادَ ، يشاركْنهُ فى ذلك ، ولكن للخصال التى عدّدنا من أسباب العبادات . وكيف صار أحقَّ بأنْ تمسخ الأعداء[6] على صورته فى خلقته .

(١) س : «ويقول» .
(٢) القشة ، بالكسر : القردة ، أو ولدها الأنثى .
(٣) الرباح ، كرمان : القرد الذكر .
(٤) ط : « فكيف والقرد أصابعه » ، وهو — لاجرم — تحريف .
(٥) الشبوط والجرى : ضربان من ضروب السمك . وانظر مثل هذا الكلام فى (١ : ٢٣٥) .
(٦) أى أعداء الله .

(حديث عبيد الكلابى)

قال : وقلت مَرَّةً لعبيد الكلابيِّ – وأظهرَ مِن حُبِّ الإبل والشَّغَفِ بها ما دَعانى إلى أن قلت لَهُ – : أبينها وبينكم قرابة(١) ؟ قال : نعم ، لها فينا خُؤولة . إنّى والله ما أعنى البَخاتىَّ ، ولكنى أعنى العِرَاب ، التى هى أعرب! قلت لَهُ : مَسَخَكَ الله تعالى بعيرًا ! قال : الله لا يمسخُ الإنسَانَ على صُورةِ كريمٍ ، وإنما يمسخه على صورةِ لئيم ، مثل الخنزير ثم القرد(٢) .

فهذا قولُ أعرابيٍّ جِلْفٍ (٣) تكلم على فِطرتِه .

(قول فى آية)

٣٦ وقد تكلم المخالِفُون فى قولِهِ تعالى : ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ(٤) ﴾ .

وقد طعَنَ ناسٌ فى تأويل هذه الآيَةِ ، بغيرِ علمٍ ولا بيانٍ ، فقالوا : وكيف يكون ذلك وليس بين أن تجىء(٥) فى كلِّ هلال فرقٌ ، ولا بينها إذا جاءت فى رأس الهلال فرقٌ ، ولا بينَها إذا جاءتْ فى رأس السَّنَةِ فرق .

---

(١) س : « أبينكم وبينها قرابة » .

(٢) ط ، هـ : « الخنزير والقرد » .

(٣) الجلف ، بالكسر : الرجل الجافى .

(٤) هذه القرية هى أيلة ، أو مدين ، أو طبرية : وكل منها حاضرة البحر ، أى قريبة منه . « يعدون فى السبت » : يتجاوزون حدود الله بالصوم يوم السبت . « يوم سبتهم » أى يوم تعظيمهم أمر السبت ، سبتت اليهود : عظمت سبتها . « شرعا » : ظاهرة على وجه الماء .

(٥) كذا الصواب فى س . وفى ط ، هـ : « يجىء » .

(هجرة السمك)

وهذا بحرُ البَصرةِ والأُبلَّة ، يأتيهم ثلاثةَ أشهرٍ معلومة معروفة [من السنة] السَّمكُ الأسْبور (١) ، فيعرفون وقتَ مجيئه وينتَظِرُونه ، ويَعرِفون وقتَ انقِطاعِه ومجىءَ غيره ، فلاَ يمكث بهم الحالُ إلاَّ قليلاً حتَّى يُقْبِلَ السَّمك من ذلك البحر ، فى ذلِكَ الأوان ، فلاَ يَزالونَ فى صَيْدِ ثَلاَثَةَ أشهر معلومةٍ من السَّنَةِ ، وذلِكَ فى كلِّ سنةٍ مرَّتين لـكل جنس . ومعلومٌ عندهم أنه يكون فى أحد الزمانين أسْمَنَ ، وهو الجواف(٢) ، ثمَّ يأتيهم الأسْبور(٣) ، على حساب مجىء الأسبور(٤) والجُوَافِ . فأمّا الأسْبور فهو يقطع إليهم من بلادِ الزِّنج . وذلِكَ مَعْرُوفٌ عند البحْريِّينَ . وأنّ الأسْبور فى الوقت الذى يقطع إلى دِجلةِ البصرة لا يوجَد فى الزِّنج ، وفى الوقت الذى يُوجَدُ فى الزنج لا يوجد فى دِجلة (٥) . وربَّما اصطادوا منها شيئا فى الطريق فى وقت قطعِهَا المَعْروفِ(٦) ، وفى وقت رجوعها . ومَع ذلكَ أصنافٌ من

---

(١) سبق الـكلام عليه فى (٣ : ٢٥٩) . وفى الأصل : « الأشبور » محرف .

(٢) فى الأصل : « الجراف » . وانظر ما أسلفت من التحقيق فى (٣ : ٢٥٩) .

(٣) فى الأصل : « الأشبول » . وهو تحريف . انظر له (٣ : ٢٥٩) .

(٤) ط ، هـ : « الأشبول » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) س : « الدجلة » ، وإدخال « أل » على « دجلة » خطأ ، فإن المعرفة لا تعرف . وانظر لأشباه هذا الوهم درة الغواص ٢٥ .

(٦) يقال قطع الطائر والسمك : إذا انتقل من بلد إلى بلد .

السمك كالإرْبِيان(١) ، والرَّقّ(٢) ، والكَوْسَج(٣) ، والبرد(٤) ، والبَرَستُوج(٥) . وكلٌّ ذلك معْروفُ الزَّمانِ ، متوقعُ المخرَج .

وفى السَّمكِ أوابدُ وقواطعُ ، وفيها سيَّارةٌ لا تقيم . وذلك الشبَهُ يُصابُ . ولذلك صارُوا يتكلمونَ بخَمْسةِ السنة(٦) ، يهذُونها(٧) ، سوى ما تَعَلَّقُوا به من غيرها .

ثمَّ القواطع من الطير قد تأتينا إلى العِراقِ منهم(٨) فى ذلك الإبَّان جماعاتٌ كثيرةٌ ، تَقْطعُ إلينا ثمَّ تَعُودُ فى وقتها .

---

(١) الأوبيان ، بالكسر : ضرب من السمك ، يعرف فى مصر باسم ، « الجنبرى » ، كما فى معجم المعلوف . وقد سبق للجاحظ كلام فيه ، انظر (١ : ٢٩٧ س ٦) وفى الأصل : « الأرسان » ، محرف عما أثبت .

(٢) الرق : السلحفاة المائية .

(٣) الكوسج : سمك بحرى كبير عظيم الضرر تخافه دواب البحر ، ويعرف باسم « القرش » أيضا فى سواحل البحر الأحمر .

(٤) كذا . ولعله : « البز » أو «البزون» ، وهو نوع من السمك معروف بالعراق .

(٥) البرستوج : سمك قدمت تحقيقا فيه بالجزء الثالث ص ٢٥٩ — ٢٦٠ ، وهو من السمك الذى يقطع إلى البصرة كما فى (٣ : ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٣) . وهذه الكلمة مضطربة فى الأصل : فهى فى ط : « الكرنوح » و س : « الكونوح » و هـ : « الكرموح » وهى تحريفات عجيبة لما أثبت .

(٦) لعله إشارة إلى الأصناف الخمسة المتقدمة .

(٧) هذ الحديث يهذه : سرده . وفى الأصل : « يهدونها » بالدال المهملة ، ولا وجه له .

(٨) جعل لغير العاقل ضمير العاقل ، وهو جائز . فى القرآن : « يأيها النمل ادخلوا مساكنكم » ، « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه » ، « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون » ، « إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » .

(رد على المعترض)

قُلْنا لهؤلاء القوْم : لَقَدْ أَصبتم فى بَعض ماوصفتم ، وأخطأْتم فى بَعض . قال الله تعالى : ﴿ إِذْ تَـأْتِيهِـمْ حِيتَانُهُـمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَـأْتِيهِمْ ﴾ ،ويومُ السبتِ يدورُ مَعَ الأَسابيعِ ، والأَسابيعُ تدور مع شهورِ الْقَمَرِ[1] . وهذا لا يكونُ مَعَ استواءٍ من الزمان . وقد يكون السبتَ فى الشتاء والصَّيف والخريف ، وفيما بين ذلك . ولَيسَ هذا من باب أزمان قواطع السَّمكِ[2] وهَيْجِ الحَيَوان وطلب السِّفاد ، وأزمان الفلاحَةِ ، وأوقاتِ الجزْر والَمدِّ ؛ وفى سبيل الأَنواء ، والشجر كيْفَ يَنْفَضُ[3] الوَرَق والثمار ؛ والحيّاتِ كَيف تَسلُخُ[4] ، والأيائِلِ كَيف تلقى قرونَها[5] والطيرِ كيف تَنطق ومتى تسكت .

ولو قال لَنَا قائل : إنى نَـبِىٌّ [و[6]] قُلْنَا لَهُ : وما آيتك ؟ وماعلامتك ؟ ٣٧
فقال : إذا كان فى آخر تَشرينَ الآخِرِ أقبل إليكم الأسْبُور[7] ، من جهة البحر — ضحكوا منـه وسخِروا بهِ . ولو قال : إذا كانَ يَوْمُ الجمعَة أو يومُ الأحَد أقبل إليكم الأسْبُور[7] ، حَتّى لا يزالُ يصنع ذلك فى كلِّ

---

(١) ط : « القمرية » ، صوابه فى س ، ه .
(٢) س : « وليس هذا مرتين كأزمان قواطع السمك » .
(٤) ينفض ، بالفاء : يسقط الورق أو الثمر . ط ، ه : « ينقض » ، صوابه فى س . وقد سبق مثله فى (٣ : ٢٣٢ س ١٤) .
(٤) يقال سلخت الحية تسلخ من بابى نصر ومنع ، وانسلخت تنسلخ : إذا انسرت من جلدتها . جاء فى س : « تنسلخ » وكلمة « الحيات » سـاقطة من س وموضعها فى ط ، ه بعد كلمة « تسلخ » ، وقد رددتها إلى موضعها الطبيعى الملائم .
(٥) الأيل ينصل قرنه فى كل سنة كما سبق فى (٣ : ٢٣٢ س ١٣ ، ١٤) .
(٦) ليست بالأصل ، والكلام فى حاجة إليها .
(٧) فى الأصل : « الأشبور » . وانظر التنبيه الأول من الصفحة ١٠١ .

جمعة — علِمْنا اضطراراً إذَا عايَنَّا الذى ذَكَرَ على نَسَقه أنّه صادق ، وأنّه لم يعلمْ ذلك إلاّ من قِبَلِ خالِق ذلك(١) . تعالى الله عن ذلك .

وقد أقرَرْنا بعجيب ما نرى من مطالع النُّجوم ، ومن تناهى المدِّ والجزْر على قدر امتلاءِ القمر ونُقصانه ، وزيادته ومحاقه(٢) ، واستسراره(٣) . وكلُّ شىءٍ يأتى على هـــذا النَّسقِ من المجارِى ، فإنَّمَا الآيةَ فيه لِلّهِ وحدَه على وحدانيَّته .

فإذا قال قائلٌ لأهل شريعةٍ(٤) ولأهل مُرسًى ، من أصحابِ بحرٍ أو نهر أو وادٍ ، أو عينٍ ، أو جدول : تأتيكم الحِيتانَ فى كلِّ سبت . أو قال : فى كلِّ رمضان . ورمضانُ متحوِّلُ الأزمانِ فى الشِّتاءِ والصيف ، والرَّبيعِ والخريفِ . والسَّبت يتحوّل فى جميع الأزمان . فإذا كان ذلك كانتْ تلك الأعجوبةُ(٥) فيــه دالةً على توحيد الله تعالى ، وعلى صِدقِ صاحب الخبَر ، وأنّه رسولُ ذلك المسخِّر لذلك الصِّنف . وكان(٦) ذلك المجىءُ خارجاً من النَّسق القائم ، والعادةِ المعروفة . وهذا الفرقُ بذلك بَيِّنٌ . والحمدُ لله .

---

(١) بدله فى ط ، هـ : « السمك » .

(٢) المحاق ، مثلثة : آخر الشهر ، أو ثلاث ليال من آخره ، أو أن يستسر القمر فلا يرى غدوة ولا عشية .

(٣) استسرار القمر : أن يختفى ، وذلك ليلة ثمان وعشرين ، وإذا كان الشهر ثلاثين فسراره ليلة تسع وعشرين . فى ط ، هـ : « إسراره » س : « استراره » ، والوجه ماأثبت . انظر اللسان (سرر ٢١) . وبعد هذه الكلمة فى ط : « واستدارته » .

(٤) الشريعة ، هنا مورد الماء .

(٥) س : « فإن كان ذلك كانت أعجوبة » .

(٦) ط ، هـ : « فكان » .

(شنعة الخنزير والقرد)

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ . وفى الموضعِ الذى ذَكَرَ أنه مسَخَ ناساً خنـازير قد ذكر القُرُود[١] . ولم يذكُرْ أنَّهُ مَسَخَ قوماً خنازير ، ولم يمسَخْ منهم قروداً[٢] . وإذا كان الأمر كذلك فالمسخ على صـورة القِرَدة[٣] أشنَع ؛ إذْ كان المسخ على صورتها[٤] أعظمَ[٥] ، وكان العقابُ به أكبر . وإنَّ الوقت الذى قد ذكر أنَّه قد مسخ ناساً قروداً فقد كان مسخَ ناساً خنازير . فلم يدَعْ ذِكْرَ الخنازير وذكَرَ القرودَ[٦] إلاَّ والقرودُ فى هذا الباب أوجَعُ وأشنَع وأعظمُ فى العُقوبة ، وأدلُّ على شدَّة السَّخْطة[٧] . هذا قول بعضهم .

---

(١) س : « قرودا » ، وفى ط ، ه زيادة واو قبل « قد » ، وهو تحريف .

(٢) أى أنه عند ذكره مسخ قوم خنازير قرنه أيضاً بالمسخ بالقرود ، وذلك قوله تعالى فى الآية الستين من سورة المائدة : « قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير » . وفى الأصل : « ولم يذكر أنه مسخ قوما قرودا ولم يمسخ منهم خنازير » . وأصلحته بما ترى .

(٣) فى الأصل : « القرد » بالإفراد . ووجهه الجمع كما سترى .

(٤) فى الأصل : « على صورتهما » ، وإنما الضمير عائد إلى جماعة القردة .

(٥) فى الأصل : « أعم » ، ولا وجه له . وانظر ما سيأتى .

(٦) أى وحدها ؛ إذا قال فى سورة البقرة ، الآية الخامسة والستين : « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ، ولم يذكر الخنزير . وقال فى سورة الأعراف ١١٦ : « فلما عتوا عن مانهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ولم يذكر الخنزير .

(٧) السخطة ، بالفتح : الكراهة ، يقال سخطه سخطا ، بالضم ، والتحريك ، وبضمتين ، وسخطة . وفى حديث هرقل : « فهل يرجع أحد منهم سخطة لدينه »

(استطراد لغوى)

قال : ويقال لموضع الأنف من السِّباع الخَطم ، والخرطوم — وقد يقال ذلك للخنزير — والفِنْطِيسة[١] ، والجمع الفناطيس . وقال الأعرابىّ : «كأنّ فناطيسها كراكِرُ الإبل[٢] » .

(خصائص بعض البلدان)

وقال صاحب المنطق : لا يكونُ خِنزيرٌ ولا أيِّلٌ بحريًّا . وذكر أنَّ خَنازِيرَ بعض البُلدانِ يكون لها ظلفٌ واحد ، ولا يكون بأرضِ نهاوَنْدَ حِمارٌ ؛ لشدَّة بردِ الموضع ، ولأنَّ الحِمار صَرِدٌ .

وقال : فى أرضٍ كذا وكذا لا يكون بها شىءٌ من الخُلْدِ[٣] ، وإن نقله إنسانٌ إليها لم يحفر ، ولم يتَّخذ بها بيتا . وفى الجزيرة التى تسمَّى صِقِلِّية[٤]
٣٨ لا يكُونُ بها صنفٌ من النمل ، الذى يسمَّى أفرشان[٥] .

---

(١) الفنطيسة ، بالكسر : خطم الخنزير . وفى اللسان : « وروى عن الأصمعى : إنه لمنيع الفنطيسة والفرطيسة والأرنبة ، أى هو منيع الحوزة حمى الأنف . أبو سعيد : فنطيسته وفرطيسته : أنفه » ، فهى قد تستعمل لغير الخنزير .

(٢) كذا على الصواب فى ط . وفى ه : « فناطيسها » ، وفى س : « فناطيسه » . والكراكر : جمع كركرة ، بالكسر ، وهى صدر كل ذى خف .

(٣) الخلد ، بالضم : ضرب من الفأر .

(٤) صقلية ، بكسرات ولام مشددة : تلك الجزيرة الأوربية الإيطالية . س ، ه : « أصقلية » ولعلها لغة فى تعريبها .

(٥) س : « أفرشان » بالفاء .

(قول أهل الكتابين فى المسخ)

وأهل الكتابَين[١] يُنكرون أنْ يكونَ الله تعالى مسخَ النَّاس قروداً وخنازير ، وإنّما مسخ امرأة لوط حَجَراً[٢] . كذلك يقولون .

القول فى الحيات

اللهمَّ جنِّبنا التكلفَ ، وأَعِذْنَا من الخطَل ، واحمِنا من العُجْبِ بمَا يكونُ منَّا ، والثِّقةِ بمَا عندنا ، واجعلْنا من المحسنين .

(احتيال الحيات للصيد)

حدثنا أبو جعفرٍ المكفوفُ النحويُّ العنبريُّ ، وأخوه روحٌ الكاتب ورجالٌ من بنى العنبر ، أن عندهم فى رمال بلْعنبرِ حيَّةً تصيد العصَافير وصِغَارَ الطيرِ بأعجبِ صيدٍ . زعموا أنها إذا انتصَفَ النهارُ واشتدَّ الحرُّ فى رمالِ بلعنبر ، وامتنَعت الأرض على الحافى والمنتعل ، ورَمِضَ الجندب[٣] ،

(١) التوراة والإنجيل .

(٢) التى فى سفر التكوين من التوراة ، الأصحاح ١٩ : ٢٤ — ٢٦ : « فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا ونارا من عند الرب من السماء ، وقلب تلك المدن ، وكل الدائرة ، وجميع سكان المدن ونبات الأرض ، ونظرت امرأته من ورائه فصارت عمود ملح » .

(٣) الجندب ، وزان برقع ودرهم ، وبضم الجيم وبفتح الدال : ضرب من الجراد صغير : Grasshopper . ورمض : آلمه الرمض وأحرقه ، وهو بالتحريك شدة وقع الشمس على الرمل ونحوه .

غمست هذه الحيَّةُ ذنبَها في الرّمل ، ثم انتصبَتْ كأنها رمحٌ مركوزٌ ، أو عودٌ ثابت(١) ، فيجيء الطائرُ الصغيرُ أو الجرادَةُ ، فإذا رأى عوداً قائماً وكرِه الوُقُوعَ على الرَّمل لشدَّة حرِّه ، وقَعَ على رأس الحيَّة ، على أنَّها عُود . فإذا وقَعَ على رأسها قبضَتْ عليه . فإن كان جرادةً أو جُعَلاً أو بَعْضَ مالا يُشْبعها مثلُه ، ابتلعته(٢) وبقيت على انتصابها . وإن كان الواقعُ على رأسها طائراً يُشبِعها مثلُه أكلتْهُ وانصرفت . وأنَّ ذلك دأبُها ما مَنَعَ الرَّملُ جانبَه(٣) في الصَّيفِ والقَيْظ ، في انتصاب النهار والهاجرة . وذلك أنَّ الطائرَ لا يشكُّ أنَّ الحيَّةَ عودٌ ، وأنهُ سيقُوم له مقام الجِذْل للحِرْباء(٤) ، إلى أنْ يسكن الحرُّ ووَهَجُ الرَّمْلِ .

وفي هذا الحديثِ من العَجَبِ أنْ تكون هذه الحيَّةُ تهتَدِي لمثل هذه الحيلة . وفيه جَهلَ الطائرِ بفرقِ ما بين الحيوانِ والعُود . وفيه قلةُ اكتراثِ الحيَّة بالرَّمْل الذي عادَ كالجمر(٥) ، وصلحَ أن يكون مَلةً وموضِعا للخبزة(٦) ، ثمَّ [أن (٧)] يشتمل ذلك الرَّمل على ثلث الحيَّة ساعاتٍ من النَّهار ، والرملُ على هذه الصفة . فهذه أعجوبةٌ من أعاجيب مافي الحيّات .

---

(١) في نهاية الأرب (١٠ : ١٣٩) : « نابت » بالنون .
(٢) س : « أكلته » .
(٣) س : « جانبها »، محرف .
(٤) الجذل ، بالكسر ويفتح : ما عظم من أصول الشجر ، وما على مثال شماريخ النخل من العيدان . والحرباء : بالكسر : دويبة من العظاء بطيئة الحركة تتلون ألوانا : Chameleon . وهي إذا احتمت بجذل شجرة لم يميزها الرائي ؛ لأنها تتلون سريعاً بلون الجذل ، فيحسبها نتوءا فيه لا أنها شيء غريب عنه ، فتحفظ نفسها بذلك .
(٥) عاد هنا ، بمعنى صار .
(٦) الملة ، بالفتح : الرماد الحار . والخبزة ، بالضم : عجين يوضع في الملة حتى ينضج .
(٧) ليست بالأصل .

(رضاع الحية وإعجابها باللبن)

وزعم لى رِجَالٌ من الصَّقالبةِ ، خصيانٌ وفحول ، أنَّ الحيَّة فى بلادهم تأتى البقرةَ(١) [المحفَّلةَ(٢)] فتنطوى على فخِذيْها(٣) ورُكبتيها إلى عراقيبها ، ثمّ تُشْخص صدرها نحو أخلافِ ضَرْعِها ، حتى تلْتقم الخِلف ؛ فلا تستطيع البقَرَةُ [مع قوّتها(٤)] أن تَتَرَمْرَمَ(٥) . فلا تزالُ تمصُّ اللبن ، وكلما مصَّت استرخت . فإذا كادت تتلفُ أرسلتها .

وزعموا أن تلك البقَرةَ إمّا أن تموتَ(٦) ، وإمّا أنْ يصيبَها فى ضرعها فسادٌ شديدٌ تَعْسُرُ مداواته(٧) .

والحيَّةُ تُعْجَبُ باللبن . وإذا وجدت الأفاعى(٨) الإناء غير مخَمَّر(٩)

---

(١) ط : « البقر » ، وأثبت ما فى س ، ه ونهاية الأرب (٩ : ١٣٩) .

(٢) الزيادة من نهاية الأرب . والمحفلة ، بفتح الفاء المشددة : الناقة أو البقرة أو الشاة لا يحلبها صاحبها أياما حتى يجتمع لبنها فى ضرعها ، فإذا احتلبها المشترى وجدها غزيرة اللبن فزاد فى ثمنها . وفى الحديث : « من اشترى شاة محفلة فلم يرضها ردها ورد معها صاعا من تمر » . وبدلها فى س ، ه : « المحتفلة » تحريف ما أسلفت .

(٣) ط : « فخلى البقرة » .

(٤) الزيادة من نهاية الأرب .

(٥) تترمرم : تتحرك .

(٦) بدلها فى نهاية الأرب : « تتلف » .

(٧) س ونهاية الأرب : « يعسر دواؤه » .

(٨) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٩) خمر الإناء : غطاه .

٣٩ كرعت فيه(١) ، ورُبَّمَا مجَّت فيه ما صار فى جوفها ، فيصيبُ شاربَ ذلك اللَّبَنِ أذًى ومكروهٌ كثير .

ويقال إنَّ اللبن محتَضَر(٢) . وقد ذهب ناسٌ إلى العمَّار ، على قولهم إنَّ الثوبَ المعصْفَر محْتَضَر(٣) . فظنَّ كثيرٌ من العلماء أنَّ المعنى فى اللبن إنمَا رَجَعَ إلى الحيَّات .

(ما تعجب به الحيات)

والحيَّةُ تَعْجَبُ باللُّفَّاح(٤) والبِطِّيخ(٥) ، وبالحُرْف(٦) ، والخردل المرْخُوف(٧) ؛ وتكره ريحَ السَّذاب(٨) والشِّيح ، كما تكره الوَزَغُ ريحَ الزَّعفران .

---

(١) كرع فى الماء أو فى الإناء ، كنع وسمع ، كرعا وكروعا : تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بإناء .

(٢) محتضر ، بالضاد المعجمة المفتوحة : تحضره الجن فيما يزعمون ؛ قالوا : ولذلك يسرع إليه الفساد . وفى الأصل : « محتصر » بالمهملة . وليس صوابا .

(٣) ط : « مختصر » س : « محتصر » . وصوابه ما أثبت من هـ . وانظر التنبيه السابق .

(٤) اللفاح بالضم وتشديد الفاء : نبت عريض الورق ؛ وله ثمر فى حجم التفاح إلا أنه أصفر شديد العفوصة والقبض ، فإذا نضج مال إلى حلاوة ما . ويسمى بالشام تفاح الجن . وأصله يتكون كصورة الإنسان بيديه ورجليه ، ولذلك يسمى بالسريانية : « يبروحا » أى ينقصه الروح : ويسمى بالفارسية : « هزار كشاى » أى يحل ألف عقدة .

(٥) لا يزال هذا الزعم باقيا فى مصر ، والعامة عندنا إذا أرادوا أن يحفظوا البطيخ المشقوق من أذى الحيات والهوام ، غيبوا نصل السكين فى جوفه ، فيعصمه ذلك من شر الهوام فيما يرون .

(٦) الحرف ، بالضم : هو المعروف بحب الرشاد .

(٧) المرخوف ، بالخاء المعجمة : الذى وضع عليه الماء فاسترخى . وهذه الكلمة محرفة فى أصلها ، فهى فى ط ، هـ : « المزخرف » وفى س : « المرحوف » بالحاء المهملة .

(٨) هـ : « السداب » بالمهملة ، تصحيف . وانظر العقد (٦ : ٢٤٣) .

(قوة بدن الحية)

وليس فى الأرض شىءٌ جسمه مثلُ جسم الحيَّةِ ، إلا والحيّةُ أقوى بدناً مِنه أضعافا . ومن قوَّتها أنها إذا أدخلَتْ رأسها فى جُحْرِها ، أو فى صَدْعٍ إلى صدرها ، لم يستطعْ أقوى النّاس وهو قابضٌ على ذنبها بكلتَا[1] يديه أنْ يخرجها ؛ لشدَّةِ اعتمادها ، وتَعاونِ أجزائها . وليست بذاتِ[2] قوائم لَهَا أظفارٌ أو مخالبُ أو أظلاف[3] ، تُنْشِبُهَا فى الأرض ، [و[4]] تتشبث بها[5] ، وتعتمد عليها . وربما انقطَعَتْ فى يدى[6] الجاذِب لها ، مَعَ أنها للدّنَةٌ ملساءُ عَلِكَة[7] فيحتاج الرفيق[8] فى أمرها عند ذلك ، أنْ يُرسلها من يديهِ بعضَ الإرسال ، ثم ينشطُها[9] كالمختطف والمختلس ، وربما انقطع ذنبها فى يد الجاذب لها . فأمَّا أذنابُ الأفاعى فإنها تنبُت .

---

(١) كذا على الصواب فى س ؛ إذ أن كلا وكلتا إذ أضيفتا إلى اسم ظاهر ألزمتا الألف . وفى ط ، هـ : « بكلتى » ، وهو خطأ .

(٢) فى الأصل : « بذى » ، ووجهه ما أثبت .

(٣) ط ، هـ : « لها أظلاف » ، صوابه فى س .

(٤) الزيادة من س ، هـ .

(٥) س : « تثبت فيها » .

(٦) ط : « يد » . وانظر السطر الرابع من هذه الصفحة .

(٧) علكة ، كفرحة : من قولهم طعام عالك وعلك ، ككتف : متين الممضغة . ط ، هـ : « من أنها » ، وذا عكس المراد ، إذ المعنى أن ملاستها تقتضى انزلاقها من يد الجاذب ، وكونها علكة يستلزم أن تكون متينة تعز على القطع .

(٨) س : « فتحتاج إلى الرفق » ، وهى عبارة لاتساير باقى الكلام .

(٩) نشط الشىء ، من باب نصر : اختلسه .

ومن عجيب [١] ما فيها من هذا الباب ، أنَّ نابَها يُقطَع بالكاز [٢] ، فينبت حتى يتمَّ نباته فى أقلَّ من ثلاث ليال .

(نزع عين الخطاف)

والخُطَّاف فى هذا الباب خلافُ الخنزير ، لأنَّ الخطاف [٣] إذا قُلعتْ إحدى عينيه رجَعت . وعينُ البِرْذَوْنِ يركبها البَياضُ ، فيذهب فى أيَّامٍ يسيرة .

(الاحتيال لناب الأفعى)

وناب الأفعى يحتالُ له بأن يُدخلَ فى فيها حُمَّاض أترُجّ [٤] ، ويطبق لحيُها [٥] الأعلى عَلَى الأسفل ، فلا تقتل بِعَضّها أياماً صالحة .

والمِغْناطيس الجَاذب [٦] للحديد ، إذا حُكَّ عليه الثُّوم [٧] ، لم يجذب الحديد .

---

(١) س : « أعاجيب » .

(٢) الكاز ، بالزاى : هو المقص بالفارسية . ط : « بالكار » صوابه فى س ، هـ ومعاجم بالمر ، واستينجاس ، وريتشاردسن .

(٣) س : « الخنزير » صوابه فى ط ، هـ . وسيأتى فى ص ١٤٣ : « فإن نازعا لو نزع عيون فراخ الخطاطيف وفراخ الحيات لعادت بصيرة » .

(٤) الأترج ، سبق الحديث عنه فى (٣ : ٥٨١) . وحماضه : شحمه .

(٥) اللحى ، بالفتح : العظم الذى فيه الأسنان من داخل الفم . ط ، هـ : « لحييها » بالتثنية ، صوابه الإفراد كما فى س .

(٦) المغنطيس والمغناطيس ، بكسر الميم من كل منهما ، وكذا المغنيطس بفتح الميم وكسر النون وفتح الطاء : حجر يجذب الحديد ، معرب . وفى الأصل أيضا : « الجاذبة » صوابه ما أثبت .

(٧) الثوم ، بالضم ، ذاك النبت المعروف . س : « عليها » وهى على الصواب فى ط ، هـ . وجه مناسبة هذه الفقرة لما قبلها ، هو أن بعض المواد إذا اقترنت بمادة أخرى فقدت بعض خواصها .

(خصائص الأفعى)

والأفعى لا تدورُ عينها في رأسها ، وهي تلد وتبيض ، وذلك أنها إذا طرّقت ببيضها[١] تحطّمَ في جوفها ، فترمى بفراخِها أولادًا ، حتى كأنها من الحيوان الذى يلد حيواناً مثلَه .

وفى الأفاعى من العجَب أنَّها تُذبح حتى يُفرَى منها كلُّ ودَج ، فتبقى كذلك أيّاماً لا تموت . وأمرتُ[٢] الحاوىَ فقبض على خرَزَة[٣] عنقها ، فقلت له : اقبضها من الخرَزَة التى تليها قبضاً رفيقا[٤] . فما فتَحَ بينها بقدر سَمِّ الإبرة حتَّى بَرَدَتْ ميّتة[٥] . وزعم أنّه[٦] قد ذبحَ غيرَها من الحيَّات فعاشَتْ على شبيهٍ بذلك ، ثمَّ إنّه فَصَلَ تلك الخرَزة عَلَى مثالِ ما صنع بالأفعى ، فماتت بأسرعَ من الطَّرْف .

---

(١) طرقت ببيضها ، بتشديد الراء : حان لها أن يخرج بيضها . ط : « طرقت بيضها » صوابه فى س ، هـ .

(٢) ط ، هـ : « فأمرت » بالفاء .

(٣) الخرزة ، بالتحريك : الفقرة من فقرات الظهر أو العنق .

(٤) س : « من الفقرة » والفقرة والخرزة سيان . هـ : « فصلا رقيقا » محرف .

(٥) سم الإبرة : ثقبها . بردت : ماتت .

(٦) الضمير المستكن ، للحاوى الذى سبق ذكره .

(قوة بدن الممسوح)

وكلُّ شيءٍ ممسوحِ البَدن(١) ، ليس بِذِى أيدٍ ولا أرْجُل(٢) ، فإنَّه يكون شديدَ البدن ، كالسَّمكة(٣) والحيَّة .

(حديث فى سم الأفعى)

وزعم أحمد بن غالب(٤) قال : باعنى حَوّاءٌ ثلاثين أفعى بدينارين ،
٤٠ وأهدى إلىَّ خمساً اصطادها من قُبالة القلب(٥) ، فى تلك الصحارى على شاطئ دجلة . قال : وأرَدْتها للتِّرياق . [قال] : فقال لى حين جاءنى بها : قل لى : مَن يعالجها ؟ [قال] : فقلت له : فلان الصيدلانىّ . فقال : ليس عن هذا سألتك ، قل لى : من يذبحها ويسلُخها ؟ قال : قلت : هذا الصيدلانىُّ بعينه . قال : أخاف أن يكون مغرورًا من نفسه ؛ إنّه والله إن أخطأ موضع المفصِل من قفاهُ(٦) ، وحركته أسرعُ من البرق ، فإن كان لا يحسن(٧)

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من ﻫ . و « ممسوح » بالحاء المهملة ، وقد فسره بما سيأتى . وفى الأصل : « ممسوخ » بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف .

(٢) ط : « رجل » والوجه الجمع كما فى س ، ﻫ .

(٣) ط ، ﻫ : « كالسمك » .

(٤) س : « أحمد بنى غالب » . والصواب ماأثبت من ط ، ﻫ . ويؤيده اتفاق النسخ على إثبات « ابن غالب » فى الصفحة ١١٦ .

(٥) موضع أو ماء ، لم أهتد بعد إلى ضبطه أو تعيينه .

(٦) ط : « قفاها » صوابه فى س ، ﻫ .

(٧) س : « يحس » .

ولايدرى كيف يتغفله ، فينقُرُه نَقْرَةً(١) لَمْ يُفْلِحْ بَعْدَهَا أَبَدًا . ولكنى سَأَتَطَوَّعُ لك بِأَنْ أعمل ذلك بين يديه . قال : فبعث إليه . وكان رأسه [إلى(٢)] الجُونة(٣) ، فَيُغْفِلُ(٤) الواحدةَ فيقبض على قفاها بأسرع من الطَّرْفِ(٥) ، ثمَّ يذبحها . فإذا ذبحها سال من أفواهها لُعابٌ أبيض ، فيقول : هذا هو السم الذى يقتُل ! قال : فجالت يدُه جَوْلةً . وقطرت من ذلك اللُّعاب قطرةٌ عَلَى طرَف قيصِ الصيدلانىِّ . قال : فَتَفَشَّى(٦) ذلك القاطرُ حتَّى صار فى قدر الدِّرهم العظيم . ثم إنَّ الحوّاء امتَحَن ذلك الموضعَ فتهافت

---

(١) النقر ، بالقاف : أصله للطير ، واستعماله فى الحيات غريب ، لم أر مثله إلا فيما ورد فى ص ١٠٩ ، وكذا فى أثناء قصة رواها الجهشيارى (فى كتاب الوزراء والكتاب) بشأن حية مر بها رجل فقالت له : أدخلنى فى كمك حتى أدفأ ثم أخرج . فأدخلها فلما دفئت قال لها : اخرجى ! فقالت : إنى ما دخلت فى هذا المدخل قط فخرجت حتى أنقر نقرة . وبعدها : « ووالله لئن دخل أسامة لينقرنك نقرة » . كل أولئك بالقاف . انظر الجهشيارى ٥٦ س ١٤ ، ١٥ . والمعروف فى الأفاعى : نكز ينكز ، بالنون ثم الكاف بعدها زاى معجمة ، كما سيأتى فى ص ٢٥٣ .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) الجونة ، بضم الجيم : سليلة (تصغير سلة) مغشاة أدما (أى جلدا مدبوغا) تكون مع العطارين . ذاك أصلها . ط ، هـ : « الحونة » بالحاء ، صوابه فى س .

(٤) يقال أغفلت الرجل : أصبته ووجدته غافلا ، وعلى ذلك فسر بعضهم قوله عز وجل « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا » : اللسان . س ، هـ : « فيتغفل » . يقال تغفلته واستغفلته : تحينت غفلته . والرواية المثبتة من ط .

(٥) الطرف : مصدر طرف بصره : أطبق أحد جفنيه على الآخر . والطرف أيضاً : العين . س : « فى أسرع من الطرف » .

(٦) تفشى بالفاء : انتشر واتسع . وفى اللسان : « تفشى الحبر : إذا كتب على كاغد رقيق فتمشى فيه » . ط ، س : « فتغشى » بالغين بدل الفاء ، ووجهه ما أثبت من هـ .

فى يده ، وبقيت الأَفاعى مُذَبَّحة(١) [تجول] فى الطست ويكدم(٢) بعضها بعضاً ، حتى أمسينا .

قال : وبكرت على أبى رجاء إلى باب الجسر ، أحَدِّثه بالحديث ، فقال لى : ودِدْت أنِّى رأيت موضع القطْرة من(٣) قميص الصَّيدلانى ! قال : فو الله ما رِمْتُ(٤) حتّى مرَّ مَعى إلى الصَّيدَلانىّ ، فأَرَيْتُه موضعَه .

وأصحابُنا يزعمون أنّ لعابَ الأفاعى لا يَعمَلُ فى الدَّم . إلَّا أنّ أَحْمَدَ ابنَ المثنَّى زعم أنّ من الأفاعى جنساً لا يضُرُّ الفراريج من بين الأشياء ، ولا أدرى أَىُّ الخبرين أبعد : أخبَرُ ابن غالب فى تفسيخ الثَّوب ، أو خبر ابن المثنى فى سلامة الفَرُّوجِ علَى الأَفعى ؟

(ما تضىء عينه من الحيوان)

وزعم محمد بن الجهم أنّ العيون التى تضىء بالليل كأنها مَصابيحُ ، عُيونُ الأُسْد والنمور ، والسَّنانيرِ والأفاعى ، فبينا نحنُ عنده إذْ دخل عليه بعضٌ من يجلب الأفاعىَ من سِجِسْتان ، ويَعْمَلُ التِّرياقات ، ويبيعها أحياءً ومَقْتُولة(٥) ، فقال له : حَدِّثهم بالذى حَدَّثتنى به من عين الأفعَى . قال : نَعَم ، كنتُ فى مَنْزِلى نائماً فى ظلمة . وقد كنتُ جمعتُ رءوس أفَاعٍ(٦)

(١) ط : « مذبوحة » وأثبت ما فى س ، هـ .
(٢) يكدم : يعض . ط : « يكدم » بدون واو قبلهما .
(٣) س ، هـ : « فى » .
(٤) مارمت ، بكسر الراء من « رمت » : أى مابرحت .
(٥) فى الأصل : « معمولة » .
(٦) فى الأصل : « أفاعى » بإثبات الياء . والوجه حذفها .

كنَّ عندى ، لأرمىَ بها ، وأغفلتُ تحت السَّرير رأساً واحداً ، ففتحتُ عينى تجاهَ السَّريرِ فى الظلمةِ فرأيت ضياءً إلاَّ أنَّه ضئيلٌ ضعيفٌ رقيق ، فقلت : عينُ غولٍ أو بعضِ أولادِ السَّعالى ، وذهبتْ نفسى فى ألوانٍ من المعانى ، فقمت فقدَحْت ناراً ، وأخذتُ المصباح معى ، ومضيت نحوَ السرير فلم أجدْ تحتَهُ إلاَّ رأسَ أفعى[1] ، فأطفأتُ السِّراج ونمتُ[2] وفتحتُ عينى ، فإذا ذلك الضوء على حاله ، فنهضْتُ فصنعتُ كصنيعى الأوَّل ، حتى فعلتُ ذلك
٤١ مِرارا . قال : فقلت آخر مرَّة : ما أرى[3] شيئاً إلّا رأسَ أفعى ، فلو نحَّيتُه ! فنحَّيتُه وأطفأتُ السِّراج ، ثمَّ رجعْتُ إلى منامى ، ففتحتُ عينى فلم أرَ الضَّوء ، فعلمت أنَّه من عين الأفعى ، ثمَّ سألتُ عن ذلك ، فإذا الأمرُ حَقٌّ ، وإذا هو مشهورٌ فى أهل هذه الصِّناعة .

(قوة بدن الحية وعلة ذلك)

قال : وربَّما قبضَ الرَّجلُ الشديدُ الأسْرِ والقُوَّةِ القبضةَ على قفا الحيَّة فتلتفُّ عليه فتصرعُهُ . وفى صُعودِها وفى سعيها خلفَ الرَّجلِ الشديدِ الحُضْر ، أو عند هربها حتَّى تفوتَ وتسبق ، وليستْ بذاتِ قوائم ، وإنما

---

(١) الأفعى مؤنثة ، وقد استعملت اسما ووصفا . فن جعلها وصفا لم يصرف كما لا يصرف أحمر ، ومن جعلها اسما صرف ، كما صرف أرنبا وأفكلا . المخصص (١٦ : ١٠٦) . هذا قول الفارسى . وقال غيره : « الأفعى تقع على المذكر والمؤنث » . المخصص (١٦ : ١٠٥) .

(٢) س : « ونمنا » ، ونام هنا بمعنى رقد .

(٣) ط ، ھ : « لا أرى » .

تنسابُ عَلى بطنها . وفى تدافُعِ أجزائها وتَعاونها ، وفى حَرَكَةِ الكلِّ[1] من ذاتِ نفسها ، دليلٌ على إفراطِ قُوَّةِ بدنها .

ومن ذلك أنها لا تمضغ ، وإنما تبتلع ، فربّما كان فى البَضْعة أو فى الشىء الذى ابتلعَتْه عَظْمٌ ، فتأتى جِذْمَ شجرةٍ ، أو حَجرًا شاخصا[2] فتنطوى عليه انطواءً شديدا فيتحطّم[3] ذلك العَظْمُ حتّى يَصِير رُفَاتاً .

ثمَّ يُقطعُ ذنبُها فينبت . ثمَّ تعيشُ فى المـاء ، إن صارت فى الماء ، بَعد أنْ كانَتْ برّيّة ، وتعيشُ فى البرِّ بَعْدَ أن طال مُكْثُها فى المـاء وصارتْ مائيَّة .

قال : وإنَّما أتتْها هذه القُوَّة ، واشتدَّت فِقَرُ ظهرِها هذه الشِّدَّةَ ؛ لكثْرةِ أضلاعِها ، وذلك أنّ لها من الأضلاع عددَ أيَّامِ الشَّهر . وهى مع ذلك أطولُ الحيوان عمرًا .

(موت الحية)

ويزعمون أنَّ الحيَّة لا تموتُ حتْفَ أنفها ، وإنَّمَا تموتُ بِعَرَض يَعْرِضُ لَها . ومع ذلك فإنه ليس فى الحيوان شىءٌ هُوَ أصبرُ عَلَى جوعٍ من حَيَّةٍ ، لأنَّها إن كانَتْ شابَّةً فَدَخَلتْ فى حائط صخر ، فتتبَّعُوا موضعَ مَدْخَلها بوتِدٍ أو بحجر[4] ، ثمّ هدمُوا هذا الحائط ، وجدُوها هنَاك منطوِية

(١) أى كل أجزائها . ط ، ه : « حركتها الكل » صوابه فى س . والواو التى قبل « فى » ساقطة من ط .

(٢) شاخصا : مرتفعا . س : « حجر شاخص » صوابه فى ط ، ه .

(٣) س : « فيحطم » .

(٤) س : « حجر » .

وهى حَيَّةٌ . فالشّابةَ تُذكر بالصَّبْرِ عند هذه العلّة(١) . فإن هَرِمَتْ صغُرَت فى بدنها ، وأقنعَهَا النَّسيم ، ولم تشتَهِ الطعم . وقد قَالَ الشاعرُ : — وهوَ جَاهلىٌّ(٢) — :

فابْعَثْ له من بعض أعراض اللَّمَمْ(٣) لُمَيْمَةً من حَنَشٍ أعْمَى أصمّْ

قدْ عاشَ حتى هُوَ لا يَمشى بدمْ فكُلَّمَا أقْصَدَ مِنْهُ الجوعُ شَمّْ(٤)

وهذا(٥) القولُ لهذا المعنى . وفى هذا الوجه يقُول الشاعِرُ(٦) :

داهية قَدْ صغُرَتْ من(٧) الـكِبَرْ صِلّ صفاً ماينطوى من القِصَر(٨)

---

(١) أى تذكر بالصبر على الجوع . والعبارة ساقطة من هـ . وفى ط ، س : « تذكر الضمر » . وصوابه ما أثبت .

(٢) مثله فى ص ٢٨٣ . وبعض هذا الرجز سيأتى فى (٦ : ١٢٩ ، ٤٠٢) .

(٣) اللمم ، بالتحريك : مايلم بالإنسان من شدة ، ومثله « اللمة » بالفتح . وقد صغرها فيما سيأتى .

(٤) أى شم الهواء ، يطعمه بدل الطعام ، كما سبق . ط ، هـ : « سم » بالمهملة ، صوابه فى س وفى ص ٢٨٣ . وأقصده : أصابه إصابة محققة .

(٥) س : « فهذا » .

(٦) هو خلف الأحمر كما سيأتى فى ص ٢٨٥ — ٢٨٦ ، أو هو النابغة كما فى ديوان المعانى (٢ : ١٤٥) وأصل نهاية الأرب (١٠ : ١٤٥) وحماسة ابن الشجرى ٢٧٣ — ٢٧٤ . وفى مجموعة المعانى ، لمؤلف مجهول ١٩٥ : « وقال النابغة ، ونسبت إلى خلف الأحمر » .

(٧) ضبطت : « داهية » بالنصب فى المخصص (٨ : ١٠٩) . وروى صاحب المخصص أيضاً « حارية » بالنصب كذلك .

(٨) الصفا : الحجر الصلد الضخم لاينبت شيئاً . ط : « صفا » صوابه فى س ، هـ . يقول : قد قصر حتى مايمكن انطواؤه . فى نهاية الأرب : « لاتنطوى » ، وفى ديوان المعانى : « لاينطوى » ، وفى حماسة ابن الشجرى : « مايلتوى » ، وهذه مصحفة .

طويلة الإطراقِ من غير خَفَرْ[١] كأنما قد ذهبت بها الفِكر[٢]

جَاء بها الطوفان أيَّامَ زَخَرْ[٣]

(صَبْرُها على فَقْدِ الطُّعْم)

ومن أعاجيبها أنها وإن كانتْ مَوْصُوفَةً بالشَّرَهِ والنَّهم ، وسُرعَةِ

٤٢ الابتلاع ، فلها في الصَّبرِ في أيَّامِ الشِّتاء ما ليس للزّهِيدِ[٤] . ثمَّ هي بَعْدُ [مِمَّا[٥]] يصير بها الحالُ إلى أن تستغنِيَ عن الطُّعم[٦] .

(النمس والثعابين)

ثمّ قدْ يزعمون أنَّ بمصرَ دويْبَّةً يقال لها النمس[٧] يتخذهَا الناطور[٨] إذا اشتــدّ خوفه مِنَ الثّعَابين ؛ لأنّ هــذه الدَّابَّةَ تنقبضُ وتنضمُّ ،

(١) الإطراق ، بالقاف : إرخاء العينين والنظر بهما إلى الأرض . ط ، ه : « الأطراف » بالفاء . ومثله في ديوان المعاني ، ونهاية الأرب . وهو تصحيف لاوجه له ، والصواب المثبت من س وحماسة ابن الشجري . والخفر : شدة الحياء ، وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط : « تفر » وفي س ، ه : « نفر » وفي أصل نهاية الأرب « حفر » ، وصوابها في ديوان المعاني وحماسة ابن الشجري . والرواية في ص ٢٨٦ : « حسر » . وقد أنث « طويلة » لأن الصل بمعنى الحية ، وهي مؤنثة .

(٢) كذا في ط ، ه . ورواية س : « كطرق قد ذهبت به الفكر » .

(٣) زخر ، بالزاي المعجمة : كثر ماؤه وعظمت أمواجه . ه : « ذخر » محرف .

(٤) في التهذيب : « رجل زهيد وامرأة زهيدة ، وهما القليلا الطعم » . والطعم ، بالضم : الطعام .

(٥) من س ، ه .

(٦) ط : « الطم » صوابه في س ، ه .

(٧) النمس ، بالكسر : حيوان أكدر اللون أحمر العينين قصير القوائم طويل الجسم والذنب ، ولا يزال معروفا في مصر ، يراه الفلاحون في بعض المزارع ، ويستأنسه بعض التجار في حوانيتهم . والعامة يضربون بعينه المثل ؛ فيقولون : « عينه كعين النمس » ، وفلان نمس ، يعنون بالأول أنه حديد البصر سريعه ، وبالثاني أنه ألمعي حاذق لاتفوته الفرصة .

(٨) الناطور : حافظ النخل والشجر ، قيل إنه دخيل . وقال الأصمعي : هو الناطور =

وتتَضاءَلُ(١) وتستدقّ ، حتّى كأنّها قُدَيْدَة(٢) أو قطعةُ حبْل ، فإذا عضّها الثّعبان وانطوى عليها زَفَرتْ ، وأخذتْ بنَفَسها وزَخَرت(٣) جوفَها فانتفخ . فتفعل ذلك وقد انطوى عليها ، فتقطعه قِطَعاً من شِدّةِ الزَّخْرة(٤) .

وهذا من أعجب الأحاديث .

(القواتل من الحيات)

والثّعابينَ إحدَى القواتِل . ويزعُمون أنّها ثلاثةُ أجناسٍ لا ينجعُ فيها رُقيةٌ ولا حِيلة ، كالثعبان ، والأفعى ، والهنديّة(٥) . ويقال : إنَّ ما سِواها فإنّما يقتُلُ مع ما يُمدُّها من الفزع ؛ فقد يفعل الفَزَع وحْدَه ؛ فكيف إذا قارنَ سُمّهَا(٦) ؟ ! [وسُمُّهَا](٧) إن لم يقتّلْ أمرَضَ .

= والنبط يجعلون الظاء طاء ، ألا تراهم يقولون « برطلة » وإنما هو ابن الظل . قلت : ذلك معناها التفصيلي الاشتقاقي ، وكلمة « بر » بمعنى الابن بالنبطية ، فهو يريد أن النبط ألفوا الكلمة من لفظهم ومن كلام العرب . ومعنى الكلمة : المظلة الضيقة . انظر المعرب ص ١٤٧ ثم ص ٢٩ .

(١) تتضاءل : تنقبض وينضم بعضها إلى بعض . وهذه الكلمة ساقطة من س ، ومحرفة فى ط ، هـ برسم « تنصال » .

(٢) قديدة : مصغر القدة بالكسر ، وهى واحدة القد ، كما فى القاموس . والقد : سيور تقد من جلد فطير غير مدبوغ ، فتشد بها الأقتاب والمحامل ، كما فى اللسان . ط ، هـ : « فريدة » صوابه فى س . وانظر أواخر مفاخرة الجوارى والغلمان من رسائل الجاحظ .

(٣) زخر الشيء : ملأه ، كما فى القاموس . س : « زخجرت » ، وكتبت النقطة العليا بالمداد الأحمر ، والسفلى بالأسود ، ولم أستطع توجيه : « زجرت » بالجيم .

(٤) هـ : « الزجرة » وانظر التنبيه السابق . س : « الزحرة » مصحفة .

(٥) فى العبارة نقص وتشويه . وانظر ما نقل الدميرى عن الجاحظ (١ : ٤١١) .

(٦) ط ، هـ : « قارنه » .

(٧) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إليها .

(ما يفعل الفزع فى المسموم)

ويزعمون أنَّ رجلاً قال(١) تحتَ شجرةٍ ، فتدلَّت عليه حيَّةٌ منها فعضَّت رأسَه ، فانتبه محمرَّ الوَجْهِ ، فحكَّ رأسَه ، وتَلَفَّتَ(٢) ، فلم يَرَ شيئاً ، فوضع رأسَه ينامُ ، وأقام مدَّةً طويلةً لا يرى بأساً ، فقال له(٣) بَعْضُ مَنْ كان رأى تدلِّيَهَا عليه ثمَّ تقلُّصَها عنه وهروبَها منه(٤) : هل علمتَ مِنْ أيِّ شيءٍ كان انتباهك تحتَ الشَّجرة ؟ قال : لا والله ، ما علمت . قال : بلى ، فإنَّ الحيَّةَ الفُلانيَّة نزلت عليك حتَّى عضَّتْ رأسَك ، فلما جلست [فزعا] تقلَّصتْ عنك وتراجعَت . ففَزِع فَزْعَةً وصَرَخَ صرخةً كانَتْ فيها نَفْسُهُ . وكأنهُمْ توهَّمُوا أنَّه لما فزِع واضطرَبَ ، وقد كان ذلك السُّمُّ مغموراً ممنوعا فزال مانِعُهُ ، وأوغله ذلك الفَزَعُ ، حِينَ(٥) تفتَّحت منافسُه ، إلى موضع الصَّميم والدِّماغِ وعُمْقِ البدَن ، فانحلَّ موضعُ العَقْد الذى انعقدَت عليه أجزاؤه وأخلاطُه .

وأنشد الأصمعيُّ :

نَكِيثة تنهشه بمنبذ(٦)

---

(١) قال ، هنا ، بمعنى نام فى القائلة ، وهى نصف النهار .

(٢) ط ، هـ : « ويلتفت » ، وأثبت ما فى س والدميرى .

(٣) بدل هذه العبارة فى س : « فلما كان ذلك قال » .

(٤) « وهروبها منه » ساقط من س . وفى ط ، هـ : « من كان رأى حاله » الخ .

(٥) فى الأصل : « حتى » .

(٦) ط ، هـ : « ونكشة » .

وأنشدَ لأبى دُوادٍ الإيادىِّ :

فأَتانى تَقْحِيمُ كَعْبٍ لِىَ المنـ ـطقَ إن النَّـكِيثة الإِقْحَام[١]

(أثر الفزع فى فعل السم)

قال : فالفزَعُ إمَّا أنْ يكونَ يُوصِل السمَّ إلى المَقاتِل ، وإمَّا أن يكون معيناً له ، كتعاون الرَّجُلين على نزع وتِد . فهم[٢] لا يجزمون على أنَّ الحيَّة من القواتل البتّة[٣] ، إلَّا أنْ تقتلَ إذا عضَّت النائمَ والمغشىَّ عليه ، والطفلَ الغريرَ ، والمجنونَ الذى لا يَعْقِل ، وحتّى تجرَّبَ عليهِ الأدوية .

(الترياق وانقلاب الأفعى)

وكنت يوماً عند أبى عبد الله أحمد بن أبى دُواد ، وكان عنده سلْمويه[٤] وابن ماسويه ، وبختيشوع بن جبريل ، فقال : هل ينفع التِّرياق من نهشة

(١) التقحيم : أن يجعله يقحم أى يدخل فى الأمر فجأة بلا روية . فى الأصل : « تفخيم » صوابه فى الشعراء ١٨٩ . وكعب ، هو كعب بن مامة ، الرجل الجواد ، وكان قد بلغ أبا دواد شىء عنه . الشعراء ١٨٩ . وفى الأصل : « إلى المنطق » تصحيحه من الشعراء . والنكيثة : الخطة الصعبة ، ط ، ه : « النكيشة » صوابه فى س والشعراء . والإقحام بمعنى التقحيم ، ط ، ه : « الانفحام » تصحيحه من س والشعراء ، وقد روى ابن قتيبة أربعة عشر بيتا من هذه القصيدة .

(٢) بدل هذه الكلمة والتى قبلها فى ط : « وتراهم » ، تحريف صوابه فى س ، ه .

(٣) يقال : جزم على الأمر ، بفتح الزاى مخففة ، أو مشددة : أى سكت . س : « لايجزمون أن الحية » الخ ، ومؤدى العبارتين واحد عند التأمل .

(٤) فى الأصل : « وكان أخذ داود عنده سلمويه » ، والكلمة الثانية والثالثة يفسدان الكلام .

أفعى ؟ فقال بعضهم : إذا عَضَّتِ الأفعى فأُدرِكَتْ قبل أن تنْقَلب[١] نفع
٤٣ الترياق ، وإن لَمْ تُدْرَك لَمْ يَنْفَعْ ؛ لأنهم إنْ قلَّلوا مِنَ التِّرياقِ قتلَهُ السُّمُّ ، وإن كثَّروا مِنْهُ قتَله الفاضلُ عن مقدار الحاجة .

قلت : فإنَّ ابنَ العجوزِ[٢] خبَّرَني بأنَّها[٣] ليست تنقلب لِمَجِّ السمِّ وإفراغهِ ، ولكنَّ الأفعى في نابها عَصَل[٤] ، وإذا عضَّت استفرغت إدخالَ النَّابِ كلِّه ، وهو أحْجَنُ أعْصَل[٥] ، فيهِ مشابه من الشِّص[٦] ، فإذا انقلبَتْ كان أسهلَ لنزْعه وسلِّه . فأمَّا لصبِّ السّمِّ وإفراغه فلا . قَالَ : والله لعلَّه ما قلت ! [قلتُ] : مَا أسْرَعَ ما شككْتَ ! !

ثمَّ قلت له : فكأنما[٧] وضعوا الترياق واجتلَبُوا الأَفاعيَ وضنُّوا[٨] وعزمُوا على أنه لاينفع إلاّ بِدرْك الأَفْعَى قبلَ أنْ تَنقلب ! وكيف صار التِّرياقُ بعد الانقلاب لا يكونَ إلَّا في إحْدَى منزلتين : إمَّا أن يقتل بكثرته ، وإمَّا ألاّ يَنْفَعَ بقلَّته ! فكأنَّ الترياقَ ليس نفعُه إلَّا [في[٩]] المنزلةِ الوسطى التي لا تكون فاضلةً ولا ناقصة ! ولكني أقولُ لك : كيف يكون نفعه إذا كان الترياقُ جَيِّدًا قويًّا ، وعُوجل فسُقِيَ المقْدَارَ الأوسط ، قَبْلَ أنْ يَبْلُغَ الصَّميمَ ، ويغوصَ في العُمْقِ[١٠] . وعلى هذا وُضع ، وهم كانوا أحْزَم

---

(١) س : « تقلب » .
(٢) في ص ٤١٩ : « ابن أبي العجوز » . وهو أحد الحوائين .
(٣) س : « بأن الأفعى » .
(٤) العصل ، بالصاد المهملة والتحريك : الاعوجاج . س ، ه : « عضل » مصحف .
(٥) س : « أعضل » ، بالصاد المهملة كما في ه ، ط .
(٦) هذه العبارة ليست في ه ، وفي ط ، س : « النقص » . ووجهه ما أثبت .
(٧) في الأصل : « فإنما » .
(٨) كذا .
(٩) ليست بالأصل .
(١٠) أي عمق البدن ، كما مر في ١٢٢ س ١١ . وفي الأصل : « العميق » .

وأحْذَقَ مِنْ أن يتكلفوا شيئاً ، ومقدارُه من النَّفــعِ لا يُوصَل إلى معرفته .

ويقول بعضُ الحذاق : إنَّ سقيَ التِّرياقِ بعدَ النهش بساعةٍ أو ساعتَين مَوْتُ المنهوش .

ثم قلتُ له : وما علَّمك ؟ وبأيِّ سببٍ أيقنتَ[1] أنها تمجُّ من جوفِ نابها شيئاً ؟ ! ولعله ليس هنالك إلاَّ مخالطةَ جوهرِ ذلك النَّابِ لدم الإنسان ! أوَلسْنَا قد نَجِدُ من الإنسانِ مَنْ يَعَضُّ صاحِبَهُ فيقتُلُهُ ، ويكونُ معروفاً بذلك ؟! وقد تقِرُّون أنَّ الهنديَّة والثُعبانَ يقتلان ، إمَّا بمخالطة[2] الرِّيق والدم ، وإمَّا بمخالطة السِّنِّ والدَّم ، من غير أن تدَّعُوا أنَّ أسنانهما مجوَّفة[3] . وقد أجمع جميعُ أصحابِ التجارب أنَّ الحيَّة تضْرَبُ بِقَصَبَة[4] فتكون أشدَّ عليها من للعصا وقد يضربُ الرجلُ على جسَده بقضبان اللّوْزِ وَقضبَان الرُّمان ، وقضبانُ اللّوْزِ أعلك[5] وألْدن ، ولكنَّها أسلَمُ[6] ، وقضبان الرُّمَّان أخفُّ وأسخَفُ ولكنها أعطب .

وقد يطأ الإنسان على عَظْمِ حَيَّةٍ أو إبْرَةِ عقْرَبٍ ، وهما مَيْتَتان ، فيلقى الجهد . وقد يُخْرَجُ السِّكِّينُ من الكيرِ وهو مُحمَّى ، فيُغْمَسُ فى اللبن

---

(١) كذا فى س . وفى ط ، هـ : « علمت » .

(٢) ط ، هـ : « المخالطة » .

(٣) س : « جوف » : جمع جوفاء .

(٤) س : « بعصية » : تصغير عصا ، صوابه فى ط ، هـ .

(٥) أعلك بمعنى أشد وأمتن . ويقال : طعام عالك وعلك — ككتف : متين الممضغة ، وألدن . من اللدونة ، وهى اللين . واللدن : اللين .

(٦) ط ، س : « اسم » صوابهما فى هـ .

فمتى خالطَ الدّم قامَ مقامَ السمّ ، من غير أن يكون مَجٌّ فى الدّم رطوبةً غليظةً أو رقيقَةً .

وبعض الحجارة يُكْوَى بها — وهو رِخْوٌ — الأوْرَامُ حتى يفرِّقها ويُحْمِصها (١) من غير أن يكونَ نفذَ إلَيْهَا شيءٌ مِنْهُ ، وليس إلاّ الملاقاة .

قلتَ : (٢) ولعلَّ قوًى قد انفصلت من أنيابِ الأفاعى إلى دماء النَّاس .

وقد رَوَوْا أنَّه قيل لجالينوس : إنّ هاهُنا رجلاً يَرقى العقاربَ فتموتُ ، أو

٤٤ تنحلّ فلا تعمل ، فرآه يرقيها ويتفل عليها ، فدعا به بحضرةِ جماعةٍ وهو على الرِّيق ، ودعا بغدائه فتغدّى مَعَه ، ثمَّ دَعِيَ له بالعقاربِ فتَفَل عليها ، فلم يَجِدْ لعابه يصنَعُ شيئاً إلاّ أنْ يكون ريقاً . وهُوَ حَدِيثٌ يدورُ بينَ أهل الطبِّ ، وأنت طبيب . فلم أَرَهُ فى يومه ذلك قال شيئاً إلاَّ مِن طريق الحَزْر والحَدْس ، والبلاغات .

(السُّموم)

وسمومُ الحيَّاتِ ذواتِ الأنياب ، والعقاربِ ذواتِ الإبر ، إنمَا تَعْمَلُ فى الدّمِ بالإجمادِ والإذابة . وكذا سمومَ ذواتِ الشعر والقُرُونِ والجُمِّ ، إنمَا تَعْمَلُ فى العصب ، ومنها ما يعمل فى الدم .

---

(١) ط : « حتى يغرقها » س : « حتى يحرقها » صوابه فى ه . ويحمصها : يجعلها تنحمص أى تنقبض وتتضاءل وتسكن . ه : « يخمصها » بالخاء المعجمة ، وهى صحيحة بمعنى الأولى .

(٢) فى الأصل : « فإن قلت » . وصوابه حذف « فإن » . وقراءة الفعل بضمير المتكلم ، وهو الجاحظ . وانظر انتصار الجاحظ للقول بالقوى الفاصلة من بعض الأشياء ، فى الجزء الثانى من الحيوان ص ١٣٥ — ١٤٠ .

(شرب المسموم لِلَّبن)

وحدثني بعضُ أصحابنا قال : كنتُ إمَّا برماى[1] وإما ببارى[2] وهما بلادُ حيّاتٍ وأفاعٍ[3] ، ونحن فى عُرْس ، إذ أدخلوا الخِدْرَ العروسَ[4] فأبطئوا عليه شيئاً ، فأغْنى وتلوّتْ على ذراعه أفعى[5] ، فذهبَ ينفضها وحَجَمَتْ على ذراعه ــ وقد يقال ذلك إذا كانت العضّة فى صورةِ شَرْطِ الحجّام ــ فصَرَخَ وجاءُوا يتعادَوْن[6] فوجدُوها فقتلوها ، وسقَوه فى تلك اللَّيلةِ لبَن أربعينَ عنزاً ، كُلّما استقرّ فى جوفه قَعْبٌ من ذلك اللَّبَن قاء فَيَخْرُجُ مِنهُ كأمثال طَلْعِ[7] الفُحال الأبيض[8] ، فيه طرائق من دَسَمٍ تعلوه خضرة ، حتى استوْفى ذلك اللَّبَن كله . قال : فعندها قال شيخٌ من أهل القرية : إن كنتم أخرَجْتم ذلك السمَّ فقد أخرجتم نَفْسَهُ معَه ! قال : فغبَرَا أيَّاماً بأسوإ حالٍ ثمَّ مات . قال : وكنتُ أعجَبُ من سُرعة استحالة اللَّبَنِ وجُموده .

---

(١) هـ : « برمار » .

(٢) س : « بهارى » .

(٣) فى الأصل : « أفاعى » بإثبات الياء ، وصوابه ما أثبت .

(٤) العروس ، يقال للرجل والمرأة ، والمراد هنا : الرجل .

(٥) انظر ما كتبت عن هذا اللفظ فى ص ١١٧ .

(٦) يتعادون : يتبارون فى العدو .

(٧) هذه الـكلمة ليست فى الأصل ، وهى ضرورية . والطلع : نور النخل مادام فى الـكافور ، أى الغلاف .

(٨) الفحال ، كرمان : الذكر من النخل . والأبيض صفة للطلع لا للفحال .

(اكتفاء الحيات والضباب بالنسيم)

قلتُ : والحياتُ البرِّيَّة إذا هرِمَت تنسَّمت النَّسيمَ فاكتفَتْ به[١] ، وكذلك الضِّبابُ إذا هرِمت .

قال : ولا يكون ذلك للمائيّة من حيّاتِ الغياضِ[٢] وشُطوط الأنهار ، ومناقع[٣] المياه .

(الحيات المائية)

قال : والحيّات المائيَّة ، إمَّا أن تكون برِّيَّةً أو جبليّةً ، فاكتَسحتها السُّيولُ واحتملَتْها فى كثيرٍ مِنْ أصناف الحشَرَاتِ والدَّوابِّ والسِّباع ، فتوالدت تلك الحيّاتُ وتلاقحَتْ هناك . وإمَّا أنْ تكون كانت أمهاتُها وآباؤُها فى حيّاتِ الماء . وكيف دارت الأمور فإنَّ الحيَّاتِ فى أصل الطّبع مائيّة . وهى تعيشُ فى النَّدَى ، وفى الماء ، وفى البرِّ وفى البحر ، وفى الصَّخر والرَّمل . ومن طباعها أن ترقّ وتلطف على شكلين : أحدهما لطول العمر ، والآخر للبُعد من الرِّيف . وعلى حسب ذلك تعظم فى المياه والغياض .

---

(١) س : « واكتفت بذلك » .

(٢) الغياض : جمع غيضة بالفتح ، وهى مجتمع الصخر فى مغيض ماء . هـ : « الغيات » محرف .

(٣) مناقع ، بالقاف : جمع منقع بالفتح ، وهو الموضع يستنقع فيه الماء . ط : « منافع » ، صوابه فى س ، هـ .

(ما أشبه الحيات من السمك)

قال : وكلُّ شيء فى الماء ممّا يعايش السمك ، مما أشبه الحيَّات كالمارماهى(١) والأنكليس(٢) فإنها(٣) كلها على ضربين : فأحدهما من أولاد الحيات ، انقلبت بما عرض لها من طباع البلد والماء . والآخر من نسل سمك وحيات تلاقَحَت(٤) ؛ إذ(٥) كان [طِبَاعُ(٦)] السمك قريباً من طباع تلك الحيّات . والحيّاتُ فى الأصل مائيَّة، وكلّها كانت حيّات .

---

(١) المارماهى : ضرب من السمك الشبيه بالحيات ، وليس بحيات . واللفظ فارسى وضبطت راؤه بالكسر فى معجم Palmer . ط ، هـ : « كالماء ما هى » صوابه فى س .

(٢) الأنكليس : ضرب من حيات الماء . وقد جعل الجاحظ هذا وما قبله نوعين . وقد وجدت الدميرى يقول إنهما نوع واحد . انظر رسمى (الأنكليس ، والجرى) فيه . وقال داود فى التذكرة : « مارماهى هو حيات الماء المعروف عندنا بالأنكليس ، سمك شبيه بالحيات » . ولفظه يونانى معرب كما فى معجم المعلوف ١١ . وضبطه صاحب القاموس ، وكذا الدميرى ، بفتح الهمزة واللام وبكسرهما ، ويقال فيه أيضا « أنقليس » بالقاف .

(٣) فى الأصل : « وإنها » .

(٤) ط ، هـ : « وتلاقحت » والصواب حذف الواو كما فى س .

(٥) س : « إذا » ، صوابه ما أثبت من ط ، هـ .

(٦) ليست بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(قرابة بعض النبات لبعض)

وقد زعم أهلُ البصرة أنّ مُشَان(١) الكوفة قريبٌ(٢) من بَرْنِىّ(٣) البصْرَة ، قلبته البلدة .

ويزعمُ أهلُ الحجاز أنَّ نخلَ النارجيل(٤) هو نخل المُقْل(٥) ، ولكنّه انقلب لطباعِ البلدة . وأشباهُ ذلك كثير .

ويزعمون أنّ الفيَلة مائيّة الطِّباع بالجاموسيَّة والخِنزيرية التى فيها .

---

(١) المشان كغراب وكتاب : نوع من أطيب الرطب ، واللفظ معرب « موشان » الفارسية معناه أم الجرذان ، وقد ترجم الفرس هذا اللفظ العربي إلى لغتهم . وكلمة « موش» معناها الفأر بالفارسية . والألف والنون علامة الجمع عندهم . وأم جرذان : نوع من التمر كبار ، قيل إن نخله يجتمع تحته الفأر ، وروى صاحب اللسان عن أبي حنيفة أن أم جرذان آخر نخلة بالحجاز إدراكا ، قال الساجع : « إذا طلعت الخراتان ، أكلت أم جرذان » . وروى عنه — أى عن أبي حنيفة — صاحب المخصص أنها نخلة تجيها الجرذان فتصعدها فتأكل منها .

(٢) فى الأصل : « قريبا » .

(٣) البرنى ، بالضم وبالفتح : ضرب من التمر ، جاء فى المخصص (١١ : ١٣٣): « وأم جرذان بالمدينة مثل البرنى بالبصرة ، تلقط أبدا حتى لا يبقى عليها شيء » وهو معرب من « برنيك » الفارسية ، « بر » بمعنى حمل ، و « نيك » بمعنى جيد ، فعناه الحمل الجيد . وهذه الكلمة محرفه فى الأصل ، فهى فى ط ، هـ : « مسان » وفى س : « قرنبا » والوجه فيه ما ذكرت ، انظر التنبيه الأول من هذه الصفحة .

(٤) النارجيل : الجوز الهندى ، تعريب « ناركيل » . وضبط بفتح الراء ضبط قلم فى القاموس واللسان . ط : « النارجيلى »، صوابه فى س ، هـ .

(٥) المقل ، بالضم : حمل شجرة الدوم .

(الذئب والنسيم)

قال : والذِّئْبُ أيضاً ، وإن كان عندهم[١] مِمَّا لا يجتزى بالنَّسيم[٢] ، فإنَّه من الحيوان الذى يفتح فاه للنَّسيم ؛ ليبرد جوفه من اللهيب[٣] الذى يعتَرِى السِّباع ؛ ولأنَّ ذلك يمدّ قوّته ، ويقطع عنه ببرودته[٤] ولطافته الرِّيق . فإن كان ذا سُعْر[٥] [إذا عدا[٦]] احتشى ريحاً .

(اختلاف صبر الذئب والأسد على الطعام)

وربّما جاعَ الأسد ففعل فِعْلَ الذِّئب ، فالأسد والذِّئب يختلفان فى الجوع والصبر ؛ لأنَّ الأسدَ شديدُ النَّهَمِ ، رغيبٌ حريص شَرِهٌ ؛ وهو مع ذلك يحتمِلُ أنْ يبقى أيّاماً لا يأكلُ شيئاً . والذِّئبُ وإن كان أقفر[٧] منزلاً ، وأقلَّ خِصْبا ، وأكثَرَ كَدًّا[٨] وإخفاقا ، فلا بدَّ له من شىء يُلقِيه فى جوفه ، فإذا لم يجدْ شيئاً استعار النسيم .

---

(١) ط ، س : « عنده » صوابه فى ﻫ .

(٢) فى الأصل : « المرم منها لا يجتزى بالنسيم » ، وكلمة « المرم » مقحمة . وكلمة « منها » محرفة عما أثبت .

(٣) س : « اللهث » .

(٤) س : « ببرده » .

(٥) السعر ، بالضم : الجوع والحر . وفى الأصل : « سحر » . ولا وجه له .

(٦) الزيادة من س ، ﻫ .

(٧) كذا على الصواب فى ط ، ﻫ ومباهج الفكر والدميرى وثمار القلوب ٣١٠ وفى س : « أقعد » ولا وجه له .

(٨) كذا فى الأصل ومباهج الفكر والدميرى . والكد : الشدة فى العمل ، والإلحاح فى محاولة الشىء . وربما كانت هذه الكلمة : « إكداء » ، والإكداء بمعنى الإخفاق .

(حيلة بعض الجائعين)

والنَّاس إذا جاعُوا واشتدَّ جوعُهم شدُّوا على بطونهم العمائم . فإن استقلوا ، وإلاَّ شَدُّوا الحجَر[١] .

(شعر فى الذئب)

وأنشَد[٢] :

كَسِيدِ الغَضَى العَادِى أضلَّ جِراءَهُ[٣]
على شَرَفٍ مُسْتَقْبِلَ الرِّيحِ يَلْحَبُ[٤]

كأنَّه يجمع استِدْخالَ الرِّيحِ والنَّسيم ، فلعلَّه أن يجِدَ ريحَ جِرائه .

وقالَ الرَّاجز[٥] :

يَسْتَخْبِرُ[٦] الرِّيحَ إذا لم يَسْمَعِ   بِمِثْلِ مِقْرَاعِ الصَّفَا المُوقَّعِ[٧]

(١) روى ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث ٣١٨ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما دعا على مضر بقوله : « اللهم اشدد وطأتك على مضر . . . » الخ — نال الجدب رسول الله وأصحابه حتى شد هو وشد المسلمون على بطونهم الحجارة من الجوع . ط : « الحجز » صوابه فى س ، هـ .

(٢) ط ، : « وأنشدوا » ،

(٣) السيد : الذئب ، والغضى : الشجر بالتحريك ، وهو ما واراك من شجر وغيره ، وذئب الغضى أخبث الذئاب . العادى ، بالدال : الذى يعدو . أضل جراءه : فقد أولاده ، والجراء ، بالكسر : جمع جرو . ط ، هـ : « أصل » ، ط ، هـ ، س : « جراءة » ، وذانك تصحيفان .

(٤) الشرف : ما علا من الأرض ، وإنما يستقبل الريح ليتشمم ريح أولاده . يلحب : يمرع .

(٥) هو أبو الرد ينى العكلى ، كما أسلفت فى الجزء الأول ص ٣٤ نقلا عن البيان .

(٦) ط : « يستبخر » صوابه فى س ، هـ والبيان (١ : ٨٢) . وفى اللسان : (مخر ، قرع) « يستمخر » وقال : «استمخرها : قابلها بأنفه ليكون أروح لنفسه » .

(٧) المقراع : الفأس يكسر بها الصخر . الموقع : المحدد . وقع الحديدة : حددها .

(شمّ الظليم)

والظَّليم يكون على بيضه فيشمُّ ريح القانص من أكثَرَ من غَلْوَةٍ ، ويبعُد عَنْ رئالِهِ (١) فيشمُّ ريحَها من مكان بعيد.

وأنشدنى يحيى بن نُجَيم (٢) بن زَمَعة قال :

أشمُّ من هَيْقٍ وأهْدَى من جَمَلْ (٣)

وأنشدنى عَمْرُو بن كِركِرة (٤) :

مَا زالَ يشـتمُّ اشـتمامَ الهَيْقِ

قال وإنّما جعله ذئبَ غَضىً لأنهم يقولون : ذئبُ الخَمر (٥) أخبث . ويقولون : شَيْطان الحماطة (٦) . يريدون الحيّة .

(بعض ضروب الحيّات)

وكلُّ حيّةٍ خفيفةِ الجسم فهى شَيطان (٧) . والثِّقالُ لا تنْشط من أرضٍ إلى أرض ، وتثقل عمَّا تبلُغُه المستطيلاتُ الخِفاف . وقال طرَفَة :

تلاعِبُ مَثْـنَى حَضْرَمِيٍّ كأنَّهُ   تَعَمُّجُ شَيْطانٍ بذى خِرْوعٍ قَفْرِ (٨)

---

(١) الرئال : جمع رأل ، وهو فرخ النعام .

(٢) فى الأصل : « لجيم » باللام ، وهو تحريف . وقد سبقت ترجمة يحيى بن نجيم فى (٢ : ٣٥١) .

(٣) الهيق ، بالفتح : ذكر النعام . وأهدى : من الهداية .

(٤) سبقت ترجمته فى (٣ : ٥٢٥) . ط : « عمر » صوابه فى س ، هـ .

(٥) الخمر ، بالتحريك : ما واراك من شجر وغيره .

(٦) الحماطة ، بالفتح : واحدة الحماط ، وهو شجر التين الجبلى ، والحيات تألفه .

(٧) قال الجاحظ فى (١ : ١٥٣) : « ويسمون الحية إذا كانت داهية منها شيطانا » .

(٨) ط : « خضرمى » ، صوابه فى س ، هـ . تعمج : تلو . ط ، هـ : « تقمح » صوابه فى س . وقد سبق البيت فى (١ : ١٥٣) وسيعاد فى (٦ : ١٩٢) .

الـكِرْمانى عن أنَس — ولا أدرى مَنْ أنسٌ هذا — في صفة ناقة :

شَنَاحِيَةٌ فيها شناحٌ كأنّها
حَبَابٌ بكفّ الشَّأْوِ من أسطعٍ حَشْرِ [1]

والحَباب : الحيّة الذّكر .

(بعض المضاف إلى النبات من الحيوان)

وكما يقولون : ذئب الخَمر ، يقولون : أرنب الخلّة [2] ، وتيس الرَّبْل [3]

٤٦ وضبُّ السَّحَا [4] . والسَّحَا [4] بقلةٌ تحسُنُ حاله [5] مَنْ أكلها .

وكذلك يقولون : « ماهو إلاّ قُنْفُذُ بُرْقة [6] » لأنه يكون أخبثَ له :

وذلك كلّه على قَدْر طبائع البُلدانِ والأغْذِيَةِ العاملةِ في طبائع الحيوان .

---

(١) الشناحية : الطويلة الجسيمة . والشأو : الزمام . ط : « الشاه » صوابه في س ، هو والجزء الأول ص ١٥٣ . والأسطع : العنق الطويل . والحشر : المستوى .

(٢) الخلة ، بالضم : شجرة شاكة ، وفي ثمار القلوب ٣٣٠ : « الحلة » بالحاء المهملة وهي بالكسر : شجرة شاكة أيضا .

(٣) المراد بالتيس هنا : الذكر من الظباء أو الوعول . والربل بالفتح : ضروب من الشجر إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفطرت بورق أخضر من غير مطر . وفي الأصل : « الرمل » ، وهو تحريف صوابه في (٦ : ١٢٣) ، وجاء في شعر امرئ القيس :

وراح كتيس الربل ينفض رأسه أذاة به من صائك متحلب

(٤) السحا ، بالفتح : جمع سحاة ، وهي شجرة شاكة . س : « السحاء » وهي بالكسر نبت شائك يرعاه النحل ، عسله غاية .

(٥) س : « حالة » .

(٦) البرقة ، بالضم : غلظ من الأرض فيه حجارة و رمل وطين مختلطة .

(بعض طبائع البلدان)

ألا ترى أنهم يزعمون أنَّ مَن دخلَ أرضَ تُبَّتَ[1] لم يزَلْ ضاحكا مسروراً ، من غير عَجَب[2] حتّى يخرجَ منها .

ومن أقام بالموصِل حولاً ثم تفقّد قوّته وجد فيها فضلاً . ومن أقام بالأهواز حَوْلاً فتفقّد عقلَه[3] ذُو فِراسةٍ وجد النُّقصانَ فيه بيِّنا . كما يقال في حُمَّى خَيبر[4] ، وطِحال البحرين[5] ، ودماميل الجزيرة[6] ، [وجَرَب الزِّنج[7]] . وقال الشمّاخ[8] .

---

(١) تبت ، بضم التاء وتشديد الباء المفتوحة : ذاك الإقليم الصيني .

(٢) العجب : مايتعجب منه . وتجد مثل هذا الكلام في معجم البلدان وثمار القلوب ٣١٠ وعيون الأخبار ١ : ٢١٩ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٦٤ . قال ياقوت في نعت أهلها : « والتبسم فيهم عام حتى إنه ليظهر في وجوه بهائمهم » ! .

(٣) ط ، ه : « قوته » ، صوابه في س وعيون الأخبار ومحاضرات الراغب . قال ياقوت : « ومن أقام بها سنة نقص عقله » .

(٤) خيبر ، هي الولاية التي كانت عندها الغزوة المشهورة ، وكانت ذات سبعة حصون ولذلك تسمى « خيابر » أيضاً ، كما ورد في شعر لابن قيس الرقيات . ومعنى « خيبر » الحصن باللغة العبرية كما في معجم البلدان . ويقال لها أيضاً « خيبري » كما ورد في الأمثال : « به الورى . وحمى خيبرى » . أمثال الميداني (١ : ٩٥) وفي العقد (٤ : ٣٠١) ما يفهم منه أن يهود خيبر كانوا يتبعون نظاما صحيا كفل لهم قلة التعرض لحماها : « سئل يهود خيبر : بم صححتم على وباء خيبر ؟ قالوا : بأكل الثوم ، وشرب الخمر ، وسكون اليفاع ، وتجنب بطون الأودية ، والخروج من خيبر عند طلوع النجم وعند سقوطه » .

(٥) قالوا : من سكن بالبحرين عظم طحاله ، وقال شاعرهم :

ومن يسكن البحرين يعظم طحاله ويغبط بما في بطنه وهو جائع

(٦) هذه الجزيرة هي المسماه « جزيرة أقور » ، وهي التي بين دجلة والفرات مجاورة الشام تشتمل على ديار بكر وديار مضر ، ومن أمهات مدنها حران والرها والرقة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور ، وماردين وآمد وميافارقين والموصل . انظر معجم البلدان .

(٧) هذه الزيادة من ه . وفي ثمار القلوب ٤٣٥ : « طرب الزنج » حيث تحدث في ذلك حديثا طويلا . وكل منهما خاصة من خواص الزنج . وسيأتي في ١٣٩ في الكلام على بلاد الزنج : « ألا يزال جربا ما أقام بها » .

(٨) س : « شماخ » .

كأنَّ نَطـاةَ خيْبَرَ زَوَّدَتْه بَـكُورَ الوِرْدِ رَيِّثَةَ القُلُوعِ (١)

وقال أوسَ بن حجَر :

كأنَّ به إذْ جئتَهُ (٢) خَيْبَرِيَّةً يَعُودُ عَلَيْهِ وِرْدُهَا وقلالُهَا (٣)

وقال آخر :

كأنَّ حمَّى خيبر تَمُلُّهُ (٤)

وكذلك القول في وادي جَحفة (٥) ، وفي مَهْيَعَةَ (٦) ، وفي أصول النخل حيث كان .

وقال عبد الله بن همام السَّلوليُّ في دماميل الجزيرة :

---

(١) نطاة ، بالنون المفتوحة : عين ماء بقرية من قرى خيبر . وفي الأصل : « قطاة » صوابه في معجم البلدان حيث روى البيت ، وديوان الشماخ ٥٧ . زودته : أعطته زادا . بكور الورد : يعني حمى تباكر بوردها جسمه . ريثة القلوع : بطيئة الانـكشاف والبرد . في الأصل : « رنقه » مكان « ريثه »، صوابه في المعجم والديوان . . وقبل البيت :

ألا تلك ابنة الأموى قالت أراك اليوم جسمك كالرجيع

والرجيع : الحبل الذى نقض ثم فتل مرة ثانية .

(٢) في الأصل : « كأن به أدحية » . وفي ديوان أوس ٢٤ : « أرخية » صوابهما ما أثبت من معجم البلدان (نطاة) وثمار القلوب ٤٣٦. وعنى بالخيبرية الحمى.

(٣) الورد ، بكسر الواو : اسم من أسماء الحمى ، أو هو يوم ورودها . « قلالها » : كذا جاءت بالأصل : وفي المعجم والثمار : « ملالها » . والملال ، بالضم : حرارة الحمى ، أو التقلب من المرض . وما في الأصل هو الموافق ما في الديوان .

(٤) تمله : كأنها تضعه في الملة ، وهي بالضم : الرماد الحار .

(٥) الجحفة بين مكة والمدينة . روى أنه لما قدم الرسول المدينة استوبأها ، وحم أصحابه فقال : « اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة ، أو أشد ، وصححها ، وبارك لنا في صاعها ومدها ، وانقل حماها إلى الجحفة » .

(٦) مهيعة : موضع قريب من الجحفة .

أُتِيحَ له مِنْ شُرْطَةِ الحَيِّ جَانِبٌ ... غَلِيظُ القُصَيْرى لحمُهُ مُتَكَاوِسُ(١)

تَرَاهُ إذا يَمْضِي يحِكُّ كَأَنَّمَا ... به من دَماميل الجَزيرةِ ناخسُ(٢)

فحدَّثني أبو زُفَرَ الضِّراري(٣) قال : مات ضِرار بن عمرو وهو ابن تسعين سنةً بالدَّماميل . قلت : والله إنّ هذا لعجب ! قال : كلاّ إنّما احتملها من الجزيرة .

وكذلك القولُ فى طواعِين الشّام . قال أحدُ بنى المغيرة(٤) ، فيمن مات منهم بِطَوَاعِين الشام ، ومن مات منهم بطَعْن الرِّماح أيَّامَ تلك المغازى :

مَنْ يَنْزِلِ الشَّأمَ وَيَعْرَسْ بِهِ(٥) ... فالشَّامُ إنْ لَمْ يُفْنِهِ كَاذِبُ

أفْنَى بنى رَيْطَةَ فُرسانَهمْ ... عِشرينَ لم يُقْصَصْ لهم شارِبُ(٦)

ومن بنى أعمامِهِمْ مِثْلَهم ... لِمِثْلِ هذا عجِبَ العاجِبُ(٧)

طَعْنٌ وطاعُونٌ منـاياهُمُ ... ذلك ما خَطَّ لنا الكاتبُ

---

(١) شرطة كل شيء : خياره ، ومنه شرط السلطان ، وهم خيار جنده . فى الأصل : « سوطة » وتوجيهه من معجم البلدان . والجانب : القصير . والقصيرى بضم القاف وفتح الصاد مع القصر : أعلى الأضلاع . ط : « القيصرى » س : « القصير » صوابه فى هـ ومعجم البلدان ، والرواية فيه : « عريض القصيرى » . متكاوس : متراكب متراكم . ط ، هـ : « متفاوس » س . « متقاوس » تصحيحه من معجم البلدان .

(٢) الحكك : مشية فيها شبه بمشية المرأة القصيرة إذا تحركت وهزت منكبيها . ورواية المعجم : « أبد إذا يمشى يحيك » . الأبد : السمين . يحيك : يتبختر ويختال . ط : « كا نما » صوابه فى س ، هـ والمعجم .

(٣) ط : « الضارى » صوابه فى س ، هـ . وبدله فى ثمار القلوب ٤٣٨ : «أبو زرعة» فقط .

(٤) هو المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى . الإصابة ٨٣٢٩ .

(٥) عرس به ، كفرح : لزمه .

(٦) فرسانهم ، بدل من بنى ريطة . لم يقصص لهم شارب : أى إنهم فى مقتبل الشباب . وريطة هى زوج المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. انظر الاستدراكات .

(٧) العاجب : المتعجب . وفى ثمار القلوب ٤٣٥ : « يعجب العاجب » وفى س : « عجب عاجب » ، وهو مثل من أمثلة المبالغة ، كقولهم يوم أيوم ، وليل أليل ، وروض أريض ، وظل ظليل ، وحرز حريز ، وداء دوى .

(قدوم عبد الله بن الحسن على عمر بن عبد العزيز وهشام)

قال : ولمّا قَدِمَ عبدُ الله بن الحسن بن الحسين رضى الله عنهم ، على عُمَرَ بنِ عبد العزيز رضى الله عنه — فى حَوَائجَ له ، فلمَّا رأى مكانَه بالشام ، وعَرَفَ سِنَّه وسمْتَه وعقلَه ، ولسانَه ، وصلاته وصيامه ، فلم يكنْ شىءٌ أحبَّ إليه من ألاَّ يراه أحدٌ من أهل الشام ، فقال له : إنِّى أخافُ عَلَيكَ طَواعينَ الشَّام ؛ فإنَّكَ لن تُغْنِمَ أهلَكَ أكثرَ منك[1] ، فالحَقْ ٤٧
بهم ؛ فإنَّ حوائجك ستسبِقُك إليهم[2] . ثمّ قدم على هشامٍ ، فكره عبدُ الله أن يدخل منزلا له[3] حتّى يأتيَه فى ثيابِ سفَره ؛ مخافة سوء ظنِّه[4] . فلما أعلمه الحاجبُ مكانَه ، ودخل عليه وعايَنه ، كره أن يقيم بها طرْفَة عين . قال : اذكر حوائجك . قال : أحطُّ رَحْلى وأضَعُ ثيابَ سفرى ، وأتذ كَّرُ حوائجى . قال : إنَّك لنْ تجدَنى فى حالٍ خيراً لك منِّى الساعة ! يريد أن القُلوبَ أرقُّ ماتكونُ إذا تلاقت العيونَ عن بُعْدِ عَهد . وليس ذلك أراد[5] .

---

(١) فى ثمار القلوب : « وإنك لم يغنم أهلك خيراً منك » . وسبق مثل هذه الرواية فى (٣ : ٤٧٢) .

(٢) ثمار القلوب : « فإن حوائجك ستتبعك » ، وفى الحيوان (٣ : ٤٧٢) : « فإن حوائجهم ستسبقك » .

(٣) ط ، هـ : « منزله » .

(٤) أى لئلا يظن به العداء . وفى ط ، هـ : « شرطته » ، وما أثبت من س أوجه .

(٥) انظر لتوضيح هذا ما سبق فى (٣ : ٤٧٢ س ١٣ ، ١٤) .

(طحال البحرين)

والعامّة تنشد :

سَنْ يَسْكنِ البَحْرَينِ يعظُمْ طِحالُهُ   وَيُغْبَطْ بما فى بَطْنِهِ وَهْو جَائِعُ (١)

ونظر دُكينٌ الرّاجزُ ، إلى أبىالعباس (٢) محمَّدِ بنِ ذؤيبٍ الفُقيمىِّ الرّاجز ، وهو غُلَيِّمٌ مصفرٌّ مَطحُول (٣) ، وهو يمتحُ على بَكَرةٍ (٤) ويرتجز . فقال : من هذا العُمانىّ (٥) ؟ فلزمته هذه النّسبة .

(جرب الزنج)

وحدَّثنى يوسفُ الزّنجى أنّه لا بدَّ لكلِّ مَن قدِم من شِقِّ العراق إلى بلادِ الزّنج ألاّ يزالَ جَرِباً ، ما أقام بها . وإنْ أكثَرَ من شُرْب نبيذِها ، أو شَراب النّارَجِيل ، طمَسَ الُخمَارُ على عقله ، حتّى لا يكونَ بينه وبين المعتُوه إلاّ الشّىء اليسير .

---

(١) انظر أمثال الميدانى (١ : ٢٥٥) فى قولهم : « الذئب مغبوط بما فى بطنه » . الشعر والشعراء ٧٣١ .

(٢) ط ، س : « ابن العباس » صوابه فى س ، وقد تقدمت ترجمته فى (٢ : ١٦٦) : وفى الأغانى (١٧ : ٨١) : « ويكنى أبا عبد الله » ، فهما كنيتان له . ومثل ذلك فى العرب كثير . وفى المعارف ٢٥٩ فصل خاص بمن له كنيتان أو ثلاث .

(٣) المطحول : الذى يشكو مرض طحاله .

(٤) البكرة ، بالفتح وتحرك : خشبة مستديرة فى وسطها محز يستقى عليها .

(٥) العمانى نسبة إلى عمان ، بضم العين بعدها ميم مفتوحة مخففة ، وهى بلاد عربية فى جنوب خليج فارس . وضبطت بتشديد الميم فى (خريطة) الممالك الإسلامية ، خطأ . وكانت البحرين وعمان منفصلتين قبل الدولة العباسية . قال ياقوت : « فلما ولى بنو العباس صيروا عمان والبحرين واليمامة عملا واحداً » . ومما يجدر ذكره أن أصل نسبة أبى العباس إلى البصرة ، أى هو بصرى ، كما فى الأغانى . وقد عقد ابن قتيبة فصلا لمثل هذه النسب فى المعارف ٢٠٧ — ٢٠٨ .

(طبيعة المصيصة)

وخبّرنى كم شئتَ من الغُزاة ، أن مَن أطالَ الصَّومَ بالمصيصة(١) فى أيَّام الصَّيف ، هاج به المِرار . وأنَّ كثيراً منهم قـد جُنُّوا عن(٢) ذلك الاحتراق .

(طبيعة قصبة الأهواز)

فأمَّا قصَبَة(٣) الأهواز ، فإنَّها قلبَتْ كلَّ مَن نزَلها من بنى هاشم إلى كثيرٍ من طِباعهم وشمائلهم(٤) ، ولابدَّ للهاشمىِّ ، قبيحَ الوجهِ كان أو حسناً ، أو(٥) دميا كان أو بارعاً رائعا ، مِنْ أن يكون لوجْهه وشمائله طبائعُ يَبينُ بها من جميعِ قريشٍ وجميعِ العرب . فلقد كادَتِ البلْدة أن تنقل ذلك فتبدِّله(٦) ، ولقد تَخَيَّفَتْه(٧) وأدخلَت الضَّيمَ عليه، وبيَّنَتْ أثرَها فيه ؛ فما ظنُّك بصنيعها فى سائر الأجناس(٨) ؟ !

ولفسادِ عُقولِهم، ولؤمِ طبْع بلادِهم، لا تراهم مع تلك الأموالِ الكثيرةِ،

---

(١) يقال مصيصة ، بالفتح والصاد المشددة المكسورة ، ومصيصة بالتخفيف ، والأول أصح ، وهى بين أنطاكية وبلاد الروم .

(٢) ط ، ه : « من » .

(٣) ط ، ه : « قضية » ، صوابه فى س . وقصبة الأهواز ، أى أكبر مدنها . قال صاحب العين : « الأهواز : سبع كور بين البصرة وفارس » .

(٤) أى طبائع الأهوازيين وشمائلهم . وفى معجم البلدان : « فانقلبوا إلى طباع أهلها » .

(٥) الأفضل إسقاط هذا الحرف كما فى ثمار القلوب ٤٣٧ .

(٦) هذه الكلمة وسابقتها ساقطتان من س .

(٧) تخيفته وتخوفته : تنقصته . ط : « تخفيه » صوابه فى س ، ه .

(٨) فى ثمار القلوب ٤٣٥ نقلا عن الجاحظ : « ولقد تخفيه وتدخل الضيم عليه وتبين أثرها فيه » . الخ .

والضِّياع الفاشية ، يحبُّون من البنينَ والبناتِ ما يحبُّه أوساطُ أهلِ الأمصار على الثَّروة والْيَسار ، وإن طال ذلك . والمال مَنْبَهةٌ كما تعلمون .

وقد يكتسبُ الرَّجُل ، من غيرهم ، الْمُوَيل(١) اليسير ، فلا يرضى لولده حتَّى يفرضَ له المؤدِّبين(٢) ، ولا يرضى لنسائه مثل الذى كانَ يرضاه قبل ذلك(٣) . وليس فى الأرض صناعةٌ مذكورةٌ ، ولا أدبٌ شريفٌ ، ولا مذهبٌ محمودٌ ، لهم فى شىءٍ منه نصيبٌ وإن خَسّ(٤) . ولم أرَ بِهاَ وَجْنةً حمراءَ لصبىٍّ ولا صبيّةٍ ، ولا دماً ظاهراً ولا قريباً من ذلك . وهى قتَّالَةٌ للغُرَباء .

٤٨ وعلى أنَّ حُمَّاها خاصَّــةً ليست للغريب بأسرَعَ منها إلى القريب . ووباؤها(٥) وحُمَّاها ، فى وقت انكشاف الوَباء و نُزوعِ الحمَّى عن جميع البُلدان.

وكلُّ محمومٍ فى الأرض فإنَّ حُمَّاه لا تنزِع عنه ، ولا تفارِقه ، وفى بدنه منها بقيَّة ؛ فإذا نَزَعَتْ عنه فقد أخَذَ منها عند نفسه البراءةَ ؛ إلى أنْ يعود إلى الخلْط ، وأنْ يجمعَ فى جوفه الفسادَ(٦) . وليست كذلك الأهواز

---

(١) مويل : تصغير مال .

(٢) المؤدبون ، جمع مؤدب ، بكسر الدال . والجاحظ ومن نحا نحوه يجعل المؤدب فوق المعلم . قال فى رسالة المعلمين (هامشة الكامل ١ : ٢) : « لو استقصيت عدد النحويين والعروضيين والفرضيين والحساب والخطاطين ، لوجدت أكثرهم مؤدب كبار ومعلم صغار » س : « المودين » محرف .

(٣) كذا فى س . وفى ط ، هـ : « ولا يرضى لسانه بمثل الذى كان يرضاه قبل ذاك »، وتصح مع إعادة الضمير إلى ولده ، أى هو يختار لولده الممتازين من المؤدبين .

(٤) خس : قل . وفى الأصل وكذا فى معجم البلدان : « حسن » . وبعدها فى المعجم « أودق أوجل » ، وياقوت بدون ريب ينقل كلام بالجاحظ :

(٥) ط ، هـ : « ووباها » ،

(٦) بدله فى معجم البلدان : « إلا أن تعود لما يجتمع فى بطنه من الأخلاط الرديئة » .

لأنها تَعاوِد من نزَعتْ عنه من غير حدَث ، كما تعاود أصحابَ الحدَث ؛ لأنَّهم ليسوا يُؤْتَوْن من قبل التُّهَم(١) ، ومن قِبَل الخلْط والإكْثار ، وإنَّما يُؤتَوْن من عينِ البلدة .

وكذلك جمَعَت سوقُ الأهوازِ الأفاعيَ في جبلِها الطَّاعِنِ في منازلها ، المطِلِّ عليها ؛ والجَرَّاراتِ(٢) في بيوتِها ومقابرها ومنابرها . ولو كان في العالَم شيءٌ هو شرٌّ من الأفعَى والجرَّارة ، لما قَصَّرَت قصَبة الأهواز عن توليدِه وتلقيحه . وبَليتُها(٣) أنَّها من ورائها سِبَاخٌ(٤) ومناقعُ مياهٍ غليظة وفيها أنهارٌ تشُقُّها مَسَايلُ كُنُفِهم(٥) ، ومياهُ أمطارهم ومُتَوَضَّآتِهِمْ(٦) فإذا طلَعت الشَّمسُ فطالَ مُقامُها ، وطالت مقابلتُها لذلك الجبل ، قبل

(١) الأولى : « التخم » جمع تخمة . كما جاء في معجم البلدان .

(٢) الجرارات : ضرب من العقارب .

(٣) كذا على الصواب في س . وفي ط : « تليينه » وفي هـ : « تليينها » . وفي معجم البلدان زيادة : « من » قبل : « بليتها » .

(٤) سباخ ، بالكسر : جمع سبخة بالتحريك ، وهي الأرض تعلوها ملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر . هـ : « سباحة » س : « سباخة » محرفتان عما أثبت من س .

(٥) كذا في س ومعجم البلدان . ونحوه في ثمار القلوب ٢٣٧ . وفي ط : « لسقيها مسائل كنفهم » و هـ : « تسبقها مسائل كنفهم » ، والكلمة الأولى في ط لها وجه وفي هـ محرفة . أما الكلمة الثانية : « مسائل » فهمزها خطأ ، لأن ياء مفرده مسيل ياء أصلية . ولم يرد الهمز إلا في كلمتين ، إحداهما : « مصائب » وهذه لا يعترف بها الأصمعي ويقول : إنها من لغة أهل الأمصار ، والمعروف : « مصيبات » . والثانية لم ترد إلا في بعض القراءات غير السبع ، من قول الله : « وجعلنا لكم فيها معائش » . انظر المصباح . وقال السفاقسي : « وشذ خارجة فرواه عن نافع ، وهو ضعيف جداً ، بل جعله بعضهم لحناً » . غيث النفع ١٣٠ .

(٦) كذا في معجم البلدان . وفي الأصل : « ومتوضئهم » بالإفراد . وفي ثمار القلوب « ميضآتهم » .

بالصَّخْرية التى فيــه(١) تلكَ الجرّارات . فإذا امتلأت يُبسًا وحرارةً ، وعادتْ جمرةً واحدةً ، قذفت ما قَبلت من ذلك عليهم .

وقد تُحدِث [تلك] السِّباخ(٢) وتلك الأنهار(٣) بُخاراً فاسداً ، فإذا التقى عليهم ما تُحدِث السِّباخُ وما قذفه ذلك الجبلُ ، فسَدَ الهواء . وبفساد الهواء يفسُد(٤) كلُّ شيءٍ يشتملُ عليه ذلك الهواء .

وحدَّثنى إبراهيمُ بن عبَّاسٍ بن محمدٍ بن منصورٍ ، عن مَشْيخةٍ(٥) من أهل الأهواز ، عن القوابل ، أنهنَّ ربّما قَبِلْنَ(٦) الطِّفلَ المولودَ ، فيجدْنَهُ فى تلك السَّاعةِ محموماً . يعرِفْنَ ذلك ويتحدَّثْنَ به .

(عيون الحيات والخطاطيف)

[قال(٧)] : ويعرِض لفراخِ الحيَّــات مثلُ الذى يعرِض لفِراخِ الخطاطِيف ؛ فإنَّ نازعاً لو نزَع عيونَ فراخ الخطاطيفِ ، وفراخِ الحيّاتِ ، لعادتْ بصيرةً(٨) .

---

(١) ط ، هـ : « بالصخرة » صوابه فى س . ط : « فيها » صوابه فى س ، هـ .
(٢) مضى تفسير هذه الـكلمة فى الصفحة السابقة .
(٣) س فقط : « الأمطار » .
(٤) هذه الـكلمة ساقطة من س ، هـ .
(٥) مشيخة ، كرحلة ، وأيضا بفتح الميم وكسر الشين : جمع شيخ . ط فقط : « شيخة » وهى صحيحة أيضاً ، وضبطها كعنبة وسدرة .
(٦) قبلت القابلة الولد : تلقته عند خروجه .
(٧) الزيادة من س ، هـ .
(٨) ذاك زعم .

(مفارقة السلحفاة والرق والضفدع للماء)

وزعم[١] أنَّ السُّلحفاةَ والرّقّ ، والضّفدع ، ممّا لا بدَّ له من التنفُّس ، ولا بدَّ لها من مفارقةِ الماء ، وأنَّها تبيض وتكتسب الطعم وهي خارجة[٢] من الماء ؛ وذلك لِلنَّسب الذى بينها وبين الضّبّ[٣] ، وإن كان هذا بَرِّيًّا وهذا بحريّا .

(شبه بعض الحيوان البرى بنظيره من البحرى)

ويزعُمون أنّ ما[٤] كان فى البرِّ من الضبِّ والورَل والحِرباء ، والحلكاء[٥] ، وشحْمة الأرض ، والوزَغِ والعَظاء[٦] مثلُ الذى فى البحر من السُّلَحفاة والرَّقّ ، والتِّمساح ، والضِّفدع ؛ وأنَّ تلك الأجناسَ البرّيّةَ وإن اختلفَتْ فى أُمورها ، فإنّها قد تتشابه فى أمور ؛ وأنّ هذه الأجناسَ البحرية من تلك ، ككلب الماء من كلب الأرض .

---

(١) نسى الجاحظ أن يذكر صاحب الزعم ، أو سقط من الناسخين . وقد يكون الزاعم صاحب المنطق .

(٢) ط : « خراجة » ، تحريف ما فى س ، هـ .

(٣) س : « وذاك النسب » الخ . ط ، هـ : « التى » صوابها فى س .

(٤) ط : « أنما » صوابه فى س ، هـ .

(٥) الحلكاء ، بالضم ، وبالفتح ، وبالتحريك : ضرب من العظاء . ط فقط : « الحلكى » ، وهى صحيحة فى ذاتها ، وضبطها بضم الحاء واللام ، وتشديد الكاف المفتوحة . ولكنى لا أحسب الجاحظ استعمل هذه اللغة ، وإنما هو تحريف من الناسخ .

(٦) العظاء ، بالفتح : جمع عظاءة ، وهى دويبة كسام أبرص . س : « والقطاة » هـ : « والقطا » صوابه فى ط .

(صوم بعض الحيوان)

وقد زعم صاحبُ المنطق أنّ الحيَّة وسامّ أبْرَص[١] من العَظَاء ، والتِّمساح ، تسكنَ فى أعشّتها[٢] الأربعةَ الأشهر الشديدةَ البرد[٣] ، لا تطعم شيئاً ؛ وأنّ سائر الحيّاتِ تسكنُ بطنَ الأرض . فأمّا الأفاعى فإنّهاَ تسكُن فى صُدوعِ الصَّخر . ٤٩

وليس لشىءٍ من الحيوانِ من الصَّبر عن الطُّعمِ ما لهذه الأجناس . وإنَّ الفيل ليناسبُها من وجهين : أحدهما من طول العمر ، فإنَّ منها ما قد عاش أربعَمائةِ سنة . والوجه الآخر : أنّ الفيلة مائيَّةٌ [وهذه الأجناس مائيَّة[٤]] وإن كان بعضُها لا يسكن الماء .

(داهية الغَبَر)

قال : وسَمِعتُ يونُس بنَ حَبيبٍ[٥] يقول : « داهية الغَبَر[٦] » . قال : وقيل

---

(١) ط : « تلك الحية » والوجه حذف الكلمة الأولى كما فى س ، ه . ط ، ه : « من سام أبرص » صوابه فى س .

(٢) كذا ، وأصل العش للطائر . وانظر حواشى ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٣) ط : « أربعة أشهر شديدة البرد » . س : « الأربع الأشهر الشديدة البرد » وأثبت ما فى ه لكن فيها « الأربعة أشهر » .

(٤) هذه الزيادة من ه .

(٥) فى الأصل : « حرب » ، والصواب ما أثبت . وقد تقدمت ترجمته فى (١ : ٣٢٩) .

(٦) الغبر بالتحريك وبغين معجمة فى أولها : الماء يغبر حينا فى المستنقع ، كما يفهم من التعليل الآتى . وفى أمثال الميدانى (١ : ٤٠) : « وسمعت أن الغبر عين ماء بعينه تألفه الحيات » . وفى معجم البلدان : « الغبر آخر مخال سلمى بجانب جبل طيىء ، وبه نخل ، ومياه تجرى أبداً » . ط : « القبر » صوابه فى س ، ه .

ذلك لأنها ربَّما سكنَتْ بقُربِ ماءٍ ، إمَّا غديرٍ وإمَّا عينٍ ، فتَحْمِى[1] ذلك الموضعَ . وربما غبر ذلك الماءُ فى المنْقَع حيناً وقد حمتْـه .

وقال الكذَّابُ الحِرمازىّ[2] :

يا ابنَ المعلَّى نزَلَتْ إحدَى الكُبَرْ[3] ... دَاهيةُ الدَّهرِ وصَمَّاءُ الغَبَرْ[4]

قال : وسأل[5] الحكم بنُ مروانَ بنِ زنباعٍ ، عن بنى عبد الله ابن غطَفان ، قال : [أفعى[6]] إنْ أيقظْتهـا لسعَتْك ، وإن تركْتَها لم تَضِرْك .

(نادرة تتعلق بالحيات)

وذكر عن سعيد بن صخر[7] قال : نُهِش رجلٌ من أهل البادية كثيرُ المال ، فأشفى على الموت ، فأتاهم رجلٌ فقال : أنا أَرْقيه ، فما تُعطونى[8] ؟

---

(١) كذا على الصواب فى س . وفى ط : « فتحس » وفى هـ : « فتنحى » محرفتان .

(٢) سبقت ترجمته فى (٣ : ٤٨٤) .

(٣) كذا الرواية أيضاً فى ثمار القلوب ٣٣٦ . والرواية فى اللسان (غبر) وكذا فى أمثال الميدانى : « أنت لها منذر من بين البشر » ، أى يامنذر . وفى اللسان أنه يمدح بهذا الشعر بن المنذر الجارود .

(٤) ط : « العبر » بالعين المهملة ، صوابه فى س ، هـ .

(٥) كذا . ولعلها : « وسئل » .

(٦) الزيادة من س ، هـ . وانظر ما سبق من الكلام على « أفعى » فى ص ١١٧ .

(٧) سبقت ترجمته فى (٢ : ٣٦٣) .

(٨) ط : « فان تعطونى » صوابه ، فى س ، هـ . وقد حذف إحدى نونى : « تعطونى » وهو جائز . وفى المغنى : « ونحو تأمرونى يجوز فيه الفك والإدغام والنطق بنون واحدة » .

فشارطوه عَلَى ثلاثين درهما[1] ، فرقَاه وسقَاه أشياءَ ببعض الأخلاط ، فلمَّا أفاقَ قال : الرَّاقى والمداوى : حقى ! قال الملدوغ : وما حقه ، قالوا : ثلاثون درهما . قال أُعطيه من مالى ثلاثينَ درهما فى نَفَثَاتٍ نَفَثَهَا، وَحَمْضٍ سَقاه[2] ! لا تُعطوه شيئاً !

(حديث سكر الشطرنجى)

وحدَّثنى بعضُ أصحابِنا عن سُكَّرٍ الشِّطرنجىّ ، وكان أحمقَ القاصِّين[3] ، وأحذقهم بلعب الشِّطرنج ، وسألته عن خرق كان فى خَرَمَةِ أنفه[4] فقلت له : ماكان هذا الخرق ؟ فذكر أنَّه خرج إلى جَبُّلَ[5] يتكسَّب بالشِّطْرنج ، فقدم البلدةَ وليس معه إلاّ درهمٌ واحد ، وليس يَدرِى أينجَح أم يُخْفِق ، ويَجِدُ صاحبَه الذى اعتمَدَه أمْ لاَ يجده[6] ؟ فورد على حَوَّاءٍ وبين يديه جُوَنٌ عِظامٌ[7] فيها حياتٌ جليلة .

والحيّة إذا عضَّت لم تكنْ غايتُها النَّهش أو العضّ[8] ، وأن ترضى بالنَّهش ،

---

(١) ط : « فارقوه عن ثلاثين درهما » ، تصحيحه من س ، هـ .

(٢) الحمض ، بالفتح ، أصله كل نبت مالح أو حامض ، وجعله هنا للدواء الذى فيه حموضة . هـ : « وحرس سق » والكلمة الأولى فى هـ محرفة .

(٣) جمع قاص للقصص . س ، هـ : « العالمين » .

(٤) الخرمة ، بالتحريك : موضع الخرم من الأنف . وفى الأصل : « الخزامة » ، وهى كـكتابة : البرة تجعل فى الأنف . ولا وجه لها .

(٥) جبل ، بفتح الجيم وتشديد الباء المضمومة : بليدة بشاطىء دجلة . وفى الأصل : « الجبل » ولا تصح ؛ فإن الجبل اسم لبلاد كثيرة تمتد ما بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم . القاموس ومعجم البلدان .

(٦) ط : « ويجلو صاحبه الذى اعتمده أيجده أم لا » ، س : « ويحده أجبه » الخ صوابهما فى هـ .

(٧) جون ، بضم الجيم وفتح الواو : جمع جونة ، بالضم . وقد سبق تفسيرها فى ١١٥ .

(٨) ط : « والعض » .

ولـكنَّها لا تعضُّ إلاَّ للأَكل والابتلاع . وربَّما كانت الحيَّات عِظاماً جدًّا ولا سمومَ لهـا ، ولا تَعْقِر [١] بالعضّ ، كحيات الجَوْلانِ [٢] .

وفى البادية حيَّة يقال لها الُحفَّاث [٣] والُحفَّاث من الحيَّات تأكل الفأر وأشباهَ الفأر ، ولها وعيدٌ مُنـكَرٌ ، ونفْخٌ وإظهارٌ للصَّولة ؛ وليس وراء ذلك شَىْء [٤] . والجاهل ربَّمـا ماتَ من الفزَع منها . وربَّما جمعت الحيَّة السَّمَّ وشدَّةَ الجَرْح ، والعضَّ والابتلاعَ ، وحَطْمَ [٥] العظْم .

فوقف سُـكَّرٌ على الحوَّاءِ وقد أخرج من جُونتِهِ أعظمَ حَيَّات فى الأرض ، وادّعى نُفوذَ الرُّقيةِ وجودةَ التِّرياق ، فقال له سُـكَّرٌ [٦] : خذْ منِّى هذا الدِّرهمَ وارقنى رُقْيةً لاتضرُّنى مَعَها حيّةٌ أبداً ! قال : فإنِّى أفعل . قال : فأرْسِلْ قبل ذلك حَيَّةً ، حتّى ترقِيَنى بعدَ أن تعضَّنى ؛ فإنْ أفقْتُ علمتُ أنَّ رُقْيتَك صحيحة . قال : فإنِّى أفعـــل ، فاخترْ أيَّتَهنَّ شئت . فأشار إلى واحدةٍ ممَّـا تعضُّ للأَكلِ دونَ السَّمّ ، فقال : دعْ هذه ؛ فإنَّ هذه إن قبضَتْ على لحمك لم تفارقكَ حتى تقطعك [٧] ! قال : فإنِّى لا أريد غَيرَها . وظنَّ أنّه إنّما زَوَاها عنه لفضيلةٍ فيها . قال : أمّا إذْ أبيت إلاَّ هذه فاخترْ موضعاً من جَسَدِكَ حَتَّى أرسلها عليه . فاختارَ أنفه ، فناشده وخوَّفه ، فأبى إلا ذلك

---

(١) تعقر : تجرح . وفى ط : « تنفر » ، تحريف ما فى س ، هـ .

(٢) الجولان ، بالفتح : جبل من نواحي دمشق . معجم البلدان .

(٣) الحفاث ، بحاء مضمومة بعدها فاء مشددة مفتوحة . ط : « الخناث » س ، هـ : « الحفاث » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) ط : « سيما » ، صوابه فى س ، هـ .

(٥) محرفة فى الأصل ، فهى فى ط ، هـ : « خطم » وفى س : « حكم » .

(٦) ط : « سكن » صوابه فى س ، هـ .

(٧) س : « لم تفارقه » فقط .

أو يردّ عليه دِرْهَمَهُ . فأخذها الحوّاءُ وطواها على يده ؛ كى لايدعَها تنكُزُ[١] فتقطع أنفَه من أصله . ثمّ أرسلها عليه . فلما أنشبت أحَدَ نَابَيْهَا فى شِقِّ أنفه صرَخ عليه صَرخةً جمعتْ عليه أهلَ تِلك البَلْدة ، ثُمَّ غُشِى عليه ، فأُخِذَ الحَوّاءُ فوُضع فى السِّجن ، وقتلوا تلك الحيّات ، وتركوه حتّى أفاقَ كأنّه أجنُّ الخلْق ، فتطوّعوا بحمله فحملوه مع المُكَارِى[٢] ، وردُّوه إلى البصرة ، وبَقِىَ أَثَرُنَا بِهَا فى أنفه إلى أن مات .

(ما يغتصب بيت غيره من الحيوان)

قال : وأشياءُ من الحشرات لا تتخذ لنفسها ولا لبيضها ولا أولادها[٣] بيوتاً ، بل تظلم كلَّ ذى جُحر جُحرَه ، فتخرجُه منه ، أو تأكُلَه إنْ[٤] ثبَتَ لها .

والعربُ تقول للمُسىء : « أَظْلَمُ مِنْ حَيّةٍ » ؛ لأنَّ الحيَّة لا تتَّخذ لنفسها بيتاً . وَكلُّ بيتٍ قصدَت نحوَه هرب أهلُه منه ، وأخْلَوْه لها .

(عداوة الورل للحيات)

والورَل يقْوَى[٥] على الحيَّات ويأكلُها أكلاً ذريعاً . وكلُّ شِدَّةٍ يلقاها

---

(١) تنكز ، آخره زاى، كما فى س . وفى ط ، هـ : « تنكر » محرفة . وانظر ٢ : ١٣٨ .

(٢) المكارى : من يكرى الناس دابته . والكراء : الأجرة . س : « مكارى » صوابه : « مكار » بحذف الياء .

(٣) س : « ولبيضها ولأولادها » .

(٤) ط : « إذ » .

(٥) ط : « يقول » صوابه فى س ، هـ .

ذو جُحْر منها فهى تَلقَى مِثلَ ذلك من الورَل . والورَلُ أَلْطَفُ جِرْماً من الضّبّ .

وزعم أَنَّهُمْ يقولون : « أَظلَمُ مِنْ وَرَل » كما يقولون : « أَظْلَمُ مِنْ حَيّةٍ » ، وكما يقولون : « أَظْلَمُ مِنْ ذِئْبٍ » ويقولون : « مَنْ اسْتَرْعَى الذِّئْبَ ظلَمَ[1] » .

(الورل والضبّ)

وبراثن الوَرَل أقوى مِن براثِنِ الضّبّ . والضِّبابُ تحفِر جِحَرَتَها فى الكُدَى[2] . والوَرَل لا يحفِرُ لنفسه بل يُخرِجُ[3] الضّبّ من بيته . فتزعم الأعرابُ أنّه إنّما صار[4] لا يحفر [لنفسه إبقاءً على براثِنه . ويمنع الحَيَّةَ أن تحفِر بيتَها] أنّ[5] أسنانَها أكَلُّ من أسنان الفأر [ومن التى تحفر بالأفواه والأيدى ؛ كالنمل والذّرّ وما أشبه ذلك] . والحيّة[6] لا ترى أن تعانِىَ ذلك ، وحَفْرُ غيرِها ومعاناته يكفيها .

---

(١) استرعاه : جعله راعيا . وظلم : أى ظلم الغنم ، أو ظلم الذئب حيث كلفه ما ليس فى طبعه . وأصل المثل فى الميدانى (٢ : ٢٣٠) .

(٢) جحرة ، كعنبة : جمع جحر . وفى الأصل : « أجحرتها » ، وليس قياسا ولا مسموعا . والصواب ما أثبت . والكدى : جمع كدية ، بالضم : وهى الأرض الصلبة . وكتبت فى الأصل بالألف خطأ ؛ إذ أصلها الياء .

(٣) ط ، هو : « تخرج » ، صوابه فى س .

(٤) ط : « أنها إنما صارت » ، وتصحيحه من س ، هو .

(٥) ط ، هو : « لأن » صوابه فى س .

(٦) ط ، هو : « فهى » .

(شعر فى ظلم الحية)

وفى ضَرْبِ المثل بظُلْم الحيّة ، يقول مضرِّس بن لقيط[١] :

لَعَمْرُكَ إنِّى لَوْ أُخاصِمُ حَيّـةً ... إلى فَقْعَسٍ مَا أَنْصَفَتْنِى فَقْعَسُ[٢]

إذا قلتُ ماتَ الدّاءُ بينى وبينَهُمْ ... سَعَى حَاطِبٌ منهم لآخَرَ يقْبِسُ[٣]

فمـا لَـكُمْ طُلْساً إلىَّ كأَنَّـكُمْ ... ذِئَابُ الغَضَى والذِّئْبُ باللَّيْلِ أَطْلَسُ[٤]

وجعله أطلس ؛ لأنّه حين تشتدُّ ظُلمة الَّليل فهو أخفَى له ، ويكونُ حينئذٍ أخبثَ له وأضْرَى .

٥١ وقال حَرِيزُ بن نُشْبَةَ العَدَوىّ[٥] ، لبنى جعفر بنِ كلاب ، وضَرَبَ جَوْرَ الحيَّةِ والذِّئبِ فى الُحكْمِ مثلاً ، فقال :

---

(١) سبقت ترجمته فى (٣ : ٤٥٩) . وقد نسب البحترى الشعر فى حماسته ٣٨٠ إلى عامر بن لقيط الأسدى . وهذه النسبة الأخيرة أيضاً فى محاضرات الراغب (١ : ١٧٤) . وفى البيان (٢ : ١٦٠) : « قال الأسدى » .

(٢) قال الجاحظ فى البيان : « يقول : بلغ من ظلم قومنا لنا أننا لو خاصمنا الذئاب والحيات وبها يضربون المثل فى الظلم — لقضوا لها علينا » . وفقعس ، هو ابن طريف ، أبو حى من قبيلة أسد .

(٣) الحاطب : الذى يجمع الحطب . فى البيان : « أتى حاطب » .

(٤) طلسا : جمع أطلس ، وهو الذى فى لونه غبرة إلى سواد . ط : « طلسى » صوابه فى س ، هـ والمراجع المتقدمة . وقد روى البحترى أبياتا بعد هذا فى حماسته .

(٥) هو حريز ، بحاء مهملة وزاى ، ابن عبدة ، أحد بنى زيد بن نشبة بن على بن أسامة ابن مالك بن بكر بن حبيب ، كما فى المؤتلف ٧٢ . وفى الأصل : « جرير » مصحف . ونشبة ، بضم النون بعدها شين معجمة ، هو جده لا أبوه . س : « نسة » محرفة .

كأنَّنِي حينَ أحبُو جَعْفَرًا مِدَحِي ... أسقِيهِم طرْقَ مَاءٍ غيْرَ مَشْروبِ(١)

ولو أخاصِمُ أفْعَى نَابُهَا لَثِقٌ ... أو الأساوِدَ من صُمِّ الأهاضيبِ(٢)

لـكنتمُ معها إِلْباً ، وكان لهَا ... نَابٌ بأسفل ساقٍ أو بِعُرْقُوبِ(٣)

ولو أخاصمُ ذِئْباً فى أكِيلته ... لجاءنى جمعُكم يسعَى مع الذِّيبِ(٤)

(فم الأفعى)

قال : والحيَّة واسعةُ الشَّحْوِ والفم ، لها خطم(٥) ، ولذلك ينفُذ نابُها . وكذلك كلُّ [ذِى(٦)] فمٍ واسعِ الشَّحو ؛ كفم الأسد . فإذا اجْتَمَعَ له سعَة الشَّحو وطولُ اللَّحيين ، وكان ذا خَطمٍ وخُرطومٍ فهو أشدُّ له كالخنزير ، والذِّئب والكلْب . ولو كان لرأس الحيَّة عَظْمٌ كان أشدَّ لعضَّتها(٧) ، ولـكنَّه جلدٌ قد أطبقَ(٨) على عظمين رَقِيقَينِ مستطيلين بفـكَّيها الأعلَى والأسفل . ولِذَلِكَ(٩) إذا أهوَى الرَّجُلُ بحَجرٍ أو عصًا ، رأيتَها تلوِّى رأسها

(١) ماء طرق ، بالفتح : بالت فيه الإبل وبعرت ، وقد طرقته . غير مشروب : غير صالح لذلك .

(٢) أفعى : سبق الكلام فى تنوينها ص ١١٧ . لثق : مبتل بما ينطف من السم .

(٣) هم ألب عليه ، بالفتح والكسر : مجتمعون عليه بالظلم والعداوة . ط ، ھ : « إلبا معها » وبذا يختل الوزن . والوجه ما أثبت من س . و « ناب » هى بالنون فى س . وفى ط ، ھ : « باب » ، ولهذه وجه .

(٤) الأكيلة : شاة تنصب ليصاد بها الذئب ونحوه ، كالأكيلى ، والأكولة بالضم .

(٥) ط ، ھ . « له خطم » صوابه فى س .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) عظم : المراد عظم شديد . ھ ، ط : « خطم » ولا تصح . وانظر ما سبق قريبا .

(٨) كذا فى س ، ھ . وفى ط : « انطبق » .

(٩) كذا على الصواب فى س . وفى ط ، ھ : « وكذلك » .

وتحتال فى ذلك ، وتمنعه بكلّ حيلة ؛ لأنّها تعلم وتحسّ بِضَعْفِ ذلك الموضع منها ، وهو مَقْتَلٌ . وما أكثَرَ ما يكون فى أعناقها تخصيرٌ[١] ولصدورها أغباب[٢] ، وذلك فى الأفاعى أعمّ . وذلك الموضعُ المستدقّ إنّما هو شىءٌ كهيئة الخريطة ، وكهيئة فم الجِراب ، مُنْضَمُّ الأثْنـاء[٣] ، مُثَنًّى[٤] الغضُون . فإذا شئتَ أن تفتَح انفتح لك فمٌ واسع .

ولذلك قال إبراهيم بن هانئٍ : كان فَتْحُ فمِ الجرابِ يحتـاجُ إلى ثلاثة أيدٍ[٥] ، ولولا أنّ الحالين قد جعلوا أفواهَهم بدل اليد الثّالثةِ لقد كان ذلك ممتنعاً حتى يستعينُوا[٦] بيدِ إنسان .

وهذا ممّا يعدُّ فى مُجون ابن هانئ .

وكذلك حُلوقُ الحَيّاتِ وأعناقها وصدورُها ، قد تراها فتَراها فى العَين دقيقةً ، ولا سيّما إذا أفرطَتْ فى الطُّول .

(شراهة الحية والأسد)

وهى تبتلعُ فراخ الحمام . والحَيَّةُ أنهَمُ وأشره من الأسد . والأسدُ يبلَعَ البَضْعَةَ العظيمةَ من غير مضْغٍ ؛ وذلك لما فيه من فَضْل الشرَه . وكذلك الحيّة . وهما واثقان بسهولةِ وسَعَةِ المخرج .

---

(١) تخصير : أى دقة فى وسطها .

(٢) جمع غبب ، وهو اللحم المتدلى تحت الحنك .

(٣) الأثناء : التغضنات . ط : « ضم » ، صوابه فى س ، ﻫ . وفى ط : « الأنستاء » وفى س ، ﻫ : « الانثناء » صوابهما ما أثبت .

(٤) س ، ﻫ : « منثنى » .

(٥) س ، ﻫ : « أيدى » صوابه فى ط

(٦) ط : « يستعين » صوابه فى س ، ﻫ .

(تِنّين أنطاكية)

[و] ممَّا عظَّمها وزادَ فى فَزَع النَّاس منها ، الذى يرويه أهلُ الشام ، وأهْلَ البَحْرَيْن ، وأهل أنطاكِيَةَ[١] ؛ وذلك أنِّى رأيتُ الثلثَ الأعلى من منارةِ مسجد أنطاكِيَة أظهَرَ جِدَّةً من الثلثين الأسفلين ، فقلت لهم : ما بالُ هذا الثلثِ الأعلَى أجدَّ وأطْرَى[٢] ؟ قالوا : لأنَّ تِنِّينا[٣] ترَفَّعَ مِنْ بَحْرِنا هذا ، فكان ، لا يمرُّ بشيءٍ إلاّ أهلكه ، فمرَّ على المدينة فى الهواء ، محاذياً
٥٢ لرأس هذهِ المنارة ، وكانَ أعلى ممَّا هى عليه ، فضربَه بذَنَبِهِ ضَرْبَةً ، حَذفت[٤] من الجميع أكثَرَ من هذا[٥] المقدار ، فأعادوه بعد ذلك ، ولذلك اختَلَفَ فى المَنْظَر .

---

(١) أنطاكية ، بالفتح ثم السكون ، والياء مخففة . قال ياقوت : وليس فى قول زهير :

علون بأنطاكية فوق عقمة ... وراد الحواشى لونها لون عندم

وقول امرئ القيس :

علون بأنطاكية فوق عقمة ... كجرمة نخل أو كجنة يثرب

دليل على تشديد الياء ؛ لأنها للنسبة . وكانت العرب إذا أعجبها شيء نسبته إلى أنطاكية .

(٢) أطرى : من الطراوة ، وهى الغضاضة والحداثة . ه ، س : « أطوى » صوابه فى س . والكلام بعد هذه الكلمة إلى : « هذه المنارة » ساقط من س .

(٣) التنين ، كسجيل : حية عظيمة . ط : «وتسميتنا» صوابه فى ه .

(٤) ط : « خرقت » صوابه فى س ، ه .

(٥) ط : « هذه » صوابه فى س ، ه .

(الخلاف فى التنين)

ولم يزل أهلُ البِقاع[1] يتدافعون أمْرَ التِّنِّين . ومن العجب أنَّكَ تكون فى مجلسٍ وفيه عشرون رجُلاً ، فيجرى ذكرُ التِّنِّين فينكرُه بعضهم . وأصحاب التثبت[2] يدَّعون العِيان . والموضع قريب ، ومَنْ يعاينُه كثير . وهذا اختلافٌ شديد .

(قول الأعراب فى الأصَلة)

والأعرابُ تقول فى الأصلة[3] قولاً عجيباً : تزعمُ أنَّ الحيَّة التى يقال لها الأصَلة لا تمرّ بشىء إلا احترق . مع تهاويلَ كثيرةٍ ، وأحاديث شنيعةٍ .

(الأجدهانى)

وتزعم الفُرْس أنَّ الأجدِهانى[4] أعظم من البعير ، وأنَّ لها سبعةَ رءوس ، وربما لَقِيَتْ ناساً فتبتلع من كلِّ جهةٍ فمٍ ورأسٍ إنسانا . وهو من أحاديث الباعة والعجائز[5] .

---

(١) البقاع : موضع يقال له بقاع كلب ، قريب من دمشق ، وهى أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق . ياقوت .

(٢) ط ، هـ : « التشبيت » ، ووجهه ما فى س .

(٣) الأصلة : حية كبيرة الرأس قصيرة الجسم . واللغويون يختلفون فى تحليتها ، أى نعتها .

(٤) انظر الاستدراكات .

(٥) ط : « أو العجائز » وتصحيحه من س ، هـ .

(الحية ذات الرأسين)

وقد زعم صاحبُ المنطق أنه قد ظهَرَتْ حيَّةٌ لها رأسان . فسألتُ[١] أعرَابِيًّا عن ذلك فزعَمَ أنّ ذلك حَقٌّ . فقلت له : فمن أىِّ جهة الرَّأسين تسعى؟ ومن أيِّهما تأكلُ وتَعَضّ ؟ فقال : فأمّا السَّعْىُ فلا تَسْعَى ، ولكنّها تَسْعى إلى حاجتها بالتقلب ، كما يتقلَّب الصِّبيان على الرَّمْل . وأمّا الأكْل فإنها تتعشى بفمٍ وتتغدَّى بفم . وأمَّا العضّ فإنها تعضُّ برأسيها معاً !! فإذا به أكذبُ البَرِيَّة .

وهذه الأحاديثُ كلها ، ممّا يزيد فى الرعب منها ، وفى تَهْويل أمرها[٢] .

(فُرانق الأسد)

ومِثْلُ شأنِ التِّنّين مثْلُ أمرِ فُرَانِقِ الأسد[٣] ؛ فإنّ ذكرَه يجرى فى المجلس ، فيقول بعضهم : أنا رأيتُه وسَمِعْتُه !

---

(١) ط ، هـ : « فسئلت » صوابه فى س .

(٢) س : « والاستهالة لمنظرها » . والكلام من بعد هذه الكلمة ، إلى « لمنظرها » الآتية ، ساقط من س .

(٣) الفرانق ، بضم الفاء . وفى الأصل « غرانق » صوابه ما أثبت . ولفظه معرب من « پَرْوَانَكْ » الفارسية . القاموس المحيط ، ومعجم استينجاس . وهو ضرب من الوحش ، يتقدم الأسد ويرشده إلى فريسته .

(فزع الناس من الحية)

وربما زاد فى الرعب منها والاستهالة لمنظرها قول جميع المحدِّثين : إنَّ من أعظم ماخلَق الله الحَية والسَّرطانَ والسَّمك .

(طول عمر الحية)

وتقول الأعراب : إنَّ الحَية أطولُ عمراً من النَّسر ، وإن الناس لم يجِدُوا حَيةً قطُّ ماتت حتْفَ أنفِها ، وإنما تموت بالأمر يعرض لها[1] .
وذلك لأمور : منها قولهم إنَّ فيها شياطينَ ، وإنَّ فيها مِنْ مِسخ ، وإنَّ إبليسَ إنما وسوس إلى آدم وإلى حوَّاء من جَوْفها .

(زعم الفضل بن إسحاق)

وزعم لى الفضلُ بن إسحاق ، أنهُ كان لأبيه [نُخَّان[2]] ، وأنّ طولَ كُلِّ نخٍّ تسعة عشرَ ذراعا[3] .

(١) ط : « بالأمر الذى يعرض لها » .
(٢) موضع هذه الكلمة بياض فى الأصل . وقد أثبتها اعتمادا على سياق الكلام . والنخ ، بالضم : بساط طوله أكثر من عرضه ، فارسى معرب . اللسان ، والألفاظ الفارسية . وضبطه صاحب القاموس بالفتح .
(٣) ط : « وأن طول كليهما » ، وأثبت ما فى س ، هـ . وفى س : « كليما » بدل « ذراعا » وهو خطأ . وقد أتى الجاحظ بهذا الخبر شاهدا على المبالغة والتهويل ، فيما يظهر . انظر ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(ضروب الحيات)

ومن الحيّات الجُرد والزعْر ، وذلك فيها من [الغالب[١]] .
ومنها ذواتُ شعر ، ومنها ذواتُ قرون . [وأرسطو ينْـكِرُ ذلك[٢]] وإنما يتخلق لها فى كلِّ عام قشرٌ وغِلاف ، فأمَّا[٣] مقادير أجسامها فقط .

(انسلاخ جلد الإنسان)

وأما الجلودُ فإنَّ الأرمينيَّ زعم أنه كان عندهم رجلٌ ينقَشِر من جلده وينسلخُ فى كلِّ شهرٍ مرَّةً . قال : فجمع ذلك فوُجد فيه مِلْءُ جراب أو قال : أكثرُ .

(علة الفزع من الحية)

٥٣ وأما الذى لا أشك فى أنه قد زاد فى أقدارها فى النفوس ، وعظَّم من أخطارها ، وهوّل من أمْرها ، ونبَّه على مافيها من الآيةِ العجيبةِ والبرهان النـــيِّر ، والحجَّةِ الظاهرة ، [فَمَا[٤]] فى قلب العصا حَيَّةً ،

(١) موضع هذه الـكلمة بياض فى الأصل . وجاء فى حياة الحيوان : « ومن أنواعها الأزعر ، وهو الغالب فيها » .

(٢) هذه الزيادة عن الدميرى . ومكانها بياض بقدر نصف سطر فى س . ولم يبيض لها فى ط ، هـ .

(٣) بعد هذه الـكلمة بياض نحو نصف سطر فى س فقط .

(٤) ليست بالأصل ، وبها يتم الـكلام .

وفى ابتلاعها ماهوَّلَ به القومُ وسحَروا منْ أعْيُنِ الناس، وجاءوا به من الإفك قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَافِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَاأَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ [قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ(١)] فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِى إِسْرَائِيلَ . قالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾، إلى قوله : ﴿ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ(٢) ﴾ .

فإن قلت : إنه إنما حَوَّل العصا ثُعباناً لأنهم جاءوا بحبال وعِصِىٍّ فحوَّلوها فى أعين الناس كلهاَ(٣) حيَّات ، فلذلك قلبَ اللهُ العصا حَيةً(٤) على هذه المعارضة . ولو كانوا حين سحرُوا أعيُن الناس جَعَلوا حبالهم وعصيَّهُمْ ذِئَاباً فى أعْيُنِ الناس ونمُورا، لجَعَل الله عصا موسى ذئباً أو نَمِرًا ، فلم يكن ذلك لخاصَّةٍ فى بدَن الحَية .

قلنا : الدّليل على باطل ماقلتم ، قوْلُ الله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى . قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى . قَالَ أَلْقِهَا يَامُوسَى . فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ وقال الله عزّ وجلّ (٥) : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّى آنَسْتُ نَارًا(٦) ﴾

---

(١) هذه التكلمة ليست فى س : هـ . وإسقاطها تحريف شنيع . وبدلها فى ط كلمة : « إلى » . وهذه الآية وسابقتها ولاحقتاها ، هى الآيات ١٠٤ — ١٠٧ من سورة الأعراف .

(٢) هذا سهو من الجاحظ ، فإن هذه الآية من سورة أخرى هى سورة الشعراء ، وهى الآية الرابعة والأربعون .

(٣) ط ، هـ : « كأنها » وأثبت ما فى س .

(٤) س ، « قلت إن العصاحية » وهو تحريف ما فى ط ، هـ .

(٥) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من هـ .

(٦) هذه هى الآية السابعة من سورة النمل . وتمامها : « سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون » .

إلى قوله : ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ، يامُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ[١] ﴾ فقلبت[٢] العصا جانًّا ، وليس هناك حبالٌ ولا عِصِىٌّ . وقال الله[٣] : ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلٰهاً غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ . قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُبِينٍ . قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ فقلبُ[٤] العصا حيّةً كان فى حالات شَتَّى[٥] . فكان هذا مِمّا زاد فى قدْر الحية .

وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال فى دعائه أن لا يميته اللهُ لَديغا . وتأويل ذلك : أنّه صلى الله عليه وسلم ما استَعاذَ بالله من أن يموت لديغاً[٦] وأنْ تكونَ مِيتته بأكْل هذا العدوِّ ، إلا وهو من أعداء الله ، بل مِنْ أشدّهم عداوة .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم ، « أَشَدُّ الناس عذاباً يوم القيامةِ مَنْ قتلَ نَبِيًّا أو قَتَلَهُ نبىٌّ » ، كأنَّهُ كان فى المعلوم[٧] أنَّ النبىّ لا يقتُل أحداً ،

---

(١) سها الجاحظ مرة أخرى فجعل عقب الآية هكذا : « يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين » ، فخلط بين هذه الآية وبين الآية ٣١ من سورة القصص : « وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ياموسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين » . ومن العجب أن يمر على هذا السهو والذى قبله نحو أحد عشر قرنا فلا يتهيأ أحد لإصلاحه ورده إلى نصابه . والحمد لله .

(٢) هـ : « فقلب » ولها وجه .

(٣) سقطت هذه الكلمة من س . وسقطت الكلمة الأولى فى الآية من ط . وهما مثبتتان فى هـ . والآيات هى ٢٩ — ٣٢ من سورة الشعراء .

(٤) س : « فقلبت » ، ولا تصح .

(٥) رسمت هذه الكلمة بالألف فى ط . وهى بقية من بقايا الرسم الأول .

(٦) ط : « مستعاذ بالله أن يموت لديغا » ، وتصحيحه وإكماله من س ، هـ .

(٧) كذا فى ط . وفى س ، هـ : « العلوم » وهى ركيكة .

ولا يَتّفِق ذلك إلاّ فى أشْرَار[١] الخلْق . ويدلُّ على ذلك الذى اتّفق من قتل أُبىٍّ بن خلفٍ بيدِه[٢] ، والنَّضر بن الحارث[٣] ، وعَقبة بن أبى مُعيط[٤] ، ومعاوية بن المغيرة بن أبى العاصى[٥] ــ صبراً[٦] .

(١) أشرار : جمع شرير ، كشريف ، وهو ذو الشر . أو هو جمع شر ، مثل زند وأزناد . اللسان والقاموس . ط ، هـ : « شرار » ولم أجدها فيهما فى مادة (شرر) ورأيتها فى شعر صخر أخى الخنساء (الخزانة ١ : ٣٩٣ سلفية) :

* والله لا أمنحها شرارها *

(٢) هو أبى بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، كان أدرك الرسول فى الشعب يوم أحد ، وهو يقول : أى محمد ! لا نجوت إن نجوت ! فقال القوم : يارسول الله أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال : دعوه : فلما دنا منه تناول رسول الله الحربة من الحارث بن الصمة ، وطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مراراً — أى تقلب فجعل يتدحرج . سيرة ابن هشام (يوم أحد) .

(٣) هو النضر بن الحارث بن كلدة ، أحد بنى عبد الدار . أسر يوم بدر كافراً فضرب الرسول عنقه صبراً . حماسة البحترى ٤٣٤ . أو قتله على وهو قافل مع الرسول من غزوة بدر إلى المدينة . السيرة ٥٠٨ . ورثته أخته قتيلة بأبيات ، هى من أروع آيات البيان العربى ، رواها ابن هشام فى السيرة ٥٣٩ وأبو تمام فى الحماسة (١ : ٤٠١) والبحترى فى حماسته ٤٣٤ والجاحظ فى البيان (٤ : ٤٤) . وقيل إن الرسول لما بلغه الشعر قال : « لو بلغنى هذا قبل قتله لمننت عليه ! » . فيقال إن قتيلة بنته ، كما فى حماسة البحترى والإصابة ٨٨٤ من قسم النساء .

(٤) عقبة بن أبى معيط — بهيئة التصغير — كان ممن أسر يوم بدر من المشركين ، قتل فى أثناء قفول الرسول من غزوة بدر ، قتله عاصم بن أبى الأقلح الأنصارى . وكان عقبة قد احتج قبل قتله فقال : « أأقتل من بين قريش صبراً ؟ » فقال عمر ابن الخطاب : « حن قدح ليس منها ! » يعرض بنسبه . الروض الأنف (٢ : ٧٧) .

(٥) هو معاوية بن المغيرة بن أبى العاصى بن أمية بن عبد شمس ، وهو جد عبد الملك ابن مروان ، أبو أمه : عائشة بنت معاوية ، كان أسره الرسول بعد غزوة حمراء الأسد ، عند رجوعه إلى المدينة ، فلجأ إلى عثمان بن عفان ، فاستأمن له الرسول فأمنه على أنه إن وجد بعد ثلاث قتل ، فأقام بعد ثلاث وتوارى ، فبعث الرسول زيد بن حارثة وعمار بن ياسر إليه ، وقال : إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا . فوجداه فقتلاه . السيرة ٥٩١ . ط : « معاوية بن أبى المغيرة » ، صوابه فى س ، هـ كما فى السيرة .

(٦) قتله صبراً : حبسه ورماه حتى مات . صبره : نصبه وحبسه ليقتل . ومما ينبغى =

وحدِّثت[1] عن عبد الله بن أبي هند ، قال : حدَّثني صيفي بن أبي أيُّوب ، أنه سمع أبا بَشِيرٍ الأنصاريّ[2] يقول : «كان رسول الله
٥٤ صلى الله عليه وسلم يتعوّذُ من هؤلاء السَّبْع : كان يقول : اللهمَّ إني أعوذُ بك من الهَدْم[3] وأعوذُ بك من التردِّي[4] ، وأعوذ بك من الغمِّ والغَرَق[5] ، وأعوذ بك من الحَرقِ والهَرَم[6] ، وأعوذ بك أن يتخبَّطني الشَّيطانُ عند الموت[7] وأعوذ بك من أن أموتَ في سبيلك مُدْبراً ، وأعوذ بك من أن أموتَ لديغاً» .

وطلحة بن عمرو قال : حدثني عطاء أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : «اللَّهُمَّ إني أعوذُ بك من الأسَد [و[8]] الأسْوَدِ ، وأعوذ بك من الهَدْم» .

= ذكره هنا ، أن الجاحظ قد صرح في كتاب العثمانية ص ٤٦ بأن الرسول «لم يقتل بيده إلا رجلا واحداً» . فهؤلاء الثلاثة قد أمر الرسول بقتلهم ، ولم يقتلهم بيده .

(١) في الأصل : «حدث» . والوجه ما أثبت .

(٢) أبو بشير الأنصاري ، ذكره ابن حجر في الإصابة ١٣٠ (قسم الكنى) . وقيل اسمه قيس بن عبيد بن الحرير بمهملتين مصغراً ، أورده ابن سعد فيمن شهد الخندق . وقيل مات سنة أربعين .

(٣) في رواية أخرى : «اللهم إني أعوذ بك من الأهدمين» قيل في تفسيره : هو أن ينهدم على الرجل بناء ، أو يقع في بئر ، حكاه الهروى في الغريبين . اللسان (هدم) .

(٤) تردى : سقط في بئر أو نهر أو هوة .

(٥) كذا في هـ واللسان (غرق) ، والجامع الصغير ١٥٤١ رواية عن النسائي والحاكم . وفي ط ، س : «الفرق» بمعنى الخوف .

(٦) الحرق ، بالتحريك : النار أو لهبها . والهرم ، بالتحريك : أقصى الكبر . ط ، س : «الهدم» صوابه في هـ .

(٧) تخبطه الشيطان : صرعه ولعب به .

(٨) هذه الزيادة الضرورية من الدميري (رسم الأسود السالخ) . وفيه : روى أبو داود =

(استطراد لغوى)

قال : ويقال للحيَّة : صَفَرَتْ تَصْفِرُ صفيراً ، والرجل يصفِر بالطير للتنفير ، وبالدوابِّ وببعض الطير للتعليم . وتتخذ الصَّفّارة [يُصْفَرُ بِهاَ[١]] للحمام وللطير فى المزارع . قال أعشى هَمْدان يهجُو رَجُلاً :

وإذا جَثَــا للزَّرع يوم حَصادِه   قَطَعَ النَّهارَ تأوُّهاً وصَفِيرَا

(لسان الحية)

والحيَّة مشقوقة اللسان سوداؤه . وزعم بعضهم أن لبعض الحيَّات لسانين وهذا عندى غلطٌ ، وأظنُّ أنَّهُ لما رأى افتراق طرف اللسان[٢] قضى بأنَّ له لسانين .

(عجيبة الضب)

ويقال : إن[٣] للضَّبِّ أيْرَيْن ، ويسمَّى أَير الضَّبِّ نِزْكًا[٤] .

قال الشاعر[٥] :

= والنسائى والحاكم وصححه ، عن عبد الله بن عمر قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر فأقبل الليل قال : يا أرض ، ربى وربك الله ، أعوذ بالله من شرك ، وشر ما فيك ، وشر ماخلق فيك ، وشر مايدب عليك ! أعوذ بالله من أسد وأسود ، ومن الحية والعقرب ، ومن ساكن البلد ، ومن والد وما ولد ! » . الأسود : نوع من الأفاعى شديد السواد ، يقال له أسود سالخ ؛ لأنه يسلخ جلده كل عام .

(١) الزيادة من ه فقط .

(٢) ط : « طرفى اللسان » . وأثبت ما فى س ، ه .

(٣) ط : « بأن » .

(٤) النزك ، بكسر النون وتفتح . ط : « طرك » ه : « ترك » س : « نزك » صوابه ما أثبت وانظر الجزء السادس ص ٧٤ حيث صرح الجاحظ بضبطه .

(٥) هو أبو الحجاج . وقال ابن برى : « هو لحمران ذى الغصة ، وكان قد أهدى =

كَضَبٍّ له نِزْكانِ كانا فَضِيلةً   على كلّ حافٍ في الأنام ونَاعِلِ(١)

قال أبو خَلفٍ النمرىّ : سئل أبو حيّة النميرى عن أير الضَّبِّ ، فزعم أنّ أيرَ الضّب كلسان الحيّة : الأصل واحدٌ ، والفرع اثنان .

(زعم بعض المفسرين فى عقاب الحية)

وبعض أصحاب التفسير يَزْعُمُ أنّ الله عاقبَ الحيّةَ حين أدخلت إبليس فى جوفها ، حتى كَلَّمَ آدم وَحَوَّاءَ وخدعهما على لسانها ، بعشرِ خِصال : منها شقُّ اللسان(٢) . قالوا : فلذلك ترى الحيّةَ إذا ضُرِبَتْ للقَتْل كيف تخرج لسانها لتُرِىَ الضَّارِبَ عقوبةَ الله ، كأنها تَسْترحم . وصاحب هذا التفسير لم يقلْ ذلك إلّا لحيَّةٍ كانت عنْدَه تَتكَلّمُ ، ولولا ذلك لأنكر آدمُ كلامها ، وإن كان إبليسَ لايحتال إلّا من جهة الحيَّة ، ولا يحتال بشىءٍ غير مموّه ولا مشبَّه .

= ضبابا لخالد بن عبد الله القسرى » . انظر اللسان (مادة نزك) حيث تجد أبيات الشاهد . وقال ابن السيد فى الاقتضاب ٣٥٥ : « كان خالد ولاه بعض البوادى فلما جاء المهرجان أهدى كل عامل إليه ماجرت عادة العمال بإهدائه ، وأهدى إليه حمران قفصاً مملوءا ضبابا وكتب إليه » . وأنشد الأبيات التى رواها الجاحظ أيضاً فى الجزء السادس .

(١) الرواية : « سبحل له نزكان » انظر الحيوان (٦ : ٧٣) واللسان (نزك ، سبحل) والمخصص (٨ : ٩٧) وعيون الأخبار (٢ : ٩٨) وأدب الكاتب ١٥٤ ومعجم الأدباء (٩ : ١٦١) ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٣) . وفى ط « طركان » و هـ : « تركان » صوابه فى س والمراجع . والناعل : من يلبس نعلا . س : « وفاعل » محرف .

(٢) انظر ماسيأتى فى ص ٢٠٠ .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال أرضٌ مَحْوَاةٌ وَمَحْيَاة من الحيَّات[1] كما يقال أرض مَضَبَّة وَضَبِبَة من الضِّباب[2] ، وفَئِرة من الفأر[3] .

(قولهم : هذا أجل من الحرش !)

وقال الأصمعىُّ فى تفسير قولهم فى المثل : « هذا أَجَلُّ مِنَ الحَرْش[4] » : إنّ الضَّبَّ قال لابنه : إذا سمعتَ صَوتَ الحَرْش فلا تخرُجَنّ ! قال : وذلك أنّهمْ يزعمونَ أن الحَرْش تحريك[5] اليدِ عندَ جُحْر الضَّبِّ ؛ ليخرج إذا ظَنَّ أنه حية ـ قال : وسمع ابنُه صوت الحفْر فقال : يَا أَبَهْ هذا الحرش ؟ قال : يابنىَّ ، هذا أجلُّ من الحرْش ! فأرسَلها مثلاً .

أسماء ما يأكل الحيات

بين الحياتِ وبين الخنازير عداوة ، والخنازير تأكُلها أكلا ذريعاً . ٥٥

(١) وذلك إذا كانت كثيرة الحيات .

(٢) أرض مضبة ، بفتح الميم والضاد وتشديد الباء . وفى ط ، س : « مضببة » و هـ : « مضبته » صوابهما ما أثبت . وضببة ، كفرحة ، وهو من شواذ المضعف . ط ، هـ : « ضبية » صوابه فى س . والضباب ، بالكسر : جمع ضب .

(٣) فى الأصل : « فائرة » تحريف . وانظر (٦ : ١٣٤) ، واللسان (فأر) .

(٤) انظر هذا المثل وما قيل فيه ، عند المرتضى فى أماليه (١ : ١٧٠) والميدانى (١ : ١٧٠) والبغدادى فى الخزانة (٤ : ٥٩٤ ـ ٥٩٥ بولاق) .

(٥) هـ : « تحريد » بالدال . والتحريد : التعويج .

وسمومُ ذواتِ الأنيابِ من الحيَّات ، وذوات الإبر[١] ، سريعةٌ فى الخنازير ، وهى تَهْلِكُ عند ذلك هلاكاً وشيكا ؛ فلذلك لاترضى بقتلها حتّى تأكلها . وتأكلُ الحيَّاتِ العِقْبانُ ، والأيائِلُ ، والأراوىُّ[٢] ، والأوعالُ ، والسَّنانير والشّاهْمُرْك[٣] ، والقنفذُ . إلَّا أن القُنْفُذَ أكثرُ مايقصدُ إلى الأفاعى ، وإنما يظهر بالليل . قال الرّاجز :

* قنفذ ليـل دائم التَّجْآبِ[٤] *

وهذا الراجز هو أبو محمد الفقعسىُّ .

(التشبيه بالقنفذ)

وكذلك يُشبّه النَّمَّامُ ، والمُـدَاخِلُ ، والدَّسِيس[٥] ، بالقنفذ ؛ لخروجه بالليل دون النهار ، ولاحتياله للأفاعى . قال عَبْدة بن الطبيب :

اعْصُوا الذى يُلقِى القَنافِذَ بَيْنَـكُمْ   مُتَنَصِّحاً وهُوَ السِّمامُ الأنْقَعُ[٦]
يُزْجِى عَقَـارِبَهُ ليبعَثَ بينـكم   حَرْباً كما بَعَثَ الْعُرُوقَ الأخْدَعُ[٧]

(١) أى وسموم ذوات الإبر . وفى الأصل : « ومن ذوات الإبر » .
(٢) الأراوى : جمع أروية ، وهى أنثى الوعول .
(٣) سبق الكلام عليه فى (٣ : ٣٣٦) .
(٤) التجآب : تفعال من جاب يجوب ، وأصله « التجواب » . ولم أجد من نبه عليه إلا مايفهم من عبارة صاحب اللسان : « وفلان جواب جأب : أى يجوب البلاد ويكسب المال » . ط : « التجأب » ﻫ : « التجارب » صوابه فى س .
(٥) الدسيس ، بسينين بينهما ياء : من تدسه ليأتيك بالأخبار . ط : « الدبيس» صوابه فى س ، ﻫ .
(٦) س ، ﻫ : « أعصى » .
(٧) يزجى : يسوق ويدفع . ط : « يرخى » س ، ﻫ : « ترخى » صوابهما =

حرّانَ لايَشْفِى غَلِيلَ فؤادِهِ   عَسَلٌ بماءٍ فى الإناءِ مُشَعْشَعُ(١)
لا تأمَنُوا قوماً يشبُّ صبيهم   بَيْنَ القوابِلِ بالعَداوَةِ يُنْشَعُ(٢)

وهذا البيت الآخِر يضم إلى [قول(٣)] مجنونِ بنى عامر :

أتانى هَوَاهَا قَبْلَ أنْ أَعْرِفَ الهوَى   فَصَادَفَ قَلْباً خَالِياً فتَمَكنا

ويضم إليه قول ابنِ أَوْدٍ(٤) : « الطينة تَقْبَلُ(٥) الطبائع ما كانت لَيِّنَــةً » .

ثم قال عبدة بنُ الطَّبيب ، فى صلة الأبيات التى ذكر فيها القُنفذَ والنَّميمَةَ :

إنَّ الذين تُرَوْنَهُمْ خُلَّانَكُمْ   يَشْفِى صداعَ رُءُوسِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا
قومٌ إذا دَمَسَ الظَّلَامُ عَلَيهِمُ   جَدَعُوا قَنافِذَ بالنميمة تمزَعُ(٦)

= ما أثبت ، والرواية فى حماسة البحترى ٢٤٠ : « يهدى » . والأخدع : واحد الأخدعــين ، وهما عرقا الرقبة . س ، هـ : « الفروق » صوابه فى ط والحماسة .

(١) شعشع العسل بالماء : مزجه به وخلطه .

(٢) القوابل : جمع قابلة ، وهى التى تتلقى الولد عند ظهوره . س ، هـ : « القرامل » وهى الإبل ذوات السنامين . وليس يتجه بها المعنى . ينشع بالعداوة : كأنه يوجر بها ، أى توضع فى فمه ليشربها .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) كذا فى ط ، هـ . وفى س : « ابن أمر » .

(٥) فى الأصــل : « تقتل » ، ووجهه ما أثبت . وفى س زيادة واو ، قبل : « الطينة » .

(٦) دمس : اختلطت ظلمته . الحماسة : « فهم إذا دمس » . وجدعوا : هو من =

وهذا الشعر من غُرر الأشعار . وهو مِمّا يحفظ .

وقال الأودىّ(١) :

كقنفذ القنِّ لاتخفى مدَارجُهُ   خبٌّ إذا نامَ عَنْهُ الناس لم ينمِ(٢)

(عهد آل سجستان على العرب)

وفى عهد آل سجستان على العرب حين افتتحوها(٣) : لاتقتلوا قُنْفُذًا

= جذع بين البعيرين : قرنهما فى قرن ، أى حبل . ورواية الحماسة ، واللسان « مادة مزع » وديوان المعانى (٢ : ١٤٤) والأزمنة والأمكنة (١ : ٣٤٠ ، ٢ : ٣٠) : « حدجوا » . وهو من حدج البعير والناقة : شد عليهما الحدج ، بالكسر ، وهو نحو الهودج والمحفة . والمعنى أعدوا تلك القنافذ . وتمزع ، من المزع ، وهو شدة السير . وفى اللسان : « ابن الأعرابى : القنفذ يقال لها : المزاع » بتشديد الزاى . س ، هـ : « تمرع » بالراء صوابه فى ط ، والحماسة ، واللسان (مادة مزع) .

(١) اسمه صلاءة بن عمرو . والأودى : نسبة إلى أود بن الصعب بن سعد العشيرة . كان من كبار الشعراء القدماء فى الجاهلية ، وله شعر حكمى سائر . انظر الشعراء والأغانى (١١ : ٤١ — ٤٢) . والبيت فى ديوان المعانى (٢ : ١٤٤) منسوب إلى أيمن بن خريم .

(٢) القن ، بالضم : موضع ، وفى ديوان المعانى : « الرمل » . والخب ، بالفتح ويكسر : الخداع . « عنه » هى فى الأصل : « عند » محرفة . وفى ديوان المعانى : « ليل » .

(٣) كان ذلك سنة إحدى وثمانين ، حين أرسل الحجاج ، عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فى جيش كثيف حسن العدة ، وكان يسمى « جيش الطواويس » ، إلى سجستان لغزو رتبيل ، ملك زابلستان ، ففتح كثيراً من بلادهم .

ولا وَرَلاً وَلاَ تَصِيدُوا[١] ؛ لأنها بلادُ أفاعٍ[٢] . وأكثرُ ما يجتلبُ أصحاب صنعة الترياق والحواءون الأفاعىَ من سِجِستان . وذلك كَسْبٌ لهم وحِرْفَةٌ ومَتجرٌ . ولولا كثْرَةُ قنافِذِها لما كان لهم بها قرارٌ .

(أكل القنفذ للحية)

والقنفذُ لا يبالى أىّ موضع قبضَ من الأفعى . وذلك أنه إن قبض على رأسها أو على قفاها فهى مأكولةٌ على أسهل الوُجوه ، وإن قَبَضَ على وسَطِها أو على ذنَبِها ، جذَبُ ماقبض عليه ، فاستدار وتجمّع ، ومنحه سائرَ بدَنه ، فتى فَتَحَتْ فاها لتقبضَ على شىء منه ، لم تصلْ إلى جلده مع شوكِهِ النَّابت ٥٦
فيه . والأفعى تهرُب منه ، وطلبُه لها وجراءتُه عليها ، على حَسَبِ هربِها منه وضعْفِها عنه .

(أمثال فى الحية والوَرَل والضّبِّ)

وأمّا قولهم : « أضَلُّ من حَيّةٍ » ، و « أضَلُّ من وَرَلٍ » ، و « أضَلُّ من ضبٍّ » — فأمّا الحيّة فإنّها لاتتّخذ لنفسها بيتاً ، والذّكَرُ لايقيم فى الموضع ، وإنما يقيم على بيضها بقدر ما تخرج فراخُها وتقوى على الكَسْب والتماس الطعم ، ثمّ تصير الأنثى سَيّارَةً ، فتى وَجَدَتْ جُحْراً دخلتْ واثقةً بأنّ

---

(١) أى ولا تصيدوا شيئاً منها . ط : « ولا ورلا تصيدونه » س : « ولا ورلا تصيدوه » . وصوابه ما أثبت من هـ . وعند ياقوت : « ألا يقتل فى بلدهم قنفذ ولا يصطاد » .

(٢) فى الأصل : « أفاعى » ووجهه ما أثبت . قال ياقوت فى سجستان : « فما من بيت إلا وفيه قنفذ » .

السَّاكِنَ فيــه بين أمرَين : إمَّا أقام فصار طُعْماً لها ، وإمَّا هرَب فصــار البيتُ لها ما أقامت فيه ساعةً ، كان ذلك من ليلٍ أو نهار .

(بيض الحيات)

وقد رأيتُ بيض الحيَّاتِ[١] وكسرتُها لأتعرَّفَ مافيها ، فإذا هو بيضٌ مستطيلٌ أكدرُ اللون أخضر ، وفى بعضه نَمَشٌ ولمَع[٢] . فأمَّا[٣] داخلُه فلم أرَ قَيْحًا قطُّ ، ولا صديداً خَرَجَ من جُرحٍ فاسدٍ ، إلاَّ والَّذِى فى بيضها أسمجُ منــــه وأقذر . ويزعمون أنها كثيرةُ البيض جِدًّا ، وأنَّ السلامة فى بيضها [على[٤]] دونِ ذلك ، وأنَّ بيضها يكون منضَّداً فى جوفها طُولاً على غِرار[٥] واحد ، وعلى خيط واحد .

(جسم الحية)

وهى طويلة البطن والأرْحامِ . وعددُ أضلاعِها عددُ أيام الشهر . وكان ذلك بعضَ ما زاد فى شدَّة بدنها[٦] .

---

(١) ط : « الحياة » صوابه فى س ، هـ .
(٢) النمش ، بالتحريك : نقط بيض وسود . وفى الأصل : « هش » وليس بشىء . وأثبت الصواب موافقا ما فى الدميرى (١ : ٤١٠) . واللمع : جمع لمعة ، بالضم ، وهى كل لون خالف لونا .
(٣) ط ، هـ : « فإذا » صوابه فى س .
(٤) الزيادة من س ، هـ .
(٥) على غرار : أى على قالب . ط ، هـ : « عرار » س : « عراد » صوابهما ما أثبت .
(٦) بعد هذا فى كل من ط ، هـ عبارة دخيلة على الكتاب ، أثبتها هنا إثباتا تاريخيا : « كنت بعجت بطن عقرب إذ كنت بمصر فوجدت فيه أكثر من سبعين عقارب صغار كل واحدة نحو أرزة . حرره أبو بكر السروكنى » . وقد سلمت س من إثبات هذا التشويه الدخيل .

(أكثر الحيوان نسلا)

والخلق الكثير الذّرء[1] الدَّجاجُ . والضَّبُّ أكثرُ بيضاً من الدَّجاجة . والخنزيرة تضَعُ عشرين خِنَّوْصاً .

ويخرُج من أجوافِ العقاربِ عقاربُ صغارٌ ، كثيرةَ العدد جدًّا . وعامَّة العقارب إذا حَبِلَتْ كان حَتْفُها فى وِلادها[2] ؛ لأنَّ أولادها إذا اسْتَوَى خَلقُها أكَلَتْ بطونَ الأمَّهَاتِ حتَّى تثقبها[3] . وتكونُ الولادةُ من ذلك الثَّقب ، فتخرجُ والأمهاتُ ميِّتة .

وأكثرُ من ذلك كله ذَرْءُ السَّمك ؛ لأنَّ الإنسان لو زَعَمَ أنّ بيضة[4] واحدة من بَعْضِ الأسْبور[5] عشرة آلاف بيضة ، لكان ذلك لعظَمِ ما تحمِلُ ، ولدِقَّة حَبِّه[6] وصِغره . ولكن يعتريها أمران : أحدهما الفساد ، والآخر أنَّ الذكورةَ فى أوانِ ولادة الإناث تَتْبَعُ أذْنابَهَا ، فكُلَّما زَحَرَتْ بشىء التقمتْه والتهمتْه .

ثمَّ السَّمك بعد ذلك فى الجملة إنما طبعها أن يأكل بعضها بعضاً .

---

(١) الذرء : النسل . ط ، س : « الذر » صوابه ما أثبت من هـ .

(٢) الولاد ، بالكسر : الولادة . ط ، هـ : « أولادها » صوابه فى س . وفى نهاية الأرب (١٠ : ١٤٧) نقلا عن الجاحظ : « ولادتها » .

(٣) كذا على الصواب فى س . وفى ط : « تثقفها » و هـ : « يثقفها » محرفتان . وفى نهاية الأرب : « تنقبها » .

(٤) البيضة هنا : اسم المرة من باض يبيض.

(٥) الأسبور ، سبق الكلام عليه فى (٣ : ٢٥٩) ، وفى الأصل : « الأشبور » مصحف .

(٦) أى حب البيض . ط ، هـ « جثته » تحريف ما أثبت من س .

(علة كثرة الأولاد)

ويزعمون أن الكَثْرَةَ فى الأولادِ إنّمَا تكون من العفَنِ واللَّخَن ، وعلى قدْر كثرةِ المائيَّة وقِلّتِهَا . فذهبوا إلى أنَّ أرحامَ الرُّوميَّاتِ والنَّصرانيَّـاتِ أكثرُ لخناً ورُطوبة ؛ لأنّ غَسْلَ الفُرُوجِ بالماء البـاردِ
٥٧ مراراً فى اليوم ، مِمَّا يطيِّب الأرحامَ ، ويَنفِى اللَّخنَ والعفَن . ويزعمون أنَّ المرأةَ إذا كان فرجُها نظيفاً ، وكانت مُعَطَّرَة قويّةَ المُنّةِ قلَّ حملُها ، فإنْ أفرطتْ فى السِّمَنِ عادتْ عاقراً . وسِمَانُ الرِّجال لا يكاد يعتريهم ذلك .

وكذلك العاقر من إناث الإبلِ والبقر والغنم والنَّخْل . إذا قويت النَّخلة وكانت شابّةً ، وسَمِنَ جُمَّارُها ، صارت عاقِراً لا تحمل ، فيحتالون عند ذلك بإدخال الوَهَن عليها .

(اعتراض على التعليل السابق)

وقد طعن فى ذلك ناسٌ فقالوا : إنّ فى الضّبِّ على خلاف ماذكرتم : قد تبيضُ الأنثى سبعين بيضة فيها سبعون حِسْلا[١] . ولولا أنَّ الضبَّ يأكلُ ولدَه لانتفشت الصحارى ضِباباً . والضبُّ لا يحفر إلاّ فى كدْية[٢] وفى بلادِ العَرَاد[٣] . وإذا هرمت تبلّغتْ بالنّسيم . وهذا كله مِمَّا يستدلُّ

---

(١) الحسل ، بالكسر : ولد الضب .

(٢) الكدية ، بالضم : الأرض الصلبة الغليظة .

(٣) العراد : حشيش طيب الرائحة . ط ، هـ : « العرار » محرفة ، صوابه بالدال =

به على بُعْدِ طبعها من اللَّخَن والعفن[1] .

قيل لهم : قد يمكنُ أن يكون ذلك كذلك[2] فى جميع صفاتها إلاّ فى أرحامها فقط .

(سفاد الحيات)

وليس للحيَّاتِ سِفادٌ معروف يَنْتَهِى إليه علمٌ ، ويقف عليه عِيان ، وليس عند الناس فى ذلك إلاّ الذى يَرَوْنَ من ملاقاة الحيَّة [للحية[3]] والتواءِ كلٍّ منهما على صاحبه ، حتى كأنهما زوجُ خيزرانٍ مفتولٌ ، أو خَلخَالٌ مفتولٌ . فأمّا أن يقفوا على عضوٍ يدخل أو فرج يدخل فيه فَلاَ .

(ذكر الأيم والجرادة الذكر فى الشعر)

والعرب تذكُرُ الحيّاتِ بأسمائها وأجناسها . فإذا قالوا : أَيْم ، فإنما يريدون الذَّكرَ دونَ الأنثى . ويذكرونه عِنْدَ جودةِ الانسياب ،

= كما أثبت من س . وانظر « اللسان » (صرد) . ومن تكاذيب الأعراب قولهم على لسان الضب :

أصبح قلبى صردا لايشتهى أن يردا
إلا عرادا عردا أو صليانا بردا
* أو عنكثا ملتبدا *

(١) أى أن سكنى الضباب فى الكدى وهى بعيدة عن الرطوبات ، وفى تلك البلاد التى تنبت الحشيش الطيب الرائحة — من شأنه أن يبعد طباعها من اللخن والعفن . وفى الأصل : « على بعض طبعها » الخ . وقد ظهر لك صوابه مما بينت .

(٢) كذا فى ط . وفى س : « قد يكون أن كون ذلك » فقط . وفى هـ : « قد يكون أن يكون ذلك كذلك » .

(٣) هذه الزيادة الضرورية من س ، هـ .

وخِفةِ البدن ، كما تذكر الشُّعراءُ فى صفة الخيل الجرادةَ الذَّكَرَ(١) دُونَ الأنثى . فهم وإن ألحقُوا الهاء فإنما يريدون الذَّكَرَ . قال بِشرُ ابنُ أبى خازم :

جَرَادَةَ هَبْوَةٍ فيها اصفرارُ(٢)

لأنّ الأنثى لاتكون صفراء ، وإنما الموصوفُ بالصُّفْرة الذَّكر(٣) ؛ لأنّ الأنثى تكون بين حالتين(٤) : إمّا أنْ تكون حُبْلى ببَيْضِها(٥) فهى مُثْقَلَة وإمّا أن تكون [قد(٦)] سرأت وقذفت بيضها(٧) ، فهى أضعفُ ما تكون .

قال الشاعر :

أتذهَبُ سَلْمَى فى اللِّمَامِ وَلاَ تُرَى ... وفى اللَّيلِ أَيْمٌ حيثُ شاء يسيبُ(٨)

---

(١) ط : « والجرادة الذكر » . وإثبات الواو يفسد المعنى . وإنما يعنون الذكر دون الأنثى ؛ لأن الجرادة الذكر أسرع من الأنثى ، وأخف ، كما فى الموازنة للآمدى ٧٥ .

(٢) الهبوة : الغبرة . وصدر هذا البيت كما فى المفضليات ٣٤٣ والأساس (هرش) :

* مهارشة العنان كأن فيها *

وانظر الاستدراكات .

(٣) أى كون الشاعر ذكر الصفرة ، قرينة لأنه عنى الذكر . ومثل الشعر المتقدم قول علقمة ابن هبيرة الأسدى (الموازنة ٧٥ والمخصص ١٦ : ١١٥) ، أو قد بن مالك . (معجم المرزبانى ٣٢٩) :

كأن جرادة صفراء طارت بألباب الغواضر أجمعينا

(٤) هذا تعليل من الجاحظ لاختيار الشعراء فى كلامهم الجرادة الذكر ، دون الأنثى .

(٥) ط : « إن جلى بيضها » س ، هـ : « إن حبلى ببيضها » ، وأصلحت الكلام وأكلته بما ترى .

(٦) الزيادة من هـ .

(٧) سرأت الجرادة والسمكة ، من باب منع : باضت .

(٨) اللمام ، بالكسر : اللقاء اليسير .

(آثار الحيات والعظاء في الرّمال)

وإذا انسابت في الكُثْبانِ والرّملِ ، يبينُ مواضعُ مَزَاحِفِها ، وعُرِفت آثارُهَا .

وقال آخر (١) :

كأَنَّ مَزَاحِفَ الحيَّاتِ فيها قُبيلَ الصُّبْحِ آثارُ السِّيَاطِ (٢)

وكذلك يعرفون آثار العَظاء . وأنشدَ ابن الأعرابيّ :

بها ضربُ أذناب العَظاء كأَنها مَلاعِبُ وِلْدانٍ تخطّ وتمصع (٣)

وقال الآخر ، وهو يصف حيّات :

كأَنَّ مَزَاحِفَهَا أَنسعٌ جُرِرْنَ فُرَادَى ومَثْناتها (٤)

وقال ثمامة الكلبيّ : ٥٨

كأَنَّ مَزَاحِفَ الهَزْلَى (٥) صباحاً خُدُودُ رَصَائع جُدِلتْ تؤاما (٦)

---

(١) هو المتنخل الهذلى ، ديوان الهذليين ٢ : ٢٥ و جمهرة أشعار العرب ص ١٢٠ . وقبله :

كأن وغى الخموش أميم فيها وغى ركب أُيم أولى زياط

(٢) رواية المخصص (١٦ : ١٠١) والمؤتلف ١٧٩ : «كأن مزاحف الحيات فيه»، ونهاية الأرب (١٠ : ١٤٦) : « وهنا » مكان : « فيها » .

(٣) تمصع : تسرع .

(٤) ط : « مراحفها » . هـ : « مراجفها » صوابه في س . والأنسع : جمع نسع بالكسر ، وهو سير يضفر ويجعل زماما للبعير وغيره . وانظر رواية البيت في نهاية الأرب (١٠ : ١٤٦) ، ومثيله في أمالي القالي (٢ : ٢٣٧) .

(٥) الهزلى ، بالزاى : الحيات . ولا يعرف لها واحد . جاءت في الأصل بالذال في هذا السطر والسطرين بعده ، وهو تحريف .

(٦) الخدود هنا بمعنى : آثار الجر والسحب . والرصائع ، بالصاد المهملة : جمع رصيعة =

والهِزْلى من الحيَّات . قال جرير أو غيره :

ومِن ذات أصْفَاءٍ سُهُوب كَأَنَّهَا مَزَاحِفُ هَزْلَى بينها متباعدُ(١)

وقال بعضُ المحدثين ، وذكر حال البرامكةِ كيفَ كانتْ ، وإلى أيِّ شيءٍ صارت :

وإذا نَظَرْتَ إلى الثَّرَى بِعِرَاصِهم

قلتَ : الشجاعُ ثوى بها والأرقمُ(٢)

وقال البَعيث :

لَقَىً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وهي ضَيْفَةٌ فجاءتْ بيَتْنٍ للضيافةِ أرشَما(٣)

مُدامِنُ جَوْعَاتٍ كأنّ عروقَهُ مَسَارِبُ حَيَّاتٍ تَسَرَّبْنَ سَمْسَمَا(٤)

= وهي سير مضفور في أسفل حمالة السيف . ط ، ه : « وضائع » س . « صبائع » كذا . وهما تحريف ما أثبت . جدلت : أحكم فتلها . ط : « خذلت » ه : « خزلت » س : « حذلت » والوجه ما كتبت . تؤاما : جمع توأم . والمراد : أزواجا . وانظر (٦ : ٢٥٩) .

(١) ذات أصفاء : أي أرض ذات صخور ملساء . والأصفاء : جمع صفا . والصفا : جمع صفاة . ط ، ه : « إصفاء » صوابه في س . وفي اللسان (صوى) : « أصواء » مع تفصيل في الشرح . والسهوب : المستوية الواسعة . والبين : البعد ، إن جعل « بينها » مبتدأ مرفوعا . ويصح أن تكون ظرفا منصوبا ، أي مزاحف متباعد بينها . ط ، ه : « بيتها » صوابه في س .

(٢) الشجاع : الحية الذكر . والأرقم : حية فيها بياض وسواد ، وهي أخبث الحيات وأطلبها للناس . ط : « الشجاع بها ثوى » .

(٣) اللقى ، بالفتح : الذي لا يدرى لمن هو ، وابن من هو . ط ، ه : « فتى » س : « لقد » ، وصواب الرواية ما أثبت من الجزء الأول ص ٢٥٨ والاقتضاب ٣٤٦ واللسان (ضيف ، رشم ، يتن ، لقى) . ضيفة : أراد أن أمه حملت به وقد دعيت إلى ضيافة ، فجاء حريصاً على الدعوات محبا للضيافات . وكنى عن زنى أمه . واليتن : الذي يخرج رجلاه عند الولادة قبل رأســه ، وكان يتشاءمون به ، لخروجه مقلوبا . والأرشم : الذي يتشمم الطعام ويحرص عليه . ط : « أرثما » ، س ، ه : « أرسما » محرفان عما أثبت من المراجع المتقدمة وأدب الكاتب ١٢٧ .

(٤) مدامن جوعات : أي هو يدمن الجوع . وفي الأصل : « مدافع جرعات =

(روعة جلد الحية)

ولا ثوبَ ولا جَناحَ ، ولا سِتْرَ عنكبوتٍ[١] ، إلا وَقشْرُ الحيَّةِ أَحْسَنُ منه وأرقُّ ، وأخفُّ وَأَنْعَمُ ، وأعجبُ صنعةً وتركيباً . ولذلك وصفَ كثيِّرٌ قميصَ ملِكٍ ، فشبَّهه بِسَلخ الحيَّة ، حيث يقول :

إذ ما أفادَ المـالَ أودَى بِفَضْلِهِ حقوقٌ ، فـكرْهَ العاذلاتِ يوافقه
يجرِّر سِرْبالاً عليـــه كأنَّه سَبِيءٌ لِهَزْلَى لم تَقَطَّعْ شَرَانِقُهْ[٢]

والسَّبِيء : السَّلْخُ والجلد . قال الشاعر :

* وقد نَصَلَ الأظْفارُ وانسَبَأ الجلْدُ[٣] *

= كأن عروقها » ، وصوابه من الاقتضاب ٣٤٧ واللسان (سمسم) ، ومعجم البلدان (سمسم) . جعل عروقه كأنها مسارب الحيات ، أى آثارها فى الرمال ، وهى ملتوية دقيقة . و « سمسم » بفتح السينين : اسم موضع . وتسربنه : مشين فيه . وفى الأصل : « يسر بن » ، وصوابه من المراجع المتقدمة . ويروى : « تشربن سمسما » بالشين المعجمة . والسمسم ، بفتح السينين أيضاً : السم . أى كثر فيهن السم فدقت أجسامهن ، لأن الحية إذا كثر سمها دق خلقها .

(١) المراد بستر العنكبوت : بيته الذى ينسجه . وقد نقل هذا الكلام فى ثمار القلوب ٣٤٠ . وانظر (٥ : ٤١١) .

(٢) السبىء : جلد الحية تسلخه . وجاءت هنا مهموزة ، يؤيد همزها الشعر بعدها . والهزلى بالزاى : الحيات . وجاءت فى الأصل بالذال ، وهو تحريف . والشرانق : سلخ الحية إذا ألقته . ط : « سرادقه » س ، هـ : « سرائقه » ، صوابه من اللسان (سبى) ومما فى (٣ : ٤٨٦) . وانظر المخصص (١ : ٢٤) .

(٣) نصلت أظفاره : خرجت . وانسبأ الجلد : انسلخ .

(صمم النعام والأفعى)

ونزعمُ العربُ أنَّ النَّعامَ والأفعى صُمٌّ لا تسمَع ، وكذلك هما من بين جميعِ الخَلْقِ . وسنذكرُ من ذلك فى هذا الموضع طرَفاً ، ونؤخر الباقِيَ إلى الموضعِ الذى نذكر فيه جملة القَوْل فى النَّعام .

(أصحاب الدعاوى الكبيرة)

وقد ابتُلِينا بضَرْبين من الناس ، ودعواهما كبيرة(١) ، أحدهما يبلغ من حبه للغرائب(٢) أن يجعل سمْعه هدَفاً لتوليد(٣) الكذَّابين ، وقلبَه قراراً لغرائب الزُّور . ولكَلَفِهِ بالغريب ، وشَغَفِهِ بالطُّرَف ، لا يقفُ على التَّصحيح والتمييز ، فهو يدخل الغثَّ فى السمين ، والممكنَ فى الممتنع ، ويَتَعَلَّقَ بأدنى سببٍ ثمَّ يدفع عنه كلّ الدَّفعِ .

والصِّنف الآخَر ، وهو أنَّ بعضهم يرى أنَّ ذلك لا يكون منه عنْدَ من يسمعه يتكلم إلا من خاف التقزُّزَ(٤) من الكذب .

(قول فى صمم الأفعى وعماه)

فزعم ناسٌ أنَّ الدَّليلَ على أنَّ الأفاعيَ صُمٌّ ، قولُ الشاعر :

---

(١) س ، هـ : « وعودهما كثير » ، صوابه فى ط .

(٢) ط : « للغريب » .

(٣) هـ : « لتوكيد » ، وجهه ما أثبت من ط ، س .

(٤) ط ، س : « التقذر » هـ : « التقزر » صوابهما ما أثبت . وفى العبارة قبله اضطراب .

أنْعَتُ نضناضا من الحيَّـاتِ   أصمَّ لا يَسْمَـــعُ للرُّقَاة[1]

وقد ذكروا بالصَّممِ أجناساً من خبيثات الحيَّات ، وذهبوا إلى امتناعها من الخروج عند رُقيةِ الرَّاقى عند رأس الجحْر ، فقال بعضهم : ٥٩

وذاتِ قَرْنَيْنِ من الأفاعى   صَمَّاء لاَ تَسْمَعُ صَوْتَ الدَّاعِى

ويزعمونَ أنَّ كلَّ نَضْنَاضٍ أفعًى . وقال آخَر :

ومِنْ حَنَشٍ لاَ يُجِيبُ الرُّقا   ةَ أَرْقَشَ ذِى حُمَةٍ كالرِّشا[2]

أصمَّ سَميـــعٍ طـويلِ السُّبَا   تِ مُنْهَرتِ الشِّدقِ عارِى النساَ[3]

فزعم أنّه أصمٌّ سميع ، فجاز له أن يجعله أصمّ بقوله : « ومِنْ حَنَشٍ لا يُجِيبُ الرُّقاة » . وقال الآخر :

أَصمَّ أَعْمَى لاَ يُجِيبُ الرُّقَى   يَفْتَرُّ عَنْ عُصْلٍ حَدِيداتِ[4]

والأفعى ليس بأعمى ، وعينه لا تنطبق ، وإنْ قُلِعَتْ عينه عادت . وهو قائمُ العَيْنِ كعَيْنِ الجرادة ، كأنها مِسمارٌ مضروب . ولها بالليل شُعاع خفىٌّ . قال الرَّاعى يصفُ الأفعى :

---

(١) الرقاة : جمع راق . ورسمت فى الأصل بالتاء المفتوحة خطأ .

(٢) الحمة : إبرة الحية. والرشاء : الحبل . جعل الحمة كالرشاء فى الطول ؛ وهى مبالغة ظاهرة . وروىّ البيتين هو الألف .

(٣) منهرت الشدق : واسعه . والنسا ، بالفتح : عرق .

(٤) عصل : جمع أعصل بمعنى الملتوى . س ، ه : « عضل » صوابه فى ط . وقبله كما سيأتى فى ٢٨٢ :

وكم طوت من حنش راصد   للسفــر فى أعلى الثنيات

ويُدنى ذِرَاعَيهِ إذا ما تبادَرَا ... إلى رأسِ صِلٍّ قائمِ العَيْنِ أسفع (١)

وهذه صفةُ سَليمِ الأفعى (٢) فيجوز أنْ يكون الشاعِرُ وصفها بالتمنع من الخروج بالصَّمَم ، كما وصفَها بالعمَى ؛ لمكان السُّباتِ وطُولِ الإطراق . قال الشاعِرُ :

أصمَّ سميـــع طويل السُّبات ... مُنهرت الشِّدْقِ عَارِى القَرَا (٣)

وقال آخر :

منهرتِ الشِّدقِ رَقودِ الضُّحى ... سارٍ طَمُــورٍ بالدُّجُنَّاتِ (٤)

وَتَارَةً تَحْسَبُـــهُ مَيِّتاَ ... مِنْ طُولِ إطْرَاقٍ وإخباتِ (٥)

يُسْبِتُهُ الصُّبْحُ وَطَــوْرًا لَهُ ... نَفخٌ وَنَفثٌ فى المغارات (٦)

وَيُعْلَمُ أَنَّهُ وَصفَ أفعى بقوله :

أصمَّ أعمَى لا يُجيبُ الرُّقَى ... يَفْتَرُّ عن عُصْلٍ حَدِيداتِ (٧)

مُنْهَرِتِ الشِّدْقِ رَقُودِ الضَّحَى « إلخ »

ثم ذكر أنيابَهُ ، فقال :

قُدِّمْنَ عَنْ ضِرْسِيْهِ وَاسْتَأْخَرا ... إلى صِمَاخَيْنِ وَلهَوَاتِ

---

(١) الأسفع : الأسود . هـ : « أسقع » صوابه فى ط ، هـ .

(٢) السليم : الملدوغ .

(٣) القرا : الظهر. وقد سبق نظير هذا البيت فى ١٧٩ س ٧ .

(٤) الطمور : الوثاب . طمر : وثب . والدجنات : الظلمات .

(٥) الإخبات : الاطمئنان والسكون .

(٦) يسبته الصبح : ينيمه . ط : « يثبته » صوابه فى س ، هـ . والنفث : النفخ وفى الأصل : « نقب » . وهو تحريف صوابه مما سيأتى ص ٢٨٣ . ولا تنقب الحيات بل تنفث . والمغارات : جمع مغارة ، وهى الجحر . س : « المفارات » ولا وجه له .

(٧) مضى هذا البيت فى الصفحة السابقة .

فجعله أعصل[١] الأنيابِ ، منهرتَ الأشْداق ، ثمَّ وصفها بالسُّباتِ وطولِ الإطراق ، وبِسُرْعَةِ النَّشْطَةِ[٢] ، وخفّة الحركة ، إذا همّت بذلك وكانت تعظم[٣] .

(شعر امرأة جمع صِفَةَ الحية)

وقد وصفتها امرأةٌ جاهليَّةٌ بجميع هذه الصِّفةِ[٤] ، إلاّ أنها زادت شيئاً . والشِّعرُ صحيح . وليس فى أيدى أصحابِنَا مِنْ صِفَةِ الأفاعِى مثلها : ٦٠

وقدْ رأيتُ عندَ داودَ بن محمَّدٍ الهاشمىِّ كتاباً فى الحيَّات ، أكثرَ من عشرةِ أجلادٍ ، ما يصحُّ منها مقدارُ جلدٍ ونصف .

ولقدْ ولَّدُوا على لسانِ خلفٍ الأحْمَرِ ، والأصمعىِّ ، أرجازاً كثيرة . فما ظنُّكَ بتوليدِهم على ألسِنَةِ القدَماء !

ولقدْ ولَّدُوا على لسانِ جَحْشَوَيْهِ فى الحُلاَق أشعاراً ما قالها جَحْشَوَيه قط . فلو تَقَذَّرُوا من شيءٍ تقذروا من هذا الباب .

والشِّعر الذى فى الأفعَى[٥] :

قَدْ كاد يقتلنى أصمُّ مَرَقَّشٌ   من حُبِّكُمْ ، والخطبُ غيرُ كبير[٦]
خُلِقَتْ لَهَازِمُهُ عزِينَ ورأسُهُ   كالقُرْصِ فُلْطِحَ مِنْ دقيق شَعيرِ[٧]

---

(١) أعصل : أعوج . هـ : « أعضل » مصحف .
(٢) نشطت الحية تنشط وتنشط : عضت بنابها .
(٣) كذا بالأصل .
(٤) هذا المثبت فى س ، هـ أجزل من : « الصفات » المثبتة فى ط .
(٥) انظر نسبة الشعر فيما أسلفت فى (٢ : ٢١٤) .
(٦) رواية المؤتلف والأصمعيات : « من حب كلثم والخطوب كثير » .
(٧) ط : « أفطح » س : « فصلح » ، تحريف ما أثبت من هـ . وانظر شرح البيت فى (٢ : ٢١٤) .

وَيُدِيرُ عَيْناً لِلْوقاعِ كأنَّهَا سَمْرَاءُ طاحَتْ مِنْ نَفِيضِ بَرِيرِ (١)
وكأنَّ ملقـــاه بكلِّ تَنوفةٍ مَلْقَاكَ كفَّةَ مُنْخلٍ مأطورِ (٢)
وكأنَّ شِدْقَيْهِ إذا اسْتَعْرَضْتَهُ شدْقَا عَجُوز مَضْمَضَتْ لِطُهُورِ (٣)

فقد زعمتْ (٤) كما ترى أنها تدير عينا (٥) ، وزعم الأوَّلُ (٦) أنها قائمة العين . إلاَّ أنْ تزعُمَ أنها لم تَرِدْ بالإدارة أنْ مقلتَها تزولُ عن موضعها ، ولـكنَّها أرادتْ أنَّها جَوّالةً فى إدراك الأشخاص ، البعيدةِ والقَريبة ، والمتيامِنَة والمتياسِرَة .

وقد يجوزُ أنْ يكونَ إنَّمَا جَعَلَهَا سميعةً (٧) لدقَّةِ الحِسِّ ، وكثرةِ الاكتراث وجودةِ الشمِّ ، لا جَوْدَةِ السَّمْعِ ؛ فإنَّ الذين زعموا أنَّ النعامة صمَّاءُ زعَمُوا أنَّها تَدْرِك مِن جهة الشمِّ والعَيْنِ ، جميعَ الأمورِ التى كانت تعرِفها [من (٨)] قِبَلِ السَّمْعِ لو كانتْ سَمِيعَة . وقد قال الشاعرُ (٩) فى صفة الحيَّة :

---

(١) فى الأصل : « للوقاح » ، صوابه من (٢ : ٢١٥) والمؤتلف والأصمعيات وعيون الأخبار (٢ : ١٠٢) . وسبق شرح البيت فى (٢ : ٢١٥) .

(٢) التنوفة : الأرض الفسيحة المتباعدة الأطراف . كفة المنخل : إطاره المستدير . والمأطور : ذو الإطار . وفى الأصل : « منجل » ، والأوفق ما أثبت من المؤتلف ومن الأصل المصور لعيون الأخبار ؛ إذ أن إطار المنجل أصدق تصويراً للاستدارة والتحوى ، وهما مما توصف به الحيات . انظر لذلك ص ٢٠٠ س ١٢ - ١٤ ساسى . ورواية صدر البيت فى المؤتلف :

« وكأن مرصده بكل ثنية تلقاك . . . . »

(٣) انظر ما سبق فى (٢ : ٢١٥) . والطهور ، بالضم : التطهر .

(٤) أى الشاعرة . وفى ط : « زعم » .

(٥) عنى الحية هنا. والحية تذكر وتؤنث .

(٦) هو الراعى . انظر ١٧٩ — ١٨٠ .

(٧) هـ : « سميعاً » وهما وجهان جائزان . وفى القاموس : وأذن سمعة ويحرك وكفرحة ، وشريفة وشريف » .

(٨) ليست بالأصل.

(٩) هو الزيادى كما سيأتى فى ص ٢٨١ .

تَهْوِى إلى الصَّوْتِ والظلماءُ عاكِفَةٌ　　تَقَوُّرَ السَّيْلِ لاقَى الحَيْدَ فاطّلَعَا[١]

هذا بعد أن قال :

إنّى وما تَبْتَغِى منّى كملتمس　　صيداً وما نالَ مِنْهُ الرِّىَّ والشِّبَعا

أهْوَى إلى بابِ جَحْرٍ فى مقدَّمِه　　مِثْلُ العَسيب تَرَى فى رَأسِه نزَعَا[٢]

اللَّوْنَ أربَدُ والأنيابُ شابكةٌ　　عصْل تَرَى السمَّ يجرى بيْنَها قِطَعَا[٣]

أصم ماشمَّ مِنْ خَضراءَ أيبَسها　　أو شمَّ من حَجَرٍ أَوْهَاهُ فانْصَدَعَا[٤]

فقد جَعَلَ[٥] لها أنياباً عُصْلا ، ووصَفها بغاية الخُبْثِ وزعَمَ أنها لا تسمَعَ . فهؤلاء ثلاثة شعراء .

(الثقة بالعلماء)

فإن قلت : إنَّ المولَّدَ لا يؤمن عليه الخطأ إذْ كان دخيلاً فى ذلك
الأمر ، وليس كالأعرابىِّ الذى إنما يحكى الموجودَ الظاهرَ له ، الذى عليه ٦١

(١) التقور : التثنى . وفى الأصل : « قعود » ، ولم أجد له وجها ، وصوابه فى اللسان (قور) : والحيد بفتح الحاء : ما شخص من الجبل . وفى الأصل : « الجيد » وصوابه مما سيأتى ص ٢٨١ واللسان. واطلع : أشرف . جعل انسياب الحية فى سرعتها وتلويها كانسياب السيل إذا لاقاه حيد تثنى وأشرف على طريق آخر .

(٢) فى مقدمه : فى مقدم الجحر . والعسيب : السعف لم ينبت عليه خوص .

(٣) ط ، س : « شائكة » والأوجه ما أثبت من هـ . وشابكة : مشتبكة . وعصل : معوجات . هـ : « عضل » مصحف .

(٤) سبق الكلام على هذا البيت فى (٢ : ١٣٧ - ١٣٨) . ط : « ثم » موضع « شم » فى الموضعين ، وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : « جعلوا » .

نَشَأَ ، وبِمَعْرِفَتِهِ غَذِى . فالعلماء الذِينَ اتَّسَعُوا فى علم العرب ، حتى صاروا إذا أخبروا عنهم بخبر كانوا الثقاتِ فيما بيننا وَبَينهم ، هم الذين نقَلُوا إلينا . وسواءٌ علينا جعلوهُ كلاماً وحديثاً منثوراً[١] ، أو جعلوه رجزاً وقصيداً موزوناً[٢] .

ومَتَى أخبرنى بعضُ هؤلاء بخبر لم أَسْتَظْهِرْ عليه بمسألة[٣] الأعراب . ولكنهُ إنْ تَكَلَّمَ وتحدَّثَ ، فأنكرتُ فى كلامِهِ بعضَ الإعراب ، لم أجْعَلْ ذلك قُدوَةً حتى أُوقِفه عليه ، لأنه مِمَّنْ لا يُؤْمَنَ عَلَيْهِ اللَّحْنُ الخفىّ قبْلَ التفكر . فهذا وما أشبهُ حكمه خلافُ الأوَّل .

(الرُّقْيَــة)

والرُّقْيَةُ تكونُ على ضروب : فمنها الذى يدّعيه الحَوَّاءُ والرَّقَّاء ؛ وذلك يُشْبِه بالذى يدَّعى[٤] ناسٌ [من[٥]] العزائم على الشياطين والجن ؛ وذلك أنهم يزعمون أن فى تلك الرُّقْيَةِ عزيمةً لا يمتنع منها الشيطانُ ، فكيف العامر[٦] ؟ ! وأن العامِرَ إذا سُئل بها أجاب ، فيكونُ هو الذى يتولى إخراجَ الحياتِ من الصَّخْر . فإن كان الأمْرُ على ما قالوا فما ينبغى أن يكون بين خُروجِ الأَفاعى الصمِّ وغيرِها فرقٌ ، إذا كانت العزائم والرُّقى

(١) ط : « أو حديثاً منثوراً » .
(٢) ط : « أو قصيدا موزونا » . وانظر الاستدراكات .
(٣) كذا فى ط ، هـ . والمسألة : مصدر ميمى من سأل . وفى س : « بمساءلة » .
(٤) ط فقط : « يدعيه » .
(٥) زيادة يفتقر إليها الكلام .
(٦) العامر : ما يسكن بيوت الناس من الجن ، فيما يزعمون .

والنَّفْثُ ليس شيئاً(١) يعمل فى نفس الحيَّة ، وإنَّما هو شىءٌ يَعْملُ فى الَّذِى يُخرِجُ الحيَّة . وإذا كان ذلك [كذلك(٢)] فالسَّميعُ والأصمُّ فيه سواءٌ .

وكذلك يقولون فى التَّحبيب والتَّبغيض ، وفى النُّشرة(٣) وحلِّ العُقدة وفى التَّعقيد والتحليل .

(العزيمة)

ويزعمونَ أنَّ الجنَّ لا تجيبُ صاحبَ العزيمةِ حتى يَتَوحَّشَ ويأتىَ الخراباتِ والبَرَارِىَّ ، ولا يأنَسَ بالناس ، ويَتَشَبَّهَ(٤) بالجنِّ ، ويغسل بالماء القَرَاح(٥) ، ويتبخَّر باللُّبانِ الذَّكر ، ويراعى المشترِىَ(٦) . فإذا دقَّ ولَطُفَ ، وتوحَّش وعزم ، أجابتْه الجنُّ ، وذلك بَعْدَ أنْ يكون بدنه يصلُح هيكلاً لها ، [و(٧)] حتَّى يَلَذَّ دُخوله وَادِىَ(٨) منازلها ، وألاَّ يكرَهَ ملابستَه والكَوْنَ فيه . فإنْ هو ألَحَّ عليها بالعزائم ، ولم يأخُذْ لذلك أُهبَتَه خبَلَتْه ، وربَّمَا قتلته ؛ لأنها تَظُنَّ أنَّهَ متَى توحَّش لها ، واحتمى ، وتَنَظف(٩)

---

(١) هـ ، س : « شىء » بالرفع ، صوابه فى ط .
(٢) زدتها مطاوعة لأسلوب الجاحظ .
(٣) النشرة ، بالضم : رقية يعالج بها المجنون والمريض .
(٤) فى الأصل : « ويشبه » .
(٥) ماء قراح ، كسحاب : خالص لا يخالطه شىء .
(٦) هو ذاك الكوكب : سماه المنجمون السعد الأكبر ؛ لأنه فوق الزهرة فى السعادة وأضافوا إليه الخيرات الكثيرة ، والسعادة العظيمة . عجائب المخلوقات .
(٧) زيادة يفتقر إليها الكلام .
(٨) كذا على الصواب فى س ، هـ . وفى ط : « وأرى » .
(٩) ط : « وتنطق » ، صوابه فى س ، هـ .

فقد فرغ . وهى لا تُجيب بذلك فَقَطْ[١] ، حتى يكونَ المعزِّمُ مشاكلاً لها فى الطِّباع .

فيزعمون أنّ الحيَّاتِ إنما تُخْرَجُ إخراجاً ، وأنَّ الذى يخرجُها هو الذى يخرِج سمومَها مِنْ أجسادِ النّاس ، إذا عَزَمَ عليها[٢] .

(التعويذ)

والرُّقْيَةَ الأخرى بمَا يُعْرَفُ من التعويذ[٣] . قال أبُو عُبَيْدَةَ : سَمِعْتَ أَعْرَابِيًّا يقول[٤] : قد جاءكم أحَدُكُمْ يسترْقِيكمْ فارْقوه . قال : فَعَوَّذُوهُ ببعض العوائذ[٥] .

والوجه الآخر مشتقٌّ من هذا ومحمولٌ عَلَيْهِ ، كالرَّجُلِ يقول : مازال فلانَ يرقى فلاناً حتّى لانَ وأجابَ .

(قول الشعراء والمتكلمين فى رقى الحيات)

وقد قالت الشعراء فى الجاهِلِيَّةِ والإسلامِ فى رُقى الحيات ، وكانوا
٦٣ يؤمنون بذلك ويصدقون به ، وسنخبر بأقاويلِ المتكلمين فى ذلك ، وبالله التوفيق .

---

(١) أى أن الجن لا تجيب بالعزيمة فقط ، بل لا بد لها مع ذلك من أن يشاركها المعزم فى طباعها . وفى الأصل : « وهو لا يجيب » ، والوجه ما أثبت .

(٢) كذا على الصواب فى ط . وفى ھ ، س : « عليه » .

(٣) س ، « التعويذة » .

(٤) ط ، « وقال سمعت أبا عبيدة يقول » ھ : « وقال أبو عبيدة : سمعت يقول » وصوابهما ما أثبت من س .

(٥) كذا جاءت هذه الكلمة ، ولم أرها فى غير هذا الموضع ، والمعروف : « التعاويذ » جمع تعويذة ، و « العوذ » : جمع عوذة بالضم . و « المعاذات » بالفتح : جمع معاذة .

و [منهم (١)] مَنْ زعم أنَّ إخراجَ الحيّةِ من جُحْرها إلى الرّاقى ، إنما كان للعزيمة والإقْسام عليها ، ولأنها إذا فهمَتْ ذلك أجابَتْ ولم تمتنع .

وكان أُمَيَّةَ بنُ أبى الصَّلت ، لايعرف قولَهم فى أنَّ العُمّارَ هم الذين يُجيبون العزائم بإخراج الحيّاتِ من بُيوتها ، وفى ذلك يقول :

والحيّة الذَّكر الرَّقشاءُ أخْرَجَهَا ... مِنْ جُحْرِها أَمَنَاتُ اللهِ والقَسَمُ (٢)

إذا دعا باسمها الإنسانُ أَوْ سَمِعَتْ ... ذات الإلٰهِ بدا فى مشيها رَزَمُ (٣)

منْ خَلْفها حُمَّةٌ لولا الَّذِى سَمِعَتْ ... قد كانَ ثبتها فى جُحرها الحمَمُ (٤)

نابٌ حديدٌ وكفٌّ غيرُ وَادِعَةٍ ... والخلقُ مختلفٌ فى القَوْلِ والشِّيمِ (٥)

إذا دُعِينَ بأسماءٍ أَجَبْنَ لها ... لنَافثٍ يعتديه اللهُ والكَلِمُ

لولا مخافة رَبٍّ كان عذَّبها ... عرجاء تظْلَعُ ، فى أنْيابها عَسَمُ (٦)

---

(١) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام

(٢) فى اللسان : « ووصف أمية الحية بالحتفة فقال :

والحية الحتفة الرقشاء أخرجها ... من بيتها أمنات الله والكلم » .

وهى رواية الخصائص (١ : ١٥٤)، قال: « أنثوا المصدر لما جرى وصفا على المؤنث »، يعنى الحتفة .

(٣) فى اللسان : « رزم البعير والرجل وغيرهما يرزم رزوما ورزاما : إذا كان لا يقدر على النهوض رزاحا وهزالا » . ورواية الديوان ٥٧ : « يرى فى سعيها رزم » .

(٤) كذا فى ط ، هـ والديوان ، وقد استعمل المجاز فى « خلفها » كما يقول القائل : « من خلفه الشر والأذى » ، أى هو صاحب شر وأذى . والحمة ، بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحة : السم ، وتجمع على حمم ، انظر اللسان . وفى س : « من خلفها حية » ولا توافق ما سيأتى من تعقيب الجاحظ فى الصفحة التالية س ٤ .

(٥) ناب حديد : حاد . وليس للحية كفٌّ ، وإنما أراد كثرة ما يصيب الناس من شرها .

(٦) تظلع : تعرج وتغمز فى سيرها . وفى الأصل : « تطلع » ، صوابه فى الديوان . والعسم ، بالتحريك : أصل معناه يبس فى المرفق تعوج منه اليد ، فهو أراد به هنا الاعوجاج والانعقاف ، وهو من صفة ناب الحية . وفى الأصل والديوان أيضاً : « غشم » ، وأراها تحريفاً .

وقد بَلَتهُ فذاقَتْ بَعْضَ مَصْدَقِهِ فليسَ فى سَمْعها ، من رَهْبَةٍ صَمَمُ(١)

فكيفَ يأمنها أَمْ كيف تألَفهُ وليس بينهما قُربَى ولا رَحِمُ !

يقول : لو أنَّها أخرجت(٢) حين اسْتُحْلِفَتْ بالله لما خرجت ؛ إذ ليس بينهما قُربَى ولا رَحِم . ثمَّ ذكر الحُمَّةَ(٣) والنّاب .

وقال آخرون : إنما الحيَّة مثل الضبّ والضّبع ، إذا سمع بالله والهدْم والصَّوت خرج ينظر . والحوَّاء إذا دنا من الجحْر رفع صوتَه وصفَّقَ بيديه ، وأكثرَ من ذلك ، حتى يخرج الحيَّة ، كما يُخرجُ الضبُّ والضَّبع .

وقال كثيِّر :

وسَودَاءَ مِطراق إلىَّ مِنَ الصَّفَا(٤) أنِىٍّ(٥) إذا الحاوى دنَا فَصَدَا لها(٦)

والتَّصدية : التَّصفيق ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ الآية . فالمُكاء : صوتٌ بين النَّفخ والصَّفير . والتَّصْدِيَة : تصفيق اليد باليد .

فكان الحوَّاء يحتالُ بذلك للحيّة ، ويُوهم مَنْ حَضَرَ أنَّهُ بالرُّقية

(١) بلا الشئَ يبلوه : اختبره . والمراد هنا عرفته بعد الاختبار . والضمير عائد إلى « نافث » فى البيت الذى قبل السابق . س ، ه : « قد أبلته » ، وفى الديوان : « وقد بكته » ، صوابهما ما أثبت من ط .

(٢) س : « خرجت » .

(٣) الحمة ، بالضم الحاء وفتح الميم ، ويقال الحمة ، بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحة أيضاً ، بمعنى السم .

(٤) الصفا : جمع صفاة ، وهى الصخرة الملساء الصلبة . ط ، س : « الصفا » صوابه فى ه .

(٥) أنى ، من الأناة بمعنى البطء . ط ، ه : « أتى » صوابه فى س .

(٦) ط : « إذا الحاوت » تصحيحه من س ، ه . ورسمت « وصدا » بالألف وهى من الصدو ، بمعنى التصفيق . وفى ط : « فضدا » ، مصحفة .

أخرجها ، وهو فى ذلك يتكلَّمُ ويعرِّض ، إلَّا أنَّ ذلك صوتٌ رفيع . وهو لو رَفَعَ صوتَه ببيتِ شِعْرٍ أو بخرافةٍ ، لَكان ذلك والذى يظهر من العزيمة عندَ الحيَّة سَواءً . وإنَّما يُنْكر الصَّوتَ ، كما يُنكره الضَّبُّ وغيرُ ذلك من الوحش .

ثمَّ قال :

كفَفْتُ يَداً عنها وأرضَيْتُ سَمْعَهَا ... من القَوْل حتَّى صدَّقَتْ ما وعى لها
وأشْعَرتها نَفْثاً بليغاً ، فلو ترى ... وقد جعلت أن ترعَى النَّفْثَ بالَها[1]
تسلَّلْتُها من حيث أدرَكَها الرّقى ... إلى الكَفِّ لما سالمت ، وانسلالَها ٦٣

فقال كما ترى :

* كففت يداً عنها وأرضيتُ سمْعَها * (البيت)

ثم قال :

* وأشعرتها نَفْثاً بليغاً فلو تَرَى *

وقال الأعشى[2] :

أبا مِسْمَعٍ إنِّى امرؤ مِن قَبِيلةٍ ... بَنَى لِىَ عِزًّا مَوْتُها وحياتُها
فلا تُلْمِس الأفعَى يديك تريدها ... إذا ما سعت يوما إليها سَفَاتُها[3]

---

(١) هـ : « يالها » .

(٢) النسبة فى المخصص (١٥ : ١٢٥) إلى أبى ذؤيب الهذلى . وفى معجم المرزبانى ٣٧١ ومجموعة المعانى ١٥٨ إلى خالد بن زهير الهذلى – وهو ابن أخت أبى ذؤيب الهذلى يخاطب معقل بن خويلد الهذلى ، فى قصة دخل فيها أبو ذؤيب الهذلى . وهذا هو الصواب فى النسبة .

(٣) السفاة ، بالفتح ، سيفسرها الجاحظ بعد . وفى ط ، هـ ، س : « سعى لها » وهو تحريف عجيب يفسد به الكلام ، ولا يستقيم به الشعر ، صوابه فى المرجعين المتقدمين وكذا المقصور والممدود ٥٣ والمخصص (١٠ : ٦٣) أيضاً . والرواية فى الجميع ماعدا معجم المرزبانى : =

وقال آخر :

يَدْعُو بِهِ الحيَّةَ فى أقطارِهِ(١) فإنْ أَبَى شَمَّ سَفَا وِجَارِهِ(٢)

والسَّفا : التراب اليابس بين التربين. يقال سَفاً وسَفاة .

(تمويه الحواء والراقى)

والحوَّاء [و(٣)] الرَّاقى يُرِى(٤) النَّـاس أنَّهُ إذا رأى جحراً(٥) لم يخْفَ عليه : أجحر حيَّةٍ هو أمْ جُحر شيء غيره ، فإن كان جُحر حيَّةٍ لم يخف عليه أهى فيـه أم لا . ثمَّ إذا رَقَى وعزَّم فامتنعت من الخُرَوجِ ، وخاف أنْ تـكون(٦) أفْعى صَمَّاءَ لا تسمَعُ ، وإذا أَرَاغَها(٧) ليأخذَها فأخطأ لم يأمن من أن تنقره نَقْرَةً(٨) لايُفْلِـحُ بعدها أبدا ، فهو عند ذلك يستبرى(٩) بأن يشمَّ من تراب الجحر ، فلا يخْفى عَلَيْهِ : أهى أفْعى أم حَيَّةٌ من سائر الحيات . فلذلك قال :

= فلا تلمس الأفعى يداك تريدها ودعها إذا ماغيبتها سفاتها
لـكن فى مجموعة المعانى : « صفاتها » . وانفرد المرزبانى بروايته :
ولا تبعث الأفعى تداور رأسها ودعها إذا ماغيبتها سفاتها

(١) ضمير أقطاره عائد إلى الحية ، والحية تذكر وتؤنث . وأقطار الحية : النواحى التى يسكن فيها . وضمير يدعو ، هو للراقى أو الحاوى .

(٢) أى إن أبى الحية أن يخرج ، شم الحاوى تراب جحره ، ليعلم : أهو فيه أم لا ؟ .

(٣) ليست بالأصل . وبها يلتئم الـكلام .

(٤) كذا على الصواب فى ط . وفى س ، ه : « يرقى » محرفة .

(٥) ط ، س : « جحر حية » . والوجه حذف : « حية » للتعميم ، كما فى ه .

(٦) ط ، س : « يكون » أى مافى داخل الجحر . فله وجه . وأثبت مافى ه .

(٧) أراغها : طلبها . وفى الأصل : « راعها » والوجه ماأثبت .

(٨) انظر ماسبق فى تحقيق هذه الـكلمة ص ١١٥ .

(٩) مخففة من يستبرئ بمعنى يختبر . وبمعناها الدقيق : يطلب براءة الجحر مما قد يكون به من الأفاعى الصم والمؤذية .

* يدعو به الحَية فى أقطاره * (البيت)

والوجار : الجحر .

(ريح الأفعى)

وزعم لى بَعْضُ الحوَّائين أنَّ للحيَّات نتْناً وسهَكاً ، وأن ريحَ الأفعى معروفَةٌ . وليس شيءٌ أعلقَ ، ولا أعْنقَ[١] ، ولا أسرعَ أخذاً لرائحةٍ من طينٍ أو تراب ، وأَنَّهُ[٢] إذا شمّ من طينة الجحْر لم يخْفَ عليه . وقال : اعتبِرْ ذلك بهــذا الطين السدانى[٣] والرَّاهطى[٤] إذا أُلقى فى الزَّعفران والكافور ، أو غير ذلك من الطِّيب ، فإنّه متى وُضع إلى جنب رَوْثةٍ أو عَذِرَة ، قبِلَ ذلك الجسم .

والرَّقاء يوهم النَّاسَ إذا دُخَل دورهم لاستخراج الحيَّاتِ أنَّهُ يعرف أماكنها برائحتها ، فلذلك يأخُذ قصبةً ويَشْعَب رَأسَها ، ثم يطْعن بها فى سقف البيت والزَّوايا ، ثمّ يشمها ويقول مرة : فيها حيَّات ؛ ويقول مَرَّةً : بلى ، فيها حيّات ، على قدْر الطمع فى القوم ، وفى عقولهم .

(تأثير الأصوات)

وأَمْرُ الصَّوتِ عجيبٌ ، وتصرُّفه فى الوجوه عجب . فمن ذلك أنَّ منه

---

(١) أى أسرع . ط : « أعق » س ، هـ : « اعتق » ولعل صوابهما ما أثبت .

(٢) ط ، هـ : « فإنه » والصواب فى س .

(٣) كذا بالأصل . ولعله : « السيرافى » نسبة إلى سيراف . وقد ذكره صاحب المعتمد فى الكلام على (طين قيموليا) .

(٤) الراهطى : نسبة إلى راهط ، وهو موضع فى غوطة دمشق ، كانت عنده الوقعة المشهورة : « مرج راهط » .

مايقتل ، كصوت الصاعقة . ومنها ما يسرُّ النفوس حتى يُفْرِط عليها[١] السُّرُورُ فتقلَقُ حتى ترقُص ، وحَتَّى رُبمَا رمى الرَّجل بنفْسه مِن حالق[٢] . وذلك مثلُ هذه الأغانى المطرِبة . ومن ذلك ما يُسكَمد . ومن ذلك ما يزيل العقْل حتى يُغْشَى على صاحبه ، كنحو هذه الأصواتِ الشجيةِ ، والقراءات الملحَّنة[٣] . وليس يعتريهم ذلكْ مِنْ قِبَلِ المعانى ؛ لأنهم فى كثير من ذلك
٦٤ لا يفهمون معانىَ كَلاَمهم . وقد بَكَىَ ما سرجويه[٤] من قراءة أبى الحوخ ، فقيل له : كيفَ بكيتَ من كتاب الله ولا تصدِّقْ به ؟ قال : إنما أبكانى الشجا !

وبالأصوات ينوِّمون الصِّبيانَ والأطفالَ .

---

(١) ط : « عليه » صوابه فى س ، هـ .

(٢) الحالق : الجبل المرتفع . والمراد : مكان مرتفع .

(٣) من التلحين . ولابن قتيبة فى المعارف ٢٣٢ بحث جيد فى تلحين القرآن ، منه : « وكان القراء كلهم : الهيثم، وأبان، وابن أعين ، يدخلون فى القراءة من ألحان الغناء ، والحداء والرهبانية . فمنهم من كان يدس الشىء من ذلك دساً رقيقا ، ومنهم من كان يجهر بذلك حتى يسلخه . فمن ذلك قراءة الهيثم : أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر . سلخه من صوت الغناء كهيئة :

أما القطاة فإنى سوف أنعتها نعتا يوافق نعتى بعض مافيها

(٤) ما سرجويه : طبيب بصرى يهودى ، وكان أحد المترجمين من السريانية إلى العربية وهو الذى فسر كناش القس أهرن بن أعين ، وزاد عليه مقالتين .

وكلمة : « بكى » هى فى ط ، س : « بكاى » . وفى هـ : « بكا » وقد صححته .

(أثر الأصوات فى الحيوان)

والدَّوابُّ تَصُرُّ آذانها[1] إذا غنَّى المُكارِى . والإبل تصرُّ آذانَها إذا حدا فى آثارها الحادى ، وتزداد نشاطاً ، وتزيد فى مشيها[2] . ويَجمع[3] بها الصَّيَّادُونَ السَّمك فى حظائرهم التى يتَّخذونها له . وذلك أنَّهم يضربون بعصىٍّ معهم ، ويُعَطْعِطُونَ[4] ، فتُقبِل أجناسُ السَّمكِ شاخصةَ الأبصار مصغيةً إلى تلك الأصوات ، حتَّى تدخُلَ فى الحظيرة . ويُضْرَب بالطِّساس للطَّير ، وتُصاد بها . ويضرَبُ بالطِّساس للأُسْدِ وقد أقبلتْ ، فتروعُها تلك الأصوات .

وقال صاحب المنطق : الأيائِلُ تُصَادُ بالصَّفيرِ والغناء . وهى لا تنامُ مادامت تسمَعُ ذلك من حاذق الصوت . فيشغلونها بذلك ويأتون من خلفِها فإنْ رأَوْها مسترخيةَ الآذانِ وثَبُوا عليها ، وإن كانت قائمة الأذنين فليس إليها سَبيل .

والصَّفير تُسْقَى به الدوابُّ الماءَ ، وتنفَّرُ به الطير عن البذور .

وزعم صاحبُ المنطق أنَّ الرَّعدَ الشَّدِيدَ إذا وافق سِبَاحَةَ السَّمك

---

(١) صرت الدابة أذنها : نصبتها للاستماع .

(٢) س : « مشيتها » .

(٣) ط ، هـ : « وتجمع » . وتأنيث الفعل مع جمع المذكر المكسر جائز ، ولكن جمع التصحيح المذكر كما هنا ؛ لايجوز فى فعله إلا التذكير ، خلافا للكوفيين الذين احتجوا بقوله تعالى : « إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل » ، ورد عليهم احتجاجهم بأن « بنو » ليس جمع تصحيح .

(٤) العطعطة : تتابع الأصوات واختلاطها .

فى أعلى المـاء رمَتْ ببيضها[1] قبلَ انتهاء الأجَل . [وربما تمّ الأجل[2]] فتَسمعُ[3] الرّعدَ الشّدِيدَ ، فيتعضَّل[4] عليها أيّاما بعدَ الوقت .

(قول لأبى الوجيه العكلى)

وقال أبو الوجيه العُـكْلِيُّ : أحِبُّ السّحابةَ الخَرْسَاءَ وَلا أُحِبهاَ ! فقيل له : وكيف ذلك ؟ قال : لأنها لا تخرَسُ حتى تمتلئَ ماءً وتصبُّ صَبًّا كثيراً ، ويكونَ غيثاً طَبَقاً[5] . وفى ذلك الحَيَا[6] . إلاّ أنّ الكماةَ لا تـكون على قدْرِ الغيث . ذهب إلى أنّ للرَّعدِ فى الكمأة عملا .

(دعابة لجعفر بن سعيد)

وقال جعفر بن سعيد[7] : سأل كسرى عن الـكَمْأة فقيل له: لاتـكون بالمطر دونَ الرَّعد ، ولا بالرّعْد دونَ المطر . قال : فقال كسرى : رشّوا بالماء واضربوا بالطبول ! وكان من جعفر على التمليح[8] . وقد علم جعفرٌ أنّ كسرَى لا يجهل هذا المقدار .

(أثر الصوت فى الحية)

فالحيّة واحدةٌ من جميع أجناس الحيوان الذى للصَّوتِ فى طبعه عمل .

---

(١) ط . هـ : « ببعضها » صوابه ، فى س .
(٢) الزيادة من س ، هـ .
(٣) فى الأصل : « فيسمع » .
(٤) يتعضل : يعسر خروجه . وفى الأصل : « فيتعطل » ، تحريف .
(٥) طبقاً : أى مالئا للأرض مغشيا لها .
(٦) الحيا ، بالقصر ، ويمد أيضاً : الخصب .
(٧) تقدمت ترجمته فى (٣ : ٤٦٩) .
(٨) التمليح : أن يأتى بشىء مليح . وأصل ذلك فى الشاعر ، وقد جعله هنا للمتحدث ط : « التملح » وهو التزود بالملح ، أو التجارة به ، وليس يليق بهذ الموضع ، وصوابه فى س ، هـ .

فاذا دنا الحوَّاء وصفق بيديه ، وتكلم رافعا صوتَه حتى يزيِّد[١] ، خرج إليه كلُّ شيء كان فى الجُحْر ، فلا يشكُّ من لا علم له أنَّ الحيَّةَ خرجت من جهة الطاعةِ وخوْف المعصيَةِ ، وأنّ العامرَ أخرجها تعظيماً للعزيمة ، ولأنَّ المعَزّم مُطاعٌ فى العُمَّار . والعامّة أسرعُ شيءٍ إلى التَّصديق .

(شعر فى الروح وهيكلها)

وفى [الرُّوح ، وفى[٢]] أنَّ البدنَ هيكلٌ لها ، يقول سليمانُ الأعمى[٣] وكان أخا مسلم بن الوليد الأنصاريَّ . وكانوا لا يشكون بأنَّ سليمانَ هذا الأعمى ، كان من مُسْتَجِيبِى[٤] بشارٍ الأعمَى ، وأنّه كان يختلف إليه وهوغلَام فقبل عنه ذلك الدِّين . وهو الذى يقول :

إنّ فى ذَا الجِسمِ[٥] مُعْتَبَرًا لِطَلُوبِ الْعِلمِ مُقْتَبِسِهْ ٦٥

(١) يقال زيده ، بالتشديد ، فزاد وازداد .

(٢) زيادة تقتضيها صحة الكلام وسياق الحديث . وليست بالأصل . انظر الشعر الآتى .

(٣) سليمان الأعمى ، أو الضرير ، جعله الجاحظ أخا لمسلم بن الوليد ، كما هنا وكما فى البيان (٣ : ٢٠٢) حيث يقول : « وقال سليمان بن الوليد » . أما ياقوت وكذا الصفدى فى نكت الهميان ١٦٠ فقد جعلا مسلم بن الوليد أباه . قال ياقوت فى ترجمته : « وهو ابن مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغوانى : الشاعر المعروف كان كأبيه شاعراً مجيداً . وكان ملازما لبشار بن برد يأخذ عنه ، ولذا كان متهما بدينه . مات سنة تسع وسبعين ومائة » . وأنشد له الشعر الآتى . انظر معجم الأدباء (١١ : ٢٥٥) . وفى عيون الأخبار (٣ : ٦١) : « سليمان الأعجمى » صوابه ما هنا .

(٤) من مستجيبى بشار : أى بمن قبلوا دعوته . ط ، هـ : « مجيبى » س : « مستحى » صوابهما ما أثبت .

(٥) كلمة « فى » ساقطة من ط ، هـ . وكلمة : « الجسم » هى فى الأصل : « العلم » ولا يتجه بها الشعر ، ولا المعنى الذى سيق من أجله الشعر . وأثبت الصواب من معجم الأدباء ونكت الهميان ص ١٦٠ . وكلمة « معتبرا » هى فى ط فقط « معتبر » محرفة .

هَيْـكلٌ للرُّوح ينطقه عِرْقُهُ والصَّوْتُ من نَفَسِهْ (١)
لا تَعِظْ إلاّ اللَّبِيبَ فمـا يُعْدَلُ الضِّلعُ عَلَى قَوَسِهْ
رُبَّ مَغْرُوسٍ يُعَاشُ بِهِ فقَدَتْهُ (٢) كَفُّ مُغْتَرِسِهْ
وكذَاكَ الدّهْرُ مأتَمُهُ أقربُ الأشياءِ مِنْ عُرُسِهْ

(قول فى شعر لأمية بن أبى الصلت)

وكانت العربُ تقول : كان ذلك إذ كان كلُّ شيء ينطق ، وكان ذلك والحجارةُ رَطبةٌ .

قال أُمَيَّةُ :

وإذ هم لا لَبُوسَ لهم تَقِيهم وإذْ صمٌّ السِّلامِ لهم رِطابُ (٣)
بآيةِ قامَ ينطِقُ كلُّ شيءٍ وخانَ أَمَانَةَ الدِّيك الغُرَابُ
وأُرْسِلَتِ الحمامَةُ بَعْدَ سَبْعٍ تدلُّ على المهالك لا تَهابُ
تَلَمّسُ هَلْ ترى فى الأرض عيناً وعاينة بها المـاء العبابُ (٤)
فجاءَتْ بَعْدَمَا رَكَضَتْ بِقِطفٍ عليها الثَّأْطُ والطِّينُ الكُبابُ (٥)

(١) عرقه : يشير إلى أوتار الصوت . ط ، ﻫ ونـكت الهميان : « عرفه » صوابه فى س والمعجم .

(٢) فى البيان والمعجم ونـكت الهميان وعيون الأخبار : « عدمته » . ورواية الـكامل ٧٧٣ موافقة لرواية الحيوان .

(٣) اللبوس ، بالفتح : الثياب والسلاح ، مذكر . فإن ذهبت به إلى الدرع أنثت . ويظهر من تأنيث الفعل بعده أن المراد بها هنا الدرع . والسلام ، بالـكسر : جمع سلمة بكسر اللام ، وهى الحجارة .

(٤) كذا فى ط ، ﻫ . وفى س : « وعانية بها أبناء العباب » . وانظر ما سبق من التحقيق فى (٢ : ٣٢١) .

(٥) فى الأصل : « عليها الناط » . وانظر ما أسلفت من التحقيق والشرح فى (٢ : =

فَلما فرَّسوا الآيات صَاغُوا لها طَوْقاً كما عُقِدَ السَّخابُ (١)
إذا ماتَتْ تُوَرِّثُه بنيها وإنْ تُقتَلْ فليس له انسِلابُ

فذكر رُطوبة الحجارة ، وأنّ كلّ شيء قد كان ينطِق . ثمّ خَبّرَ عن منادمةِ الدِّيك الغرابَ ، واشتراطِ الحمامة على نوح ، وغيرِ ذلك مما يدلُّ على ما قُلْنا . ثمّ ذكر الحيَّةَ ، وشأنَ إبليسَ وشأنَها ، فقال :

كذى الأَفْعَى تربَّبَها لَدَيْهِ وذى الجِنِّيِّ أرْسَلَها تَسابُ (٢)
فلا رَبٌّ البريّة يأمَنَنْهَا ولا الجِنيُّ أصبح يُسْتَتابُ

فإن قُلتَ : إنَّ أميّة كانَ أعرابيًّا، وكان بَدَوِيًّا (٣) ، وهذا من خرافاتِ أَعرَاب الجاهليَّة ، وزعمتَ أنّ أُمَيّةَ (٤) لم يأخذ ذلك عن أهل الكتاب — فإني سأنْشِدُك لعدِىٍّ بنِ زيدٍ ، وكان نصرانيًّا دِيَانيًّا (٥) ، وتَرْجُماناً ، وصاحبَ كتب ، وكان من دُهاةِ أهل ذلك الدّهر .

قال عدىٌّ بن زيدٍ ، يذكرُ شأنَ آدم ومعصيتِه ، وكيف أغواه ، وكيف دخل فى الحية ، وأنَّ الحية كانت فى صورة جَمَل فمسخها الله عقوبة لها ، حين طاوعت عَدُوَّه على وليِّه . فقال :

= ٣٢١) . وقد سبقت رواية « عليه الشاط » أى على القطف . وأما ضمير « عليها » هنا فعائد إلى الحمامة .

(١) طوق الحمامة ، سبق القول فيه فى (٢ : ٣٢١) .

(٢) تربها : رباها . والتربيب : التربية . وفى الأصل : « تربيها » محرف . وانظر لرواية الشطر الثانى ما سبق فى (٢ : ٣٢٢) .

(٣) فى الأصل : « مدربا » .

(٤) الكلام من مبدأ كلمة « كان » إلى هنا ساقط من س .

(٥) نسبة إلى الديانة . وفى الأصل : « ديانا » . والديان بمعنى الحاكم ، ولا وجه له هنا .

قضَى لِسِتَّةِ أَيَّامٍ خَلِيقَتَهُ[١] وكان آخرَها أَنْ صوّرَ الرَّجُلا
٦٦ دعاه آدمَ صوْتاً فاستجَاب له
بِنَفْخَة الرُّوحِ فى الجسم الذى جَبَلَا[٢]
ثُمّتَ أوْرَثَهُ الفِرْدَوْسَ يَعْمُرُهَا وزوجه صنعةً مِنْ ضِلْعِهِ جعَلَا
لم يَنْهَهُ رَبُّهُ عن غيرِ واحدةٍ من شَجَرٍ طَيِّب: أَنْ شَمَّ أوْ أَكَلَا[٣]
فكانت الحَيَّةُ الرَّقْشَاء إِذْ خُلِقت كما تَرى نَاقَةً فى الخلقِ أَوْ جَمَلَا
فعَمَدَا للتى عن أَكلِهَا نُهِيَا بأمْرِ حَوَّاءَ لم تأْخُذْ لَهُ الدَّغَلَا
كلاهما خاط إذ بُزَّا لَبُوسَهما مِنْ وَرَقِ التِّينِ ثوباً لم يكن غَزِلا[٤]
فلاطَهَا اللهُ إذ أَغْوَتْ خَلِيفَتَهُ طولَ اللَّيالى ولم يجعَل لها أجلَا[٥]
تمشى على بطنها فى الدَّهر ما عَمِرَتْ والتُّرب تأكُلُهُ حزناً وإن سهُلَا[٦]
فأُتعِبـا أبوانَا فى حـياتهما
وأَوْجَدَا الجُوعَ والأوصابَ والعِلَلَا[٧]

---

(١) ط ، س : « خليقة » صوابه فى هـ .

(٢) ط : « فاسجاب له » ، تصحيحه من س ، هـ . وجبل : خلق .

(٣) أى عن شمها وأكلها .

(٤) بزا لبوسهما : أى سلبا ثيابهما . وفى الكتاب الكريم : « فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما » و : « لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما » . وفى ط ، هـ : « برا » وفى س : « بر » والوجه ما أثبت .

(٥) لاطها : ألصقها . وخليفة الله : آدم : « وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة » . وقول عدى : « ولم يجعل لها أجلا » إشارة إلى ما يزعمون من أن الحية لا تموت إلا بعرض يعرض لها من قتل ونحوه .

(٦) عمر ، كفرح ونصر وضرب : بقى زمانا .

(٧) جرى الشاعر على نحو مذهب « أكلونى البراغيث » فى « فأتعبا أبوانا » . ط فقط : « فأبقيا » محرفة . وفى س ، هـ : « ووجد الجوع » .

وأوتيا الملكَ والإنجيلَ نقرؤه ... نَشْفى بحكمته أحْلامَنا عِلَلا(١)
مِنْ غيرِ ما حاجةٍ إلّا ليَجْعَلَنا ... فوقَ البريَّةِ أرْبَاباً كما فَعَلا(٢)

(عقاب حواء وآدم والحيّة)

فرَوَوْا أنَّ كعبَ الأحبارِ قال : مكتوبٌ فى التوراة أنَّ حَوَّاءَ عِنْدَ ذلك عُوقبت بعشر خصالٍ ، وأنّ آدم لَمّا أطاع حَوَّاء وعصى رَبَّه عُوقب بعشر خصال ، وأنَّ الحيَّة التى دخل فيها إبليس عُوقبت أيضاً بعشْر خِصال(٣) .

وأوَّلُ خِصال حَوّاء التى عُوقبتْ بها وجَعُ الافتضاض ، ثم الطلق ، ثمَّ النَّزْع(٤) ثمّ بقناع الرَّأس(٥) ، وما يصيبُ الوَحَمى(٦) والنفساء من المكروه ، والقَصْرُ فى البيوت(٧) ، والحيض ، وأنَّ الرِّجال هم القوَّامون عليهنّ ، وأن تكونَ عنْدَ الجماع هى الأسفل .

---

(١) الأحلام ، العقول . وعللا ، بدل من أحلامنا ، والضمير فيها مقدر ، أى : عالا فيها .

(٢) البرية : الخلق . وأربابا : جمع رب ، جاء فى اللسان : « الرب يطلق فى اللغة على المالك والسيد والمربى والقيم والمنعم . قال : ولا يطلق غير مضاف إلا على الله عزّ وجل . وإذا أطلق على غيره أضيف فقيل رب كذا . قال : وقد جاء فى الشعر مطلقا على غير الله تعالى ، وليس بالكثير ، ولم يذكر فى غير الشعر » .

(٣) هذا القول غير مطابق لما فى التوراة ، وبينه وبين ما فيها تفاوت . انظر سفر التكوين ، الأصحاح الثالث الآيات ١٤ — ١٩ . وانظر تنبيه الجاحظ على مرويات كعب فى ص ٢٠٢ .

(٤) أى نزع الولد .

(٥) أى لبس غطاء الرأس ، وحق هذه الخصلة أن تكون بعد تاليتها .

(٦) وحمت المرأة : حبلت واشتهت الطعام ، فهى وحمى من وحام ووحامى . ط ، س : « الوحم » هـ : « وما يصب الرحم » صوابه ما أثبت .

(٧) أى حبسهن فى البيوت . هذا . ومن عد هذه الخصال وجدها تسعا ، فلعله جعل الخامسة منهن اثنتين .

وأمّا خصال آدم صلى الله عليه وسلم : فالذى انتقص من ضُلوعه[1] ، وبما جعله الله يخافُ من الهوامِّ والسِّباع ، ونـكَد العَيش ، وبتوقع الموت ، وبسكْنى الأرض ، وبالعُرْى من ثياب الجنَّة ، وبأوجاع أهل الدنيا ، وبمقاساة التحفظ من إبليس ، وبالمحاسبة بالطَّرف[2] ، وبما شاع عليه من اسم العصاة .

وأمّا الحيَّة فإنها عوقبت بنقص جَناحها ، وقطْع أرجلها ، والمشى على بطنها ، وبإعراء جلدها — حتى يقال : « أعْرَى مِنْ حَيَّة » وبشقِّ لسانها — ولذلك كلما خافَتْ من القتل أخرجَتْ لسانها لترَيهم العُقوبة — وبما أُلقِى عليها من عَداوةِ النَّاس ، وبمخافة الناس ، وبجعله لها أوَّلَ ملعون من اللَّحم والدَّم ، وبالذى يُنسب إليها من الـكذب والظلم .

(ظلم الحية وكذبها)

فأمّا الظلم فقولهم : « أظلم من حَيَّةٍ » . وأما الكذب فأنها تنطوى فى الرَّمْلِ
٦٧ على الطَّريق وتدْخِلُ بعض جسدِها فى الرَّمل ، فتظهر كأنها طَبقُ خيزُرانٍ ، ومنها حَيَّاتٌ بيضٌ قِصَارٌ تجمعُ بين أطرافها على طُرُقِ الناس ، وتستديرُ كأنها طَوْقٌ [أوْ[3]] خلخالٌ ، أو سوارُ ذهب أو فضةٍ — ولما تلقى على نفسها من السُّبات[4] ، ولما تُظهر من الهَرَب من الناس . وكلّ ذلك إنما تغرُّهُمْ وتصطادُهَمْ بتلك الحيلة ، فذلك هو كِذبُها .

---

(١) فى الأصل : « من طوله » .

(٢) لعل المراد المحاسبة على ما تجنيه العين من جنايات النظر . وفى س : « وبالمحاسبة الطرف » .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) السبات ، بالضم : النوم .

(عقاب الأرض)

قال : وعُوقبت الأرضُ حينَ شَرِبَتْ دم ابن آدم[1] بعشرِ خِصال : أنبَتَ فيها الشّوك ، وصيّرَ فيها الفيافِىَ ، وخرق فيها البحار ، وملّح أكثرَ مائها ، وخَلقَ فيها الهوامَّ والسِّباع ، وجَعَلَهَا قرارًا لإبْلِيسَ والعاصِين ، وجعل جهنّمَ فيها ، وجعَلها لا ترْبِى ثمرتَها إلّا فى الحرّ ، وهى تعذّب بهم إلى يوم القيامة ، وجعاها تُوطأ بالأخْفافِ ، والحوافِر ، والأظلافِ والأقدام[2] ، وجَعَلها مالحةَ الطّعم .

(شرب الأرض للدم)

ثم لم تشرب بعد دمِ ابنِ آدَمَ دَمَ أحدٍ من ولده ، ولا من غير ولده . قَالَ : وَلِذٰلك قال عمر بنَ الخطاب رضى الله تعالى عنه لأبى مريم الحنفىّ[3] : « لأنَا أَشَدُّ لك بُغْضاً مِنَ الأرْضِ للدم ! » .

وزعم صاحبُ المنطق أنَّ الأرض لا تشرب الدَّم ، إلّا يسيرًا من دماء الإبل خاصَّة .

(اختبار العسل)

وإذا أرادُوا أن يمتحنُوا جَوْدَة العسل من رداءته ، قَطَرُوا على الأرض

---

(١) هو الذى تسميه التوراة : « هابيل » . الأصحاح الرابع من سفر التكوين ، وقصته فى سورة المائدة ٢٧ - ٣١.

(٢) فى الأصل : « القوادم » .

(٣) سبقت ترجمته فى (٣ : ١٣٦) ، حيث تجد كلمة عمر الآتية . وتجدها كذلك فى عيون الأخبار (٣ : ١٣) والبيان (٢ : ٨٩) وبقية الحديث فيه : « قال : أفتمنعنى لذلك حقا ؟ قال لا ! قال : لاضير ؛ إنما يأسف على الحب النساء ! » .

منه قَطْرَةً . فإذا استدارت (١) كأنها قطعَةُ زِئبقٍ ، ولم تأْخُذْ مِنَ الأَرْضِ ولم تُعْطِهَا (٢) فهو الماذىُّ الخالصُ الذَّهبِىُّ . فإن كان فيه غشوشةٌ (٣) نفشت القَطْرة على [قدر] ما فيها ، وأخَذَتْ من الأرض وأعطتها . وإن لم يقدِرُوا على اللَّحم الغَريض (٤) دَفَنُوهُ وغرّقوه فى العسل ، فإنهم متى رجعوا فغسلوه عنه وجَدُوهُ غضًّا طريًّا ؛ لأنّهُ ذهبِىُّ الطِّباع ، ليس بينه وبين سائر الأجرام شىء . فهو لايعطيه شيئاً ولا يأخذ منه . وكذلك الذَّهَبُ إذا كان مدفونا .

(زمن الفطحل)

وهذه الأحاديثُ ، وهذه الأشعارُ ، تدلُّ على أنَّهُـمْ قد كانوا يقولون : إنَّ الصُّخورَ كانت رَطْبَةً ليِّنة ، وإنَّ كلَّ شىءٍ قد كانَ يعرِفُ وينطق ، وإنَّ الأشْجَارَ والنَّخل لم يكن عليها شوكٌ . وقد قال العجَّاج ، أو رُؤْبه (٥) :

أَوْ عُمْرَ نُوحٍ زَمَنَ الْفِطَحْلِ ... وَالصَّخْرُ مُبْتَلٌّ كَطِينِ الوَحْلِ

(مرويات كعب الأحبار)

وأنا أظنُّ أنَّ كثيرًا مِمَّا يُحكى عن كعبٍ أنَّهُ قال : مكتوبٌ فى التوراة أنَّهُ إنَّما قال : «نجدُ فى الكتب» ، وهو إنَّما يعنى كتب الأنبياء ، والذى يتوارثونه من كتب سليمان ؛ وما فى كتبهم من [مثل (٦)] كتب إشَعْياء (٧) [وغيره (٨)] .

(١) ط ، هـ : « فإن استدارت » .

(٢) س ، هـ : « يعطه » ط : « تعطه » وصوابه ما أثبت .

(٣) كذا فى الأصل . والمعروف : غشه غشا .

(٤) اللحم الغريض : الطرى .

(٥) انظر ما سبق من التحقيق فى ص ٨ .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) هو إشعياء ، بكسر أوله وفتح ثانيه وإسكان ثالثه كما ضبط فى العهد القديم . كان أحد أنبياء بنى إسرائيل . وقد تحدث عنه ابن الأثير فى الكامل (١ : ١٤٣ - ١٤٥) حديثاً طويلا ، وكتابه يشتمل على ستة وستين أصحاحا .

(٨) بمثل هذه الكلمة يصلح الكلام . وإلا فإن لإشعياء كتابا واحداً كما مر =

والذين يروون عنه فى صفة عُمَرَ بن الخطاب رضى الله عنه ، وأشباهِ ذلك ، فإن كانوا صدَقوا عليه ، وكان الشيخ لا يضعُ الأخبارَ[١] فما كان وجهُ كلامه عندنا إلاّ على ما قلتُ لك . ٦٧

(نطق الحية)

وفى أنّ الحيّةَ قد كانت تسمعُ وتنطق ، يقول النّابغةُ[٢] فى المثَل الذى ضَرَبَهُ[٣] ، وهو قوله :

أليس لنا مولًى يحبُّ سَرَاحَنا   فيعذِرَنا من مُرَّةَ المتناصِرَه[٤]
لِيَهْنِكُمُ[٥] أنْ قَدْ نَفَيْتُمْ[٦] بيُوتَنا   مَحَلَّ عُبَيْدَانَ المحلِّإِ باقِرُه[٧]

= فى التنبيه السابق . فمن هذه الكتب كتب إرميا ، وحزقيال ، ودانيال ، ويوشع وعاموس ، وغيرهم .

(١) س : « وكان الشيخ يصنع الأخبار » .

(٢) من قصيدة له يعاتب بها بنى مرة . انظر الخزانة (٣ : ٥٥٦ بولاق) وخمسة دواوين العرب ٤٧ . ووهم الدميرى فى نسبة الشعر إلى النابغة الجعدى .

(٣) انظر قصة الشعر فى المصدرين المتقدمين ، والشعراء ١١٢ – ١١٣ والمحاسن والمساوى (٢ : ١٣٤) والدميرى (١ : ٤١٦) وأمثال الميدانى (١ : ٨٢) ومروج الذهب (٢ : ١٢٩) . وهى مما وضعه العرب على ألسنة الحيوان .

(٤) س : « يجيب سراحنا » .

(٥) كذا فى هـ . وفى س : « ليهنكو » وهما كتابتان جائزتان ، وفى ط : « ليهنأكم » ، وفى خمسة دواوين العرب واللسان (مادة عبد) : « ليهنأ لكم » وهذه لغة غريبة .

(٦) فى الأصل : « لقيتم » . وتصحيحه من الديوان واللسان (عبد) .

(٧) فى البيت إقواء . وقال ابن برى : صواب إنشاده : « المحلِّئُ باقره » بكسر اللام من المحلىء ، وفتح الراء من باقره . وعبيدان : ماء منقطع بأرض اليمن لا يقربه أنيس ولا وحش . أو هو بمعنى الفلاة . أو هو رجل له قصة ، ذكرها صاحب اللسان . والباقر : البقر . س ، هـ : « المحلات » محرف . وانظر الاستدراكات .

وإنى للاقٍ من ذَوى الضِّغْنِ نَـكْبَةً   بلا عثْرَةٍ والنفس لابدّ عاثِرَه (١)
كما لَقِيَتْ ذاتَ الصَّفَا مِنْ حَلِيفها
وما انفَـكَّتِ الأَمْثَالُ فى الناسِ سَائِرَهْ (٢)
فقالت له : أدْعُوك للعقْل وافرًا   ولا تَغْشَيَنِّى منك للظّلمِ بادِرَهْ (٣)
فواثَقهَا باللهِ حـتَّى تَرَاضَيَا   فكانَتْ تديهِ الجَزْعَ خَفْياً وظَاهِرَه (٤)
فلما تَوَفَّى العَقْلَ إلّا أَقَلَّه   وجارَتْ بِهِ نَفْسٌ عن الخيرِ جائِرَه (٥)
تفـكَّرَ أنّى يَجْمَعُ اللهُ شَمْلَهُ (٦)   فيصبِـحَ ذا مال ويقْتُلَ واتِرَه
فَظَلَّ على فأْسٍ يُحِدُّ غُرابها (٧)   ليقتُلَها، والنَّفْسُ للقَتْلِ حَاذِرَهْ (٨)
فلما وقاها اللهُ ضربةَ فأْسِـهِ   ولِلهِ عَيْنٌ لا تَغَمَّضُ ساهره (٩)
فقَالَ : تعالَىْ نجعلِ اللهَ بينَنا   على العَقْلِ حتى تُنْجِزِى لِيَ آخِرَه (١٠)

---

(١) الخزانة : « فإنى لألقى من ذوى الضغن منهم » .

(٢) ذات الصفا : الحية التى كان لها هذا المثل : وسميت بذلك لأنها تسكن فى الصفا ، وهى الحجارة الملس الصلاب .

(٣) العقل هنا بمعنى الدية . زعموا أن الحية قتلت أخا ذلك الحليف .

(٤) تديه الجزع : أى تعطيه دية أخيه من الجزع ، بالفتح ، وهو ضرب من الخرز فيه بياض وسواد . ه : « تديه الجرح » محرف . ورواية الخزانة والديوان : « وكانت تديه المال غبا » . والغب بالكسر : أن تعطيه فى يوم ولا تعطيه فى الثانى . والظاهرة أصله من ظمء الإبل ، وهى أن تشرب كل يوم نصف النهار .

(٥) توفى العقل : أى أخذ الدية وافية كاملة .

(٦) رواية الديوان والخزانة : « تذكر أنى يجعل الله جنة » . والجنة بالضم : الوقاية . ورواية الشعراء : « تذكر أنى يجعل الله فرصة » .

(٧) غراب الفأس : طرفها . ورواية الميدانى والخزانة والشعراء : « أكب على فأس »

(٨) والنفس : أى ونفسه . ورواية العجز فى الخزانة والميدانى والديوان : « مذكرة من المعاول باتره » .

(٩) ط : « ناظره » . ورواية الميدانى : « وللشر عين لا تغمض ناظره » .

(١٠) قال للحية : تعالى نجعل الله شاهداً بيننا على دية أخى حتى تنجزيها . س ، ه : =

فقالت : يمينُ اللهِ ، أفعَلُ ؛ إنَّنى رأيتُك خَتَّارًا يَمِينُكَ فاجِره[1]
أبَى لَكَ قبرٌ لا يزال مُواجِهاً وضربة فأْسٍ فوقَ رأسِى َفاقِرَه[2]

فذهبَ النَّابِغَةُ فى الحيَّاتِ مذهبَ أميَّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ ، وعدىِّ ابنِ زيدٍ ، وغيْرِهما من الشعراء .

(الصخور والأشجار فى ماضى الزمان)

وأنشدنى عبدُ الرحمن بن كيسان :

فكانَ رَطِيباً يومَ ذلك صخرُها وكانخَضِيدًا[3] طَلْحُهاوَسَيَالُهَا

فزعمَ كما ترى أنَّ الصُّخورَ كانت ليِّنَةً ، وأنَّ الأشجارَ : الطَّلْحَ والسَّيالَ كانت خَضِيدًا[4] لا شوكَ عليها .

وزعم بعضُ المفسِّرين وأصحاب الأخبار ، أنَّ الشَّوك إنما اعتراها فى صبيحة اليوم الذى زعمَتِ النَّصارَى فيه أنَّ المسيح ابنُ الله .

= « فقالت لعلى يجعل » صوابه ، فى ط والديوان والخزانة والميدانى . ويروى : « على المال » و « على مالنا » .

(١) يمين الله : قسم من الأيمان . و « أفعل » أى : لا أفعل . وحذف « لا » بعد القسم كثير فى كلامهم . وفى الكتاب : « تالله تفتؤ تذكر يوسف » أى لا تفتأ . وانظر لهذا البحث أمالى المرتضى (٣ : ١٣٧) والمخصص (١٣ : ١١٥) والأضداد ١٤٨ . والختار : الغدار .

(٢) تقول : أبى لك أن تكون وفيا ما أسلف إلى أخوك الذى قبره مواجه لنا وكان أخوه فيما زعموا — ضربها بفأس ، فانتقمت منه بأن قتلته . ورواية الديوان والخزانة والشعراء : « أبى لى » أى أبى لى أن أخدع أو أن أضمن وفاءك وصدق التعاهد والتواثق . والضربة الفاقرة : القاطعة ، كأنها تقطع الفقار .

(٣) فى الأصل : « نضيدا » ، صوابه ما أثبت . وانظر تعقيب الجاحظ .

(٤) خضيد : فعيل بمعنى مفعول من خضد الشوك : أى قطعه . وفى الأصل . « خضيدة » وفعيل إذا كان بمعنىمفعول وذكر معه الموصوف استوى فيه المذكر والمؤنث .

(أثر قدم إبراهيم عليه السلام)

وكان مقاتلُ يقولُ — حَدَّثَنَا بذلك [عنه[١]] أبو عقيلٍ السَّواق ، وكان أحدَ رواتِه والحاملين عنه — إنَّ الصُّخورَ كانَتْ لَيِّنَةً ، وإنَّ قدمَ إبراهيم عليه السلام أثرت[٢] فى تلك الصخرة ، كتأثير أقدامِ الناس فى ذلك الزّمان .
٦٩ إلَّا أنَّ الله تعالى توفّى تلك الآثارَ ، وعفَّى عليها ، ومسَحَها ومحاها ، وترك أثرَ مقامِ إبراهيمَ صلى الله عليْهِ وسلم . والحجَّةُ إنما هى فى إفراده بذلك ونَحْوِ ما سواهُ من آثار أقدام الناس . ليس أنّ إبراهيم صلى الله عليه وسلم كان وطئ على صخرةٍ خلقاء[٣] يابسةٍ فأثَّرَ فيها .

(فضل المتكلمين والمعتزلة)

وأنا أقول على تثبيت ذلك بالحجة[٤] . ونعوذ بالله من الهَذْر والتكلف وانتحالِ ما لا أقوم به . أقول : إنّهُ لولا مكانُ المتكلمين لهلكت العوامُّ من جميع الأمم ، ولولا مكانُ المعتزِلة لهلكت العَوَامُّ من جميع النِّحل . فإن لم أقل : ولولا أصحابُ إبراهيمَ وإبراهيمُ لهلكت العوامُّ من المعتزلة ، فإنى أقول : إنهُ قد أنهج لَهُمْ سُبُلاً ، وفَتَقَ لهم أمورًا ، واختصر لهم أبوابا ظهرتْ فيها المنفعة ، وشملتهم بها النعمة .

---

(١) الزيادة من س ، هـ .
(٢) ط : « وإن قدما إبراهيم عليه السلام أثرتا » ، ويكون صواب ما فى ط : « وإن قدمى » الخ .
(٣) صخرة خلقاء : ملساء .
(٤) س : « الحجة » .

(ما يحتاج إليه الناس)

وأنا أزعُمُ أن الناس يحتاجون بَدِيًّا[١] إلى طبيعةٍ ثم إلى معرفة ، ثم إلى إنصاف . وأوّل ماينبغى أنْ يبتدئ به صاحبُ الإنصافِ أمرَه ألاّ يعطىَ نفسه فوقَ حقها ، وألاّ يضعها دونَ مكانهـا ، وأن يتحفظَ من شيئين ، فإن نجاته لا تتمّ إلاّ بالتحفظ منهما : أحدهما تُهمة الإلف ، والآخر تُهمة السَّابِقِ إلى القلب — والله الموفق .

(حديث عن تأليف هذا الكتاب)

وما أكثرَ ما يعرض فى وقت إكبابي[٢] على هذا الكتاب ، وإطالتى الكلام ، وإطنابى فى القول ، بيتُ ابن هَرْمة ، حيث يقول :

إنَّ الحديثَ تغر القَوْمَ خَلوتُه   حَتى يَلَجَّ بهم عِىٌّ وإكثارُ[٣]

وقولهم فى المثل : « كل مُجْر فى الخَلاءِ يُسَرُّ »[٤] .

---

(١) بديا : أى بدءا . وفى الأصل : « نديا » .

(٢) أكب على الشىء : أقبل عليه ولزمه . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « الباب » و س : « باب » و هـ : « أكبائى » .

(٣) خلوته : أى أن يختلى بعضهم ببعض لمداورته وتبادله . وفى الأصل : « حلوته » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف صوابه فى الجزء الأول ص ٨٨ حيث تجد موضع الاستشهاد بهذا البيت .

(٤) كذا الرواية الجيدة للمثل كما سبق فى الجزء الأول ص ٨٨ وأمثال الميدانى (٢ : ٧٣) وأمالى القالى (٢ : ٨٩) . وأصله أن الرجل يجرى فرسه فى المكان الخالى لا مسابق له فيه ، فهو مسرور بما يرى من فرسه . يضرب مثلا للرجل تكون فيه الخلة يحمدها من نفسه ، ولا يشعر بما فى الناس من الفضائل . وقد روى المثل أيضاً : « كل مجر فى الخلاء مسر » ، بجعل « مسر » اسم مفعول من « أسره » أى أفرحه . وهو فعل لم تنطق به العرب ، وإنمـا توهمه القائل ، كما أنشد الآخر فى عكسه : =

وأناَ أعوذ بالله أنْ أُغَرَّ من نفسى ، عند غَيبةِ خَصمى ، وتصفحِ العلماءِ لكلامى ، فإنى أعلم أن فِتنةَ اللسانِ والقلمِ ، أشدّ من فِتنة النساء ، والحرص على المال .

وقد صادف هذا الكتابُ منى حالاتٍ تمنعُ من بلوغِ الإرادة فيهِ ، أوّلُ ذلك العِلة الشديدة ، والثانية قلة الأعوان ، والثالثة طولُ الكتاب ، والرابعة أنى لو تكلفت كتاباً فى طوله ، وعدَدِ ألْفاظِهِ ومعانيهِ ، ثمَّ كان من كَتب العَرَض والجوهر ، والطَّفرة[1] ، والتولد[2] ، والمداخَلة[3] ، والغرائز[4]

= وبلدة يغضى على النعوت يغضى كإغضاء الروى المثبوت

أراد : المثبت ، فتوهم : ثبته . انظر اللسان (سرر) وما أسلفت من التحقيق فى (١ : ٨٨) .

(١) الطفرة : مسألة كلامية تنسب إلى إبراهيم النظام ، كما فى الفصل (٥ : ٦٤) ، وهى قوله : إن المار على سطح الجسم يسير من مكان إلى مكان بينهما أماكن لم يقطعها هذا المار ، ولا مر عليها ، ولا حاذاها ، ولا حل فيها . وانظر لذلك أيضاً الفرق بين الفرق ١٢٤ س ٦ ــ ٧ ، ١٥ وتأويل مختلف الحديث ١٦ س ٢ . وفى الأصل : « الصفرة » تحريف ظاهر .

(٢) التولد : مبحث كلامى ، وذلك أنهم اختلفوا فيمن رمى سهما فجرح به إنسانا ، أو غيره ، وفى حرق النار ، وتبريد الثلج ، وسائر الآثار الظاهرة من الجمادات ، فقالت طائفة : ماتولد من ذلك عن فعل إنسان أوحىّ ، فهو فعل الإنسان والحى . واختلفوا فيما تولد من غير حى ، فقالت طائفة : هو فعل الله . وقالت طائفة : هو فعل الطبيعة . وقال آخرون : كل ذلك فعل الله . وقد فصل ابن حزم الكلام فيه فى كتابه (٥ : ٥٩ ــ ٦٠) . وانظر مذهب الجبائى والنظام فى الفرق ١١٥ وبشر ، فى الفرق ١٤٣ . وفى الأصل : « التوليد » وصوابه مما سبق ومن تأويل مختلف الحديث ١٦ س ٣ .

(٣) المداخلة : مقالة كلامية لقوم زعموا أن الألوان ، والطعوم ، والروائح ، والأصوات والخواطر ، أجسام ، وأن تلك الأجسام بزعمهم تتداخل فى حيز واحد . الفصل (٥ : ٦٠ – ٦١) . وقد ذهب النظام إلى ذلك . الفرق ١٢٢ .

(٤) الغرائز ، أى الطبائع الموجودة فى الأشياء ، كالحر للنار ، والبرد للثلج ، والإسكار =

والتماسّ(١) ـــ لكان أسهَلَ وأقصَرَ أياماً ، وأسْرَعَ فراغاً ؛ لأنى كنت لاأفزَعُ فيه إلى تلقُّط الأشعار(٣) ، وتتبُّعِ الأمثال ، واستخراج الآيِ من القرآنِ ، والحجَجِ من الرِّواية ، مع تفرُّقِ هذه الأمورِ فى الكتب ، وتباعُدِ ما بين الأشكال . فإنْ وجَدْتَ فيه خالاً من اضطرابٍ لفظٍ ، ومن سوءِ تأليف ، أو من تقطيعِ نظامٍ(٣) ، ومن وقوع الشىء فى غير موضعه(٤) ـــ فلا تنكِرْ ، بعدَ أنْ صوَّرتُ عندك حالى التى ابتدأتُ عليها كتابى . ٧٠

ولولا ما أرجو من عَوْنِ الله على إتمامه ؛ إذْ كنتُ لم ألتمسْ به إلاَّ إفهامَك مواقعَ الحجَجِ لله ، وتصاريفَ تدبيره ، والذى أوْدَعَ أصنافَ خلْقه من أصناف حكمته ـــ لَمَا تعرَّضْتُ لهذا المكروه .

فإنْ نَظرْتَ فى هذا الكتاب فانظُرْ فيه نظرَ مَنْ يلتمس لصاحبه المخارجَ ، ولا يَذهَبُ مذهبَ التعنُّتِ ، ومَذْهَبَ مَنْ إذا رأى خيراً كتَمَهُ ، وإذا رأى شَرًّا أذاعه .

وليعْلم منْ فَعَلَ ذلك أنَّه قد تعرَّض لباب إن أُخِذَ بمثله ، وتعَرَّض له

= للخمر . أثبت ذلك قوم، ونفاه آخرون منهم الأشاعرة. الفصل (٥ : ١٤ – ١٥). وللجاحظ كلام طويل فيها فى هذا الجزء ٣١٣ – ٣١٩ ساسى .

(١) التماس ، ويقال أيضاً : المجاورة . باب من الكلام ، يبحث فى اتصال الأجسام بعضها ببعض ، كالماء باللبن ، والدقيق بالماء ، والزيت بالخل . وتجد أقسامه موضحة فى الفصل (٥ : ٦١). وانظر تماس العرش ومالكه فى الفرق بين الفرق ٢٠٤. ط ، هـ : « النحاس » س : « النخاس » وهما تحريف ما أثبت .

(٢) أفزع إليه : أى ألجأ . وفى الأصل : « أفرع » محرفة . والتلقط : التقاط الشىء من هنا وهناك . وفى الأصل : « التلفظ » ، وليس صوابا .

(٣) ط ، س : « ومن تقطيع نظام » ، وأثبت ما فى هـ .

(٤) هـ : « أو من وقوع » . . الخ ، وأثبت ما فى ط ، س .

فى قوله وكتبه ، أنْ ليس ذلك إلاّ من سبيل العُقوبة ، والأخْذ منه بالظلامة . فلينظرْ فيه على مثال ما أدَّب الله به ، وعرَّف كيف يكون النظر والتفكير والاعتبار والتعليم ؛ فإنَّ الله عزَّ وجلّ يقول : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ .

(الحكم الجليلة فى دقيق الأشياء)

فينبغى أنْ تكون إذا مررْتَ بذكر الآية والأعجوبة ، فى الفراشة والجِرجسَة[1] ، ألاَّ تحقِرَ تلك الآية ، وتصغِّر تلك الأعجوبة ؛ لصغر قدرهما عندك ، ولقلَّة معرفتهما عِنْدَ معرفتك[2] ، ولصِغَر أجسامهما عند جسمك . ولكن كنْ عند الذى يظهَرُ لك من تلك الحكم ، [و[3]] من ذلك التَّدبير ، كما قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ قال ثمّ قال : ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾ ثمَّ قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ . وقد قال عامرُ بن عبد قيس[4] : « الكلمة إذا خرجتْ من القَلْبِ وقعتْ فى القَلب ، وإذا خَرجَتْ من اللسانِ لم تجاوز الآذان » .

---

(١) الجرجس ، بالكسر : البعوض الصغار . ط : « الحرجسة » ، صوابه فى س ، هـ .

(٢) فى الأصل : « عندك معرفتك » ، والوجه ما أثبت .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) س : « عبد القيس » بإثبات « أل » وهو جائز فى العربية ، كما أسلفت فى (٣ : ٣٨٢) . وهو عامر بن عبد قيس بن ثابت التميمى العنبرى . تابعى ثقة من كبار التابعين =

(حث على الإخلاص والتنبُّه عند النظر)

وأنا أعيذ نفسى بالله أنْ أقول إلاّ لهُ ، وأعيذك بالله أن تسمع إلاّ لهُ . وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَهْتَدُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ . فاحْذَرْ من أنْ تكونَ منهم ، وممّن يَنْظرُ إلى حكمة الله وهو لا يبصرها ، وَمِمَّنْ[1] يبصرها بفَتْح العَيْنِ واستماعِ الآذان ؛ ولكن بالتوقف من القلْب ، والتثبت من العقل ، وبتحفيظه وتمكينه من اليقين ، والحجّة الظاهرة . ولا يراها من يُعرِضُ عنها . وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ . وقال : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ولو كانوا صمًّا بُكماً وكانوا هم لايعقلون ، لَمَا عيَّرهم بذلك ، كما لم يعيِّر مَنْ خَلَقهُ معتوهاً كيف لم يعقل ، وَمَنْ خَلَقهُ أعمى كيف لم يبصر ، وكما لم يَلُمِ[2] الدوابَّ ، ولم يعاقب السِّباع . ولكنَّهَ سمّى البصير المتعامىَ أعمى ، والسميعَ المتصامِمَ[3] أصمَّ ، والعاقلَ المتجاهلَ جَاهلاً . ٧١

وقد قال الله عزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

= وعبادهم . وكان غاية فى الزهد ، روى عنه فى ذلك روايات تدخل فى حدود المبالغة . انظر الإصابة ٦٢٨٠ . وكان من الأبيناء الفصحاء ، كما ترى ذلك فى مواضع كثيرة ، من بيان الجاحظ . ومات عامر فى خلافة معاوية . والخبر فى البيان ١ : ٨٣ .

(١) فى الأصل : « وأن » ، ولا يستقيم بها الكلام .

(٢) ط ، هـ : « يكرم » صوابه فى س .

(٣) كذا جاءت بالفك .

فَانْظُرْ كما أمرك الله ، وانظرْ من الجهة التى دلّك مِنْهَا ، وخذْ ذلك بقوّة . قال تعالى : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَافِيهِ[1] ﴾ .

(عود إلى الحيات)

ثمَّ رَجَعَ بنا القولُ إلى ما فى الحيَّات من العِلم والعِبرة ، والفائدةِ والحِكمة ؛ ولذلك قال أبو ذرٍّ الغِفاريُّ : « لقد تركَنَا رسولُ الله صلى الله عليهِ وسلم ، وما يمرُّ بنا طائرٌ إلا وعِنْدَنَا من شأنه عِلْمٌ » . وهذا القول صحيح عن أبى ذر ، ولم يخصّ أبو ذرٍّ خَشاش الطّيرِ من بُغاثها وأحرارها ، ولا ما يدخل فى بابةِ[2] الهمَج . وقد أريْناك من تحقيق قولهِ طَرَفا . ولعلك إن جمعْتَ نظرك إلى نظرنا ، أنْ[3] تستتمَّ هذا الباب ، فقد قال الشاعر :

خليليَّ ليس الرأىُ فى رأى واحدٍ[4] أشِـيرَا عَلَيَّ الْيَوْمَ مَا تَرَيَانِ

وقال الأحنَف : « مامِنَ الناس أحدٌ إلاَّ وقد تعلَّمْتُ منه شيئاً ، حتَّى من الأَمَةِ الوَرْهاءِ والعبْدِ الأَوْرَهِ[5] » .

(أنواع الحيات)

والحيَّات مختلفاتُ الجهاتِ جدّا ، وهى من الأمم التى يكثُرُ اختلافُ أجناسِها فى الضَّررِ والسمّ ، وفى الصِّغرِ والعِظَم ، وفى التعرُّضِ للنَّاسِ

(١) ما آتيناكم : أى الكتاب . وأصل الخطاب لبنى إسرائيل .. بقوة : بجد وعزيمة . اذكروا مافيه : ادرسوه ولا تنسوه ، أوتفكروا فيه .

(٢) س ، هـ : « باب » ط : « بابه » ، وأثبت تصحيح مافى ط .

(٣) فى الأصل : « لم » .

(٤) رواية الراغب فى المحاضرات (١ : ١٢) : « فى صدر واحد » .

(٥) الأوره : الأحمق ، والأنثى ورهاء .

وفى الهرب منهم . فمنها مالا يؤذى إلّا أنْ يكونَ النـاس قد آذَوْهَا مَرَّة . وأمَّا الأسوَدُ فإنّهُ يحقِدُ ويُطالب ، ويكمُـن[١] فى المتاع حتى يُدْرِك بطائلته . وله زمانٌ يقتلُ فيه كلَّ شيءٍ نهشَه .

وأمَّا الأفعى فليس ذلك عندَها ، ولـكنها تَظهر فى الصَّيفِ مع أوَّل الليل ، إذا سكَنَ وهَجُ الرَّمْل وظاهِرُ الأرض ؛ فتأتى قارِعَةَ الطَّريق حتى تستديرَ وتَطْحَنَ[٢] كأنَّها رَحًى ، ثمَّ تُلصِقُ بَدَنَهاَ[٣] بالأرض وتُشْخِصُ رأسها ، لئلاَّ يدركَها السُّبات؛ معترضة ، لِئلاَّ يطأها إنسانٌ أو دابَّةٌ فتنهشَه . كأنَّها تريد ألاَّ تنهشَ إلّا بأن يُتعَرَّضَ[٤] لهـا ، وهى قد تعرَّضت لنَهْشه باعتراضها فى الطَّريقِ وتناوُمها عليه ! وهى من الحيَّات التى ترصد[٥] وتوصف بذلك . قال مَعْقِل بن خُويلد[٦] :

أبا مَعْقِـلٍ لا تُوطِئنْـكمْ بَغاضَتى
رُءُوسَ الأفاعِى فى مَرَاصِدِهَا الْعُرْمِ[٧]

---

(١) كن يكمن ، من بابى نصر وسمع : استخفى . س : « ويكن » محرفة .

(٢) فى الأصل : « تنطحن » وصوابه ما أثبت . الجوهرى : طحنت الأفعى : ترحت واستدارت ، فهى مطحان . قال الشاعر :

بخرشاء مطحان كأن فحيحها إذا فزعت ماء هريق على جمر

(٣) ط : « بذنبها » ، والوجه ما أثبت من س ، هـ .

(٤) ط : « يعترض » ، والأشبه ما كتبت من س ، هـ .

(٥) ترصد : أى تكمن . والمراصد : المكامن .

(٦) معقل بن خويلد بن واثلة بن عمرو بن عبد ياليل الهذلى ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان أبوه رفيق عبد المطلب إلى أبرهة . معجم المرزبانى ٣٧١ والإصابة ٨١٣٠ .

(٧) يخاطب أبا معقل عبد الله بن عتيبة ، كما فى شرح أشعار الهذليين للسكرى ٣٨٣ تحقيق فراج . والبغاضة ، بالفتح : البغض . ورواية اللسان (رصد ، بغض ، عرم) والمخصص (٧ : ١٩٤) : « لاتوطئنك » .

يريد : الأفاعي في مراصدها(١) . وكلُّ منقَّطةَ(٢) فهي عَرْماء ، مِنْ شاةٍ أو غير ذلك .

وقال آخر :

وكم طوَتْ من حَنَشٍ وراصِدٍ للسَّفْرِ في أعلى البيات قاصِدِ

والأفعى تقتُلُ في كلِّ حالٍ وفي كلِّ زمان . والشُّجاع(٣) يواثِبُ

٧٢ ويقوم على ذَنَبه ، وربَّمـا بَلَغَ رأسُه رأسَ الفارس .

(ما يقتل الحية والعقرب من الحيوان)

وليس يقتلها — إذا تطوَّقت على الطَّريق وفي المناهج ، أو اعترَضَتْها لتقطعها عابرةً إلى الجانب الآخر — شيءٌ كأقاطيع الشِّياهِ إذا مرَّت بها ، وكذلك الإبلُ الكثيرةَ إذا مرَّت ، فإن الحيَّةَ إذا وَقَعَتْ بين أرجلها كان همتُها نفسَها ، ولم يكن لها همةٌ إلّا التَّخَلصَ بنفسها ؛ لئلاّ تعجلها بالوطء . فإن نجَتْ من وطء أيديها ، لم تنجُ من وطء أرجلها . وإنْ سلمَتْ مِن واحدةٍ لم تسلم من التي تليها ، إلى آخرها .

وقال عمر بن لَجَأ ، وهو يصف إبله :

* تَعَرُّض الحيَّاتِ في خِرشائها(٤) *

---

(١) ط : « بافالاعى » س ، هـ : « بالأفاعى » صوابه ما أثبت من الجزء الخامس من الحيوان ص ٥٧٤ إذ لادعى للباء . ويعني الجاحظ أن العرم صفة للأفاعى ، لا للمراصد . ومراصدها : مكامنها .

(٢) في الأصل : « منقطعة » ، تحريف . وفي المخصص (٨ : ١١١) : « الحية العرماء التي فيها نقط سود وبيض . وأنشد :

* رءوس الأفاعى في مرابضها العرم * »

(٣) الشجاع : حية عظيمة .

(٤) في اللسان (عفر ٢٦٤) : « تفرش » ، وفي الأغاني (٧ : ٦٤) : « تفرس » ، لعل صوابهما « تقرش » . والتقرش : التجمع . والخرشاء : جلد الحية وسلخها . وفي الأصل : « عسانها » ، صوابه من اللسان والأغاني .

وقال ذو الأهدام[١] :

* تُعْجِلها عن نهشها والنَّكْزِ[٢] *

ومن ذلك أنَّ العقربَ تَقَعُ فى يد السِّنَّور ، فيلعب بها ساعةً من اللَّيل وهى فى ذلك مسترخيةٌ مستخذِيةٌ لا تضربه . والسَّنانير من الخلْق الذى لا تسرع[٣] السُّموم فيه .

(مسالمة الأفعى للقانص والراعى)

وربَّما باتت الأفعى عندَ رأسِ الرَّجُل وعلى فراشه فلا تنهشُه . وأكثَرُ مايُوجَدُ ذلك من القانِص[٤] والرَّاعى . قال الشاعرُ[٥] :

تبيتُ الحيَّةُ النَّضْنَاضُ مِنهُ ... مكانَ الِحبِّ مستَمِعَ السِّرارِ[٦]

قال : الِحبُّ : الحبيب[٧] . والنضناض من الحيَّات : الذى يحرِّك

---

(١) ذو الأهدام ، هو متوكل بن عياض بن حكم بن طفيل ، ويسمى المتوكل الكلابى . وهو كذلك لقب لنويفع ، أو نافع بن سوادة الضبابى ، وقد هجا كل منهما الفرزدق بشعر ، فرد عليهما الفرزدق بنقيضة طويلة ، فى النقائض . وانظر المؤتلف ١٧٩ ومعجم المرزبانى ٤١٠ والقاموس المحيط .

(٢) نكزته الحية : لسعته بأنفها . والنكاز : ضرب من الحيات ينكز بأنفه ولا يعض بفيه . فى الأصل : « والمنكر » .

(٣) س : « تسرح » ، وليست هناك .

(٤) القانص : الصائد . ط : « القاص » ، صوابه فى س ، هـ .

(٥) هو الراعى الشاعر ، كما فى اللسان (حبب ، نضض) وأمالى القالى (٢ : ٢٣) والاشتقاق ٣٠٨ من تحقيقى .

(٦) كذا . وصواب الرواية : « يستمع السرارا » . انظر المصدرين المتقدمين والمخصص (٤ : ٤٣ ، ٨ : ١١٠) .

(٧) وقيل الحب ، هنا : القرط . عن الأصمعى أنه سأل جندل بن عبيد الراعى ، عن معنى قول أبيه الراعى :

تبيت الحية النضناض منه ... مكان الحب يستمع السرارا

ما الحب ؟ فقال : القرط . فقال : خذوا عن الشيخ فإنه عالم . وقال صاحب العين : « الحب والحباب : القرط من حبة » .

لسانَه . وعن عيسى بن عمر قال : قلتُ لذى الرُّمّة : ما النضناض ؟ فأخرَجَ لسانَه يحرِّكه(١) .

وإنما يصف القانصَ وأنَّه يبيت بالقفْر . ومثلَه قولُ أبى النجم(٢) :

تحكى لَنَا الْقَرْنَاءُ فى عِرْزالها جَرْىَ الرَّحَى تجْرى على ثِفالها(٣)

العِرْزال(٤) : المكان .

وفى ذلك يقول أبو وَجْزَة(٥) :

تبيت جارَتَه الأفعَى وسامرَه رُمْدٌ به عاذرٌ منهنّ كالجَرَب(٦)

وقوله : رُمْد(٦) ، يريد البعوض . وعاذر : أثر(٧) .

(قصة فى مسالمة الأفعى)

قال : وبات يحيى بن منقاش مع دارم الدارىّ ، فلما أصبح يحيى

---

(١) فى المخصص : « أبو حاتم : قيل لذى الرمة : وما الحية النضناض ؟ فحرك لسانه فى فيه ، يديره إدارة خفيفة : يحكيه » .

(٢) ويروى للأعشى ، كما فى اللسان .

(٣) الحية القرناء : التى لها لحمتان فى رأسها كأنهما قرنان ، وأكثر مايكون ذلك فى الأفاعى . هـ : « القرماء » س : « الغرماء » ط : « الغروال » ، وهو تصحيف ما أثبت من اللسان (عرزل ، قرن) . و « لنا » هى فى ط : « بها » وفى اللسان : « له » . و « عرزالها » بكسر العين بعدها راء ساكنة وزاى . وفى الأصل : « غروالها » تصحيحه من اللسان . و « جرى » مفعول « تحكى » . وثفال الرحى : الجلد يبسط تحتها ليقى الطحين من التراب .

(٤) فى الأصل : « الغروال » تحريف . وفى اللسان : « عرزال الحية : جحرها » .

(٥) فى الأصل : « أبو وجرة » بالراء ، وإنما هو بالزاى المعجمة . وقد تقدمت ترجمته فى (١ : ٩٦) . وانظر أيضاً المعارف ٢١٥ والأغانى (١١ : ٧٥) .

(٦) فى الأصل : « ربد » بالباء ، صوابه من (٥ : ٤٠٥) .

(٧) العاذر : أثر الجرح . كما فى اللسان) .

رأى بينهما أفعًى مستويةً ، فوثب يحيي ليقتلها ، فقال له دارم . قد أعتقتُها وحرَّرتها ! ولِمَ تقتُلُها وهى ضجيعتى من أول الليل ؟ فقال يحيي :

أعوذُ بربِّى أن تُرَى لى صحْبَتِى   يُطِيفُ بنا ليلًا مُحَرَّرُ دارمِ
من الحرْسِ لاينجو صحيحاً سَليمُها   وإن كان معقوداً بحلى التمائم[1]

(مسالمة العقارب للناس)

والعقاربُ فى ذلك دون الحيَّات ، إلا الجرَّارات ، فإنها ربَّما باتت فى لحافِ الرَّجُل الليلةَ بأسرها ، وتكونُ فى قيصه عامَّة يومها ، فلا تلسعه . فهى بالأفعى أشبَه .

٧٣ فأمَّا سائرُ العقارب فإنها تقصدُ إلى الضَّرر[2] ، فإذا ضربَتْ إنساناً فرَّتْ كما يصنع المسىءُ الخائف لِلعقابِ[3] .

والعقرب لاتضرب الميتَ ولا المغشىّ عليه ، ولا النائم إلَّا أن يحرك شيئاً من جسَدِه ، فإنها عند ذلك تضربُه .

(مسالمة العقارب للخنافس والحيات)

ويقال إنها تأوى مع الخنافس وتسالمُها ، ولا تصادق من الحيَّات إلا كلَّ أسودَ سالِخٍ .

(عقارب نصر بن الحجاج)

وحدَّثَ أبو إسحاق المكى قال : كان فى دار نَصْر بن الحجاج السُّلمى

---

(١) السليم : اللديغ . وأراد معقودا به حلى التمائم ، فقلب .

(٢) فى الأصل : « الصوت » .

(٣) ط : « للعقارب » ، صوابه فى س ، هـ .

عقاربُ إذا لسعَتْ قتَلَتْ ، فدبّ ضيفٌ لهم على بعضِ أهلِ الدّار فضربَتْه عقربٌ على مذاكيره ، فقال نصرٌ يعرِّض به :

وَدَارِى إذا نَام سـكّانُها أقَامَ الحُدُودَ بهَا العَقْرَبُ
إذا غَفَلَ الناسُ عن دينهم فإن عقاربهـا تضرب(١)

قال : فأدخلَ النّاسُ بها حَوّاءً ، وحَـكَوْا لهُ شأنَ تلك العقاربِ ، فقال: إن هذه العقاربَ تستقى منْ أسوَدَ سالِخٍ . ونظر إلى موضعٍ فى الدار فقال: احفِرُوا هاهنا . فحفَرُوا عن أسودَيْنِ: ذكرٍ وأنثى ، وللذّكر خُصيتان وَرَأَوْا حولَ الذّكر عقاربَ كثيرةً فقتلوها .

(حديث عقرب والفضل بن العباس)

قال : وقال الفضلُ بن عبّاس حين راهنه عقرب بالشّعر(٢) ، وقيل لكلٍّ واحدٍ منهما : لسْتَ فى شىءٍ حتّى تغلبَ صاحبك . فقال الفضل :

قَدْ تَجَرَ العقربُ فى سوقِنا(٣) لامَرْحَباً بالعقْرَبِ التّاجِرَه

---

(١) فى المحاسن والأضداد ١٧١ : « فإن عقاربنا تغضب » . والقصة فيه وفى محاضرات الراغب (٢ : ١١٥) مخالفة لما هنا . ونقل الدميرى ما أثبت الجاحظ هنا . وزاد بعد هذا البيت :

فلا تأمنن سرى عقرب بليل إذا أذنب المذنب

(٢) عقرب هذا ، كان تاجراً من تجار المدينة ، ضرب به المثل فى المطل والتسويف ، فقالوا . « أمطل من عقرب » و : « أتجر من عقرب » . وكان الفضل بن عباس ابن عتبة بن أبى لهب ، من أشد الناس اقتضاء ، فاتفق أن عقربا عامل الفضل ، وماطله ، ولم يستطع الفضل مغالبته ، حتى اضطر إلى هجاء عرضه بالشعر الآتى . ه : « راهنته عقرب » ، وإنما هو رجل كما أسلفت . انظر اللسان (عقرب) وأمثال الميدانى (١ : ١٣٣) وعيون الأخبار (١ : ٢٥٦) والمحاسن والمساوى (١ : ٢٢٨) . و « عقرب » إذا سمى به رجل جاز صرفه ومنعه . وانظر الاستدراكات .

(٣) فى اللسان وأمثال الميدانى وشرح شواهد الشافية ٦٥ : « قد تجرت فى سوقنا عقرب » .

كل عَدُوٍّ يُتَّقَى مُقْبِلاً وعَقْرَبُ تُخشَى من الدّابِره[1]
كلُّ عدوٍّ كيدُه فى استِه فغيرُ ذى أيْدٍ ولا ضائرَه[2]
قَدْ ضاقت العقْرَبُ واستيقَنَت بأنَّ لادُنْيا ولا آخِرَه
إنْ عادت العقْرَبُ عُدْنا لها وكانتِ النَّعْلُ لها حاضِرَه

(من سمى بعقرب)

واسم أم حارثة بن بدر[3] ، عقرب . وآل أبى موسى يكتنُون بأبى العقارب ومن هؤلاء الذين يكتنون بالعقرب : ابن أبى العقرب الليثىُّ الخطيب الفصيح ، الراوِية .

(حديث وخبر فى العقرب)

ورَوَوْا أنّ عقرباً لسعت النبىَّ صلى الله عليه وسلم فقال : « لَعَنَها اللهُ ، فإنَّها لاتُبَالى مَنْ ضربت ! » .

وقال الضّبىّ : أنا عقربٌ ، أضرُّ ولا أنفع .

(الجرارات)

وكان الرَّجُلُ تلسعه الجرَّارة[5] بعسكر مُكْرَم[6] ، أو بجنديسابور ،

---

(١) وكذا الرواية فى عيون الأخبار . ورواية اللسان والأمثال : « وعقرب يخشى » .
(٢) الأيد : القوة . و : « ضائرة » أى غير ذى ضائرة . والضائرة : ماتضير ، أى تضر . ورواية عيون الأخبار : « لغير ذى كيد ولانائره » . والنائرة : الحقد والعداوة ، والكائنة تقع بين القوم .
(٣) سبقت ترجمته فى (٣ : ٧٧) .
(٤) فى (٥ : ٣٥٣) : « القينى » .
(٥) الجرارة : ضرب من العقارب الصغار تجرر بأذنابها . ط : « الجرادة » ، صوابه فى س ، هـ .
(٦) بضم الميم وفتح الراء ، بلد من بلاد خوزستان . منها أبو هلال العسكرى .

فتقتله ؛ وربما تناثر لحمه ، وربما تعفَّنَ وأنتن ، حتى لايدنُوَ منه أحدٌ إلا وهو مُخَمِّرٌ أنفه(١) ، مخافة إعْدائه ، ولا سيما إن كان قد نال من اللحم وهو لايعلم أنَّ الوخْزَة التى وُخِزها كانت من جرَّارة .

٧٤ وكانوا إذا شعَرُوا بها دَعَوا حجاماً ، يحجُم ذلك الموضعَ ويمصُّه ، قبلَ أن يتفشى فيه السّمُّ ويدخلَ تلك المداخل . فكان الحجَّام لايجيئهم حتى يقبضَ دنانيرَ كثيرةً . وإنما كانوا يجودون له بذلك ؛ لِمَا كانَ لصاحبهم فى ذلك من الفَرَج ، وما على الحجام فى ذلك من الضَّرَر . وذلك أنّ وجهه ربما اسمارَّ واربَدَّ ، وربما عطّلت مقاديم أسنانه وتوجّعت عليه ، فيلقى من ذلك الجهد ، وذلك لما كان يتّصل إلى فيه من بُخار الدَّم ، ومن ذلك السمّ المخالط لذلك الدّم . ثمَّ إنَّهم بعد ذلك حشَوْا أذناب(٢) المحاجِم بالقُطْن ، فصار القُطْنُ لايمنع قُوَّةَ المص والجذْب ، ولم يدَعْه يصلُ إلى فم الحجام . ثمَّ إنهم بَعْدَ مدَّة سُنَيَّاتٍ(٣) أصابوا نَبْتةً فى بعض الشُّعب(٤) ، فإذا عالجوا الملسوعَ بها حَسُنت حالهُ .

والجرَّارات تألف الأخواء(٥) التى تكون بحضرة الأتاتين(٦) ، وتألف الحشوش(٧) والمواضع الناريّة . وسمُّها نار .

---

(١) خمر أنفه : غطاه .

(٢) ط : « أذباب » ، صوابه فى س ، هـ .

(٣) جمع سنية : تصغير سنة .

(٤) الشعب : جمع شعبة بالضم ، وهى المسيل فى الرمل ، أو التلعة الصغيرة .

(٥) الأخواء : جمع خوى ، بالتحريك والقصر ، وهو اللين من الأرض . وفى الأصل : « الأحواء » بالمهملة !

(٦) الأتاتين : جمع أتون ، بالفتح وتشديد التاء المضمومة ، وهو أخدود النار ، أو موقدها . وفى الأصل : « الأتانين » بنونين بينهما ياء ، محرف .

(٧) الحشوش : مواضع قضاء الحاجة ، جمع حش بالضم .

(قول ماسرجويه فى العقرب)

وقيل لماسرجويه : قد نجدُ العقربَ تلسعُ رجُلين فتقتلُ أحدَهما ويقتُلها الآخرُ[١] ، وربما نَجَتْ ولم تمُتْ . كما أنّهُ ربما عَقرت ولم تفْتْ ، ونجدُها تضربُ رجُلين فى ساعةٍ واحدة ، فيختلفان فى سوء الحال . ونجدُها تختلف مواضعُ ضررِها على قدْر الأغذية ، وعلى قدر الأزمان ، وعلى قدْر مواضعِ الجسَد. ونجدُ واحداً يتعالج بالَمسُوس[٢] فيحمَدُه،ونجد آخرَ يُدخل يده [فى[٣]] مدخلٍ حارٍّ من غير أنْ يكون فيهِ ماءٌ فيحمده ، ونجدُ آخر يعالجه بالنّخالة الحارَّة فيحمدها ، ونجد آخرَ يحجم ذلك الموضعَ فيحمَده ، ونجد كلّ واحدٍ من هؤلاء يشكو خلافَ مايوافقه ، ثم إنّا نجدُه يعاود ذلك العلاج عند لسعةٍ أخرى فلا يحمده !

قال ماسرجويه : لما اختلفت السُّمومُ فى أنفسها بالجنس والقَدر ، وفى الزّمان ، وباختلاف بما لاقاهُ[٤] اختلفَ الذى وافقه على حسب اختلافه .

وكان يقول : إنّ قولَ القائل فى العقرب : شرٌّ ماتسكون حين تخرج من جُحرها ، ليس يعنَون من ليلتها ــ إذْ[٥] كان لابدَّ من أن يكون لها

(١) انظر الاستدراكات .
(٢) المسوس ، كصبور : الترياق الذى يعالج به الملسوع والملدوغ . ومنه قول كثير :
فقد أصبح الراضون إذ أنتم بها   مسوس البلاد يشتكون وبالها
ولفظ الترياق مأخوذ من اليونانية : Thériaké . وهذه مشتقة من : Thérion وهو اسم لما ينهش من الحيوان كالأفاعى ونحوها . انظر مفاتيح العلوم ١٠٣ وقاموس القرن العشرين ١٠٠٦ . وفى الأصل : « بالأمسوس » تحريف .
(٣) الزيادة من س ، هـ .
(٤) ط ، هـ : « مالقاه » ، صوابه من س .
(٥) فى الأصل : « وإذا » .

نصيبٌ من الشدة – ولكنَّهُمْ إنما يَعْنُونَ : فى أوّل ماتخرج من جُحرها عند استقبال الصَّيف ، بَعْدَ طولِ مُكْثِها فى غير عالَمِناَ وغذائِنا وأنفاسنا ومعايشناَ .

(زعم العامة فى العقرب)

والعامّة تزعم أنها شرُّ ما تكون إذا ضربت الإنسانَ وقد خرج من الحمام؛ لتفتح المسامِّ[1] ، وسعَة المجارى، وسخونة البدن. ولذلك صار سمها فى الصيف أشدَّ . هذا قولُ أبى إسحاق . كأَنَّهُ كان يَرَى[2] أنَّ الهواءَ كلما كان أحرَّ ، وكان البدنُ أسخَنَ كان شَرًّا .

ونحن نجدهم يصرُخُون مِنْ لسعتها اللَّيْلَ كلَّه ، وإذا طلعت الشمسُ

٧٥ سكن مابهم . فإذا بقيت فضْلَةٌ من تلك الجارحة فى الشمس فما أكثر ما يسكن. وسمومها باللَّيل أشدُّ ، إلَّا أن يزعم أنَّ أجوافَ الناس فى برد الليل أسخن وفى حرِّ النهار أفتر .

(الدّساس)

وزعم لى بعضُ العلماء[3] ممّن قدْ روَى الكُتب ، وهو فى إرثٍ منها ، أنَّ الحية التى يقال لها : الدسّاس[4] ، تلد ولا تبيض ؛ وأنَّ أنثى النمور لم تضَعْ نمراً قط إلاّ ومعه أفعًى .

---

(١) س : « فى تفتح المسام » وهى عبارة جيدة .

(٢) ط : « يروى » ، صوابه فى س ، هـ .

(٣) ط : « وزعم لى فى بعض العلماء » ، والوجه حذف « فى » كما جاء فى س ، هـ .

(٤) الدساس : حية خبيثة . وفى الدميرى : « الدساسة بفتح الدال : حية صماء تندس =

(زعم استحالة الـكمأة إلى أفاع)

والأعرابُ تزعم أنّ الـكمْأة تبقَى فى الأرض فتُمْطر مَطْرَةً صَيفيّة ، فيستحيل بعضُها أفاعىَ . فسمِعَ هذا الحديثَ منّى بعضُ الرُّؤساءِ الطّائيِّين[1] ، فزعم لى أنّه عايَنَ كَمأةً ضخْمة فتأمّلها ، فإذا هى تتحرَّك ، فنهض إليها فقَلَعها ، فإذا هى أفعًى . هذا ما حُدِّثته عن الأعراب ، حتّى برئت إلى الله من عيب الحديث .

(معارف فى الحيات عن صاحب المنطق)

وزعم صاحب المنطق أنّ الوزَغة والحيَّاتِ تأكُلُ اللَّحمَ وَالعُشب . وزعَمَ أنَّ الحيَّاتِ أظهَرُ كلَباً من جميع الحيوان ، مع قلّة شربِ المــاء . وأنَّ الأسدَ مع نَهمه قليلُ شرب الماء . قال : ولا تضبِطُ الحيَّاتُ أنفسَها إذا شمّت ريحَ السَّذاب ، وربّما اصطِيدَتْ به . وإذا أصابوها كذلك وجدُوها وقدْ سكِرَتْ .

قال : والحيات تبتلع البيض ، والفراخَ ، والعُشب .

وزعم أنَّ الحياتِ تسلخُ جلودَها فى أوَّل الرَّبيع ، عند خروجها من أعشّتها[2] وفى أوّل الخريف .

= تحت التراب اندساساً ، أى تندفن » . وفى اللسان : « أبو عمرو : الدساس من الحيات الذى لا يدرى أى طرفيه رأسه ، وهو أخبث الحيات ، يندس فى التراب فلا يظهر للشمس . وهو على لون القلب من الذهب المحلى ». وانظر لولادة الدساس ، مافى الاستدراكات . ط : « أن حية يقال لها الدساس »، وأثبت ما فى س ، هـ .

(١) جمع طائى ، نسبة إلى قبيلة طيىء على الشذوذ . س : « الـكمابيين » هـ : « الـكمايين » . وكنت حسبتها : « الـكميائيين » لـكن وجدت تعقيب الجاحظ لايسعف بهذا .

(٢) المعروف فى جمع العش : عشاش وأعشاش وعششة ـــ كعنبة - فهذا جمع رابع . =

وزعم أن السَّلْخ يبتدئ من ناحية عيونها أوّلاً . قال : ولذلك يظنُّ بعض من يُعانيها[1] أنها عمياء .

وهى تسلَخُ من جلودها فى يوم وليلةٍ من الرَّأس إلى الذَّنَب ، ويصير داخل الجِلْد هو الخارج ، كما يُسلخ الجَنينُ من المشيمَة ؛ وكذلك[2] جميع الحيوان المحزَّز[3] الجسَد ، وكلُّ طائرٍ لجناحه غِلافٌ مثل الجُعَل والدَّبْر[4] وكذلك السَّرطان ، يسلخ أيضا ، فيضعف عند ذلك عن المشى .

وتسلخ جلودها مِرارًا .

(سلخ الحيوان)

والسَّلخ يصيب عامّة الحيوان : أمّا الطير فتحْسيرها[5] ، وأمّا ذوات الحوافر فسلخُها عقائِقها[6] ، [وسلخ الإبل طرحُ أوْبارها ، وسلخُ الجراد انسلاخ جلودها[7]] ، وسلخ الأيائِل إلقاء قرونها ، وسلخ الأشجار إسقاط ورقها

= ولعل من غير المعهود استعمال العش لجحر الحية ؛ إذ العش خاص بالطائر . لكن الجاحظ جعله هنا للحية ، كما جعله أبو حيان التوحيدى للثعلب . قال فى الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٧١) : « الثعلب يهيئ عشه ووكره ، ذا سبعة أجحرة » . فقد زاد على الجاحظ باستعمال (الوكر) للثعلب أيضاً .

(١) بتقديم النون على الياء ، أى يقوم عليها ويهتم بشأنها . وفى القاموس : « ما يعانون مالهم : مايقومون عليه » .

(٢) ط ، هـ : « ولذلك » صوابه فى س .

(٣) كذا فى ط ، هـ . وفى س : « المخرز » .

(٤) الدبر ، بفتح الدال ويكسر ، المراد به هنا أولاد الجراد . اللسان (دبر ٣٦٠) .

(٥) التحسير : سقوط ريش الطائر . ط : « فحسيرها » س ، هـ : « فحسرها » والصواب ما أثبت . وانظر ماسبق فى (٣ : ٥١٩ س ١٠) .

(٦) العقائق : جمع عقيقة ، وهى شعر المولود .

(٧) هذه التكملة من س ، هـ .

(أصل الأسروع)

والأسروع : دويْبَّةٌ تنسلِخ فتصيرُ فَرَاشَةً . وقال الطِّرِمَّاح شعراً :

وتجرَّدَ الأسْرُوعَ واطَّرَدَ السَّفَا وجرت بجالَيْهَا الحِدَابُ القَرْدَدُ[1]

وانسابَ حيَّاتُ الكثِيبِ وأقْبَلَتْ وُرْقُ الْفراشِ لما يَشُبُّ المَوقِدُ[2]

يصف الزَّمان .

والدُّعْمُوص ينسلخُ ، فيصير إمَّا بعوضةً وإما فراشةً .

(انسلاخ البرغوث)

وزعم ثمامةُ عن يحيي بن برمك[3] أنَّ البرغوث ينسلخ فيصير بعوضة ، وأنَّ البعوضةَ التي من سَلْخ دعموص ربَّما انسلخت[4] برغوثا .

والنمل تحدث لها أجنحةٌ ويتغيَّر خَلْقها ، وذلك هو سلخُها . وهُلْكُها يحين عند طيرانها . ٧٦

(١) الجالان : الجانبان . ط ، ھ : « بجاليها » س : « بحالبها » ، وصوابه ما أثبت من الديوان ص ١٤١ . والحداب : جمع حدب ، وهو ما أشرف من الأرض وغلظ . والقردد : المرتفعة الغليظة . وفى الأصل : « الجراد القردد » ، صوابه من الديوان ومما سيأتى ص ٢٥٦ . وقبل هذا البيت :

حتى إذا صهب الجنادب ودعت نور الربيع ولاحهن الجدجد

(٢) يقول : أقبل ذلك الفراش الذى فى لونه سواد وبياض ، إلى النار التى يشبها موقدها .

(٣) نسبه إلى جده ، وهو يحيى بن خالد بن برمك ، سيد البرامكة ، وكان مؤدب الرشيد ومعلمه ، وكان الرشيد يدعوه ياأبى ، فلما ولى هارون الخلافة دفع إليه الخاتم وقلده أمره . وكان جواداً حسن السياسة . ولما نكب الرشيد البرامكة قبض عليه وسجنه بالرقة إلى أن مات ، سنة مائة وتسعين .

(٤) فى الأصل : « تصلحت » ، والوجه فيه ما أثبت .

(انسلاخ الجراد)

والجراد ينسلخ على غير هذا النوع . قال الرّاجز (١) :

* مَلْعُونَةٍ تسْلَخُ لَوْناً لَوْنَيْنِ (٢) *

(أثر البلدان فى ضرر الأفاعى ونحوها)

قال : وعضُّ السِّباع ذواتِ الأربع ، ولدغُ الهوامّ ، يختلفُ بقدر اختلافِ البُلدان ؛ كالذى يبلغَنا عن أفاعى الرَّمْل (٣) ، وعن جرّارات قرى الأهواز ، وعقارب نَصيبين (٤) ، وثعابين مصر ، وهِنْدِيّات (٥) الخرابات .

وفى الشِّبثان (٦) ، والزَّنابير ، والرُّتَيْلاَت (٧) ما يقتل . فأمّا الطَّبُّوع (٨) فإنّهُ شديدُ الأذى . وللضَّمج (٩) أذًى لا يبلغُ ذلك .

---

(١) هو عوف بن ذروة ، كما فى نوادر أبى زيد الأنصارى ص ٤٨ . وقد روى من الرجز تسعة أبيات .

(٢) رواية النوادر وما سيأتى فى (٥ : ٥٥٨) : « تسلخ لونا عن لون » . وقبل البيت :
* من كل سفعاء القفا والخدين *

(٣) الرمل : موضع بعينه ، كما فى ياقوت .

(٤) نصيبين : مدينة من بلاد الجزيرة ، كانت عندها وقعة مشهورة . وقد عرفت بكثرة عقاربها . انظر ما كتبت فى (٣ : ٣٥٣) . وفى الأصل : « الصين » ، وهو تحريف .

(٥) الهنديات : ضرب من الأفاعى ، سبق ذكرها فى ١٢١ . ط ، س : « هذرايات » وأثبت صوابه من هـ .

(٦) الشبثان : جمع شبث بالتحريك ، وهو ضرب من الرتيلات .

(٧) الرتيلات : نوع من العناكب قتال .

(٨) الطبوع ، كتنور : دويبة ذات سم ، أو من جنس القردان ، لعضته ألم شديد .

(٩) الضمج : دويبة منتنة تلسع ، تسمى فى مصر بالبق . وهى : Cimex . وفى الأصل : « الضمخ » محرفة .

(أقوال لصاحب المنطق)

وقال صاحب المنطق : ويكون بالبلدة التي تسمَّى باليونانية : « طبقون » حيَّةٌ صغيرة شديدة اللَّدْغ ، إلا أن تُعالج بحجر ، يُخرَج من بعض قبور قدماء الملوك .

ولم أفهم هذا ، ولم كان ذلك .

وإذا أكل بعض ذوات السموم من جسَد بعضها ، كانت أردأ ما تكون سما ، مثل العقارب والأفاعى .

قال . والأيِّلُ إذا ألقى قُرونَه علم أنَّهُ قد ألقى سلاحَه ، فهو لا يظهر . وكذلك إن سمن علم أنَّهُ يُطْلَبُ ، فلا يظهر . وكذلك أوَّلَ ما ينبت قرْنُهُ يعرِّضُه للشمس ؛ ليصلُب ويجفّ . وإن لدغت الأيِّلَ حيَّةٌ أكلَ السَّراطينَ ؛ فلذلك نَظُنُّ أنَّ السَّراطينَ صالحةٌ لِلدَّيغ من الناس .

قال : وإذا وضعت أنثى الأيِّل ولدًا أكلت مشيمتها . فَيُظَنُّ[1] أنّ المشيمَة شيءٌ يتداوَى به من عِلّة النفاس .

[قال] : والدُّبَّةُ إذا هربت[2] دفعت جِراءها[3] بين يديها ، وإن خافت على أولادها غيَّبتها ، وإذا لُحقت[4] صعِدَتْ فى الشجر وحملَتْ معَها جِرَاءَهَا .

---

(١) كذا على الصواب فى س . وفى ط ، هـ : « فتظن » . وانظر السطر السابق .

(٢) ط ، س : « والدبة فإنها إذا هربت » . والأوفق حذف الكلمة الثانية كما فى هـ .

(٣) كتبت هذه الكلمة ونظيرتها بدون همز فى الأصل . والجراء : جمع جرو : وهو ولدها .

(٤) يقال لحقه وألحقه : أدركه . وقرئ فى القنوت : « إن عذابك الجد بالكفار =

قال : والفهْدُ إذا عراه الدّاءُ الذى يقالُ له : « خانِق الفهود » أكل العَذِرَة فبرىء منه[1] .

قال ، والسِّباع تشتهى رائحةَ الفهودِ ، والفهدُ يتغيّب عنها ، وربّما فرَّ بعضها منه فَيُطْمِعُ فى نفسه ، فإذا أراده السّبعُ وثَبَ عليه الفهد فأكله .

قال : والتمساح يفتح فاه إذا غمّهُ ما قد تعلق بأسنانه ، حتى يأتى طائرٌ[2] فيأكلَ ذلك ، فيكونَ طعاماً له وراحةً للتّمساح .

قال : وأمّا السُّلحفاة فإنَّها إذا أكلت الأفعى أكلت صَعْتَرًا جبليًّا . وقد فَعَلت ذلك مرارًا ، فربما عادت فأكلت منها ثمّ أكلت من الصَّعتر مرارًا كثيرة ، فإذا أكثرت من ذلك هلكت .

قال : وأمّا ابنُ عِرس ، فإنّه إذا قاتَلَ الحيَّةَ بدأ بأكْلِ السَّذاب ، لأنّ رائحَةَ السَّذاب مخالفَةٌ للحيَّةِ ، كما أن سامَّ أبرصَ لا يدخلُ بيتاً فيه زعفران .

قال : والكلاب إذا كان فى أجوافها دُودٌ أكلت سُنبل القمح .

قال : ونَظُنُّ أنّ ابنَ عِرس يحتالُ للطيرِ بحيلة الذئب للغنم ؛ فإنهُ يذبحها[3] كما يفعل الذئب بالشاة .

قال : وتتقاتل الحيّات المشتركة فى الطُّعم .

= ملحق » بكسر الحاء ، أى لاحق . قال صاحب القاموس : « والفتح أحسن ، أو الصواب » . ط ، هـ : « ألحقت » وهى اللغة الضعيفة . وأثبت ما فى س .

(١) وجاء فى كتاب الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٦٧) : « الفهد إذا أكل العشبة التى تسمى خانقة الفهود ، يطلب زبل الإنسان فيأكله ويتعالج به » .

(٢) هذا الطائر هو المعروف بالقطقاط ، وهو أرقط صغير فى رأسه شوكة ، إذا أطبق التمساح فه عليه نخسه بها فيفتحه .

(٣) انظر ما سيأتى فى (٥ : ٣٢٠) .

وزعَمَ أنَّ القنافِذَ لا يخفى عليها شيءٌ من جهة الرِّيح وتحوُّلها وهُبوبها ، ٧٧
وأنهُ كان بِقسْطنْطِينِيَّةُ رجلٌ يُقَدَّم وَيُعَظَّمُ ؛ لأنه كان يعْرِفُ هُبُوبَ الرِّيح ويُخبرهم[1] بذلك . وإنما كان يَعرف الحالَ فيها بما يَرَى مِنْ هيئةِ القنافذ .

(العيون الحمر)

والعيُونُ الحمرُ لِلعَرَض المفارق ، كعين الغضبان ، وعينِ السَّكران ، وَعَيْنِ الْكلْبِ ، وعَيْنِ الرَّمِدِ .

(العيون الذهبية)

والعيُون الذهبيَّةُ : عيونُ[2] أصناف البزاة من بين العُقاب[3] إلى الزُّرَّق.

(العيون التي تسرج بالليل)

والعيُون التي تَسْرِج بالليل : عيون الأُسْد ، وعيون النُمور ، وعيون السَّنانير ، وعيون الأَفاعى[4] .

(خبر وشعر في العين)

قال أبو حيَّة :

غضابٌ يُثِيرُونَ الذُّحُولَ ، عُيُونُهم كجَمْر الغَضَى ذَكَّيْتَه فتوقَّدَا[5]

---

(١) ط ، ه : « ويخبر » .

(٢) ط ، ه : « وعيون » ، والصواب حذف الواو كما في س .

(٣) ط ، ه : « العقارب » ، صوابه في س .

(٤) سبق مثل هذا الكلام في ص ١١٦ ، وسيأتي مثله في (٥ : ٣٢٩) .

(٥) الذحول : جمع ذحل بالفتح ، وهو الثأر . س ، ه : « الدخول » صوابه =

وقال آخر (١) :

وَمَدَجَّجٍ يَسْعَى بشِكَّتِه   محمرَّةٍ عيناه كالكلب (٢)

رجع بالكلب إلى صفة المدجَّج .

وقالَ معاوية لصُحارٍ العبدىِّ : يا أحمر ! قال : والذهب أحمر ! قال : يا أزرق ! قال : والبازى أزرق !

وأنشدوا :

ولا عيبَ فيها غيرُ شُكْلة عينها

كذاك عِتاقُ الطيرِ شُكْلٌ عُيونُها (٣)

وقال آخر :

وشُكْلة عينٍ لَوْ حُبيت ببَعْضِها

لكنت مكانَ العَيْنِ مَرْأًى وَمَسْمَعَا (٤)

= فى ط . وذكى النار : ألقى عليها ما تذكو به وتزيد اشتعالا . ط ، هـ : « ذكينه » ، ووجهه ما أثبت من س .

(١) انظر ماسبق فى (١ : ٣١٣) .

(٢) المدجج ، بكسر الجيم وفتحها ، كما فى المخصص (٨ : ٩٥) نقلا عن العين . وأراد به القنفذ ، لما عليه من الشوك . المخصص واللسان (دجج) . والشكة : السلاح . ورواية الكامل ٦٠٩ ليبسك :

ومدججا يسعى بشكته   محمرة عيناه كالكلب

وهى الصحيحة ؛ لأن قبله فى الأغانى (١٢ : ٥٠) :

إذ لا ترى إلا مقاتلة   وعجانسا يرفلن بالركب

(٣) يروى : « غير شهلة عينها » كما فى اللسان (شكل) ، وانظر تحقيقاً دقيقا فيه . وسيعاد البيت فى (٥ : ٣٣٠) .

(٤) هـ : « لو خبيت » ، صوابه فى ط ، س ورسائل الجاحظ ١٩٦ الرحمانية . والعين ، هنا : الشمس . ورواية الرسائل : « مكان النجم » .

(بعض ألوان العيون)

ومن العيون المغْرَب[1] ، والأزرق ، والأشكل[2] ، والأسجر[3] ، والأشهل[4] ، والأخْيَف[5] . وذلك إذا اختلفا .

(عين الفأر)

وعين الفأرة كَحْلاء ، وهى أبصَرُ بالليل من الفرَسِ والعقاب .

(شعر فى حمرة العينين وضيائهما)

وفى حمرة العينين وضيائهما يقولُ محمَّدُ بنَ ذُؤيب العُمانىُّ ، فى صفة الأسـد :

أجرأُ مِنْ ذى لِبْدَةٍ هَمَّاسِ[6] عَضَنْفَرٍ مضبَّرٍ رهَّاسِ[7]

---

(١) المغرب ، بفتح الراء : الأبيض . هـ : « الغرب » س : « المذب » صوابه فى ط .

(٢) الشكلة ، بالضم : حمرة فى بياض العين .

(٣) السجرة ، بالضم : مخالطة الحمرة لبياض العين ، فهى نحو الشكلة . ط ، هـ : « الأسحر » بالحاء ، صوابه فى س .

(٤) الشهلة ، بالضم : الحمرة فى سواد العين .

(٥) الخيف ، بالتحريك : زرقة إحدى العينين وسواد الأخرى . هـ : « والأحنف » ط : « والأخف » س : « والأخسف » بإهمال الياء . وصواب أولئك ما أثبت .

(٦) الهماس : الشديد الغمز بضرسه .

(٧) المضبر : الموثق الخلق . وفى الأصل : « مضير » محرف . والرهاس : الذى يطأ الأرض وطئاً شديداً .

مَنَّاعٍ اخْيَاس إلى أخْيَاس[١] كأنَّمَا عيناهُ فى مِراس[٢]

* شعاعُ مِقْبَاسٍ إلى مِقباس[٣] *

وقال المرّار :

* مِثل ما وَقَّدَ عَيْنَيْهِ النَّمِر[٤] *

أصوات خشاش الأرض

نحو الضبّ ، والورل ، والحيَّة ، والقنفذ ، وما أشبه ذلك

يقال للضبِّ والحيَّة والورَل : فَحَّ يفِحُّ فحيحاً . وقال رؤبة :

٧٨ فِحِّى فلا أفْرَقَ أنْ تَفِحِّى[٥] وَأنْ تَرَحِّىْ كَرَحَى المرحِّى[٦]

أصْبَحَ مِنْ نحنحةٍ وأَحِّ[٧] يحكى سُعالَ النَّشَرِ الأبحِّ[٨]

---

(١) أخياس : جمع خيس ، بالكسر ، وهو الأجمة يسكون فيها الأسد . وإلى هنا بمعنى مع . ط : « أجناس إلى أجناس » س : « أخياس إلى أجناس » صوابهما فى ﻫ .

(٢) أى فى أثناء ممارسته الصيد .

(٣) المقباس : شعلة النار تقتبس . وإلى ، بمعنى : مع .

(٤) فى الأصل : « كأنما وقد » ، وصواب روايته من المفضليات ٨٧ . وصدره :

* حنق قد وقدت عيناه لى *

(٥) أفرق : أخاف . والفرق ، بالتحريك : الخوف . ورواية اللسان : « يا حى لا أفرق » ، أى يا حية .

(٦) يقال رحت الحية ترحو ، وترحت تترحى : إذا استدارت . وأما رحت ترحى بالتشديد فلم أره فى معجم ، وهذا لا ينفى صوابه . والمرحى : الذى يسوى الرحى . وهذا البيت وما قبله سيعادان فى (٦ : ٤٢) ، ورواية اللسان : « أو أن » .

(٧) أح يؤح : إذا سعل . وكلمة « أصبح » هى فى الأصل : « أصح » تحريف . ورواية اللسان : « يكاد من تنحنح وأح » . قال : « يصف رجلا بخيلا إذا سئل تنحنح وسعل » .

(٨) النشز ، محركة : المسن القوى . والأبح : الذى غلظ صوته من داء . ورواية اللسان :

* يحكى سعال النزق الأبح *

قال : الفحيح : صوتُ الحيَّة من فيها . والكشيش والتشيش[1] : صوتُ جلدها إذا حكّت بعضه ببعض . قال الرَّاجز[2] في صفة الشَّخْب والحلْب :

حلبْتُ لِلأَبْرَشِ وهو مُغْضِ حمراءَ منها شخبَةٌ بالمحض[3]
ليستْ بذات وَبَرٍ مبيضِّ كأنَّ صَوتَ شخبها المرْفَضِّ[4]

* كشيشُ أفعَى أجْمعت لعَضِّ[5] *

ويقال للضَّبّ والورل : كش يكِش كشيشا . وأنشد أبو الجرّاح :

ترَى الضَّبَّ إن لم يرهب الضبَّ غيرَه يكِشُّ له مُستكبرًا ويُطاوِله[6]

باب

من ضرب المثل للرَّجُلِ الداهية وللحى الممتنع بالحيَّة

قال ذو الإصبع العَدْوانيّ :

عَذِيرَ الحيِّ مِنْ عَدْوا نَ كانوا حَيَّةَ الأرض[7]

(١) في الأصل : « النشيش » ، صوابه من (٦ : ١٣٩) .
(٢) هو معتمر بن قطبة ، كما في تاج العروس (كشش) .
(٣) حمراء : أي ناقة حمراء .
(٤) المرفض : الذي يتتابع سيلانه وترششه . وفي الأصل : « كأن شخب صوتها » صوابه في المخصص (٨ : ١١٥) والخزانة (٤ : ٥٧١ بولاق) وأدب الكاتب ١٢٥ والاقتضاب ٣٤٥ واللسان (كشش) .
(٥) أجمعت : من الإجماع ، وهو العزم على الشيء . وفي الكتاب : « فأجمعوا أمركم » . س ، ه : « جمعت » ، وأثبت ما في ط والمصادر المتقدمة . وبعد هذا البيت :

* فهي تحك بعضها ببعض *

ومثل هذا المعنى قول الآخر في الاقتضاب وأمالي الزجاجي ١٢٠ واللسان (فا) :

كأن صوت شخبها إذا همى صوت الأفاعي في خشي أشخما

(٦) في الأصل : « مستنكرا » صوابه في (٦ : ٦٨ ، ١٣٩) . والبيت لابن ميادة .
(٧) في ثمار القلوب ٤٠٩ : « العرب تقول للرجل المنيع الجانب : حية الأرض » .

بَغَى بعضُهمُ ظلماً فلم يُرْعِ على بَعْضٍ[1]
وفيهم كانَتِ السَّاداتُ والموفُون بالقرْضِ[2]

يقال: «فلانٌ حَيَّةُ الوادى» ؛ و«ماهو إلَّا صِلٌّ أصلال[3]» . والصِّلُّ: الداهية والحيَّة . قال النَّابِغَةُ :

ماذَا رُزِئْنَا بهِ من حَيَّةٍ ذَكَرٍ نضْنَاضَةٍ بالرَّزايا، صِلِّ أصلالِ[4]

وقال آخر :

صِلٌّ صفًا تَنْطِفُ أنيابُهُ سِمامَ ذيفانٍ مجيرات[5]

وقال آخر[6] :

مُطْرِقٌ يرشَحُ سمًّا ، كما أطْرَقَ أفْعَى يَنْفُثُ السمَّ صِلُّ

ومن أمثالهم: «صَمِّى صَمَامِ[7]» وَ «صَمِّى ابْنَةَ الجبل[8]» وهى الحيَّة.

---

(١) روايته فى حماسة البحترى ١٦٩ : « بغى بعضهم بعضا * فلم يرعوا » .

(٢) القرض : ما يتجازى به الناس بينهم من إحسان ، أو إساءة . يقول : هم قادرون على مقابلة الإحسان بالإحسان ، والإساءة بمثلها . وفى ذلك المروءة ، والقدرة . س : « بالعرض » ، وأثبت ما فى ط ، هـ . والشعراء ٦٩٠ .

(٣) ويقال صل أصلال ، كما فى اللسان (صلل) والمزهر (١ : ٣٢٣) .

(٤) رزئنا به : أصبنا . وفى ط ، هـ : « رأينا » و س : « رأيت » ، وصوابه من اللسان (صلل) وثمار القلوب ٣٣٦ وأمثال الميدانى (١ : ٢٤) . من حية : يقول : هو حية . والنضناضة : التى تحرك لسانها . أنثها ناظرا اللفظ الموصوف .

(٥) تنطف أنيابه : يقطر منها السم . ط : « تنظف » ، صوابه فى س ، هـ . والسمام : جمع سم . والذيفان بالفتح والكسر : السم الناقع .

(٦) هو تأبط شرا ، كما سبق فى (٣ : ٦٨) والحماسة (١ : ٣٤١) ، وشرحها (٢ : ١٦٠ - ١٦١) .

(٧) صم يصم ، بفتح الصاد فيهما . وصمام كقطام : الداهية . والمثل يضرب للرجل يأتى بالداهية . اللسان وأمثال الميدانى (١ : ٣٦٢) .

(٨) ابنة الجبل : الحية . أى لاتجيبى الراقى ودومى على حالك . يضرب للفريقين إذا أبيا الصلح ولجا فى الخلاف . أمثال الميدانى . وتكون ابنة الجبل أيضاً الداهية العظيمة ، والصدى ، أو الصخرة . اللسان (صمم) .

قال الكميت :

إذا لَقِيَ السَّفِيرَ لها ونادَى بها : صَمِّي ابْنَةَ الجَبَلِ ، السَّفِيرُ[١]

(قولهم : جاء بأم الرُّبيق على أريق)

ومن أمثالهم : « جاء بأمِّ الرُّبَيق على أُرَيق[٢] » أمُّ الرُّبيق : إحدى الحيات . وأُرَيق : أمُّ الطَّبق[٣] . ضربوا به مثلا فى الدواهى . وأصلها ٧٩
من الحيَّات قال :

إذا وجدْتَ بواد حَيَّةً ذَكَرًا
فاذهَبْ وَدَعْنِي أمارِسْ حية الوادى[٤]

---

(١) يقول : إذا لقى السفير السفير ، فأخر الفاعل . و « بها » و « لها » يرجعان إلى الحرب . اللسان وأمثال الميدانى . والمعنى : إذا فشل السفيران المنتدبان — بكسر الدال — للصلح وفض النزاع ، وتركا الحرب فى شدتها لا يستطيعان لها دفعا . فى الأصل : « إذا ألقى » ، وتصحيحه من اللسان وأمثال الميدانى .

(٢) رواه الفراء : « لقيت منه أم الربيق على وريق » .

(٣) فى الأصل : « وأريق الطبق » وهو كلام ناقص . وأم طبق من كنى الحيات . ومنه قول خلف الأحمر ، حين نعى إليه المنصور :

قد طرقت ببكرها أم طبق فذمروها وهمة ضخم العنق

انظر اللسان (طبق) وثمار القلوب ٢٠٧ . وسميت أم طبق لترحيها وتحويها كالطبق ، أو لإطباقها على من تلسعه . و « أريق » من الحيات ، كما فى قول العجاج :

وقد رأى دونى من تهجمى أم الربيق والأريق الأزنم

بدلالة قوله : « الأزنم » وهو الذى له زنمة من الحيات . اللسان (أرق) ، وفيه كلام صرفى خاص بهذه الكلمة .

(٤) حية الوادى : مثل الرجل المنيع الجانب ؛ فإن حية الوادى تحميه فلا يقربه شىء . ثمار القلوب ٣٣٥ وفيه البيت . وروى فى المخصص (١٦ : ١٠١) : « إذا رأيت » . . . الخ .

(قولهم : أدرك القُوَيْمَّة لا تأكلها الهوَيْمَّة)

وفى المثل : « أدرك القُوَيْمَّة لا تأكلها الهُوَيْمَّة » يعنى [1] الصبى الذى يدرُج ويتناول كلَّ شىء سنَح له ، ويَهوِى به إلى فيه . كأنه قال لأمِّه : أدركيه لا تأكلْه الهامَّة ! وهى الحيَّة . وهو قوله [2] فى التعويذ : « ومن كلِّ شيطان وهَامَّة ، ونَفْسٍ وعينٍ لامَّة [3] » :

(شعر للأخطل فى الحية)

وقال الأخطل ، فى جعلهم الرّجلَ الشجاعَ وذا الرَّأى [4] الدَّاهية حية — وكذلك يجعلون إذا أرادوا تعظيمَ شأنها . وإذا أرادوا ذلك فما أكثر مايجعلون الحيَّةَ ذكرا . قال الأخطل :

أنبئت كلباً تمنَّى أنْ يسافهنا وطالما سافهُونا ثمَّ ماظفِرُوا [5]

---

(١) أى بقوله : « القويمة » ، وهو تصغير « قامة » بتشديد الميم . اللسان (قمم ٣٩٥) وفى أمثال الميدانى (١ : ٢٤٢) : « ويعنى بها — أى القامة — الصبى ؛ لأنه يقمّ كل ما أدرك ، يجعله فى فيه ، فربما أتى على بعض الهوام ، كالعقرب وغيرها . . . يضرب فى حفظ الصبى وغيره . والمراد به إدراك الرجل الجاهل لا يقع فى هلكة » .

(٢) أى فى الحديث النبوى . روى ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين فيقول : « أعيذكما بكلمات الله التامة ، من شر كل شيطان وهامة ، ومن شر كل عين لامة » . ويقول : « هكذا كان إبراهيم يعوذ إسماعيل وإسحاق عليهم السلام » .

(٣) اللامة : التى تصيب بسوء .

(٤) ط : « وإذا الرأى » ، صوابه فى س ، ه .

(٥) كذا الرواية فى الأصل . وأراد بكلب : القبيل ، فذكره . ورواية الديوان ٢٦٨ : « أن تسافهنا » ، وربما » .

كلفتمونا رجالا قاطِعِى قرَنٍ   مُسْتَلحقين كما يُستلحقُ اليَسَر[١]
ليست عليهم إذا عدّت خصالهم   خصالٌ وليس لهم إيجابُ ماقرُوا[٢]
قد أُنذِرُوا حيّةً فى رأس هضبتِهِ   وقد أتتهم به الأنباء والنذُرُ[٣]
باتُوا رُقودًا علَى الأمْهادِ ليْلَهم   ولَيْلُهم ساهرٌ فيها ، وما شعرُوا[٤]
ثمّتَ قالوا أمات الماءُ حيّتَهُ   وما يكادُ يَنامُ الحية الذَّكرُ[٥]

(حيّة الماء)

وما أكثرَ مايذكرون حيّة الماء ؛ لأنّ حيّاتِ الماء[٦] فيها تفاوت . إمّا أن تكون لاتضُرُّ كبيرَ ضررٍ ، وإمّا أن تكونَ أقتَلَ من الحيّاتِ والأفاعي .

---

(١) اليسر ، بالتحريك : صاحب القدح من قداح الميسر . وكانوا ربما جاء الرجل بقدحه بعد ما فاز منهم الواحد والاثنان ، فيسأل أن يدخلوا قداحه فى قداحهم ، فيفعلون ذلك ، ويسمونه المستلحق . انظر الميسر والقداح ١٥٣ . وقوله : « قاطعى قرن » يعنى قيسا . وذلك أن كلبا لاموا تغلب فقالوا : أعنتم قيسا علينا ! فقال الأخطل : حملتمونا ذنب هؤلاء ، وألزمتموناه ، وليسوا منا ولا نحن منهم ، كما يستلحق الأيسار رجلا لم يكن معهم . ط ، س : « مستلحقين كما يستلحق السرر » ، هـ : « مستلحقين كما يستلحق السرر » ، صوابهما ما أثبت من الديوان والميسر والقداح .

(٢) س ، هـ : « انجاب ما قروا » ، صوابه فى ط والديوان . والرواية فيه .

ليست عليهم ديات يؤخذون بها   ولا يكون لهم إيجاب ما قروا

(٣) س : « بها الأنباء » ، والديوان : « به الأخبار » .

(٤) الأمهاد : جمع مهد بالضم ، وهو النشز من الأرض ، أو ما انخفض منها فى سهولة واستواء . ورواية الديوان : « باتوا نياما على الأنماط ليلهم » وليله » .

(٥) فى الديوان : « هناك قالوا أنام الماء حيته » .

(٦) هذه الكلمة ونظيرتها ، هى فى الأصل : « المساء » محرفة . وفى الأصل : « حية » .

(الهنديات)

ويقال إنَّ الهنديّات(١) إنما تصير فى البيوت والدُّور ، والإصطبلات ، والخرابات ؛ لأنَّها تُحمَلُ فى القُضُب(٢) وفى أشباه ذلك .

(علة وجود الحيَّات فى بعض البيوت)

والحيات تأكل الجرادَ أكلًا شديداً ، فربما فتَحَ رأس كَرْزه(٣) وجرابه وجوالقه ، الذى يأتى الجراد(٤) ، وقد ضرَبَه بَرْدُ السَّحَر ، وقد تراكم بعضه على بعض ؛ لأنها موصوفةٌ بالصَّرَد(٥) .

والحيّاتُ توصَفُ بالصَّرَد ، وكذلك الحمير ، والماعزُ من الغنم . ولذلك قال الشاعرُ(٦) :

---

(١) الهندية : ضرب من الأفاعى ، ذكر فى ص ١٢١ . وفى هـ : « الهندبات » مصحف .

(٢) أى فى قضب الشجر . والقضيب : الفرع . وذلك أن الحاطب ربما علقت الحيات ببعض ما يجمعه . وقالوا فى أمثالهم : « كحاطب ليل » ، فهو يجمع القضب والحيات وقد يصيبه منها الضرر الشديد .

(٣) الكرز ، بالضم وتقديم الراء : ضرب من الجوالق ، أو هو الخرج الكبير يحمل فيه الراعى زاده ومتاعه . ط ، هـ : « كرزه » س : « كنده » وهما تحريف ما أثبت .

(٤) كلمة « الذى » هى فاعل « فتح » المتقدمة . وما سيأتى إلى السطر الخامس من الصفحة الآتية ، استطراد معترض ، وتبدأ صلة الكلام بكلمة : « فربما » الآتية .

(٥) من صرد ، كفرح : وجد البرد سريعاً .

(٦) هو صخر بن الجعد الخضرى ، كما فى نقد الشعر ٤٣ والأغانى (١٩ : ٦٧) ومعجم البلدان (رسم جنان ، ذروة) . وهو شاعر من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية . وكان مغرما بكأس بنت جبير بن جندب ، وهى ابنة عمه . قالوا : وكانت كأس تشرب من غدير يقال له جنان ، وبحضرته أهلها ، فوقف طويلا عليه يبكى ، وقال الشعر الآتى .

بليت كما يبلى الوِكاءُ ولا أرى   جَنَاناً ولا أكنافَ ذروة مَخلَق(١)
أُلوِّى حَيازِيمى بهنَّ صَبابةً   كما تتلوَّى الحيَّة المتشرِّق(٢)

وإنما تَشرَّقُ إذا أدركها بَرد السَّحر ولم تصر بعدُ إلى صلاحها و [إذا(٣)] خرجت بالليل تكتسب الطعم كما يفعل ذلك سائر السِّباع. فربما اجترف صاحبُ الكرز الجراد(٤)، فأدخله كَرْزَه، وفيه الأفعَى وأسودُ سالخٌ، حتّى يُنقلَ ذلك إلى الدُّور، فربما لقِى الناسُ منها جهداً.

وقال بشر بن المعتمِر، فى شعرِه المزاوَج:

ياعجَبَا والدَّهرَ ذو عجائب   مِنْ شاهدٍ وقلبُه كالغائبِ
وحاطب يَحْطِبُ فى بجادِهِ(٥)   فى ظلمة الليل وفى سَوادِهِ
يَحْطب(٦) فى بجاده الأيمَ الذَّكر   والأسودَ السَّالخ مكروهَ النَّظَرْ

(شعر فى حية المـاء)

فممن ذكر حيَّة الماء، عبد الله بن هَمَّام السلولىُّ فقال:

كَحَيَّة المـاء لاتنحاش مِنْ أحَدٍ   صُلْبُ المراس إذا ماحُلَّتِ النُّطق(٧)

(١) الوكاء، بالكسر، أراد به هنا السقاء، وهو بالكسر جلد السخلة يتخذ للماء. والرواية فى المصادر المتقدمة: « كما يبلى الرداء ». وجنان، كسحاب: جبل أو واد بنجد. وفى الأصل: « جنابا »، صوابه من معجم البلدان. وذروة، بفتح أوله ويكسر: مكان حجازى.

(٢) ط: « يتلوى ». وفى نقد النثر: « تتطوى ». واستشهد ابن رشيق فى العمدة (٢ : ٤٧) بهذا البيت على ما سماه « الإيغال »، وهو المبالغة التى يكون موضعها قافية البيت.

(٣) ليست بالأصل.

(٤) فى الأصل: « الجراد » وفى س: « فربما احترف » محرفان.

(٥) البجاد، بالكسر: الكساء.

(٦) ط، هـ: « يخطب » صوابه فى س. حطب الحطب: جمعه.

(٧) تنحاش: تنفر. وحلت النطق: كناية عن اشتداد الأمر. والنطق: جمع نطاق، وهو شبه إزار فيه تكة.

وقال الشَّماخ بنُ ضِرار :

خُوصُ العيونِ تبارَى فى أزِمَّتها إذا تفصَّدْن من حرِّ الصَّياخيدِ[1]
وكلُّهن تُبارِى ثِــنْىَ مُطَّرِدِ كحيةِ الماءِ وَلَّى غيرَ مَطْرُودِ[2]

وقال الأخطل :

ضفادعُ فى ظلْماءِ ليل تجاوَبَت فدلَّ عليها صوتُهـا حَيَّةَ البَحْرِ[3]

وقال أيضاً :

هَــلُمَّ ابنَ صَفّارٍ فإنَّ قتالَنا جِهاراً وما مِنّا مُلاوَذَةُ العُذْر
فإنَّكَ فى قيسٍ لَتَالٍ مُذَبْذَبٌ وغيرُك منهم ذو الثَّنَاءِ وذو الفخرِ
ونحن منعْنَا ماءَ دِجْلَةَ مِنْـكمُ ونمنَعُ مَا بينَ العِرَاقِ إلى البِشْرِ[4]
ألا يا ابنَ صَفَّارٍ فلا تَرُمِ العُلَى[5] ولا تذْكرَنْ حَيَّاتِ قَوْمِكَ فى الشِّعْرِ
فما تركَتْ حَيَّاتُنا لَكَ حيَّــةً تَحَرَّكُ فى أرض بَرَاحٍ ولا بَحرِ[6]

وقال نُفَيع[7] [يعيِّره[8]] بالـكُحَيل[9] :

---

(١) يقول : تلك الإبل الغائرة العيون تتسابق ، وقد تصبب عرقها من حر الهواجر . ورواية الديوان ٢٢ : « إذا تقصدن » بالقاف ، والتقصد أصل معناه الهلاك ، وأراد به تغيرها بعد السمن .

(٢) أى كل منها يسابق طرف زمامه . س ، هـ : « فى مطردة » ، صوابه فى ط والديوان .

(٣) سبق الكلام على هذا البيت فى (٣ : ٢٦٨) .

(٤) البشر ، بالكسر : جبل بالجزيرة . هـ : « البسر » ، صوابه فى ط ، س .

(٥) لا ترم : لا تطلب . يقول له : ليس ذلك من شأنك .

(٦) البراح ، كسحاب : المتسع من الأرض ، لا زرع به ولا شجر .

(٧) نفيع ، بالفاء وهيئة التصغير ، هو ابن سالم بن صفار المحاربى ، وقد هجاه الأخطل بالشعر المتقدم ، فقال هو الشعر الآتى . وفى الأصل : « تقيع » مصحف . انظر المؤتلف والمختلف ١٩٥ .

(٨) ليست بالأصل ، والكلام يشعر بالحاجة إليها .

(٩) الكحيل ، بهيئة التصغير : نهر أسفل الموصل ، كانت عنده وقعة هزمت فيها تغلب وألقوا بأنفسهم فى الماء . الأغانى (١١ : ٥٥) .

فإن تك قتـلاكُم بدِجلةَ غُرِّقت   فما أَشْبَهَتْ قَتْلَى حُنَينٍ ولا بَدْر
ثَوَوا إذ لَقُونا بالكَحَيلِ كما ثوى   شَمامِ إلى يوم القيامة والحشر[1]
بدِجلةَ حالتْ حربُنَا دُونَ قومِنا   وأوطاننا ما بين دِجْلَةَ فالحضْر[2]
ولو كنتمُ حَيّاتِ بحرٍ لكنتمُ   غَدَاةَ الكُحَيْلِ[3] إذ تقُومُون فى الغَمْر[4] ٨١

(ما يشبَّه بالأيم)

فالأيْم الحيَّةُ الذكر يشبهون به الزِّمام ، وربَّما شبَّهُوا الجاريَةَ المجدولة الخميصة الخواصرِ[5] ، فى مشيها ، بالأيم ؛ لأنَّ الحيَّة الذَّكرَ ليس له غَبَبٌ ، وموضعُ بطنِه مجدولٌ غيرُ متراخٍ . وقال ابنُ ميَّادة :

(١) شمام ، كقطام : جبل له رأسان يسميان ابنى شمام ، يضرب بهما المثل فى البقاء . قال لبيد :

فهل نبئت عن أخوين داما   على الأحداث إلا ابنى شمام
وإلا الفرقدين وآل نعش   خوالد ما تحدث بانهدام

(٢) الحضر ، بالفتح : مدينة بإزاء تكريت فى البرية ، بينها وبين الموصل والفرات . ياقوت . وفى الأصل : « فالحصر » ، وهو تحريف .

(٣) أى لكنتم حيات غداة الكحيل فاستطعتم السباحة . ط : « كذات الكحيل » س : « كذات الكحيل » صوابه من المؤتلف ١٩٥ .

(٤) تقومون : تقفون وتثبتون غير متقدمين ولا متأخرين ، وذلك فى الماء معطبة . ه : « تعومون » ولا يصح به المعنى . ورواية الآمدى : « يلبون » من ألب بالمكان : أقام به ولزمه . والغمر : الماء الكثير . وفى الأصل : « القمر » وتصحيحه من المؤتلف .

(٥) الخاصرة : مافوق الحصر من الجلدة الرقيقة . وهما خاصرتان . فهو قد جمع وأراد الاثنتين . انظر المزهر (٢ : ١٢٥) .

قعدت على السِّعلاة تنفض مسحَهَا ... وتجذب مِثْلَ الأَيم ِ فى بلدٍ قَفْرِ [١]

تيمَّمُ خَيْرَ النَّاسِ مِنْ آل حاضر ... وتحمِلُ حاجاتٍ تضمَّنَهَا صَدْرِى [٢]

(شعر فى حمرة عين الأفعى)

وقال الآخر فى حمرة عين الأفعى :

لولا الهــراوةُ والكِفّـاتُ أَوْرَدَنِى ... حَوْضَ المنيَّة قَتَّالٌ لِمنْ عَلِقَـا [٣]

أصمُّ منهــرتُ الشِّدْقين ملتبــدٌ ... لم يُغْذَ إلاَّ المنايا مِنْ لَدُنْ خُلِقَـا [٤]

كأنَّ عينيــه مِسْمَارَانِ [٥] مِنْ ذَهَبٍ ... جلاهُما مِدْوسُ التَّألاقِ فائتَلَقَـا [٦]

(شعر فى حمرة عيون الناس)

قال فى حمرة عُيون النَّاس فى الحرْب وفى الغضب ، ابنُ ميَّادة :

---

(١) السعلاة : اسم ناقة ابن ميادة ، كما فى الأغانى (٢ : ١١٤) . ومثل الأيم ، عنى به الزمام . يقول : هى تجذب زمامها من شـدة نشاطها . وفى الأغانى : « فى برة الصفر » .

(٢) رواية الأغانى : « تيمم خير الناس ماء وحاضراً » . وبعد البيت خمسة أخرى فى الأغانى .

(٣) الكفات : جمع كفة ، بالكسر ، وهى من آلات الصيد . ط ، هـ : « السفاة » ، صوابه فى س .

(٤) منهرت الشدقين : واسعهما . ط ، هـ ، « منهرة » ، صوابه فى س . فى س : « لم يغذ » ، من الغذاء . ط ، س : « يفد » هـ : « يغد » صوابهما ما أثبت .

(٥) فى الأصل : « مسماكان » . ولا تصح ؛ فإن المسماك : عود الخباء . وقد ذكر الدميرى فى كلامه على الحية : « وعينها لا تدور فى رأسها ، بل كأنها مسمار مضروب فى رأسها » . وانظر ما أسلف الجاحظ فى ص ١٧٩ س ١٢ .

(٦) المدوس ، بالكسر : خشبة يشد عليها مسن ، يدوس بها الصيقل السيف حتى يجلوه . والتألاق : تفعال من ألق ، بمعنى لمع . وفى الأصل : « التلاق » ! وائتلقا : لمعا وبرقا . وفى الأصل : « فابتلقا » . والوجه ما أثبت . وانظر البيان (٣ : ٦٠) .

وعند الفَـــزَارى العراقى عارض   كأَنَّ عيونَ القَوْم فى نبضة الجمرِ [1]

وفى حمرة العين من جهة الخِلْقةِ ، يقول أبو قُرْدُودة ، فى ابن عمـارٍ [2] حينَ قتله النُّعمان :

إنِّى نهيتُ ابنَ عَمَّارٍ وقلتُ له :   لا تأمَنَنْ أَحْمَـرَ الْعَيْنَيْنِ والشعَرَهْ

إنَّ المـلوك متى تنزِل بساحتِهِمْ   تَطِرْ بنارك مِنْ نِيرانهـم شَرَرَهْ

ياجفنَةً كإزاء الحَوْض قد هُدِمَتْ   ومَنْطِقـا مِثْلَ وَشْيِ الْيَمْنَةِ الحَبِرَهْ [3]

(معرفة فى الحية)

وأكثرُ ما يذكرون مِنَ [4] الحيـات بأسمائها دون صفاتها : الأفعى ، والأسود ، والشجاع ، والأَرقم . قال عمر بن لجأ :

* يلزق بالصَّخْرِ لُزُوقَ الأرقَمِ *

وقال آخر :

ورفْع أولى القوم وقعُ خرادلٍ [5]   ووقعُ نبال مثل وقْـع الأساوِدِ

---

(١) ط ، س : « القرارى » ، صوابه فى هـ .

(٢) هو عمرو بن عمار الطائى ، كان شاعراً خطيباً ، فبلغ النعمان حسن حديثه فحمله على منادمته ، وكان النعمان أحمر العينين والجلد والشعر ، وكان شديد العربدة ، قتالا للندماء ، فنهاه أبو قردودة عن منادمته ، فلما قتله النعمان رثاه بالشعر الآتى . البيان (١ : ٣٢٢ ، ٣٤٩) والحيوان (٥ : ٣٣٢) ومعجم المرزبانى ٢٣٦ ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢) .

(٣) كانت العرب تسمى السيد المطعام جفنة ؛ لأنه يضعها ويطعم الناس فيها . اللسان (جفن) . وإزاء الحوض : مصب الدلو فيه .

(٤) ط : « مر » صوابه فى س ، هـ .

(٥) لعلها : « خوازق » جمع خازق ، وهو السهم النافذ ، أو السنان . اللسان .

(ذكر الأفاعى فى بعض كتب الأنبياء)

وفى بعض كتب الأنبياء ، أنّ الله تبارك وتعالى قال لبنى إسرائيل :
« يا أولادَ الأفاعى [1] » .

(أمثالٌ وشعر فى الحية)

ويقال : « رَمَاهُ اللهُ بأفْعَى حَارية [2] » وهى التى تحرى [3] ، وكلما كبرت فى السن صغُرت فى الجسم . وأنشد الأصمعىُّ فى شـدَّة اسوداد أسود سالخ :

مُهَرَّت الأشداق عَوْدٍ قد كَمَل [4] كأنما قيظ من لِيط جُعَـل [5]

وقال جريرٌ فى صفة عُرُوقِ بَطْنِ الشَّبْعَانِ [6] :

٨٢ وأعـور من نَبْهَانَ أمّا نهارُه فأعمَى ، وأمّا ليـله فبصـيرُ [7]

---

(١) هذه العبارة التى يشير إليها الجاحظ ، تجدها فى إنجيل متى (الأصحاح ٣ : ٧) والنص فيه : « فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته قال لهم : ياأولاد الأفاعى ! من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى ؟! » . ومثل هذا النص فى إنجيل لوقا أيضاً (الأصحاح ٣ : ٧) . وضمير (قال) عائد إلى يوحنا المعمدان — وهو يحيى بن زكريا عليهما السلام — يعظ اليهود مبشراً بعيسى عليه الصلاة والسلام .

(٢) ط ، هـ : « جارية » صوابه بالحاء المهملة كما فى س .

(٣) حرى يحرى ، كيرمى : نقص . وفى ط ، س : « تجرى » ، صوابه فى هـ .

(٤) فى الأصل : « مهروتة » ، والوجه ما أثبت من (٣ : ٥٠٢) .

(٥) كذا . وانظر رواية البيت وشرحه فى (٣ : ٥٠٢) .

(٦) س : « عروق بطن » . ط ، هـ : « عروق بطن السنان » . ولا وجه للعبارتين . والصواب ما أثبت .

(٧) الأعور ، هو النبهانى ، واسمه على بن أوس ، أو سحمة بن نعيم ، وكان بينه وبين جرير مناقضة . انظر المؤتلف ١٦١ والمرزبانى ٢٥٣ . وصـواب رواية هذا البيت : =

رَفَعْتُ له مشبوبةً يلتوى بها ... يكاد سناها فى السماء يَطيرُ[1]
فلما استَوَى جنباه لاعَبَ ظلَّه ... عريضُ أفاعى الحالبَين ضريرُ[2]

قال : ويقال : « أبْصَرُ من حيَّةٍ » كما يقال : « أسمعُ مِنْ فرس » ، و : « أسمعُ مِنْ عُقاب » . وقال الراجز :

* أسمعُ مِنْ فَرْخِ العُقابِ الأسحمِ[3] *

وقال آخر[4] :

أسودُ شَرًى لاقَتْ أُسودَ خفيَّةٍ ... تساقَوْا عَلَى حَرْدٍ دِماءَ الأساوِدِ[5]

= وأعور من نبهان يعوى ودونه، من الليل بابا ظلمة وستور

كما هو عند الآمدى والمرزبانى وفى الديوان ٢٦٥ . والذى أوهم الجاحظ ذلك أن فى القصيدة بيتا آخر ، يروى بهذه الرواية التى أثبتها ، ولكن موضعه فى نهاية القصيدة ، ويتضح لك ذلك من مطالعة الديوان ص ٢٦٦ س ٣ ، ٥ .

(١) مشبوبة : أى ناراً . وكانوا يرفعون النيران لترشد إليهم الضيفان . يلتوى : كذا جاءت الرواية هنا . وهى فى الديوان والمؤتلف : « يهتدى » .

(٢) استوى جنباه : أى برزا من امتلائهما . فى الأصل : « استوت » محرفة . لاعب ظله : أى جعل ذلك النبهانى يلاعب ظله مما طرأ عليه من السرور . وضمير « ظله » راجع إلى « عريض » . والحالبان : عرقان أخضران يكتنفان السرة إلى البطن . وفى الأصل : « عروض أفاعى الحالتين » ، تصحيحه من النقائض . وانظر الرواية فى الديوان .

(٣) الأسحم : الأسود . وفى الأصل : « الأشجع » ، صوابه فى (٦ : ٤٣٩). وفى الدميرى « فأما العقاب فمنها السود والخوخية والسفع والأبيض والأشقر » .

(٤) هو الأشهب بن رميلة ، كما فى البيان (٤ : ٥٥) والكامل ٣٣ ، ٤٣٨ ليبسك والعقد (١ : ٥٣) واللسان (حرد) .

(٥) شرى : جبل بنجد ، أو تهامة ، مشهور بكثرة السباع . وخفية : أجمة فى سواد الكوفة . هـ : « حفية » بالحاء المهملة صوابه فى ط ، س والمراجع المتقدمة وكذا الأضداد ١٩٨ والمقصور ٥٨ والمخصص (١١ : ٤٨) . والحرد : الغضب . وروى فى المقصور : « لوح » . واللوح ، بالضم ، ويفتح : العطش . وقبل البيت : =

ضَرَبَ المثَلَ بجنسين من الأسْود ، إذْ كانـا⁽¹⁾ عندَه الغايةَ في الشدَّة والهوْل ، فلم يقنع بذلك حتى ردَّ ذلك كُلَّهُ إلى سموم الحيّـات .

(مايشبَّه بالأسوَد)

وفي هَوْل منظر الأسْوَد يقول الشاعرُ[2] :

مِنْ دُونِ سَيْبِكَ لونُ ليـلٍ مُظلمٍ ... وَحَفِيفَ نافجةٍ وكَلْبٌ مُوسَدُ[3]

والضَّيْفَ عِنْدَكَ مِثْلُ أسوَدَ سالخٍ ... لا بَلْ أحَبُّهُما إليكَ الأسْوَدُ[4]

ويصِفُون ذوائبَ النساء ، فإذا بلغوا الغايةَ شبهوها بالأساود . قال جِرانُ العَوْدِ :

ألا لا تَغرَّنَّ امرأً نَوْفَلِيَّـةٌ ... على الرَّأس منها ، والترائبُ وُضَّحُ[5]

ولا فاحِمٌ يُسْقَى الدِّهانَ كأنَّهُ ... أساوِدُ يزهاها لعينك أبْطَحُ[6]

= وإن الذى حانت بفلج دماؤهم ... هم القوم كل القوم يا أم خالد
هم ساعد الدهر الذى يتّقى به ... وما خير كف لاتنوء بساعد

(١) في الأصل : « كان » ، وصوابه ما أثبت .

(٢) هو حسيل بن عرفطة ، الذى تقدمت ترجمته في (٣ : ١٠٢) . انظر نوادر أبي زيد ٧٥ وديوان المعاني (١ : ١٠٦) والحيوان (١ : ٣٨٣) .

(٣) النافجة ، بالجيم بعد الفاء : الريح تبدأ بقوة . وفي الأصل وكذا ديوان المعاني : « نافحة » ، وصواب الرواية من النوادر . و : « كلب » هي في الأصل : « قلب » صوابه من المراجع المتقدمة .

(٤) مكان : « أحبهما » بياض في س .

(٥) النوفلية : ضرب من الامتشاط ، وفسره صاحب التهذيب بأنه شيء يتخذه نساء الأعراب من صوف يكون في غلظ أقل من الساعد ، ثم يحشى ويعطف ، فتضعه المرأة على رأسها ، ثم تختمر عليه . ورواية الديوان واللسان : « على الرأس بعدى » . والترائب . جمع تريبة ، وهي موضع القلادة . وضح : جمع واضحة بمعنى مشرقة .

(٦) الأبطح : بطن واد فيه رمل وحجارة . الديوان : « لعينيك » ، واللسان : « مع الليل أبطح » .

(استطراد لغوى)

قال : والخرشاء[1] : القشرة الغليظة بعد أن تنقب فيخرج مافيها ، وجماعهُ الخراشىّ[2] ، غير مهموز. قال: وخرشاء الحيّة: سلخها حين تَسْلخ[3] وقال . هذا أسود سالخ ، وهذان أسودان سالخان ، وأساود سالخة .

وقال مرَقِّش :

إن يَغْضَبُوا يغضب لِذَا كُمْ كما يَنْسلُّ عَنْ خِرْشَائِهِ الأرْقمْ

(تعليق الحلى والخلاخيل على السليم)

وكانوا يَرَوْنَ أنّ تعليقَ الحَلْىِ ، وخَشخشةَ الخلاخيل على السَّليم ، ممّا لايفيق ولا يَبْرَأ إلاّ به ، وقال زَيْدُ الخيل :

أيم يكون النعل منــه ضَجِيعَه كما عُلِّقت فوقَ السليمِ الخَلاَخِلُ[4]

وخبّرنى خالد بن عقبــة ، من بنى سلمة بن الأكوع ، وهو من بنى المسبع ، أنّ رجُلاً من حَزْن ، من بنى عذرة ، يسمّى أسْباط ، قال فى تعليقهم الحَلْىَ على السَّليم :

---

(١) جاءت هذه الكلمة مقصورة فى الأصل ، وصوابها المد .

(٢) جماعه : أى جمعه . وفى ط ، هـ : « جماعة » س : « جماعته » وصوابه ما أثبت . وكلمة « الخراشى » هى فى ط ، س : « الخراش » وفى هـ : « الخراشاء » تحريف ، صوابه من اللسان والقاموس والمقصور ٣٨ .

(٣) س : « تنسلخ ». وخرشاء، هى مقصورة فى الأصل، والصواب مدها ، كما فى المفضليات ٢٤٠ والمقصور والممدود ٣٨ وما سيأتى فى ص ٣٤٠ .

(٤) الخلاخل : جمع خلخل، وهو الخلخال ، ذاك الحلى . وكان العرب يعلقون الجلاجل أيضاً على اللديغ ، جمع جلجل ، وهو الجرس الصغير . انظر لذلك بلوغ =

أرِقْتَ فلم تَطْعَمْ لى الْعَيْنُ مَهْجَعَا ... وبِتُّ كما بَاتَ السليمُ مُقَرَّعَا[١]
كأنى سلـيمٌ نالهُ كَلْمُ حَيَّـةٍ ... تَرَى حَوْلَهُ حَلْىَ النِّسَاءِ مُرَصَّعَا[٢]

٨٣ وقال الذُّبيانىُّ :

فبتُّ كأنِّى ساورتْنى ضَئيـلةٌ ... من الرُّقْشِ فى أنيابها السّمُّ ناقعُ
يُسَهَّـدُ من ليـلِ التَّمام سليمُها ... لحـلْىِ النِّساءِ فى يديه قَعاقِـعِ

(استطراد فيه لغة وشعر)

قال : ويقال لسان طلْق ذلقٌ[٣] . ويقال للسليم إذا لُدِغ : قد طلِّق ، وذلك حين تَرْجع إليه نفسُه . وهو قول النابغة :

تنـاذَرها الرَّاقُون من سُوءِ سمِّها ... تطلِّقُه طوراً وطوراً تُراجِـعُ[٤]

وقال العبدى[٥] — إن كان قاله — :

= الأرب (٢ : ٣٠٤) وما أورد من الشواهد . وجاء فى شرح الوزير أبى بكر لديوان النابغة ٥٢ : « كان الحلى فى الزمان الأول له جلاجل يسمع صوته من المرأة إذا مشت » .

(١) مقرعا ، بالقاف بعدها راء : من التقريع ، وهو الإقلاق .

(٢) مرصعاً : معقوداً . وفى نهاية الأرب (٢ : ٣٠٥) : « موضعاً » وهى صحيحة من وضع البانى الحجر ، بالتشديد : نضد بعضه على بعض .

(٣) فى القاموس : « وطلق اللسان بالفتح والكسر ، وكأمير . ولسان طلق ذلق — ضبط كل منهما ككتف ، بالقلم — وطليق ذليق ، رطاق ذلق بضمتين ، وكصرد وكتف : ذو حدة » .

(٤) تناذرها الراقون : أنذر بعضهم بعضاً ألا يتعرضوا لها . فى الأصل : « تبادرها » ، وصوابه من الديوان ٥٢ والمخصص (٩ : ٦٥) واللسان (نذر) والكامل ٥٠٧ ليبسك . ويروى : « من سوء سمها » بفتح السين وبكسرها ، بمعنى الشهرة . تطلقه : أى تطلق « السليم » المذكور فى البيت السابق ، والمعنى تخف الأوجاع عنه تارة وتشتد أخرى . قال المبرد : « وذلك أن المنهوش إذا ألح الوجع تارة وأمسك عنه تارة فقد قارب أن يوأس من برئه » .

(٥) يعنى بالعبدى هنا ، الممزق العبدى ، صاحب البيت السائر (انظر الشعراء ٣٦٠) :
فإن كنت مأكولا فكن أنت آكلى وإلا فأدركنى ولما أمزق =

تبيتُ الهُمُــومُ الطَّارِقاتُ يَعُدْنَنِي   كمَا تَعْتَرِى الأَهْوَالُ رَأْسَ المطلَّق (١)

وأنشد :

تُلاقِى مِنْ تَذكُّرِ آلِ ليـــلى   كما يَلْقَى السَّـلِيمُ مِنَ العِدَادِ(٢)

والعِداد : الوقت . يقال : إنّ تلك اللَّسعة لتعَادّه(٣) : إذا عاده الوجَع فى الوقت الذى لُسِع فيه .

(حديث الحمَل المصْلِىّ)

وذكر النبىُّ صلى الله عليه وسلم السمَّ الذى كان فى الحَمَلِ المَصْلِىّ (٤) ، الذى كانت اليهوديَّةُ قدّمته إليه فنالَ منــه ، فقال : « إنّ تِلكَ الأَكْلَة لتعَادُّنى(٥) » .

---

(١) ط : « تعدننى » س : « تفدنى » هـ : « تعدنى » ، وصوابه ما أثبت من الكامل ٥٠٧ ليبسك . وفيه أيضاً : « كما تعترى الأوصاب » .

(٢) الرواية فى المخصص (٥ : ٨٨) والأضداد ٩٠ واللسان (عدد) : « يلاقى من تذكر » . وقد أقحم الشاعر كلمة « آل » ، فهى زائدة فى الكلام، وأراد : من تذكر ليلى نفسها . مثله ما جاء فى الحديث : « لقد أعطى مزماراً من مزامير آل داود » أراد : من مزامير داود نفسه .

(٣) ط : « لتعتاده »، صوابه فى س، هـ .

(٤) المصلى : المشوى . صلى اللحم وغيره صليا : شواه . والمعروف فى الرواية أنها شاة ، لا حمل . تأويل مختلف الحديث ٢٢٥ ، والسيرة ٧٦٤ جوتنجن ، والتنبيه والإشراف ٢٢٣ . والذى أهدى الشاة هو زينب ابنة الحارث اليهودية ، امرأة سلام بن مشكم اليهودى ، وقيل : هى أخت مرحب اليهودى . الروض الأنف (٢ : ٢٤٣) ، وكانت سألت : أى عضو من الشاة أحب إلى الرسول ؟ فقيل لهــا : الذراع ، فأكثرت فيها من السم . وانظر بقية الخــبر فى السيرة (غزوة خيبر) .

(٥) ط : « لتعتادنى » وصوابه فى س ، هـ والروض الأنف ، وتأويل مختلف الحديث ، والمخصص (٥ : ٨٨) والأضداد ٩٠ واللسان (عدد) . والرواية فى هذه المصادر : « ما زالت أكلة خيبر تعادنى فهذا أوان قطعت أبهرى » . =

(جلد الحية)

وفى الحيَّة قِشْرُها ، وهو أحسنُ من كلٍّ ورقةٍ وثوبٍ ، وجَناحٍ ، وطائر ؛ وأعجبَ من سِتْر العنكبوت ، وغِرْقِئ[1] البيض .

(ما يشبَّه بلسان الحية)

ويقال فى مثلٍ ،إذا مدحوا[2] الخفَّ اللَّطيف،والقدَمَ اللَّطِيفة ،قالوا : كأنّه لِسَانُ حَيَّة .

(نفع الحية)

وبالحيّة يُتداوَى من سمّ الحيّة . ولِلدغ الأفاعي يُؤْخَذ التِّرياقُ الذى لا يُوجَدُ إلاّ بمتون[3] الأفاعى . قال كثيِّر :

وما زالَتْ رُقَاك تَسُلُّ ضِغْنِي   وتُخْرِجُ مِنْ مَكامِنِهَا ضِبَابِى[4]

وترْقِينى لك الحاوُون حتَّى   أجابَكَ حيَّةٌ تحْتَ الحِجاب[5]

= وقد قال هذا القول فى مرضه الذى توفى فيه . وهو دليل على أنه صلى الله عليه وسلم مات شهيداً .

(١) الغرقىء ، كزبرج : القشرة الملتزقة ببياض البيض .

(٢) فى الأصل : « مدح » .

(٣) ط : « لا يؤخذ إلا بمنون » ، س ، هـ : « لا يؤخذ إلا بمتون » وصوابهما ما أثبت . والمتن : الظهر .

(٤) الضباب ، بالكسر : جمع ضب ؛ بالفتح والكسر ، وهو الضغن والعداوة . وهو يخاطب بهذا الكلام عبد العزيز بن مروان كما فى الموشح ١٤٣ والصناعتين ٧٢ وزهر الآداب (٢ : ٦٣) وابن سلام ٤٦٤ . وفيها جميعاً نقد جيد لهذين البيتين .

(٥) ترقينى ، كذا فى الأصل ، وهى صحيحة . وفى الكتاب : « إلا الذى آمنت به =

(قصة امرأة لدغتها حية)

جويبر بن إسماعيل ، عن عمّه ، قال : حججَتْ فإنّا لفى وَقْعَةٍ مع قوم[1] نزلوا منزلنا[2] ، ومعنا امرأة، فنامت[3] فانتبهتْ وحيّةٌ منْطوية عليها ، قد جمعَتْ رأسَها مع ذنبها بين ثدييها[4] ، فهالها ذلك وأزعجَنا ، فلم تزلْ مُنطويةَ عليها لا تضُرُّها بشيء ، حتّى دخلنا أنصاب الحرم[5] ، فانسابت فدخلتْ مكّة ، فقضَينا نسكنا وانصرفْنا ، حتّى إذا كنّا بالمكان الذى انطوتْ عليها فيه الحيّة ، وهو المنزل الذى نزلناه ، نزلتْ فنامت واستيقظت ، فإذا الحيّةُ منطويَةٌ عليها ، ثم صَفَرَت الحيّـةُ فإذا الوادى يسيلُ حيّاتٍ
عليها ، فنهشتْها حتّى نَقَتْ[6] عظامَها ، فقلت لجارية كانت لها : ويْحَكِ ! ٨٤
أخبرينا عن هذه المرأة . قالت : بغَتْ ثلاثَ مرّاتٍ ، كلَّ مرّة تأتى بولدٍ ، فإذا وضعَتْه سَجرت التّنّور[7] ، ثمّ ألقته فيه .

= بنو إسرائيل » . انظر لذلك ما أسلفت فى ص ١٩٣ . والرواية فى المراجع : « ويرقينى » . والحاوون : جمع حاو . وفى ط ، س : « الحادون » . و هـ : « الحاوُن » محرفان ، صوابهما فى المراجع المتقدمة .

(١) الوقعة ، بالفتح : النومة فى آخر الليل . ط : س : « من قوم »، صوابه فى هـ .

(٢) ط ، س : « إذ نزلوا منزلنا » هـ : « إذ أنزلوا منزلنا » ، وكلمة « إذ » مقحمة .

(٣) س : « فقامت » .

(٤) ط ، هـ : « ثديها » س : « أيديها » ، وصوابه ما أثبت .

(٥) أنصاب الحرم : حدوده ، كما فى القاموس واللسان .

(٦) نق العظم نقياً : استخرج نقيه . والنق بالكسر : مخ العظام .

(٧) سجرت التنور : أحميته وأوقدته . والسجور ، بالفتح : الوقود. وفى الأصل: « شجرت » ، وهو تصحيف . والتنور : ما يخبز فيه .

(قول امرأة فى علىّ والزّبير وطلحة)

قال : ونظرت امرأةٌ إلى علىٍّ ، والزُّبير ، وطلحة ، رضى الله تعالى عنهم ، وقد اختلفَتْ أعناقُ دوابِّهم حين التقَوا ، فقالت : من هذا الذى كأنه أرقَمُ يتلمَّظ ؟ قيل لها : الزُّبير . قالت : فمن هذا الذى كأنَّه كُسِر ثمَّ جُبِر[1] ؟ قيل لها : علىٌّ . قالت : فمن هذا الذى كأنَّ وجهه دينارٌ هِرَقْلىٌّ[2] ؟ قيل لها : طلحة .

(استطراد لغوى)

وقال أبو زيد : نهشت أَنْهشُ نهشاً . والنَّهش : هو تناولك الشَّىءَ بفيك ، فتمضَغُه فتؤثِّر فيه ولا تَجْرحه . وكذلك نَهْش الحيَّة . وأمَّا نَهْش السَّبع فتناوله من الدَّابَّةِ بفيه ، ثمَّ يقطع ما أخذَ منه فوه . ويقال نهشت اللحم أَنهَشُه نهشاً[3] ، وهو انتزاع اللَّحم بالثَّنايا ؛ للأَكل . ويقال نَشَطت العَقْد نَشْطاً : إذا عقدته بأنْشوطة[4] . ونَشَطت الإبلُ تنشِط نَشْطاً : إذا ذهبتْ على هدًى أو غير هدى ، نزعاً أو غير نزْع . ونشطتْه الحَيَّةُ فهى

---

(١) وذلك أن علياً كان قصيراً حادراً ضخم البطن ، أفطس الأنف ، دقيق الذراعين . المعارف ٩١ .

(٢) الدينار الهرقلى نسبة إلى هرقل . قال الأب أنستاس مارى فى حواشى النقود العربية ٢٥ : « وكان ذهبه من أحسن الذهب ، وشكله حسناً بديعاً » . وقد روى ابن قتيبة حديث هذا المرأة فى عيون الأخبار (٤ : ٢٥) برواية أخرى .

(٣) فرق بعض اللغويين بين (النهش) و (النهس) فقالوا : نهش اللحم : أخذه بأضراسه . ونهسه : أخذه بأطراف الأسنان . وسوى بعضهم بينهما .

(٤) الأنشوطة ، بالضم : عقدة يسهل انحلالها . ط ، ه « بالنشوطة » ، صوابه فى س . وفى اللسان : « ونشطت العقد : إذا عقدته بأنشوطة » .

تنشِطهُ نَشْطاً ، وهو أن تَعضَّه عضًّا . ونكزَتْهُ الحَيَّةَ تنكُزُه نكْزاً ، وهو طعنُها الإنسان بأنفها[١] . فالنَّكْز من كلِّ دَابَّةٍ سوى الحيَّة العضّ. ويقال : نَشطَتْه شَعُوبُ نَشْطاً[٢] وهى المنيَّة :

قال : وتقول العرب . نشطهُ الشَّعوب ، فتدخل عليها التعريف

(علة تسمية النّهيش بالسَّليم)

ويسمون النهيش سليماً على الطيرَة[٣] . قال ابنُ ميَّادة :

كأنِّى بها لمَّا عَرَفْت رُسومَها قتيلٌ لدَى أيدِى الرُّقاةِ سَليمُ

(شعر فى الحية)

وممَّا يضربون به المَثَلَ بالحيَّات فى دواهى الأمر ، كقول الأقيْبل القينيّ[٤] :

لَقَدْ علِمْتُ ، وخيرُ القَوْلِ أنْفَعه[٥] أنّ انطــلاقى إلى الحَجَّاج تغْرِيرُ

---

(١) فى الأصل : « بفيها » . وهو تحريف ، تصحيحه من اللسان والقاموس .

(٢) شعوب ، بالفتح ومنع الصرف : علم المنية ، سميت بذلك لأنها تشعب ، أى تفرق . ودخول (أل) عليها ، مثل دخولها على العباس ، والحسن ، والحارث .

(٣) الطيرة ، كعنبة : مايتشاءم به من الفأل الردىء . فالمعنى على تشاؤمهم من تسميته بالنهش .

(٤) هو الأقيبل بن نبهان بن خنيف ، شاعر إسلامى كان فى زمن الحجاج . وكان الأقيبل مع الحجاج بن يوسف حين خرج إلى ابن الزبير ، فهرب من الحجاج لمــا رأى البيت يضرب بالمجانيق ، وقال شعراً أغضب الحجاج ، فطلبه فاحتمى بقبر مروان ، فأمنه عبد الملك وكتب إلى الحجاج ألا يعرض له ، فقال قومه : إنك إن أتيت الحجاج قتلك ، فطرح الــكتاب وهرب ، وقال الشعر الآتى . وفى الأصل ، وكذا الجزء السابع ص ١٠٢ : « العتبى » وصوابه من المؤتلف ٢٤ ومن نسخة كوبريلى الجزء السابع . وهو نسبة إلى بنى القين بن جسر .

(٥) رواية الآمدى :

* إنى لأعلم والأقدار غالبة *

لئِنْ ذَهَبْتَ[1] إلى الحجّاج يقتُلُنى   إنى لأحمقُ مَنْ تُحـدَى بهِ العيرُ
مستحقباً صُحُفاً تَدْمَى طوابِعها[2]   وفى الصَّحائف حَيَّـاتٌ مَنَاكِيرُ

(استطراد لغوى)

وقال الأصمعىّ : يقال للحيَّة الذَّكر أيِّم وأيم ، مثقَّل ومخفف ، نحو لَيِّن ولين ، وهيِّن وهَين . قال الشَّاعر[3] :

هَيْنُونَ لَيْنُون أيسـارٌ ذَوُو يسَرٍ   سُـوَّاسُ مَكْرُمَة أبْنَاءُ أيْسَارِ

وأنشد فى تخفيف الأيم وتشديده[4] :

ولقد وَرَدْتَ المـاء لم تشْرَبْ بهِ   زَمَنَ الرَّبيع إلى شهور الصَّيِّفِ[5]
إلاّ عوَاسِرُ كالمِـراط مُعيـدَةٌ   باللّيـل مَوْرِدَ أيِّم متغضِّف[6]

---

(١) رواية الآمدى :

* لئن حدى بى . . . . . . *

(٢) استحقب الشيء : حمله فى مؤخرة الرحل . ط : « مستحليا » س : « مستخفيا » هـ : « مستحفيا » وهو تحريف ما أثبت من المؤتلف والجزء السابع . والطوابع ، جمع طابع ، بفتح الباء وكسرها ، وهو الخاتم الذى يختم به الرسائل ونحوها . ط ، هـ : « طوائعها » س : « طوالعها » صوابهما من الجزء السابع .

(٣) انظر تحقيق اسمه فى (٢ : ٨٩) وكذا شرح البيت ورواياته فى : (٢ : ٩٢) .

(٤) قائل البيتين هو أبو كبير الهذلى ، كما فى ديوان الهذليين (٢ : ١٠٥) واللسان (صيف ، غضف) وأمالى القالى (٢ : ٨٩) .

(٥) وردت ، بفتح تاء المخاطب ، يخاطب رجلا رثاه من قومه . وقبل البيت ، كما فى تنبيه البكرى ٩٩ :

أزهير إن أخا لنا ذا مرة   جلد القوى فى كل ساعة محرف
فارقته يوما بجانب نخلة   سبق الحمام به زهير تلهفى

وفاعل « تشرب » هو « عواسر » فى البيت الآتى . وروى فى الأمالى ، واللسان : « يشرب » .

(٦) « بالليل » هى فى الأصل : « بالعسل » وتصحيحه من اللسان (عسر ، صيف ، غضف) والأمالى .

الصَّيِّف ، يعنى مَطَرَ الصيف[1] . والعواسر : يعنى ذئابا رافعة أذنابها . ٨٥
والمِراط : السهام التى قد تمرَّط ريشها . ومُعيدة : يعنى معاودة للوِرْد . يقول هو مكانٌ لخلائه[2] يكون فيه الحيَّاتُ ، وتَرِدُه الذِّئاب . ومتغضِّف يريد بعضَهُ على بعض ، يريد تثنى الحيَّة .

وأنشد لابن هند[3] :

أودَى بأمِّ سُليمَى لاطِئٌ لَبِدٌ ... كحيَّةٍ منْطوٍ من بينِ أحجار[4]

وقال محمد بن سَعيد[5] :

قريحة لم تَدنِّها السِّياط ولم ... تُورَدْ عِرَاكاً ولم تعصرعلى كَدَرِ[6]
كمُنْطوَى الحيَّةِ النَّضناضِ مكمنها ... فى الصَّدر مالم يهيِّجْها على زَوَرِ
الليث لَّليثِ منسوبٌ أظافرُهُ[7] ... والحيَّــةَ الصِّلُّ نجْلُ الحَيَّةِ الذَّكرِ

---

(١) فى الأصل : « مطرا الصيف »، وتصحيحه من اللسان (صيف) والأمالى .

(٢) فى الأصل : « هو مكان الخلاية » ، تحريف ما أثبت . وعبارة القالى : « هذا المكان لخلائه ، من موارد الحيات » ، أى لكونه خاليا ترده الحيات .

(٣) هو عبد الله بن هند ، كما فى العقد (٦ : ١٢٧)

(٤) الحية تذكر وتؤنث . وفى العقد : « بجب سليم » ؛ وهو الصواب .

(٥) ط ، هـ : « سعد » ، وأثبت ما فى س . وقد ذكر المرزبانى بن اسمه محمد بن سعد الكاتب التيمى ، وهو عربى بغدادى وأنشد له الأبيات التى أولها :

سأشكر عمراً إن تراخت منيتى ... أيادى لم تمنن وإن هى جلت

وقد روى الجاحظ الأبيات بعينها ، فى الرسائل ٢٣ ساسى ، ونسبها إلى محمد بن سعيد ، قال : « وهو رجل من الجند » . فإن صدق حدسى كان محمد هذا هو صاحب الأبيات المشار إليها بعينه .

(٦) القريح : الخالص . وعنى أن هذه الإبل أو الناقة التى ينعتها خالصة النسب . ويقال أورد إبله العراك وأوردها عراكا : أى أوردها الماء مزدحمة . وجاء فيه قول لبيد (وهو من شواهد النحويين) :

فأوردها العراك ولم يذدها ... ولم يشفق على نغص الدخال

وفى الأصل : « ولم تردد »، وصوابه ما أثبت .

(٧) ط : « أطافره » ، صوابه فى س ، هـ .

وقال ذو الرّمّةِ :

وأحْوَى كأيم الضّالِ أطْرَقَ بَعْدَمَا   حَبَا تحتَ فينانٍ من الظّلِّ وارفِ [١]

قال : ويقال انبسَّت الحيَّات [٢] : إذا تفرَّقت وكثرت . وذلك عند إقبال الصَّيف . قال أبو النَّجم :

* وانبسَّ حيَّاتُ الكثيبِ الأهْيَلِ [٣] *

وقال الطِّرِمَّاح :

وتجرَّدَ الأسروعُ واطَّرَدَ السَّفا   وجرَتْ بجاليْها الحداب القَرْدَدُ [٤]

وانسابَ حيَّاتُ الكثيبِ وأقبلَتْ   وُرْق الفَرَاشِ لما يَشُبُّ المُوقِدُ [٥]

قال : ويقال جبأ عليه الأسودُ من جحره : إذا فاجأه . وهو يجبأ جبْئاً وجَبْوًا .

وقال رجلٌ من بني شيبان :

وما أنا مِنْ رَيْبِ المَنونِ بجبَّأٍ   وما أنا مِنْ سيْبِ الإلٰهِ بيائِسِ [٦]

---

(١) الأحوى ، عنى به زمام الناقة ، كما فى المخصص (١٠ : ٩٥) . والأحوى : الذى يضرب سواده إلى الحمرة . والضال : نبت. وحبا : دنا ، كما فى اللسان (حبا) حيث استشهد بالبيت .

(٢) انبست ، بالسين ، كما فى س واللسان . وفى ط ، ه : « أنبشت » مصحف . وكلمة « الحيات » هى فى س ، ط : « الحية » وتصحيحها من ه .

(٣) ط ، ه : « وانبش » صوابه فى س . وفى س ، ط : « الكثيف » صوابه فى ه . والكثيب الأهيل : الرمل السائل الذى لا يثبت .

(٤) فى الأصل : « وجرت بجالتها » . وانظر ما سبق فى ص ٢٢٥ حيث تجد شرح البيت .

(٥) فى الأصل : « زرق الفراش » ، وتصحيح الرواية مما سبق ص ٢٢٥ .

(٦) الجبأ ، بضم الجيم وتشديد الباء المفتوحة : الهيوب الجبان . وقد وهم أبو عمرو الشيبانى فى تفسير هذه الكلمة من هذا البيت فجعلها الناجى من الأمر الذى انفلت منه . وقد اعترضه صاحب التنبيهات على أغلاط الرواة . وروى فى المخصص =

(ما يَشرع فى اللبَن)

قال : ويقال : اللَّبن مُحْتَضَرٌ(١) فغطِّ إناءك . كأنَّهم يَروْنَ أنّ الجنَّ تشرعُ فيه(٢) ، على تصديق الحديث فى قول المفقود(٣) لعمر ، حين سأله وقد استهوتْهُ الجانّ : ما كان طعامهم ؟ قال: الرِّمَّة . يريد العظم البالى . قال : فما شرابهم ؟ قال : الجدَف . قال: وهو كلُّ شراب لا يُخمَّر(٤) .

وتقول الأعراب : ليس ذلك إلاّ فى اللَّبَن . وأمَّا النَّاس فيذهبون إلى أنَّ الحيَّات تشرع(٥) فى اللَّبَن ، وكذلك سامٌّ أبرص ، وكذلك الحيَّات تشرع فى كثير من المرق .

(حديث فى المعصفر)

وجاء فى الحديث : « لا تَبيتوا فى المعَصْفر(٦) ؛ فإنها مُحْتَضَرَةٌ » ، أى يحضرها الجنُّ والعُمَّار .

= (١٦ : ١٢) : « فما أنا من ريب الزمان » . والسيب ، بالفتح : العطاء . وروى فى المخصص (٣ : ٧٠) : « وما أنا من سيب الإلـه بآيس » ، على القلب.

(١) محتضر : يحتضره الجن ، والدواب وغـيرها من أهل الأرض . س : « فقد أتاك » محرف .

(٢) تشرع فيه : تدخل فيه لتشرب . وفى الأصل : « تسرع فيه » ، مصحف .

(٣) أى الذى كان قد استهوته الجن : فيما يروون .

(٤) لا يخمر : أى لا يغطى .

(٥) فى الأصل : « تسرع » . وانظر ما سبق قريباً .

(٦) المعصفر : المصبوغ بالعصفر ، وهو زهر القرطم . ط : « العصفر » ، صوابه فى س ، هـ . وقد أعاد إليه ضمير المؤنث لما فيه من معنى الثياب .

وقال الشاعر فيما يمجنون[1] به ، من ذكر الأفعى :

رَمَاكَ اللّهُ مِنْ أيرٍ بأَفْعَى ... ولا عافاكَ من جَهدِ البَلاءِ[2]

٨٦ أَجُبْناً فى الكريهة حين تَلْقَى ... ونَعْظاً ما تفتّرُ فى الخلاء ! ؟

فلولا الله ما أمسى رَفيقى ... ولولا البولُ عُوجلَ بالخِصاء

وقال أبو النّجم[3] :

نظرَتْ فأعجَبها الذى فى دِرْعها ... من حُسْنها ونظرتُ فى سِرباليا[4]

فرأتْ لها كفلا ينوءُ بخَصْرِها ... وعثًا روادفهُ وأخْثَمَ ناتيا[5]

---

(١) يمجنون ، من المجون . وفى الأصل : « يحكون » ، وصوابه ما أثبت . والشعر الآتى وما بعده مجونى .

(٢) سبقت هذه الأبيات فى (١ : ١٧٦) .

(٣) كان أبو النجم قد دخل على هشام بن عبد الملك ، وقد أتت له سبعون سنة ، فقال له : يا أبا النجم ! كيف أنت والنساء ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ، ما أنظر إليهن إلا شزرا ، ولا ينظرن إلى إلا كرها ! وعلى رأس هشام وصيفة تذب عنه ، فقال : يا أبا النجم : خذ هذه الوصيفة فابل بها نفسك ، واغد علىّ بخبرك . فانصرف بها . فلما كان من الغد غدا عليه ، فقال : ما الذى صنعت يا أبا النجم ؟ فقال : لا والذى أكرمك بالخلافة يا أمير المؤمنين ، ما صنعت شيئاً ولا قدرت عليه ! وقد قلت فى ذلك أبياتا . ثم أنشده الشعر الآتى . فضحك هشام وأمر له بخمسة آلاف درهم وقال له : خذ هذه فاجعلها عوضاً مما فاتك . الأغانى (٩ : ٧٧) وكتاب المختار من شعر بشار ص ٢٠٩ .

(٤) الدرع : القميص . رواية الأغانى : « من حسنه » والمختار : « خلقها » .

(٥) ينوء بخصرها : أى ينوء خصرها بحمل كفلها ويثقل عليه ذلك . وهذا الضرب من التعبير يسمى القلب . وعثا روادفه : أصل الوعث : المكان السهل الدهس تغيب فيه الأقدام . وهذه هى رواية ط والأغانى والمختار . وفى س ، هـ : « وعسا » بالسين ، وهى بمعنى الأول . والأخثم : المرتفع الغليظ . وناتيا ، أى بارزاً ، وأصله ناتئا . ورواية الأغانى والمختار : « جاثيا » .

ورأيتُ منتشرَ العِجان مُقبَّضا رِخْـوا حمائله وجِلْدًا باليا[1]
أُدْنى له الرَّكَبَ الحَلِيقَ كأنما أُدنى إليـه عقارباً وأفاعيـا[2]

وقال آخر[3] :

مريضــةَ أثنـاءِ التَّهادى كأنما تَخافُ على أحشائها أنْ تَقطَّعا[4]
تسيبُ انسيابَ الأيْمِ أخْصَرَه النَّدَى يرفَّع من أطرافه ما تَرفَّعـا[5]

(شعر فى العقربان)

وقال إياسُ بن الأرَتّ[6] :

كأنَّ مَرْعَى أمِّكمْ ســوءَة عقــرَبةٌ يَكُومُها عَقْرُبانْ[7]

---

(١) فى المختار : « منتفخ العجان مقلصا »، و الأغانى : « رخوا مفاصله » . وبين هذا البيت والذى قبله بيت رواه صاحب المختار ، وهو :

ارفع جبينك فيم أنت منكس أفضحتنى وطردت أم عياليا

(٢) الركب ، بالتحريك : الحر . وفى المختار « أدنى لك . . . . كما أدنى إليك » على الخطاب . وبعد هذه الأبيات خمسة أخرى فى الأغانى ، منها اثنان فى المختار .

(٣) بدله فى محاضرات الراغب (٢ : ١٣٩) : « ويستحسن للسعدى »، أى رجل من بنى سعد .

(٤) التهادى : مشى فى تمايل وسكون . هـ : « التهاوى » صوابه فى س ، ط والمحاضرات والحماسة (٢ : ٩٣) ومجموعة المعانى ٢١٢ . والرواية فى المحاضرات والحماسة : « مريضات أوبات التهادى » . ينعتها أو ينعتهن بلين المشية ودقة الخصر .

(٥) يقول : تتدافع فى السير تدافع تلك الحية التى أثر فيها برد الندى ، فهى فى مشيتها البطيئة وتدافعها ذلك ، ترفع من أجزائها بعضاً . ورواية المحاضرات والحماسة ومجموعة المعانى : « فرفع من أعطافه » .

(٦) لم أجد له ترجمة إلا ما قال صاحب القاموس فى (رتت) : « وإياس بن الأرت ، كريم ، شاعر » . والأرت اسمه خالد ، كما فى ذيل اللآلىء ص ٢٤ .

(٧) مرعى : اسم أمهم . يكومها : يخالطها . والعقربان ، بالضم : ذكر العقارب ، أو دويبة صفراء طويلة كثيرة القوائم ، تسمى فى مصر (أم أربعة وأربعين) =

إكليلُها زَوْلٌ وفى شَــوْلها وَخْزٌ حَدِيدٌ مِثْلُ وخز السنانْ (١)
كلُّ امرئٍ قدْ يُتَّقَى مُقبِــلاً وأُمُّكم قــد تُتَّقَى بالعِجانْ (٢)

وقال آخَرُ (٣) لِمُضِيفِهِ :

تَبيتُ تُدَهْدِهُ القِذَّانَ حَوْلى كأنَّكَ عِنْــدَ رأسى عُقْرُبانُ (٤)
فــلو أطعمتنى حَمَــلاً سَميناً شكرْتُكَ ؛ والطَّعامُ له مكانُ (٥)

= ويسميها العرب أيضاً دخال الأذن ، ويسميها علماء الإفرنج : Centipede .
وعلى الوجه الثانى من التفسير استشهد صاحب اللسان بالبيت . ولست أستجيده .
وقد أسلفت كلاما على هذا الشعر فى (٢ : ٢٨٦) .

(١) كنى عن قرنى العقرب بالإكليل . التبريزى (٤ : ٢٤) . والزول : الخفيف الحركة ، أو العجب . والشول : رفع الذنب . والوخز ، بالزاى : طعن لاينفذ. حديد : قوى . س ، ه . « وخذ حديد » ، وصوابه فى ط والحماسة . وفى س : « مثل وخذ » و ه : « مثل خز » وهما تصحيفان .

(٢) أى إذا أدبرت . ولعله يعنى أنها إذا غابت نمت بين الناس .

(٣) قائل الشعر الآتى هو الهيردان بن اللعين المنقرى . والهيردان ، بفتح الهاء بعدها مثناة تحتية وراء مضمومة . وقد ذكره المرزبانى فى معجمه ٤٨٨ . وأما أبوه اللعين المنقرى فقد أسلفت ترجمته فى (١ : ٢٥٦) . وكان من قصة الهيردان أنه نزل فى البصرة على رجل من الصلحاء يقال له ثبيت ، فأطعمه تمراً وأسقاه لبنا وقام يصلى ، فقال الهيردان الشعر الآتى. وقبل البيت الأول:

لخبز يا ثبيت عليه لحم أحب إلى من صوت الأذان

انظر معجم المرزبانى . وقد روى القالى فى أماليه (٣ : ١٧) هذه القصة ، ولم يذكر فيها اسم الهيردان ، وقال: إن ثبيتا هذا نزل به قوم ليلة فلم يعشهم وقام يصلى ، فقال رجل منهم الشعر الآتى .

(٤) يدهده : يدحرج أو يقلب بعضه على بعض . والقذان : البراغيث ، واحدها قذة ، كقوة . والرواية الجيدة : « تدهور القرآن »، ودهور كلامه : قحم بعضه فى إثر بعض . والعقربان سبق شرحه فى التنبيه السابع من الصفحة السابقة . وقال القالى فى شرح هذا البيت : « واختلفوا فى العقربان ، فقال قوم : هو ذكر العقارب ، وقال قوم : هو دخال الأذن . وهو الوجه » . وانظر التنبيه المشار إليه .

(٥) كذا الرواية أيضاً فى عيون الأخبار (٣ : ٣٢٠)، ولم يروه المرزبانى . ورواية القالى :

فلو أطعمتنى خبزاً ولحماً حمدتك والطعام له مكان ..

(شعر فى الحيات والأفاعى)

وقال النّابغة :

فلو يستطيعون دبّتْ لنا مَذاكى الأفاعى وأطفالُها(١)

وقال رجلٌ من قريش :

ما زالَ أَمْرُ وُلاةِ السُّوءِ مُنْتشِرًا حتّى أظلّ(٢) عليهم حيّةٌ ذكَرُ

ذو مِرّةٍ تَفْرَقُ الحيّاتُ صَوْلَتَهُ عفُّ الشّمائلِ قد شُدَّتْ له المِرَرُ(٣)

لم يأتهمْ خَبرٌ عنْهُ يلينُ له حتّى أتاهُم به عن نفْسهِ الخبرُ

وقال بشار :

تزِلُّ القَوَافِى عنْ لسانى كأنّها حُمات الأفاعى ريقهُنَّ قَضاءُ(٤)

[وقال(٥)] :

فكم من أخٍ قد كان يأمُلُ نفعكمْ شجاعٍ له نابٌ حديدٌ ومخْلبُ(٦)

أخ لو شكرْتم فعْلهُ لوْ عَضَضتمُ رءُوس الأفاعى عَضَّ لايتهيّبُ(٧) ٨٧

(١) المذاكى : جمع المذكى، بتشديد الكاف المكسورة ، وهو المسن من كل شىء .

(٢) كذا فى الأصل بالظاء المعجمة.

(٣) المرر : جمع مرة ، بالكسر ، وهى القوة . أراد أنه قوى الشكيمة .

(٤) الحمات : جمع حمة بضم ففتح ، وهى ماتلدغ به الأفعى . وفى الأصل : « حماة » محرف . ريقهن قضاء : أى فيه القضاء على من سرى فيه . ط : هـ : « قضاب »، صوابه ما أثبت من س والمختار من شعر بشار ص ٩٠ . وقبل هذا البيت :

وقد علمت عليا معد بأننى إذا السيف أكدى كان فى مضاء

(٥) هذه الكلمة ليست بالأصل . وقد يكون القائل بشاراً ، وقد يكون غيره .

(٦) حديد : قوى .

(٧) فى الأصل : « لعضضتم »، وبذا يضطرب نسج البيت. والوجه ما أثبت . وقد حذف =

وقال الحارث دعيُّ الوليد، في ذكر الأسْودِ بالسمّ من بين الحيّات :

فإنْ أنتَ أقررْتَ الغــداةَ بنِسْبتي عُرفْتَ وإلاّ كنتَ فقْعاً بقَرْدَدِ (١)
ويشْمَتَ أعداءٌ ويجذَلُ كاشحٌ عَمَرْتَ لهم سُمًّا على رأس أسْودِ (٢)

وقال آخر :

ومعشرٍ منْقَعٍ لي في صُدورِهِمُ سمُّ الأساودِ يغــلي في المواعيدِ
وسَمْتُهم بالقوافي فــوْقَ أعينِهم وسْمَ المعيديِّ أعناقَ المقاحيدِ (٣)

وقال أبو الأسود (٤) :

ليتَـكَ آذنتني بواحـــدةٍ جعَلْتَها مِنْكَ آخِرَ الأبَدِ (٥)

= جواب الشرط الأول ، اكتفاء بما يدل عليه جواب الشرط الثاني . أي لو شكرتم فعله لشاركتم في جميع ما أنتم فيه، حتى لو تقحمّ الصعبة لتقحمها معكم .

(١) الفقع : كأة رخوة بيضاء . ويقال للذليل : « أذل من فقع بقرقرة »، وذلك أن الفقع لا يمتنع على من جناه ، أو أنه يوطأ بالأرجل . أمثال الميداني (٢ : ٥٩) . والقردد : الأرض المستوية . وأما القرقرة في المثل فهي الأرض المطمئنة اللينة .

(٢) عمرت لهم : أي أبقيت للأعداء .

(٣) أي جعل هجوه إياهم بالشعر السائر كالسمة الظاهرة في جباههم . والمقاحيد : جمع مقحاد ، بالكسر ، وهو ما عظم سنامه من الإبل . و « المعيدي » كذا بالأصل . ولعلها « المعبد » بتشديد الباء الموحدة المكسورة ، وهو الذي يعبد الإبل ، أي يطليها بالقطران ليعالج جربها ؛ فان المعيدي تصغير المعدي نسبة إلى معد ابن عدنان ، وليس له وجه مناسب .

(٤) مثل هذه النسبة في عيون الأخبار (٣ : ١٨٩) . ونسبه ياقوت في معجم الأدباء (١ : ١٩٣) إلى إبراهيم الصولي في محمد بن عبد الملك الزيات . وصاحب العقد (٣ : ٣٩٧) إلى أبي زبيد . وصواب نسبته أنه لأبي الأسد نباتة بن عبد الله ، كما في طبقات الشعراء لابن المعتز ٣٤٨ والأغاني (١٢ : ١٦٨) وديوان المعاني (٢ : ٢٠٣) إذ يقول في القصيدة :

فصرت من سوء ما رميت به أكنى أبا الكلب لا أبا الأسد

وأبو الأسود ، قال الجاحظ : اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان . وقال عمر بن شبة : اسمه عمرو بن سفيان بن ظالم . المزهر (٢ : ٢٦٣) . وأبو الأسود الدؤلي البصري ، أول من أسس النحو ، وأول من نقط المصحف . وكان من سادات التابعين ، وكان شيعيا . انظر بقية نعته في بغية الوعاة ٢٧٤ . توفي سنة ٦٧ بطاعون الجارف .

(٥) آذنه بالأمر : أعلمه . ورواية ابن قتيبة : « تجعلها منك » .

تَحْلِفُ ألاَّ تَبَرَّنى أبدًا فإنَّ فيها بَرْدًا على كَبِدِى[1]

إن كان رزقى إليك فارْم به فى نَاظِرَىْ حيّةٍ على رَصَدِ[2]

وقال أبو السَّفّاح[3] يرثى أخاه يحيى بن عميرة[4] ويسمِّيه بالشجاع[5] :

يَغْدُو فلا تكذِبُ شَدّاتُهُ كما عدا اللَّيْثُ بوادى السِّباعْ

يجمَعُ عَزْماً وأناةً معاً ثُمّتَ يَنْباعُ انبِيَاعَ الشجاعْ[6]

وقال المتلمِّس :

فأطْرَقَ إطرَاقَ الشجَاعِ ، ولو يَرَى مَسَاغا لنَابَيْهِ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا[7]

وقال مَعْمَر بن لقيط[8] أو ابن ذى القروح[9] :

شموسٌ يظلُّ القوم معتصِما به وإن كان ذا حزْمٍ من القَوْم عاديَا

---

(١) يقول : ليتك تحلف ألا تبرنى ؛ فقد سئمت برك وما تحملنى من المن .

(٢) فى معجم الأدباء : « فى ماصفاحيه » . وصواب ما فى المعجم : « فى ماضغى حية » .

(٣) كذا فى الأصل ومقطعات مراث ص ١١٦ . وكذا فى الموفقيات للزبير بن بكار طبعة وستنفلد . واسمه بكير بن معدان بن عميرة بن طارق اليربوعى . والشعر منسوب فى المفضليات ١٥٤ إلى السفاح بن بكير الثعلبى . نسبة إلى ثعلبة بن يربوع.

(٤) وقال أبو عبيدة : هى لرجل من بنى قريع ، يرثى بها يحيى بن ميسرة ، صاحب مصعب بن الزبير ، وكان وفى له حتى قتل معه . انظر شرح المفضليات ٦٣٠ ، وكذا خزانة الأدب (٢ : ٥٣٧ بولاق) .

(٥) الشجاع : ضرب من الحيات .

(٦) ينباع : يثب ويسطو .

(٧) روى : « وأطرق » فى حماسة البحترى ١٥ ولباب الآداب ٣٩٣ والميدانى (١ : ٣٩٥) . وروى فى سر الصناعة : « لناباه » . وبه يستشهد النحويون على إلزام المثنى الألف فى أحوال الإعراب الثلاث عند بعض القبائل . انظر الخزانة (٣ : ٣٣٧ بولاق) ، وقد أخذ هذا البيت عمرو بن شأس فقال (انظر معجم المرزبانى ٢١٣) :

فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى مساغا لنابيه الشجاع لقد أزم

(٨) كذا . ولعله : « لقيط بن يعمر » .

(٩) المعروف فى الشعراء : « ذو القروح » ، وهو امرؤ القيس .

أبيت كما بات الشجاع إلى الذُّرَى وأغدُو على همٍّ وإن بتُّ طاويَا
وإنّى أهُضُّ الضَّيم منِّى بصارمٍ رهيفٍ وشيخٍ ماجدٍ قدْ بَنَى ليا[1]

وهكذا صفة الأفعَى ؛ لأنها أبدًا نابتةٌ مستوية ، فإنْ أنكرَتْ شيئاً فنَشْطتها كالبَرْقِ الخاطِف .

ووصف آخرُ أفعًى ، فقال :

وقَدْ أرانى بطوىِّ الحسِّ وذاتِ قرنَيْنِ طَحُونِ الضِّرْس[2]
نضناضةٍ مثل انثناء المَرْسِ[3] تدير عَيْناً كشهاب القَبْسِ
٨٨ لمّا التقَيْنا بمَضِيقِ شَكْسِ[4] حتى قَنَصْتُ قرْنَها بِخَمْسِ[5]

وهم يتهاجَوْنَ بأكل الأفاعى والحيّات . قال الشاعر :

فإياكُمُ والرِّيفَ لا تَقربُنَّهُ فإن لديه الموتَ والحتْمَ قاضيَا
هُمُ طردوكم عن بلادِ أبيكم وأنتمْ حُلولٌ تشتَوون الأفاعيَا

وقال عمر بن أبى ربيعة :

ولمّا فَقَدْتُ الصَّوتَ منهم وأُطْفِئَتْ مصابيح شُبَّت بالعِشاء وأنؤُر[6]

---

(١) أهض الضيم : أدفعه . وأصل الهض : الكسر والدق .
(٢) فى الأصل : « كجون الترس » . وأثبت ماعند الدميرى .
(٣) المرس ، وأصله المرس بالتحريك : الحبل . وقد سكن الراء للشعر . وفى الأصل : « الرس » ولا وجه لها .
(٤) شكس : ضيق . وانظر نهاية مادة (شكس) فى اللسان .
(٥) أى بخمس أصابع . س : « حتى قضت » وفى س : ط : « قبوتها » وصوابهما فى هـ .
(٦) أنؤر ، بالهمزة : جمع نار . قال المبرد فى الكامل ٣٨٣ ليبسك : « وقوله : وأنؤر ، إن شئت همزت ، وإن شئت لم تهمز » . ورويت : « أنور » عند العينى (١ : ٣١٨) .

وغاب قُميرٌ كنت أرجو مَغِيبَه ... وروَّح رُعيان وهوَّمَ سُمَّرُ
ونفَّضتُ عنِّى الليلَ[1] أقبلتُ مِشْيَةَ الـ ... ـحُبَابِ، وركنى خِيفَةَ القومِ أزْوَرُ[2]

(ضرب المثل بسم الأساود)

[و] [3] ضَرَبَ كلثومُ بن عمرو المثلَ بسمِّ الأساود، فقال[4] :

تلوم على تَرْكِ الغنى[5] بَاهليَّة[6] ... طوى الدَّهْرُ عنها كلَّ طِرْفٍ وتالِدِ
رأتْ حولهـا النِّسوانَ يرفُلْنَ فى الـكُسا[7] ... مقلَّدةً أجيـادُها بالقـلائِدِ
يسرُّكِ أنِّى نلتُ ما نالَ جعفرٌ ... من الملك، أو ما نال يحيى بنُ خالد[8]

---

(١) يروى : « ونفضت عنى العين »، أى احترست منها وأمنتها . وقد أفرد العين وأراد بها العيون . والرواية هنا جيدة أيضا، بل هى أطيب وألطف . ورواية العينى : « وخفض عنى الصوت » .

(٢) الحباب، بالضم : الحية . أزور : مائل، فهو يتخفى .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) فى الأغانى (١٢ : ٨) : « وكانت تحته امرأة من باهلة، فلامته وقالت : هذا منصور النمرى قد أخذ الأموال، فحلى نساءه، وبنى داره، واشترى ضياعا، وأنت ههنا كما ترى ! فأنشأ يقول . . » . وهو بهذا الشعر « يعرض بالبرامكة، ويذكر عاقبة صحبة السلطان، وأنه ما المتعلق بها من غدر الزمان أمان » . غرر الخصائص الواضحة للوطواط ٤٠٨ . والشعر متداول فى مراجع كثيرة، منها عيون الأخبار (١ : ٢٣١) والعقد (٢ : ١٣٦) والبيان (٣ : ٣٥٣) ومروج الذهب (٢ : ٤٩٥) وزهر الآداب : (٣ : ٣٩) وحماسة ابن الشجرى ١٤٠ ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢، ٢١٣) .

(٥) ط، هـ : « الغناء »، صوابه فى س والمراجع المتقدمة .

(٦) ط : « لأهله » هـ : « بأهلية »، صوابه فى س والمراجع المتقدمة . والباهلية : امرأته .

(٧) الكسا : جمع كسوة . يرفلن : يتبخترن .

(٨) يعنى جعفرا البرمكى، ويحيى بن خالد البرمكى . أما جعفر وهو ابن يحيى بن خالد =

وأنّ أميرَ المؤمنين أعَضَّـــنِي   مَعَضَّهما بالمُرْهَفَاتِ البَوَارِد !(١)
ذرينى تجِئْـــنى مِيتَتِى مُطْمئِنَّةً   ولم أتَقَحَّمْ هَوْلَ(٢) تلكَ الموارِدِ
فإن كريمــاتِ المعالى مَشُــوبَةٌ   بمستَوْدَعاتٍ فى بطونِ الأساودِ(٣)

(حيات الجبل)

وفى التشنيع لحيَّــات الجبل ، يقول اللَّعِينُ المِنْقَرِىُّ(٤) ، لرؤبة ابن العجّاج(٥) :

= البرمكى فقد قتله الرشيد فى قصه مؤسفة ، يرويها المسعودى فى مروج الذهب . وأما والده يحيى فقد حبسه الرشيد هو والفضل بن يحيى ، حتى ماتا فى حبسهما .

(١) أعضه الشىء : جعله يعضه . ومن عض السيف فقد أهلكه . وروى فى البيان والغرر وعيون الأخبار وحماسة ابن الشجرى والأغانى : « أغصنى مخصهما » . والمرهفات : السيوف المرققات . والبوارد : التى تثبت فى الضريبة ، لا تنثنى . وهم يمدحون السيف بذلك ، قال طرفة :

أخى ثقة لا ينثنى عن ضريبة   إذا قيل مهلا قال حاجزه قدى

وفى الأصل : « الفوارد » بالفاء ، وصوابه فى البيان وعيون الأخبار وحماسة ابن الشجرى والمروج والزهر . وفى العقد : « الحدائد » .

(٢) كذا فى ط وسائر المراجع . وانفردت س ، ه برواية : « حول » ووجهها ضعيف .

(٣) كذا الرواية أيضاً فى البيان وعيون الأخبار . وفى الزهر : « فإن رفيعات المعالى » ، والمروج : « فإن نفيسات الأمور » ، والحماسة : « فإن رفيعات الأمور » ، والعقد : « وجدت لذاذات الحياة » ، والأغانى : « رأيت رفيعات الأمور » ، وديوان المعانى (١ : ١٣) : « وإن جسيمات الأمور منوطة » . وهو مثل من أمثلة تصرف الرواة ، وروايتهم لبعض الشعر بالمعنى دون اللفظ . وانظر مأخذ البيت فى محاضرات الراغب (١ : ٢١٣) .

(٤) روى البحترى فى حماسته ص ٨ البيتين منسوبين إلى المكعبر الضبى . واللعين المنقرى سبقت ترجمته فى (١ : ٢٥٦) .

(٥) أنشد الثانى من البيتين برواية : « خلت القوم والخور » فى سيبويه ١ : ٦١ والعينى ٢ : ٤٠٤ منسوبا إلى اللعين .

إنى أنا ابن جلا إن كنت تعرفنى   يا رُؤبَ ، والحيَّةَ الصَّماء فى الجبَلِ(١)

أبا الأراجيزِ يا ابنَ اللؤمِ توعدنى   وفى الأراجيز جَلْبُ اللؤمِ والكَسَلِ(٢)

(خبران فى الحيات)

الأصمعىُّ ، قال : حدَّثنى ابن أبى طرفة(٣) ، قال : مرَّ قومٌ حُجَّاجٌ من أهل اليمن مع المسَاء ، برجلٍ من هُذيل ، يقال له أبو خِراش ، فسألوه القِرَى ، فقال لهم : هذه قدرٌ ، وهذه مِسْقَاةٌ ، وبذلك الشِّعب ماء ! فقالوا : ما وفَّيتنا حقَّ قِرانا ! فأخذ القِرْبَة فتقلَّدَها يسقيهم ، فنهشته حَيَّة .

قال أبو إسحاق : بلغنى وأنا حدث ، أن النبى صلى الله عليه وسلم « نَهَى عن اخْتِناث فمِ القِرْبة ، والشربِ(٤) منه » . قال : فكنت أقولُ : إنَّ لهذا الحديث لشأناً ، وما فى الشرب من فم قِرْبَةٍ حتَّى يجىء فيها هذا النهى ؟ ! حتَّى قيل : إنَّ رجلاً شربَ من فمِ قِربةٍ ، فوكعته(٥) حيَّةٌ فمات ، وإنَّ الحيَّاتِ تدخُل فى أفواه القِرَب . فعَلِمْتُ(٦) أنَّ كلَّ شىء لا أعرفُ 89
تأويله من الحديث ، أنَّ له مذهباً وإن جَهِلْتُه(٧) .

---

(١) يقولون للرجل الظاهر لا يخفى مكانه : ابن جلا . وروى البحترى : « إن كنت تنكرنى » . قوله : « والحية الصماء » أى وأنا الحية الصماء .

(٢) كذا . والمراد : يا أبا الأراجيز . ورواية البحترى : « أبا لأراجيز » . فى س ، ط : « يوعدنى » صوابه فى هـ وحماسة البحترى . وروى : « خلت اللؤم والفشل » برفع اللؤم والفشل ، على الإقواء . وعند البحترى : « إن الأراجيز رأس النوك والفشل » .

(٣) الخبر فى الأغانى (٢١ : ٤٧ — ٤٨) والإصابة ٢٣٤١ .

(٤) اختنث فم القربة والسقاء : ثناه إلى خارج فشرب منه . وفى الأصل : « اجتثاث » بدل : « اختناث » وهو تحريف ، صوابه فى نهاية ابن الأثير واللسان (مادة خنث) من كل منهما . وانظر الجامع الصغير ٩٤١١ .

(٥) وكعته الحية : لدغته .

(٦) فى الأصل : « علمت » ووجهه ما أثبت .

(٧) وعلله أصحاب الحديث أيضاً ، بأن دوام الشرب هكذا مما يغير ريحه ، وبأنه يجعل الماء يترشش على الشارب لسعة فم السقاء . انظر النهاية واللسان (خنث) .

(شعر في سلخ الحية)

وقال الشاعرُ في سَلْخ ِالحيَّة :

حتَّى إذَا تَـابَعَ بَيْنَ سَلْخَيْنْ   وعادَ كالميسَمِ أحماهُ الْقَـيْنْ(١)
أقبَلَ وهـو واثقٌ بِثنْتَيْنْ :   بِسَمَّهِ الرَّأسَ وَنَهْشِ الرِّجْلَيْنْ(٢)

قال : كأَنَّهُ ذهب إلى أنّ سمَّـه لا يكونُ قاتِلاً مُجْهِزاً حتَّى تأتىَ عليه سنتان .

(قول في سلخ الحية)

وزعم بعضهم أنّ السّلخَ للحيّةِ مثلُ البزُولِ والقروح للخف ِوالحافر .

قال : وليس ينسلخ إلاّ بعد سِنِين َكثيرةٍ ، ولم يقِفُوا من السِّنين على حَدٍّ .

وزعم بعضهم أنّ الحيةَ تَسْلخ في كلّ عام ٍمرّتين — والسلخ في الحيات كالتَّحسير من الطير — وأنّ الطير لا تجتمع قويّةً إلاّ بعـد التحسيرِ وتمـام نباتِ الرِّيش . وكذلك الحيَّة ، تضعُف في أيام ِالسَّلخ ثمّ تشتدُّ بعد .

(تأويل رؤيا الحيات)

قال الأصمعيّ : أخبرني أبو رفاعة(٣) ، شيخٌ من أهل البادية ، قال : رأيتُ في المنام كأَني أتخطّى حيّات . فطَرت السماء ، فجعلت أتخطى سُيولاً .

(١) الميسم بالكسر : أداة الوسم . والقين : الحداد .

(٢) في الأصل : « بسمة الرأس » ، والسمة بمعنى العلامة ، وهي لا تلائم نظام الكلام .

(٣) س ، هـ : « أبو رقاعة » بالقاف .

وحكى الأصمعيُّ أنَّ رجلاً رأى فى المنام فى بيوته حَيَّاتٍ ، فسأل عن ذلك ابن سِيرِينَ أو غيره ، فقال : هذا رجلٌ يدخل منزلَه أعداءُ المسلمين . وكانت الخوارجُ تجتمعُ فى بيته .

(شعر للعرجى والشماخ فى الحيات)

قال العرْجِيُّ ، فى دبيب السمِّ فى المنهوش :

وأُشْرِبَ جِلْدِى حُبَّهَا وَمَشَى بِهِ ... كمشى حُمَيَّا الكأسِ فى جِلد شاربِ
يَدِبُّ هَوَاهَا فى عظامى وحبُّها ، ... كما دَبَّ فى الملسوع سمُّ العَقَاربِ

وقال العرجيُّ فى العرماءِ[1] من الأفاعى ، وكونها فى صُدوعِ الصَّخْر ، فقال :

تَأَتَّى بليلٍ ذُو سَعاةٍ[2] فَسَلَّها ... بها حافظ هاد ولم أرق سلما[3]
كمثل شِهاب النَّار فى كفِّ قابسٍ ... إذا الرِّيحُ هبت من مكانٍ تَضَرَّمَا
أَبَرَّ على الحُوَّاءِ[4] حتى تَنَاذَرُوا ... حِمَاهُ[5] محاماة من الناس ، فاحتمى[6]

(١) العرماء ، بالفتح : الحية الرقشاء . وفى الأصل : « العرما » . وكلمة « فى » قبلها ساقطة من س ، هـ .

(٢) السعاة ، بالفتح : التصرف . ط : « سعاده » س : « سعاه » بدون إعجام . وصوابهما فى هـ .

(٣) كذا جاء هذا الشطر ، وفيه تحريف .

(٤) أبر عليهم : غلبهم واستعصى عليهم . والحواء ، بضم الحاء : جمع حاو . وهذا الجمع ليس قياسياً ولا مما ذكرته المعاجم . وسمع نظيره : غاز وغزاء ، وسار وسراء . انظر همع الهوامع (٢ : ١٧٧) . والعرجى ممن يحتج بكلامه ، فانه توفى نحو سنة ١٢٠ . وهو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وكان شاعراً غزلا ينحو نحو ابن أبى ربيعة ، وكان من الفرسان الظرفاء . ولقب بالعرجى لسكناه قرية العرج فى الطائف . وفى س ، هـ : « الجواد » ط : « الأجواد » . وهما تحريف ما أثبت .

(٥) تناذروا حماه : أنذر بعضهم بعضاً ألا يتعرضوا له . وقد سبق مثل هذا فى بيت النابغة ص ٢٤٨ س ٩ . وفى الأصل : « تبادروا » ، وهو تحريف .

(٦) فى الأصل : « فاحتما » .

يظلّ مُشيحاً سامعاً ، ثمَّ إنها إذا بُعِثت لَمْ تَألُ إلاّ تَقدَّما[١]

قال : ويقال : تطوّت[٢] الحيَّة . وأنشد العرجىُّ :

ذكرَتْنى إذْ حيَّةٌ قد تطوّتْ برقا عند عرسه فى الثياب[٣]

وقال الشَّماخ ، أو البَعيث[٤] :

وأطرَقَ إطراقَ الشجاعِ وقَدْجَرَى على حَدِّ نَابَيْهِ الذُّعافُ المسمَّمُ[٥]

(ما ينبح من الحيوان)

٩٠ والأجناس التى تُذْكَرُ بالنُّبَاح : الكلب ، والحيَّةُ ، والظَّبْىُ إذا أسنَّ ، والهُدهُد . وقد كتبنا ذلك مرة ثمَّ[٦] .

قال أبو النَّجم :

والأسد قد تَسْمَعُ مِنْ زئيرها وباتت[٧] الأفعى على مَحفُورِها

تأسيرُها يحتَكُّ فى تأسيرها[٨] مرّ الرَّحَى تجرى على شعيرها

---

(١) المشيح : الحذر . وقد ذكرها مرة وأنثها أخرى . والحية مما يذكر ويؤنث .

(٢) س : « انطوت » . والأوفق ما أثبت من ط ، ه .

(٣) كذا جاء هذا الشطر فى ط ، ه . وفى س : « عند عريسه » ، وكلا النصين محرف . وانظر ديوان العرجى ١١٥ .

(٤) ليس البيت فى ديوان الشماخ .

(٥) فى الأصل : « ولو جرى » . وانظر مثيل هذا البيت فى ص ٢٦٣ .

(٦) انظر لنباح الظبى ما سبق فى (١ : ٣٤٩) ولنباح الهدهد ما سبق فى (١ : ٣٥٠) . وأما نباح الحية فلم يسبق له ذكر ، وانظر له الاستدراكات .

(٧) ه : « وبانت » بالنون . وانظر بعض أشطار من الأرجوزة فى اللسان (عفر) .

(٨) التأسير : واحد التآسير ، وهى فى أصل معناه السيور يؤسر بها السرج ، وجعله هنا لجلدها . و « يحتك » هى فى الأصل « يحنك » بالنون . وصوابه ما أثبت .

كرَعْدَة الجِرَاء أو هديرِها(١) تضرُّمَ القَصْباء في تَنُّورها(٢)
توقّر النَّفس على توقيرها تعلّم الأشياء في تنقيرها
* في عاجل النفْسِ وفي تأخيرها *

(قول في آية)

وسنذكر مسألةً وجوابها . وذلك أنّ ناسا زعموا أنّ جميع الحيوان على أربعة أقسام : شيء يطير ، وشيءٌ يمشي ، وشيءٌ يعوم ، وشيءٌ ينساح .

وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ، يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ ﴾ .

وقد وَضَعَ الكلامَ على قسمة أجناس الحيوان ، وعلى تصنيف ضروبِ الخلْق ، ثمّ قَصَّرَ عن الشيء الذي وضَعَ عليه كلامَهُ(٣) ، فلم يذكر ما يطير وما يعومُ . ثمّ جعل ما ينساحُ ، مثلُ الحيَّاتِ والدِّيدان ، ممّا يمشي ، والمشي لا يكون إلاّ برجل ، كما أنّ العضّ لا يكون إلّا بفمٍ ، والرَّمح لا يكون إلّا بحافر . وذكر ما يمشي على أربعٍ ، وهاهنا دوابُّ كثيرةٌ تمشي

(١) الجراء : جمع جرو ، أراد به ولد الكلب . ورعدتها : صوتها ، وكذلك هديرها . وفي الأصل : « الجزاء » ، ولا وجه له .

(٢) القصباء : جماعة القصب ، ويسمى أيضاً الأباء بالفتح . وبه يضرب المثل في شدة الصوت عند التضرم . ومنه قول ابن أبي الحقيق :

من سره ضرب يرعبل بعضه بعضاً كمعمعة الأباء المحرق

وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط : « القضاء » و : « الغضا » و س : « القضباء » . وفي س : أيضاً « تنور » مكان « تضرم » .

(٣) هذا حكاية من الجاحظ لقول المعترضين على الآية الكريمة ، وسيرد عليهم في السطر الثالث من الصفحة الآتية .

على ثمانِ قوائمَ ، وعلى ستٍّ ، وعلى أكثرَ من ثمانٍ . ومَن تفقَّدَ قوائمَ السّرطانِ وبناتِ وَرْدَانَ ، وأصنافَ العناكب — عرَفَ ذلك .

قلنا : قد أخطأتم في جميع هذا التأويل وحَدِّه . فما الدَّليلُ على أنّهُ وضع كلامَهُ في استقصاءِ أصناف القوائم ؟ وبأيِّ حُجةٍ جزَمْتم على ذلك ؟ وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ ﴾ وَتَرَكَ ذِكْرَ الشَّيَاطِينِ والنَّارُ لَهمْ آكَلُ ، وعذابُهم بها أشدُّ . فتَرَكَ ذِكرَهم من غير نسيانٍ ، وعلى أنَّ ذلك معلومٌ عند المخاطب . وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً[1] ﴾، أخرج من هذا العموم عيسى بنَ مريم ، وقد قَصَدَ في مخرَجِ هذا الكلام [إلى[2]] جميعِ ولدِ آدمَ . وقال : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكورًا ﴾ أدخَلَ فيها آدمَ وحوَّاء . ثم قال على صلة الكلام : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ ﴾ ، أخرج منها آدمَ وحوَّاء وعيسى بنَ مريم . وحَسُن ذلك إذ كان الكلامُ لم يُوضَع على جميع ما تعرفه
٩١ النُّفوسُ من جهةِ استقصاءِ اللَّفظ . فقوله : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ[3] ﴾ كان على هذا المثال الذي ذكرنا . وعلى أنَّ كلَّ شيءٍ يمشي على أربع فهو مما يمشي على رجلين ، والذي يمشي على ثمان هو مما يمشي على أربعٍ ، وعلى رجلين .

---

(١) من الآية الحادية عشرة في سورة فاطر .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) بين هذه الآية والكلام بعدها ، جملة : « فهو مما يمشي على أربع » في ط ، س . وهي عبارة مقحمة ليس لها وجود في ه .

وإذا قلت : لى على فلان عشرة آلاف درهم ، فقد خبَّرت أنَّ لك عليه ما بين درهمٍ[1] إلى عشرة آلاف .

وأمَّا قولكم : إنَّ المشى لا يكون إلَّا بالأرجل ، فينبغى أيضاً أنْ تقولوا ﴿ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ : إنّ ذلك خطأ ؛ لأنَّ السَّعى لايكون إلاّ بالأرجل .

وفى هذا الذى جهلتموه ضروبٌ من الجواب : أمَّا وجهٌ منه فهو قولُ القائل وقول الشّاعر : « ما هُوَ إلَّا كأنّهُ حيّة » ، و : « كأنَّ مِشيته مِشْيةُ حيَّة » يَصِفُونَ ذلك ، ويذكرون عِنْدَهُ مِشيةَ الأَيم والحُبَاب ، وذكورِ الحيَّات . ومَن جَعَلَ للحيّاتِ مَشياً من الشعراء ، أكثرُ من أن نقف[2] عليهم . ولو كانوا لا يسمُّون انسيابَها وانسياحَها مشياً وَسَعْياً ، لكان ذلك مما يجوزُ على التشبيه والبدل ، وأنْ قَام الشيءُ مقام الشيءِ أو مقام صاحبه ؛ فمن عادة العرب أن تشبِّه به فى حالاتٍ كثيرة . وقال الله تعالى : ﴿ هَـٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّين ﴾ والعذاب لا يكون نُزُلاً ، ولكنّهُ أجرَاه مُجْرَى كلامهم ، كقول حاتمٍ حينَ أمرُوهُ بِفَصْدِ بعيرٍ ، وَطَعَنه فى سَنامه ، وقال : « هذا فَصْدُهُ[3] ! »

---

(١) كلمة « عليه » ساقطة من هـ . وفى هـ أيضا : « مائتين » بدل « مابين » وهو تحريف .

(٢) هـ : « تقف » بالخطاب .

(٣) أى هذا فصد البعير ، والفصد : شق العرق لاستخراج دمه . وكان أهل الجاهلية فى شدة الأزمان يفصدون الإبل ويسخنون دم الفصد حتى يجمد ويقوى فيطعمونه ويطعمونه الضيفان ، أو يجعلون ذلك الدم فى معى من الأمعاء ويشوونه ويأكلونه . ويروى المثل عند الميدانى (٢ : ٣١٧) : « هكذا فصدى » وقال : « قيل إن أول من تكلم به كعب بن مامة . وذلك أنه كان أسيراً فى عنزة فأمرته أم منزله أن يفصد لها ناقة ، فنحرها ، فلامته على نحره إياها فقال : هكذا فصدى ! يريد أنه لايصنع إلا ما تصنع الكرام » . عنزة : قبيلة . وأم المنزل : ربته .

وقال الآخر :

فقلتُ ياعمرُو أطعِمَنِّ تَمْرًا(١) فكان تَمْرى كَهْرَةً وزَبْرَا(٢)

وذمَّ بعضهم(٣) الفأرَ وذكرَ سوءَ أثرِها فى بيته ، فقال :

ياعَجَّلَ الرَّحمنُ بالعقابِ لِعامرات البيتِ بالخرابِ

يقول : هذا هو عمارتها . كما يقول الرَّجُل ، « مانَرَى من خيْرك ورفْدِك إلاَّ مايبلغُنا مِنْ حَطبك(٤) علينا ، وفتِّلكَ فى أعضادِنا(٥) ! »

وقال النَّابغة فى شبيهٍ بهذا ، وليس به :

ولا عيبَ فيهم غير أنَّ سيوفهم بِهِنَّ فلولٌ من قِراعِ الكتائب

ووجهٌ آخر : أنَّ الأعرابَ تزعُمُ — وكذلك قال ناسٌ من الحوَّائين والرَّقائين — إنَّ للحيَّة حزوزا(٦) فى بطنه ، فإذا مشى قامت حُزُوزه(٧) ،

(١) روى فى البيان (١ : ١٥٣) : « فقلت أطعمنى عمير » ، والحيوان (٥ : ٣٣) : « قالت ألا فاطعم عميرا » . وروى فى المخصص (٢ : ١٣٤) : « فقلت أطعمنى عميم تمراً » ، وهى رواية الأضداد ١٥٢ ، وفيها : « قال أبو بكر : عميم : تصغير عم » . أى ياعمى .

(٢) الكهرة : الانتهار . والزبر : الزجر والمنع .

(٣) هو أعرابى دخل البصرة فاشترى خبزاً فأكله الفأر . انظر الحيوان (٥ : ٢٥٨) وديوان المعانى (٢ : ١٥١) حيث تجد أيضاً بقية هذه الأرجوزة .

(٤) فى القاموس : « حطب فى حبلهم يحطب : نصرهم » . وفى اللسان : « وحطب فلان بفلان : سعى به » . والمراد هنا : من حطبك علينا بالشر ، وتأليب الناس علينا . وفى الأصل وكذا فى بعض نسخ البيان (١ : ١٥٣) : « خطبك » بالخاء . ولا تتجه إلا بتكلف . وما يبلغنا : أى مايصل إلينا .

(٥) فت فى عضده : رام إضراره بتخونه أهل بيته . وعضد الرجل : أهل بيته . ط : « وفتلك » صوابه فى س ، ه والبيان . وفى ط ، ه : « أعضاءنا » صوابه فى س والبيان .

(٦) ط ، س : « خزوزا » صوابه فى ه .

(٧) ط ، س : « خروزه » صوابه فى ه .

وإذا تَرَكَ المشْىَ تراجعتْ إلى مكانها ، وعادتْ تلك المواضعُ مُلْساً . ولم تُوجَدْ بِعيْنٍ ولا لَمْسٍ ، ولا يبلغها إلّا كلُّ حَوَّاءٍ دقيقِ الحِسِّ .

وليس ذلك بأعجبَ من شِقْشِقَةِ الجملِ العربىِّ ؛ فإنَّه يظهرُها كالدَّلْو ، فإذا هو أعادها إلى لَهاتِه تراجع ذلك الجلدُ إلى موضعه ؛ فلا يقدرُ أحدٌ ٩٢ عليه بلمْسٍ ولا عَين . وكذلك عروق الكُلَى[1] إلى المثانة التى يجْرى فيها الحَصَى المتولِّد فى الكُلية إذا قذَفتْهُ[2] تلك العروقُ[3] إلى المثانة ، فإذا بال الإنسانُ انضمَّتِ العروقُ واتَّصلت بأماكنها ، والتحمتْ حتى كان موضعُها كسائر ما جاوز تلك الأماكن .

ووجهٌ آخر : وهو أنَّ هذا الكلام عربىٌّ فصيح ؛ إذ كانَ الذى جاء به عربيًّا فصيحاً ، ولو لم يكنْ قرآناً من عند الله تبارك وتعالى ، ثمَّ كان كلامَ الذى جاء به ، وكان ممّن يجهل اللَّحنَ ولا يعرفُ مواضعَ الأسماء فى لغته ، لكان هذا — خاصَّةً — ممَّا لا يجهلُه .

فلو أنَّنا لم نجعل لمحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ، فضيلةً فى نُبُوَّةٍ ، ولا مزيَّةً فى البيان والفصاحة ، لكنَّا لا نجد بُدًّا من أن نعلم أنَّهُ كواحدٍ من الفصحاء .
فهل يجوزُ عندكم أن يخطِئَ أحدٌ منهم فى مثلِ هذا فى حديثٍ ، أو وصفٍ ، أو خُطبةٍ أو رسالة ، فيزعُمَ[4] أن كذا وكذا يمشى أو يسعى أو يطير ، وذلك الذى قال[5] ليس من لُغته ولا من لغة أهله ؟ ! فمعلومٌ عندَ هذا الجواب ، وعند ماقبله ، أنَّ تأويلَكُمْ هذا خطأ .

---

(١) ط : « الكلا » . س ، هـ : « الكلا » ، صوابه ما أثبت . وهو جمع كلية ، بالضم .

(٢) ط ، هـ : « تجرى » . والحصى ، كتبت فى ط ، س بالألف . وفى هـ : « الحصا » صوابهما ماأثبت . وفى الأصل : « قذفتها » بدل : « قذفته » .

(٣) فى الأصل : « فى تلك العروق » . والوجه حذف « فى » كما أثبت .

(٤) فى الأصل : « فزعم » .

(٥) أى الذى قاله من الكلام المتقدم .

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴾ وأصحابُ الجنّة لايوصفون بالشُّغل ، وإنما ذلك جوابٌ لقول القائل : خبِّرنى عن أهل الجنَّة ، بأىِّ شىءٍ يتشاغلون ؟ أم لهم فراغٌ أبداً ؟ فيقول المجيب : لا ، ماشُغْلهم إلَّا فى افتضاضِ الأبكار ، وأكْلِ فواكه الجنَّة ، وزيارةِ الإخوانِ على نجائب الياقوت !

وهذا على مثالِ جَوابِ عامر بنِ عبد قيس ، حين قيل له وقد أقبل مِنْ جهة الحلبة[1] ، وهو بالشام : مَنْ سَبَقَ ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ! قيل : فَمَنْ صَلَّى ؟ قال : أبو بكر ! قال : إنَّما أسألك عن الخَيل ! قال : وأنا أجيبك عن الخير !

وهو كقول المفسِّر حين سُئل عن قوله : ﴿ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ فقال : ليس فيها بُكرةٌ وعشىٌّ . وقد صدَقَ القرآنُ ، وصَدَق المفسِّر ، ولم يتَنا كرا ، ولم يتنافيا ؛ لأنَّ القرآنَ ذهبَ إلى المقادير ، والمفسِّرَ ذهبَ إلى الموجودِ ، مِن دوَران ذلك مع غروب الشَّمس وطلوعها .

وعلى ذلك المعنى رُوِى عن عمر أنَّهُ قال : « مُتْعتان كانتا على عهدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنا أنْهَى عنهما وأضربُ عليهما[2] » .

---

(١) الحلبة ، بالفتح : الدفعة من الخيل فى الرهان . وقد روى الجاحظ هذا الحديث فى البيان (٣ : ١٦٠) برواية أخرى مع نسبته إلى عامر . كما رواه فى البيان (٢ : ٢٨٢) منسوبا إلى بلال برواية أخرى .

(٢) المتعتان : هما متعة النساء ومتعة الحج ، كما جاء هذا الخبر مفصلا فى كتاب العباسية من رسائل الجاحظ ٣٠٢ الرحمانية .

أما متعة النساء ، فهى مايسميه رجال الفقه : نكاح المتعة ، وهو الزواج بأجل مسمى فى العقد ، كيوم ، أو شهر ، أو سنة ، أو سنوات . وكان ذلك مباحا فى أول الإسلام ، وفيه نزل قوله تعالى : « فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة » ، ثم نسخ ذلك بنهى الرسول .

=

قد كان المسلمون يتكلمون فى الصَّلاة ويطَبِّقُون[1] إذا ركعوا ، فنَهَى عن ذلك إمامٌ من الأئمّــةِ ، وضَرَبَ عليه ، بعد أن أظهَرَ النَّسخ ، وعرَّفهم أن ذلك من المنسوخ ، فكأنَّ قائلاً قال : أتنهانا عن شىءٍ ، وقد كان على عهد النبىِّ صلى الله عليه وسلم ؟ فيقول : نعم . وقد قدَّم الاحتجاجَ ٩٣
فى النَّاسخ والمنسوخ[2] .

ومن العجَب أنَّ ناساً جعلوا هذا القولَ على المِنبرِ من عيوبه . فإن لم يكن المعنى فيه على ما وصفنا ، فما فى الأرضِ أجهلُ من عُمَرَ حِين يُظهِرُ الكُفْرَ فى الإسلام على مِنبر الجماعةِ ، وهو إنّما علاه بالإسلام . ثمَّ فى شىءٍ ليس له حُجَّةٌ فيه ولا عِلة . وأعجَبُ منه تلك الأمّة ، وتلك الجماعة [التى[3]] لم تنْكِرْ تلك الكلمةَ فى حياته ، ولا بَعْدَ موته ؛ ثمّ تَرَكَ ذلك جميعُ التَّابعين وأتباعِ التَّابِعينَ، حتَّى أفضَى الأمرُ إلى أهْلِ دهرنَا هذا .

وتلك الجماعة هم الذين قتلوا عُثْمان على أن سيَّرَ رجلاً[4] .

= وأما متعة الحج فهو ما يعرف بالتمتع ، وعنى عمر تحريمها على سكان مكة ؛ إذ قال فى حديث آخر : « ليس لأهل مكة تمتع ولا قران » . وأراد الجاحظ أن قول عمر : « كانتا على عهد رسول الله » ليس على ظاهره ، بل المراد أنهما كانتا على عهد رسول الله وحرمتا أيضاً فى عهد رسول الله . وكذلك قوله « أنا أنهى عنهما » ، فالمراد « أنا أنهى عنهما كما نهى الرسول » .

(١) فى الأصــل : « يضبعون » ، وهو تحريف صوابه ما فى البيان (٢ : ٢٨٢) . والتطبيق : أن يجمع بين أصابع يديه ويجعلهما بين ركبتيه فى الركوع والتشهد . وقد كان ذلك من فعل المسلمين فى أول ما أمروا بالصلاة ، ثم أمروا بإلقام الكفين رأس الركبتين . وانظر لسان العرب (طبق) .

(٢) انظر لتوضيح هذه الفقرة ما جاء فى البيان (٢ : ٢٨٢) .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) هذا الرجل الصحابى الجليل ، أبو ذر الغفارى . وكانت له ثورة مشهورة على الأغنياء ، غضب عليه من أجلها عثمان ، وسيره إلى الربذة ، وهى من قرى =

وهذا لا يقوله إلاّ جاهلٌ أو معاند .

وعلى تأويل قوله : ﴿ هٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ قال : ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا ، قَالُوا بَلَى وَلٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ، فجعل للنّار خزائن ، وجعل لها خزنة ، كما جعل فى الجنّةِ خزائن وجعل لها خزَنة .

ولو أنَّ جهنّمَ فُتِحَتْ أبوابُهَا ، ونُحِّى[1] عنها الخزَنة ، ثمّ قيل لكلِّ لصٍّ فى الأرض ، ولكلِّ خائن فى الأرض : دونَكَ ؛ فقد أُبيحَتْ لك ! لَمَا دنا منها ، وقد جُعِل لهـا خزائنُ وخزَنة . وإنّمَا هذا على مثالِ ما ذكرنَا . وهذا كثيرٌ فى كلامِ العرَب .

والآىُ التى ذكرنا فى صِدْقِ هذا الجواب ، كلها حُجَجٌ على الخوارج فى إنكارهم المنْزِلة بين المنزلتين[2] .

= المدينة على ثلاثة أميال ، قريبة من ذات عرق ، فأقام بها إلى أن مات سنة ٣٢ . واسم أبى ذر جندب بن جنادة . وانظر تفصيل الخلاف بينه وبين عثمان فى مروج الذهب (ذكر خلافة عثمان) ، حيث تجد أسبابا أخر لمصرعه ، رضى الله عنهما .

(١) ط ، س : « نحيى » ، صوابه فى هـ . ونحى : أبعد .

(٢) القول بالمنزلة بين المنزلتين ، أصل من أصول المعتزلة . إذ يقولون إن الفاسق ليس بمؤمن ولا بكافر ، بل هو فى منزلة بين الإيمان والكفر . ويقولون : ليس فى الآخرة إلا الفريقان : فريق فى الجنة وفريق فى السعير ، فمرتكب الكبيرة إذا لم يتب فهو خالد فى النار ، لكنه يخفف عنه العذاب ، وتكون دركته فوق دركة الكفار . ومن أجل ذلك سماهم المسلمون المعتزلة ؛ لاعتزالهم قول الأمة بأسرها . وجمهور الخوارج على أن الفاسق كافر ، لا كما يقول المعتزلة بأنه فى منزلة بين المنزلتين .

(شعر لخلف الأحمر فى الحيات)

وقال خَلفٌ الأحمرُ فى ذِكْر الحيّات :

يَرَوْنَ المَوْتَ دونى إِن رأَوْنى   وصِلٌ صَفاً لِنَابَيْهِ ذُبَابُ[1]
مِنَ المُتَحَرِّماتِ[2] بكَهفِ طَودٍ   حَرَامٍ ما يُرَامُ له جَنَابُ[3]
أبى الحاوُونَ أن يطئوا حِمَاهُ   ولا تَسْرِى بعَقوته الذِّئابُ[4]
كأَنَّ دَمًا أُمِيرَ على قَرَاهُ   وَقَطْرَاناً أُمِيرَ به كُبَابُ[5]
إذا ما استجرس[6] الأصواتَ أبدى   لساناً دونه الموتُ الضبابُ[7]

(١) ذباب الناب : طرفه الحاد .

(٢) المتحرمات ، من قولهم : تحرم فلان بفلان : إذا دخل فى ذمته وحمايته . يقول : هو من تلك الحيات التى تحرمت بذلك الكهف المنيع ، فلا يستطيع أن يحاولها أحد . فى الأصل : « المتجربات » . ولا وجه له .

(٣) طود حرام : جبل لايستطاع القرب منه ، كأنه محرم . وفى الأصل : « عرام » . يرام : يطلب .

(٤) ط : « الحاوون » ، صوابه فى س ، هـ . والعقوة ، بالفتح : الساحة ، وما حول الدار .

(٥) أمار الدم : أجراه وأساله . وفى الأصل « أمر » فى الموضعين ، بمعنى جعل يمر ، وما كتبتُ أشبه . وجاء فى الحديث : « أمر الدم بما شئت » . والمائرات : الدماء . قال رشيد بن رميض :

حلفت بمائرات حول عوض   وأنصاب تُركن لدى السعير

والقرا ، بالفتح : الظهر . والكباب ، بالضم : التراب .

(٦) استجرس ، بمعنى طلب الجرس ، وهو بالفتح بمعنى الصوت . وفى الأصل : « استجرش » ولم أجد له وجها ، ومما يعزز هذا التصحيح ما جاء فى ص ١٠٢ من قول عنترة :

رقود ضحيات كأن لسانه   إذا سمع الإجراس مكحال أرمدا

(٧) كذا ولعله : « الصهاب » بالصاد المضمومة . وفى اللسان : « والموت الصهابى : الشديد ، كالموت الأحمر ، قال الجعدى :

فجئنا إلى الموت الصهابى بعدما   تجرد عريان من الشر أحدب » .

إذا ما الليلُ ألبسَــهُ دُجَاهُ سَرَى أصمى تَصِيحُ له الشِّعاب[1]

فقلت لحيَّــان[2] بن عتبى[3] : [لِمَ[4]] قال موسى بنُ جابر الحنفى[5] :

طَـرَدَ الأرْوَى فمــا تقرَبُهُ وَنَفَى الحيَّاتِ عَنْ بَيْض الحجل[6]

قال : لأنَّ الذِّئاب تأكلُ الحيَّات . [قلت[7]] : فلم قال خلفٌ الأحمر :

* ولا تسرى بعَقوته الذئاب * ؟

قال : لأنَّ الذِّئاب تأكل الحيّات . فَظننت أنَّه حَدَسَ[8] ولم يقل بعلم .

---

(١) الأصمى : الشديد الوثاب . ط : « أسمى » صوابه فى س ﻫ . و « تصيح » هى فى س : « تضج » . ولو كانت « تصيخ » لزادت حسنا .

(٢) ط : « لحيات » صوابه فى س ، ﻫ .

(٣) كذا جاء هذا الاسم . ولم أعثر له على تحقيق . وجاء فى عيون الأخبار (٢ : ٤٣) من اسمه : (حيان بن غضبان) وهو الذى ورث نصف دار أبيه ، فقال : أريد أن أبيع حصتى من الدار وأشترى النصف الباقى فتصير كلها لى ! فلعله هذا .

(٤) زيادة يقتضيها السياق . وليست بالأصل .

(٥) هو أحد شعراء بنى حنيفة ، يقال له ابن الفريعة ، وهى أمه ، كما أن حسان ابن ثابت يقال له ابن الفريعة . المؤتلف ١٦٥ . وقال المرزبانى فى معجمه ٣٧٦ إنه نصرانى جاهلى ، يلقب أزيرق اليمامة . والحق أنه إسلامى ، وأنه قال شعراً فى الإسلام . انظر الأغانى (١٠ : ١٠٧) ، كما أن شعره فى الحماسة (١ : ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠) يشعر بما تقدم . وفى شرح الحماسة التبريزى (١ : ١٨٩) : « قال أبو العلاء : موسى منقول من العبرية . ولم أعلم أن فى العرب من سمى موسى زمان الجاهلية . وإنما حدث هذا فى الإسلام ، لما نزل القرآن وسمى المسلمون أبناءهم بأسماء الأنبياء ، على سبيل التبرك » .

(٦) ط : « ونفا » ، صوابه فى س ، ﻫ .

(٧) ليست بالأصل ، والكلام فى حاجة إليها .

(٨) الحدس : الحزر والتخمين .

(منافضة شعرية للزيادى ويحي بن أبى حفصة)

وقال الزِّيادىُّ فى يحيى بن أبى حفصة[1] :

٩٤ إنى ويحيى وما يبغى كملتمسٍ صَيْداً وما نال منه الرِّىَّ والشِّبَعَا
أَهْوَى إلى باب جُحْرٍ فى مقدَّمهِ مِثْلُ العَسِيبِ تَرَى فى رأسه قَزَعَا[2]
اللَّوْنُ أَرْبَدُ والأنيابُ شابِكَةٌ عُصْلٌ تَرَى السُّمَّ يجرى بينها قِطَعَا[3]
يَهْوِى إلى الصَّوتِ والظلماءُ عاكفةٌ تَقوُّرَ السَّيْلِ لاقى الحَيْدَ فاطَّلَعَا[4]
لو نَالَ كفَّكَ آبَتْ منه مخضبة بَيْضاءَ قد جالت أنيابها قزعا[5]
بِيعَتْ بوَكْسٍ قليلٍ فاستقلَّ بها من الهُزَالِ أبوها بعد ما ركعا

فردَّ عليه يحيى فقال :

كم حيّةٍ ترهَبُ الحيّاتُ صَوْلتَهُ يَحْمَى لِرَيْدَيْهِ[6] قد غادرتُه قِطَعا

---

(١) هو جد مروان بن أبى حفصة الشاعر المشهور ، وقال أبو الفرج فيه (٩ : ٣٧) : « وليحيى أشعار كثيرة » .

(٢) العسيب : أصل الذنب ، أو الجريدة المستقيمة الدقيقة من النخل يكشط خوصها . والقزع ، بالتحريك : خفة شعر الرأس .

(٣) شابكة : مشتبكة . ط ، س : « شائلة » ه : « سايلة » . وصوابه ما أثبت . وانظر ما سيأتى فى (٥ : ٣٢٤) . والعصل : الملتويات . وفى الأصل : « عصلا » صوابه مما سبق ص ١٨٣ .

(٤) الحيد ، بالفتح : ما شخص من الجبل ومن كل شىء . والتقور : التثنى . وفى الأصل : « تعود » . وانظر ما سبق فى ١٨٣ . يقول : هذا الحية يتلوى فى مشيه كما يتلوى ماء السيل إذا لاقى حيدا فأشرف منه على أرض منخفضة ، فهو أسرع لجريه وتلويه .

(٥) كذا ورد هذا البيت . وفى ط : « قذعا » بالذال المعجمة .

(٦) أى تدركه الحمية والأنفة إذا اعتدى على ريديه . والريد ، بالفتح : الحرف الناتئ من الجبل . س : « للهيديه » .

يلقَيْنَ حيَّةَ قفٍّ ذا مُساوَرَةٍ يُسْقَى به القِرْنُ من كأس الرَّدى جُرَعا[1]
تكاد تسقُطُ منهنَّ الجلودُ ، لِمَا يَعلَمْنَ منه إذا عايَنَّهُ ، قَزَعا[2]
أصمُّ ما شمَّ من خَضْرَاءَ أيبسها أو مسَّ من حجرٍ أوْهاه فانْصَدَعا[3]

(شعر فى الحيات)

وقال آخر :

وكم طَوَتَ من حَنَشٍ راصدٍ للسَّفْرِ فى أعلى الثَّنِيَّاتِ[4]
أصمَّ أعمَى لا يُجيبُ الرُّقى يفترُّ عن عُصْلٍ حديداتِ[5]
منهرتِ الشدقِ رَقُودِ الضحى سارٍ طَمُور فى الدُّجُنَّاتِ[6]
ذى هامَةٍ رَقْطَاءَ مَفْطوحة من الدَّواهى الجبليَّاتِ[7]
صِلٍّ صَفاً ، تنطِفُ أنيابُهُ سِمامَ ذَيْفانٍ مجيرات[8]

---

(١) القف : بالضم : مرتفع حجرى . و « يسقى » هى فى الأصل : « تسقى » . والوجه ما أثبت .

(٢) قزعا : أى قطعاً متفرقة . وأصل القزع : القطع من السحاب . ط ، س : « قذعا » بالذال المعجمة ، صوابه فى هـ .

(٣) سبق الكلام على هذا البيت فى (٢ : ١٣٧) وفى هذا الجزء ص ١٨٣ .

(٤) الثنية : الطريق العالى فى الجبل .

(٥) الأنياب العصل : الملتوية . هـ : « عضل » ، صوابه فى س ، ط .

(٦) منهرت الشدق : واسعه . والطمور ، كصبور : الوثاب . ط : « طمورا » صوابه فى س ، هـ .

(٧) مفطوحة ، بالفاء : عريضة . ط : « منطوحة » بالنون ، تصحيحه من س ، هـ .

(٨) تنطف أنيابه ، بكسر الطاء وضمها : تقطر . والسمام ، بالكسر : جمع سم . والذيفان بالفتح والكسر : السم القاتل . و « مجيرات » كذا جاءت بالجيم ، ولعلها « مبيرات » بمعنى مهلكات . وقد سبق البيت فى ٢٣٤ .

مُطِلنَ فى اللَّحيَين مَطْلاً إلى   رأسٍ وأشــداقٍ رَحيبات(١)
قَدِّمْنَ عن ضِرسَين واستأخَرَا   إلى سِمَـاخين ولَهْوات(٢)
يُسْبِتُهُ الصُّبْحُ وطوراً له   نَفخٌ ونفثٌ فى المغارات(٣)
وتارةً تحسبُــه ميِّــتاً   من طول إطــراق وإخبات(٤)

وقال آخر ، وهو جاهلىٌّ :

لاهُمَّ إنْ كان أبو عمرٍو ظلَمْ   وخاننى فى عِلمه وقد عَلِمْ
فابعث له فى بعض أعراض اللَّمَمْ   لميمةً مِنْ حَنَشٍ أعمَى أصمّْ(٥)
أسْمَرَ زَحَّافاً من الرُّقْط العُرُمْ(٦)   قد عاش حتى هو لا يَمشِى بدَمْ
فكلَّمَا أقصد منه الجوعُ شمّْ(٧)   حتى إذا أمسى أبو عمرٍو ولم
يمسّ منه مَضَضٌ ولا سَقَمْ   قامَ ووَدَّ بعــدَها أنْ لم يَقمْ

(١) سبق هذا البيت فى ص ٥٣ .
(٢) ط : « واستأخرت » ، صوابه فى س ، هـ . والضمير عائد إلى الضرسين . والسماخ بكسر السين : لغة فى الصماخ بكسر الصاد ، وهو ثقب الأذن . واللهوات جمع اللهاة ، وهى اللحمة المشرفة على الحلق . وقد سكنت الهاء للشعر ، كما أنه جمعها والمراد بها الواحد ؛ إذ أن له لهاة واحدة .
(٣) س : « المفارات » ، صوابه فى ط ، هـ . يسبته الصبح : ينيمه .
(٤) الإطراق : السكوت والنظر إلى الأرض مع إرخاء العينين . وفى الأصل : « إشراق » بالشين . ولا وجه له . قال :

مطرق ينفث سما كما أطرق أفعى ينفث السم صل

والإخبات : من أخبت بمعنى خشع . وأصله من الخبت ، وهو المطمئن من الأرض .
(٥) سبق فى ص ١١٩ .
(٦) العرم : جمع أعرم ، وهو ما كان منقطا بسواد وبياض ، ومثله الأرقط . وقد ضمت الراء فى (العرم) لضرورة الوزن . وفى الأصل : « القدم » ، ووجهه ما أثبت .
(٧) فى الأصل : « فكل ما » ، تحريف . أقصده الجوع : أصابه . وفى الأصل : « أفضل » ووجهه ما أثبت ، كما سبق فى ١١٩ . وشم ، أى تنسم الهواء ليغتذى به . وانظر ما سبق فى ص ١١٩ .

ولم يَقُمْ لإبْلٍ ولا غنَمْ ولا لخوفٍ راعَهُ ولا لِهَمّْ
حتّى دَنَا من رأسِ نضناضٍ أصمّ[1] فخاضه بين الشِّراكِ والقَدَمْ[2]
بمِـذْرَبٍ أخرَجَهُ من جَوْفِ كُمّْ[3] كأنّ وخْزَ نَابِهِ إذا انتظَمْ
* وَخْزَةُ إشفَى فى عطوف من أدَمْ[4] *

ومخالب الأسد وأشباهِ الأسد من السِّباع ، تكون فى غُلُفٍ[5] ، إذا وطئت على بُطون أكُفها ترفّعت المخالبُ ، ودخلَتْ فى أكمام لها . وهو قولُ أبى زُبَيْدٍ :

بُحُجْنٍ كالمحاجِنِ فى فتوخ يَقِيهاَ قِضَّةَ الأرْض الدَّخيسُ[6]

وكذلك أنياب الأفاعى ، هى مالم تعضّ مَصُونَةٌ فى أكمام . ألا تراه يقول :

فَخَاضَهُ بَيْنَ الشِّرَاكِ والقَدَمْ بِمِذْرَبٍ أخرَجَهُ من جَوْفِ كَمّْ[7]

(١) النضناض : الحية ينضنض لسانه ، أى يحركه . ط : « من أس » ، صوابه فى س ، ه .
(٢) هو من خاضه بالسيف خوضاً : وضعه فى أسفل بطنه ، ثم رفعه إلى فوق .
(٣) عنى بالمذرب ناب الحية . ه . « لمذوب » ، صوابه فى س ، ه . والكم ، بالضم : غشاء مخالب السبع . اللسان (١٥ : ٤٣٠) .
(٤) الإشفى : المخرز ، يذكر ويؤنث . والعطوف ، بالفتح : المعطوف . وذا أظهر لأثر الخرز . والأدم ، بالتحريك : الجلد ، أو أحمره ، أو مدبوغه .
(٥) غلف : جمع غلاف . ط : « غلق » ، صوابه من س ، ه .
(٦) الحجن : عنى بها مخالب الأسد . وقد اشتهر أبو زبيد بنعته . والمحاجن : جمع محجن ، وهو العصا المعوجة . والفتوخ بضم الفاء ، وبالخاء المعجمة فى آخره : هى من الأسد مفاصل مخالبه ، كما فى القاموس . وفى الأصل : « فتوح » بالحاء المهملة مصحف . والقضة ، بكسر القاف وتفتح ، بعدها ضاد معجمة مشددة : الحصى الصغار . وفى الأصل : « قصة » بالصاد ، محرف . والدخيس : لحم باطن الكف .
(٧) سبق شرح البيت فى التنبيه الثالث من هذه الصفحة . ط : « مخاضه » صوابه فى س ، ه . ه : « بملوب » ، محرف .

(رجز وشعر فى لعاب الحية)

وقال آخر :

أنعتُ نضناضاً كَثِيرَ الصَّقْرِ[١] مولده كمولدِ ابن الدَّهْرِ[٢]
كانَا جميعاً وُلِدَا فى شَهْرِ يظلُّ فى مَرْأًى بَعَيدِ القَعْرِ
* بَيْنَ حَوَافِى سَدِرٍ وصَخْرِ[٣] *

وقال :

وكيفَ وقد أسهَرْتُ عَيْنَكَ تبتغى عِنَادًا لِنَابَىْ حيَّةٍ قد تَربَّدَا[٤]
من الصُّمِّ يكفى مرَّةٌ من لُعَابِهِ وما عَاد إلاَّ كانَ فى العَوْدِ أحْمَـدَا[٥]

(شعر خلف فى الأفعى)

وقال خلفُ الأحمر — وهى مخلوطةٌ فيها شيءٌ ، وله شيء ، من الغبرة[٦]

---

(١) الصقر ، أراد به سمه ولعابه . وفى الأصل : « كبير الظفر » ، وليس للحية ظفر . وصواب الرواية ما أثبت من المخصص (١٣ : ٢٠٨) .

(٢) ابن الدهر ، فسره ابن سيده بأنه الموت . المخصص (١٣ : ٢٠٨) . وقد فسره الثعالبى فى ثمار القلوب ٢١٤ بأنه النهار ، واستشهد ببيت ابن الرومى :
وما الدهر إلا كابنه ، فيه بكرة وهاجرة مسمومة الجو قاتله
فى الأصل : « ومولد ابن الطهر » ، وتصحيحه من المخصص . وقد عنى الراجز أن ذلك الحية متقادم الميلاد ، وذاك مما يزيد فى شدة سمه .

(٣) الحوافى : جمع حافة ، بفتح الفاء المخففة ، وهو من نادر الجمع . والحافة : الجانب . والسدر ، ككتف : البحر . وحيات الماء معروفة بالجرأة والنكر . وفى الأصل : « صدر » ، ولعل الوجه فيه ما أثبت .

(٤) تربد : صار أربد . والربدة : لون إلى الغبرة . وضمير « تربد » عائد إلى الحية ، والحية تذكر وتؤنث .

(٥) ط ، س : « مرة » . هـ : « مرءة » ، صوابهما ما أثبت . والشطر الثانى فيه تهكم .

(٦) كذا جاءت هاتان الكلمتان . وحقهما أن تكونا فى صدر الفقرة مسبوقتين بنحو كلمة : « تربد » ، فتكونا شرحا لها ، كما أسلفت فى التنبيه الرابع من هذه الصفحة .

وما علمتُ أنّ أحَداً وصف عَيْنَ الأفعى على معرفةٍ واختبار غيره — وهو قولُه :

أفعَى رَخُوف العين مِطْراق البُكَرْ[1]

داهية قد صغرت من الكِبَرْ

صِلّ صَفاً ماينطوى من القِصَر[2] طويلة الإطراقِ[3] من غير حسرْ

كأنّما قَدْ ذهبَتْ بِهِ الفِكَرْ شُقَّتْ له العَيْنانِ طُولاً فى شَتَرْ

مهروتة الشدقَينِ حولاء النظرْ جاءَ بها الطُّوفان أيامَ زَخَرْ[4]

كأنّ صوتَ جلدِها إذا استدرْ[5] نشِيشُ جمر عندَ طاهٍ مقتَدِرْ

(أحاديث فى الوزغ)

٩٦ هشام بن عروة قال : أخبرنى أبى أنّ عائشة أمّ المؤمنين رضى الله عنها كانَتْ تَقْتُلُ الأوْزَاغ .

يحيى بن أبى أُنَيسةَ[6] ، عن الزُّهرى ، عن عروة[7] ، عن عائشة

(١) الرخوف : من رخف بمعنى استرخى . ط ، هـ ، « زحوف » صوابه فى س . ومطراق البكر : أى يطرق إطراقا فى الغدوات . وذلك من صفة الأفعى . أما انتباهها فيكون على أشده فى الليل .

(٢) صلال الصفا من أخبث الحيات . وقد بالغ الراجز فى جعله الصل لا ينطوى من شدة قصره . فى الأصل : « صل صفاء ينطوى » ، وصوابه مما سبق فى ص ١١٩ .

(٣) فى الأصل : « الأطراف » بالفاء ، والوجه فيه ما أثبت . والإطراق : السكون مع النظر فى الأرض .

(٤) زخر : ارتفع . وقد عنى أن تلك الأفعى معمرة ، أدركت أيام نوح عليه السلام !

(٥) استدر : كثرت حركته .

(٦) يحيى بن أبى أنيسة ، بهيئة التصغير ، الجزرى ، ضعيف من السادسة ، مات سنة ست وأربعين ومائة .

(٧) هو عروة بن الزبير بن العوام ، أحد فقهاء المدينة السبعة . أمه أسماء بنت أبى بكر =

قالت : « سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للوزغ : فويسِق » .
قالت : « ولم أسمَعْ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمَرَ بقتله » .

قال[1] قالت عائشة رضى الله عنها : « سمعت سعداً يقول : أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله » .

عبد الرحمن بن زياد قال : أخبرنى[2] هشامٌ عن عروة عن عائشة « أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للوَزَغ : الفُويسق » .

أبو بكر الهذلىُّ ، عن مُعاذ عن عائشة قالت : « دخلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم علىَّ وفى يدى عُكَّازٌ فيه زُجٌّ ، فقال : ياعائشة ، ماتَصنعِين بهذا ؟ قلت : أقتُلُ به الوَزَغ فى بيتى . قال : إن تفعلى فإنَّ الدَّوَابَّ كلُّها حين أُلقى إبراهيمُ صلى الله عليه وسلم فى النَّار ، كانت تُطفئ عنه ، وإنَّ هذا كانَ ينفخُ عليه ، فَصَمَّ وبَرِص » .

وهذه الأحاديثُ كلها يحتجُّ بها أصحابُ الجهالات ، وَمَنْ زَعَمَ أنَّ الأشياءَ كلها كانتْ ناطقةً ، وأنها أممٌ مجراها مجرى الناس .

(تأوُّل آيات من الكتاب)

وتأوَّلوا قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْض وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ ﴾ ، وقالوا :

= وسمع من عائشة خالته ، وروى عنه الزهرى . ولد سنة ٢٢ أو ٢٦ الهجرية . وتوفى سنة ٩٣ أو ٩٤ . وكان عبد الملك يقول فيه : « من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة . فلينظر إلى عروة بن الزبير ! » .

(١) ليست فى س ، هـ .

(٢) ط : « وأخبرنى » .

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ وقال[1] تعالى : ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ[2] ﴾ وقال : ﴿ وَإنَّ مِنَ الحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإنّ مِنهَا لَمَا يشَّقّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ﴾ .

فذهبت الجهْمية وَمَنْ أنْكَرَ إيجاد الطّبائع مذهباً ، وذهب ابنُ حائِطٍ[3] ومن لَفَّ لَفَّهُ من أصحابِ الجهالاتِ مذهباً ، وذهب ناسٌ من غير المتكلمين ، واتّبعوا ظاهِرَ الحديثِ وظاهِرَ الأشعَار ، وزعموا[4] أنّ الحجارة كانت تعْقِلُ وتَنْطِقُ ، وإنمَا سُلبت المنْطِقَ فقط . فأمَّا الطّير والسِّباع فعلى ما كانَتْ عليه .

قَال : والوَطواط ، والصُّرد ، والضفدعُ ، مطيعاتٌ ومُثابات[5] . والعقرب ، والحيَّةُ ، والحِدَأة ، والغراب ، والوَزَغ ، والكلب ، وأشباهُ ذلك ، عاصياتٌ معاقَبات .

---

(١) فى الأصل : « وقوله » .

(٢) لا خلاف بينهم فى نصبه . وما روى عن البصرى وعاصم وروح من رفعه وإن كانت له أوجه صحيحة فى العربية ، لا يقرأ به ؛ لضعفه فى الرواية . السفاقسى .

(٣) هو أحمد بن حائط ، صاحب مذهب الحائطية ، وكان من أصحاب النظام وأخذ عنه وأتى فى مذهبه بمنكرات عجيبة . ومما قاله : إن كل نوع من أنواع الحيوان أمة على حيالها ؛ لقوله تعالى : « ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم » ، وقال : إن فى كل أمة منها رسولا من نوعها ؛ لقوله تعالى : « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » . انظر الملل والنحل (١ : ٨٠ — ٨١) والفرق ٢٥٥ — ٢٥٩ حيث تجد قولا فكها ضارباً فى الخيال . وفى الأصل : « ابن حافظ » ، وصوابه ما أثبت .

(٤) هـ : « فزعموا » .

(٥) ط : « مثانات » بالنون ، صوابه فى س ، هـ .

ولم أقف[1] على واحدٍ منهم فأقول له : إنَّ الوزَغةَ الَّتى تقتلها على أنَّها كانت تُضْرِم النَّار على إبراهيم ، أهى هذه أم هى مِن أولادِها فمأخوذةٌ هِىَ بذنب غيرها ؟ أم تزعم أنَّهُ فى المعلوم أنْ تكون تلك الوزَغُ لا تلد ولا تَبيِضُ ولا تُفْرِخُ إلاَّ من يدين بدينها ، ويذهبُ مذهبها ؟ !

وليس هؤلاء مِمَّنْ يَفْهَمُ تأويلَ الأحاديث ، وأىَّ ضرب منها يكون مردوداً ، وأىَّ ضربٍ منها يكون متأوَّلاً ، وأىَّ ضرب منها يقال ٩٧
إنَّ ذلك إنَّما هو حكايةٌ عن بَعْضِ القبائل .

ولذلك أقولُ : لولاَ مكانُ المتكلمين لهلكت العوامُّ ، واختُطِفَتْ واستُرِقتْ ، ولولا المعتزلة لهلك المتكلمون[2] .

(أحاديث فى قتل الوزغ)

شريكٌ عن النَّخَعِىِّ ، عن ليثٍ ، عن نافع ، أنَّ ابنَ عمرَ كان يقتُلُ الوزَغ فى بيته ويقول : هو شيطان !

هشام بنُ حسَّان ، عن خالد الرَّبعىِّ ، قال : لم يكن شىءٌ من خَشاشِ الأرض إلاَّ كان يُطفِئُ النَّار عن إبراهيم ، إلاَّ الوَزَغ ؛ فإنَّهُ كان ينفخ عليه .

حنظلة بن أبي سفيان ، قال : سمعت القاسمَ بنَ محمَّدٍ يقول : إنَّ الأوزاغَ كانت يومَ حُرِق بيت المَقدِس تنفُخُه والوطاوِطَ[3] بأجنِحَتِها .

شريكٌ عن النَّخَعىِّ ، عن جابرٍ ، عن ابن عباسٍ ، قال : الوَزَغ شَرِيكُ الشَّيطان .

---

(١) ط : « أفق » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٢) انظر ماسبق فى ص ٢٠٦ .

(٣) يجمع الوطواط على وطاويط ووطاوط . كما هنا وكما فى القاموس .

أبو داود الواسطىّ قال : أخبرنا أبوهاشم ، قال : مَن قَتَلَ وزغةً حطَّ الله عنه سَبعين خَطيئةً ، ومن قتل سبعاً[1] كان كَعتْقِ رقَبة .

هشامُ بن حسّان ، عن واصل مولى أبى عيينة[2] ، عن عقيل ، عن يحيى بن يعمر ، قال : لَأَنْ أقتُلَ مائةً من الوَزغ أحبُّ إلىَّ من أنْ أعتِقَ مائةَ رقبة .

وهذا الحديثُ ليس من شكل الأوّل ؛ لأنّ يحيى بنَ يعمر لم يزعمْ أنّهُ يقتله لكفره أو لكفر أبيه ، ولكنها دابّةٌ تُطاعمُ الحيّاتِ وتُزاقُّها وتقاربُها ، وربّما قتلَتْ بعَضّها ، وتكرَع فى المرَقِ واللّبنِ ثُمَّ تمجُّه فى الإناء فينالُ النّاسَ بذلك مكروهٌ كبيرٌ ، من حيث لا يعلمون . وقتْلُه فى سبيل قتْل الحيّاتِ والعقارب .

(صنع السم من الأوزاغ)

وأهلُ السِّجْنِ[3] يعملون منها سموماً أنفذَ من سمِّ البِيشِ[4] ، ومن ريق

---

(١) تحتمل الرواية أن تكون سبعاً بإسكان الباء ، أى هذا العدد من الوزغ . وتحتمل أيضا أن تكون سبعاً بضم الباء ، بمعنى المفترس من الحيوان . والصدر الأول رواه الطبرانى فى الأوسط ، عن عائشة . ورمز له السيوطى فى الجامع الصغير ٨٩١٥ بحرف (ح) أى حسن .

(٢) واصل مولى أبى عيينة ، بتحتانية مصغر ، قال ابن حجر : صدوق من السادسة تقريب التهذيب .

(٣) أى القوامون بأمر السجن . ولعلهم كانوا يصنعون هذا السم ليتخلصوا ممن يلون أمرهم من المساجين ، أو لتخف عنهم مؤنة المراقبة ، أو تنفيذا لما يوحى به إليهم أولو الأمر . وفى الأصل : « أهل السحر » والأوفق ما أثبت كما فى عيون الأخبار (٢ : ٩٩) . وسيأتى من الكلام أن « المسجون » هو الذى يطعم هذا السم .

(٤) البيش ، بالكسر : نبت صينى وهندى ، يطول إلى ذراع ، سبط الأوراق . وهو سم قتال ، أسرع فتكا بالإنسان من سم الأفاعى .

الأفاعى ؛ وذلك أنّهم يُدخِلون الوزَغ قارورةً ، ثمَّ يصبُّون فيها من الزَّيْت ما يغمُرها ، ويضعونها فى الشَّمسِ أربعين يوماً ، حتّى تختلط بالزَّيت وتصيرَ شيئاً واحداً . فإنْ مسَحَ السَّجِين منه على رغيفٍ مَسْحةً يسيرةً فأكَلَ منه عشرةُ أنفس ماتوا[1] . ولا أدرى لِمَ توَخَّوْا من مواضع الدَّفْنِ عَتَبَ الأبواب[2] .

(حديث فيه نصائح)

يحيى بن أبى أُنَيسة ، عن أبى الزُّبير ، عن جابر بن عبد الله ، قال : « أمَرَنَا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بأرْبَعٍ ونهانا عن أربع : أمَرَنَا أنْ نُجيفَ أبوابنا ، وأنْ نخمِّر آنيتَنَا ، وأنْ نوكىَ أسقِيَتَنا ، وأنْ نُطفِىء سُرُجَنا[3] فإنَّ الشَّيطانَ إذا وجد باباً مُجَافاً لم يفتحْه ، وإناءً مخمَّراً لم يكشِفْه ، وسقاءً مُوكىً[4] لم يحلّه . وإنَّ الفُوَيسِقَة[5] تأتى المصباح فتُضْرِمُه على أهل البيت . ونهانا عن أربع : نهانا عن اشتمال الصَّمّاء[6] ، وأنْ يمشىَ أحدُنَا فى النَّعْلِ

---

(١) ط : « ماترا » ، صوابه فى س ، هـ .

(٢) أى دفنهم مايقتلون من الأوزاغ تحت عتب الأبواب .

(٣) أجاف الباب : رده عليه . وتخمير الآنية : تغطيتها . ويقال أوكى السقاء يوكيه : أى شده بالوكاء ، بالكسر ، وهو سير ، أو خيط . والسرج : جمع سراج ، وهو المصباح .

(٤) ط ، هـ : « موكا » ، ووجه كتابته بالياء . وفى س : « موكأ » بالهمز . ولعلها لغة .

(٥) المراد بالفويسقة : الفأرة ، تصغير فاسقة .

(٦) اشتمل الصماء : رد الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر ، ثم رده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فيغطيهما جميعا ، فن ذلك ماقيل الصماء . وللفقهاء تفسير آخر ، وهو أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره ، ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبيه ، فيبدو منه ما لا يليق أن يبدو . س « الصماد » محرف .

الواحدةِ أو الخُفَّ الواحد ، وأنْ يَحْتَبِىَ الرَّجُلُ مِنَّا فى الثوبِ الواحِدِ[1] ليس عليه غيره ، وأنْ يستلقىَ أحدُنا على ظهره ويرفَعَ إحدى رجليه على الأخرى[2] » .

٩٨ وهذا الحديثُ ليس هذا موضعَه ، وهو يقع فى باب جملة القول فى النَّار ، وهو يقع [بعد[3]] هذا الذى يلى القول فى النعام .

(ماجاء فى الحيات من الحديث)

شعبة أبو بسطام ، قال: أخبرنى أبو قيس ، قال : جلست إلى علقمة ابن قَيْس[4] ، وربيع بن خثيم[5] فقال ربيع : قولوا وافعَلُوا خيرًا[6] تُجْزَوْا خيراً . وقال علقمة: مَن اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ ألاَّ يَرَى الحَيَّةَ ، إلاَّ قَتَلَهَا ، إلاَّ التى مثل الميل[7] ؛ فإنَّها جانٌّ[8] . وإنَّهُ لا يضرُّه قتل حَيَّةٍ أو كافر .

(١) أى أن يضم رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليهما ، فربما تحرك ، أو زال الثوب فيقع صاحبه فى الحرج . ط : « أن يحتبى الرجل منا فى المثوب الواحد » ، وهو على الصواب فى س ، هـ .

(٢) روى هذا الحديث بروايات مختلفة فى (٥ : ٤١) .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) هو علقمة بن قيس بن عبد الله النخعى الكوفى . ثقة ثبت فقيه عابد . وكان من كبار التابعين . توفى بعد الستين أو بعد السبعين . تقريب التهذيب .

(٥) هو الربيع بن خثيم ، بضم المعجمة الفوقية وفتح المثلثة ، ابن عائذ بن عبد الله الثورى الكوفى . ثقة عابد من كبار التابعين ، قال له ابن مسعود . « لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك » . مات سنة إحدى وقيل ثلاث وستين . عن تقريب التهذيب . وفى الأصل : « خيثم » ، وهو تحريف يتعرض له هذا الاسم كثيراً . وقد نبهت عليه فى تذييل الجزء الأول ص ٤٢٣ .

(٦) ط : « فقلت افعلوا خيرا » ، وتصحيحه وإكماله من س ، هـ .

(٧) الميل ، بالكسر : ذاك الذى يكتحل به . والنص مضطرب فى الأصل . ففى ط ، س : « إلى مثل الميل » وفى هـ : « إلى مثل » بدون ذكر « الميل » . ولعل الصواب فيه ما أثبت . ويؤيده ماورد فى نهاية ابن الأثير من الحديث : « أنه نهى عن قتل الجنان » ، قال : « هى الحيات التى تسكون فى البيوت ، واحدها جان ، وهو الدقيق الخفيف » .

(٨) هـ : « فانه جانى » .

إسماعيل المكى[1] ، عن أبى إسحاق ، عن علقمة قال : قال عبد الله ابن مسعود : من قتل حَيَّةً فقتل كافرًا .

ثم سمعت عبد الرحمن بن زَيد[2] يقول : من قتل حَيَّةً أو عقرباً قَتَلَ كافرًا .

وهذا ممَّا يتعلق به أصحابُ ابن حائِطٍ[3] ، وتأويله فى الحديث الآخَر[4] .

عبد الرحمن بن عبد الله المَسْعُودِيُّ[5] قال : سمعت القاسم بن عبدالرحمن، يقول : قال عبد الله[6] : من قَتَلَ حَيَّةً أو عقرباً فكأنَّمَا قَتَلَ كافرًا . فعلى هذا المعنى يكونُ تأليف الحديث .

سعيد بن أبى عَرُوبة[7] ، عن قتادة أن رسول الله صلى الله عَلَيْهِ وسلم قال : « مَا سَالَمْنَاهُنَّ مُذْ حَارَبْنَاهُنّ[8] » .

---

(١) فى الأصل : « المكنى » .

(٢) عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوى ، ولد فى حياة الرسول ، وولى إمرة مكة ليزيد بن معاوية . ومات سنة بضع وستين . ط ، ه : « عبد الرحمن بن يزيد » ، من ولد فى عهد الرسول أيضا . وترجم له ابن حجر فى الإصابة ٦٢٣٠ .

(٣) فى الأصل : « ابن حافظ » . وصوابه ما أثبت . وانظر ما سبق فى ص ٢٨٨ .

(٤) إشارة إلى ماذهب إليه ابن حائط وأتباعه ، من أن الحيوان مكلف ، كما أن الإنسان مكلف ، وأن الله يرسل إليه رسلا منه كما يرسل إلى الناس ؛ فلذلك يكون من الحيوان المؤمن ، والكافر ، والصالح ، والطالح .

(٥) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الكوفى المسعودى ، مات سنة ستين أو خمس وستين بعد المائة . فى الأصل : « السعودى »، وصوابه ما أثبت .

(٦) يعنى عبد الله بن مسعود .

(٧) سعيد بن أبى عروبة اليشكرى — مولاهم — البصرى . وكان من أثبت الناس فى قتادة . مات سنة ست أو سبع وخمسين ومائة . وأبوه أبو عروبة ، بفتح العين المهملة وضم الراء . واسم أبى عروبة مهران . عن تقريب التهذيب .

(٨) س : « حاويناهن »، وهو تحريف . وسيعاد هذا الحديث قريبا .

سعيد بن أبي عروبة[١] عن قتادة ، قالت عائشة : « مَنْ [تَرَكَ[٢]] قتْلَ حَيَّةٍ مخافَةَ أثْآرِهَا[٣] فعليه لَعْنَةُ الله والملائكة » .

الرَّبيعُ بن صَبيحٍ[٤] عن عَطاء الخُراسانيّ[٥] قال : كان فيما أُخِذ على الحيّات ألاَّ يَظْهرْن . فَمَنْ ظَهَرَ منهنَّ حلَّ قتلُه . وقتالُهنَّ كقتال الكفّار ، ولا يَتْرُكُ قتلَهُنّ إلا شاكٌّ .

وهذا مّما يتعلَّق به أصحابُ ابنِ حائِطٍ .

محمَّد بن عَجْلاَنَ قال : سمعت أبي يحدِّث عن أبي هُريرة قال : قال رسُول الله صلَّى الله عليه وسلم : «ما سَالَمْنَاهُنَّ مذْ حارَبْنَاهُنَّ» .

ابن جُرَيج قال : أخبرني عبد الله بن عُبيد بنِ عميْر[٦] قال :

---

(١) ط : « سعيد بن عروبة » ، صوابه ماأثبت من س ، ش . وانظر التنبيه الذى قبل السابق .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . ولا يصح المعنى ولا الرواية بدونها . أما عدم صحة المعنى فلقوله : « مخافة أثآرها » ، فالخوف من الثأر يقتضى عدم قتلها . وكان أهل الجاهلية يقولون : « إن الجن تطلب بثأر الجان إذا قتل ، فربما قتلت قاتله ، وربما أصابته بخبل ، وربما قتلت ولده » . انظر تأويل مختلف الحديث ١٤٦ . وأما الرواية فقد رواه ابن قتيبة على هذا الوجه : « من ترك قتل الحيات مخافة الثأر فقد كفر » . وفى محاضرات الراغب : « من قتل حية فخاف أثآرها فعليه لعنة الله » .

(٣) ط : « إثارها » س ، ب « اثارها » ، صوابهما ما أثبت من محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) . وهى جمع ثأر . وانظر التنبيه السابق .

(٤) الربيع بن صبيح : بفتح المهملة ، السعدى البصرى ، صدوق سيىء الحفظ . قالوا : أول من صنف الكتب بالبصرة ، كان من كبار أتباع التابعين . توفى سنة ستين ومائة .

(٥) هو عطاء بن أبي مسلم ، أبو عثمان ، الخراسانى . واسم أبيه ميسرة أو عبد الله . مات سنة خمس وثلاثين ومائة .

(٦) عبد الله بن عبيد بن عمير ، بتصغير الأخيرين ، من الطبقة الوسطى من التابعين ، استشهد غازيا سنة ١١٣ . وفى الأصل : « عبد الله بن عمر » . وليست تصح رواية ابن جريج عن عبد الله بن عمر فإن الأول ولد سنة ٨٠ على حين توفى عبد الله بن عمر سنة ٧٣ . والتصويب مما سبق فى (٢ : ٢٩٣) .

أخبَرَنى أبو الطفيل أنَّهُ سمع على بنَ أبى طالب رضى الله عنه يقول : « اقتلوا من الحيَّات ذا الطفيتين[١] ، والكلب الأسودَ البهيم[٢] ذا الغُرَّتين[٣] » . قال : والغُرّة[٤] : حُوَّةٌ تكون بعينيه .

(طعام بعض الحيوان)

قال صاحب المنطق : الطير عَلَى ضربين : أوابدُ وقواطعُ . ومنه ما يأكل اللحم لا يأكل غيْرَه وإن لم يكن ذَا سِلاح . فأمَّا ذُو السِّلاح فَوَاجِبٌ أن يكون طعامُهُ اللَّحم . ومن الطَّيرِ ما يأكُلُ الْحُبُوبَ لا يَعْدُوها ، ومنه المشترك الطِّباع ؛ كالعصفُور والدَّجاج والغُراب ، فإنها تأكُلُ النوعين جميعاً ، وكطير المـاء ، يأكُلُ السمَكَ ويلقط الحبّ . ومنه ما يأكل شيئاً خاصًّا ، مثل جنس النَّحل المعَسِّل[٥] الذى غذاؤه شىء واحد ، وجنس العنكبوت ؛ فإن طَعْمَ النَّحل المعسِّل العسل[٦] ، والعنكبوت يعيشُ من صيد الذباب[٧] .

---

(١) الطفيتان ، بالضم : خطان أسودان على ظهر الحية .

(٢) البهيم : الذى لا شية فيه .

(٣) فى الأصل : « القرنين » ، وهو تحريف صوابه ما أثبت . وانظر ما أسلفت فى (٢ : ٢٩٣) .

(٤) ط ، ب : « والفرة » س : « والقرة » صوابهما ما أثبت . وانظر ما كتبت فى (٢ : ٢٩٣) .

(٥) المعسل : الذى يصنع العسل . وإنما قال ذلك لأن النحل قبل أن يصنع العسل ، يتخذ غذاءه من مختلف أنواع الأزهار . ط : « العسل » ، صوابه فى س ، هـ .

(٦) ط ، هـ : « فإن طعم النحل العسل » س : « فإن طعم النحل المعسل » ، وقد جمعت بينهما .

(٧) هـ : « الذبان » .

(ماله مسكن من الحيوان)

ومن الحيوان ماله مسكنٌ ومأوًى ؛ كالخُلْد[1] والفأر ، والنَّمل ،
٩٩ والنَّحل ، والضَّبّ . ومنه ما لا يتَّخذُ شيئاً يرجعُ إليه [كالحيَّات[2]] ؛ لأنَّ ذُكورةَ الحيَّاتِ سَيَّارةٌ ، وإناثُها[3] إنَّما تُقيم فى المكانِ إلى تمامِ خُروج الفِرَاخِ من البَيضِ ، واستغناءِ الفِرَاخِ بأنفُسِها . ومنها ما يكونُ يأوى إلى شُقوقِ الصُّخورِ والحِيطانِ ، والمداخِلِ الضَّيِّقة ، مثل سامّ أبْرَص .

قال : والحيَّات تألفها كما تألفُ العقاربُ الخنافس . والعَظايا تألف المزابِلَ والخراباتِ . والوزَغُ قريبةٌ من النَّاس .

(زعم زرادشت فى العظايا وسوامّ أبرص)

[وزعم[4]] زَرَادشْت[5] أنَّ العظايا ليستْ من ذواتِ السُّموم ، وأنَّ سامَّ أبرصَ من ذواتِ السُّموم ، وأنَّ أهرمن[6] لما قعد ليقسِمَ السُّمومَ ،

(١) الخلد ، بالضم ويفتح : ضرب من الفأر أعمى .

(٢) ليست بالأصل . والسياق يقتضيها .

(٣) فى الأصل : « وإنها » . والوجه ما أثبت . وعند الدميرى : « والذكر لا يقيم بموضع واحد . وإنما تقيم الأنثى على بيضها حتى تخرج فراخها وتقوى على الكسب » .

(٤) ليست بالأصل .

(٥) زرادشت : رجل ظهر فى عهد كيبشتاسب من ملوك الفرس الكيانيين ، ودعا إلى دين المجوسية ، وهو صاحب الأبستا ، وشرحه : الزند بستا ، وقد ظهر قبل الإسكندر بنحو ثلثمائة سنة ، على ما فى التنبيه والاشراف ٨٥ . وقد ظهر من بعده مزدك الموبذ ، فتأول الأبستا ، وجعل لظاهرها باطناً ، واستخلص من ذلك الديانة المزدكية . فى ط ، س : « درادشت » و ب : « درادست » ، صوابه ما أثبت .

(٦) أهرمن ، هو فى مذهب زرادشت : رمز لقوة الشر ، كما أن (أرموزد) رمز لقوة الخير . وكان يرى أن الاثنين يظلان فى نزاع دائم ، حتى يتغلب أرموزد على أهرمن فى نهاية الأمر . وبدل هذه الكلمة والتى قبلها فى كل من ط ، هـ : « لأنه » صوابه فى س .

كانَ الحظ الأوْفرُ لكلِّ شيءٍ سبقَ إلى طلبه ؛ كالأفاعى ، والثّعابين والجرّارات . وأنّ نصيبَ الوزَغ نصيبٌ وسَطٌ قصْد ، لا يكمل أن يقتُل ، ولكنّه يزاقُّ الحيَّةَ[١] ، فتَمِيرُهُ[٢] ممّا عندها . ومتى دَبَرَ[٣] الوزَغُ جاء منه السمُّ القاتل ، أسرَعَ من سمّ البِيش ، ومن لُعاب الأفاعى . فأمَّا العَظاية[٤] فإنّها احتبسَتْ عن الطَّلبِ حتى نَفِدَ السمُّ ، وأخذ كلُّ شيءٍ قِسْطَهُ ، على قَدْرِ السَّبق والبكور ، فلما جاءت العظاية وقد فَنِيَ[٥] السمُّ ، دخلها من الحسْرَةِ ، وممّا علاها من الكرْب ، حتى جعلت وجههَا إلى الخراباتِ والمزابِل . فإذا رأيْتَ العظايةَ تمشى مشْياً سريعاً ثمّ تَقِفُ ، فإنَّ تلك الوقْفة إنَّمَا هى لمــا يعرضُ لها من التذكُّرِ والحسْرة على ما فاتها مِنْ نصيبها من السمّ .

(ردّ عليه)

ولا أعلم العَظايةَ فى هذا القياس إلاَّ أكثر شُرورًا من الوزَغ ؛ لأنها لولا إفراط طباعها فى الشَّرارة[٦] ، لم يدخلها من قوَّة الهمّ مثلُ الذى دخلَها

---

(١) يزاق الحية : مفاعلة ، من زق الطائر فرخه : أطعمه . س ، ب : « بزاق » صوابه فى ط .

(٢) ماره يميره ، وأماره يميره : جلب الطعام إليه . س : « فيميزه » ، صوابه فى هـ ، ط .

(٣) دبر ، من باب نصر : أدركه الهرم والشيخوخة . ومنه فى الكتاب : « والليل إذا دبر » ، فى بعض القراءات .

(٤) العظاية ، بالفتح : دويبة كسام أبرص . ط : « الفظاية » ، صوابه فى س ، هـ .

(٥) ط ، هـ : « قنى » بالقاف ، ولا وجه له . وتصحيحه من س .

(٦) يقال شر يشر ويشر شراً وشرارة ، فهو شرير — بفتح الشين وكسر الراء — وشرير ، كسكيت .

ولم يستَبن لِلنّاس[1] من اغتباط الوزَغ بنصيبه من السمّ ، بقدْرِ ما استبان من ثُكل العظايةِ ، وتسلُّها وإحضارها[2] وبكائها وحُزْنها ، وأسَفِها على ما فاتها من السُّمّ .

(زعم زرادشت فى خَلْق الفأرة والسِّنَّور)

ويزعم زَرَادشْت[3] ، وهو مذهبُ المجوسِ[4] ، أنَّ الفأرةَ مِنْ خلق الله ، وأنَّ السِّنَّورَ من خَلْق الشَّيطان ، وهو إبليس ، وهو أَهْرمَن[5] . فإذا قيل له : كيف تقول ذلك والفأرةُ مُفسِدةٌ ، تجذب فَتيلةَ المصباحِ فتحرِق بذلك البيتَ والقبائلَ الكثيرةَ ، والمُدنَ العِظامَ ، والأرباضَ الواسعة ، بما فيها من النَّاسِ والحيوانِ والأموال ، وتقرِضُ دفاتر العلْم ، وكتبَ الله ، ودقائق الحساب ، والصِّكاكَ[6] ، والشُّروطَ ؛ وتقرِضُ الثِّيابَ ، وربَّما طلبت القُطنَ لتأكُلَ بِزْرَه فتدَعُ اللِّحاف غِرْبالاً ، وتقرِض الجُرُب[7] ، وأَوْكِيَة الأسقِيَةِ والأزْقاقِ والقِربِ فتخرجُ جميعَ ما فيها ؛ وتقع فى الآنية

(١) فى الأصل : « الناس » . وسياق القول يقتضى ما أثبت . واستبان بمعنى ظهر .

(٢) الإحضار : سرعة الجرى .

(٣) فى الأصل : « زرادست » وهو تحريف . وانظر ما سبق فى ص ٢٩٦ التنبيه الخامس .

(٤) ذاك الزعم مذهب المجوس ؛ لأن زرادشت صاحب مذهبهم .

(٥) ط : « وهرمن » ، وتصحيحه وإكماله من س ، هو . وانظر التنبيه السادس من صفحة ٢٩٦ .

(٦) الصك بمعنى الوثيقة ، معرب جك ، وهو بالفارسية : كتاب القاضى . وقيل : الصك عربى . شفاء الغليل .

(٧) الجرب ، بضمتين وبضمة أيضاً : جمع جراب ، بالكسر ، وهو الوعاء ، أو وعاء زاد المسافر .

وفى البَحْر ، فتموت فيه ، وتُحْوِجِ النَّاسَ إلى مُؤَنٍ عِظام ، وربَّما عضَّت رِجْلَ النَّائم ؛ وربَّما قتلت الإنسان بعضَّتها . والفَأر[١] بخُراسانَ ربَّما قطعَتْ أذنَ الرَّجُل . وجِرذانُ أنْطاكِيةَ تَعْجِزُ[٢] عنها السَّنانير ، وقد جلا عنها قومٌ ١٠٠
وكرِهَها آخرون لمكانِ جِرْذانها . وهى التى فجرت المسنَّاة[٣] ؛ حتى كان ذلك سببَ الحَسْر[٤] بأرض سبأ ؛ وهى المضروب بها المَثَلَ . وسَيْل العَرِم ممَّا تؤرِّخُ بزمانه العَرب . والعَرِم : المسنَّاة . وإنما كان جُرَذا .

وتقتل النَّخْل والفسِيل[٥] ، وتخرِّب الضَّيعة ، وتأتى على أَزِمَّةِ الرِكاب والخُطُم[٦] ، وغير ذلك من الأموال .

والنَّاسُ ربما اجتلبوا السَّنانيرَ ليدفعوا بها بوائق الفأر[٧] — فكيفَ صار خَلقُ الضَّارِّ المفسِدِ من الله ، وخَلقُ النَّافع من الضَّرَرِ مِنْ خَلق الشيطان ؟ !

---

(١) أراد بالفأر هنا الجماعة . ط : « القار » صوابه فى س ، هـ .

(٢) ط : « تفجر » ، تصحيحه من س ، هـ .

(٣) المسناة : السد الذى يعترض به الوادى لتنظيم تدفق المياه . وفجر ، تقال بالتخفيف والتشديد ، بمعنى جعله ينفجر ويسيل .

(٤) الحسر : مصدر حسر الماء عن الأرض : نضب حتى بدا ماتحته . وجاء فى معجم البلدان (برسم مأرب) : « وجاء السيل بالرمل فطمها » . وطمها : من قولهم : جاء السيل فطم الركية : أى دفنها وسواها . ط : « الخسر » بالخاء المعجمة . وأثبت ما فى س ، هـ .

(٥) الفسيل : جمع فسيلة ، وهى النخلة الصغيرة . س : « النحل والعسيل » ، صوابه فى ط ، هـ .

(٦) الركاب ، بالكسر : الإبل . والأزمة : جمع زمام . وهو مقود البعير . والخطم : جمع خطام ، وهو ما يوضع على مخطم البعير ليقاد به . وفى الأصل : « على أفرحة الركاب والخضر » . وهى عبارة لا تتجه . والصواب ما أثبت .

(٧) بوائق : جمع بائقة ، وهى الداهية ، أو الشر .

والسِّنَّور يُعدَى به على كلِّ شيءٍ خَلَقَهُ الشَّيطانُ[١] من الحيَّاتِ ، والعقارب ، والجِعلان ، وبناتِ وَرْدان . والفأرةُ لا نَفْعَ[٢] لها . ومُؤْنتها عظيمة .

قال : لأنَّ السِّنَّورَ لو بالَ فى البحر لَقَتَلَ عَشْرَةَ آلافِ سمكة !

فهَلْ سمعت بحُجَّةٍ قطُّ ، أو بحيلةٍ ، أو بأضحوكةٍ ، أو بكلامٍ ظهر على تلقيح هرة[٣] ، يبلغ مُؤَن هذا الاعتلال ؟ !

فالحمد لله الذى كان هذا مقدارَ عقولهم واختيارهم[٤] .

وأنشد أبو زَيْد :

والله لو كُنْتُ لهــذا خالِصاَ ... لكنْتُ عبدًا آكل الأبارصا[٥]

يعنى جِماعَ[٦] سامٍّ أبْرص : أبارص .

---

(١) هذا مجاراة من الجاحظ للمجوسى الذى يعارضه .

(٢) فى الأصل : « لا تقع » .

(٣) كذا . والعبارة غير واضحة .

(٤) ظن بعض الناس أن مثل هذا التركيب فاسد ؛ لانعدام الرابط فى الصلة ، ومنهم الحريرى فى درة الغوص ١٠٠ . وقد رد عليه الخفاجى فى الشرح ٢٠٩ بأن حذف الرابط فى مثل هذا جائز ، كما هو معروف فى كتب النحو . فالتقدير هنا : الذى كان هذا منه . . . الخ .

(٥) يصح أن تقرأ : « آكل » قراءة الفعل ، فتكون فعلا مرفوعا . وتجوز أيضاً أن تقرأ « آكل » قراءة اسم الفاعل المنصوب ، مع حذف التنوين كما جاء حذفه فى قوله :

فألفيته غــير مستعتب ... ولا ذاكر الله إلا قليلا

بنصب لفظ الجلالة ، وحذف التنوين مما قبله . انظر ابن السيد فى الاقتضاب ٣٥٥ .

(٦) الجماع ، بالكسر ، بمعنى الجمع .

(أثر أكل سامّ أبرص ونحوه)

وسامٌّ أبرص ربّما قتَلَ آكله[1] ، وليس يُؤكل إلاَّ من الجوع الشَّديد . وربّما قتَلَ السَّنانيرَ وبناتِ عِرْس ، والشَّاهْمُرْكَ ، وجميعَ اللَّقَّاطَاتِ[2] . وقال آخر[3] :

كَأَنَّ الْقَوْمَ عُشُّوا لَحْمَ ضَأْنٍ فَهُمْ نَعِجُونَ قد مالَتْ طُلاَهم[4]

وهو شيءٌ يعرِض عن أكْلِ دَسَم الضَّأن ، وهو أيضا يلقى على دسمه[5] النُّعاس . وقد يفعل ذلك الحَبَق[6] ، والخشخاش .

[والخشخاشُ] يسمَّى بالفارسيّة « أنارْ كِبُو[7] » ، وتأويله رمَّان الحسّ . وإنَّما اشتقَّ له ذلك إذ كان يورث النُّعاس ، كما يورثه الحسّ .

---

(١) يصح قراءتها على المصدرية ، أو على أنها اسم فاعل : (أكله) و : (آكله) .

(٢) أى الحيوان الذى يلتقط غذاءه . ط : « القاهات » ، صوابه ما أثبت من س ، هـ .

(٣) هو ذو الرمة ، كما فى لسان العرب (مادة نعج) .

(٤) فى المخصص (٥ : ٨٠) : « فان أكل لحم ضأن فثقل على قلبه فهو نعج » . ومثل هذا النص فى فقه اللغة ١٣٩ طبعة الحلبى ، ولسان العرب (نعج) ، مع رواية البيت فى كل منها ، وفى الأصل: « بعجون » بالباء، وهذه الرواية مع احتمال صحتها لا تصلح مع تعقيب الجاحظ البيت بما سيأتى من الكلام . والبعج : المتسع البطن. والطلى ، بالضم : الأعناق ، جمع طلية بالضم . وإنما مالت طلاهم لما غلب عليهم من النوم . س : « كلاهم » وهو تحريف . وانظر (٥ : ٤٧٩) .

(٥) كذا فى ط ، هـ . وفى س : « رسمه » . ولعل صوابهما : « يلقى عن دسمه » .

(٦) الحبق ، بالتحريك : ضرب من الرياحين .

(٧) هذه الكلمة الفارسية ، مركبة من مقطعين ، أحدهما (أنار) ومعناه الرمان . ويقال فيه أيضاً (نار) . ومنه (جلنار) بمعنى زهر الرمان . و (جل) بمعنى زهر =

(أكل السمانى)

وأكلُ الطَّعام الذى فيه سمَانَى يُورِثُ الدُّوَار . وزعموا أنَّ صبيًّا من الأعراب فيما مضى من الدَّهر ، صادَ هامةً[1] عَلَى قبر ، فظنها سُمَانَى ، فأكلها فخثَتْ نفسه ، فقال :

* نفسى تَمَقَّسُ مِنْ سُمَانَى الأقبرِ[2] *

(استطراد لغوى)

ويقال : غَثَت نفسه غَثَيَاناً وغَثْياً[3] ، ولَقِستْ تَلْقَسُ لَقَساً ، وتَمَقَّست[4] تَتَمَقَّسُ تمقسا : إذا غَثِيت[5] .

(أكل الأعراب للحيات)

وأخبرنى صباح بن خاقان ، قال : كنتُ بالبادية ، فرأيت ناساً حَولَ نَارٍ فسأَلتُ عنهم ، فقالوا : قد صادوا حياتٍ فهم يشوُونها ويأكلونها ؛ إذْ نَظَرْتُ إلى رجلٍ منهم ينهش حَيةً قد أخرَجَها من الجمر ، فرأيته إذا

= والثانى (كبو) ومعناه الخس . وفيه لغات : (كيبو ، كيبو ، كبو ، جيو) . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل . فهى فى ط ، هـ : « أباركوا » وفى س : « أباركو » . واعتمدت فى تصحيحها على معجمى بالمر وريتشاردسن .

(١) الهامة : ضرب من البوم .

(٢) الأقبر : جمع قبر . والخبر فى اللسان (مقس) بصورة أخرى .

(٣) س : « عثت نفسه عثيانا وغثيا » بالعين المهملة فى الكلمة الأولى والثانية ، والمعجمة فى الثالثة . صوابه فى ط ، هـ .

(٤) فى الأصل : « وتمقس » . والوجه ما أثبت .

(٥) س : « عثيت » محرف .

امتنعَتْ عليه يمدُّها كما يُمَدُّ عصبٌ لم ينضَجْ . فما صرفْتُ بصرى عنه حتى لُبِطَ به[1] ، فما لبِثَ أن مات ، فسألتُ عنْ شأنه ، فقيلَ لى : عجَّلَ عليها قبلَ ١٠١
أنْ تنضَج وتَعْمَلَ النّار فى مَتْنها .

(أكل الحوائين للحيات)

وقدكان فى بَغدادَ وفى البَصْرةِ جماعةٌ من الحوّائين ، يأكل أحدُهم أىَّ حيّةٍ أشرتَ إليها فى جُونَتِه ، غير مشويَّة . وربَّما أخَذَ المَرَارَةَ[2] وسْط راحته ، فلَطَعها بلسانه ، ويأكلُ عِشرين عقربانة[3] نِيَّةً[4] بدرهم . وأما المشوىُّ فإنَّ ذلك عنده عُرْسٌ[5] .

(شعر فى الحيات)

وقال كُثَيِّر :

وما زَالَتْ رُقَاكَ تَسُلُّ ضِغْنِى   فتُخْرِجُ من مكامِنِها ضِبابى[6]
وتَرْقِينِى لك الحاوُونَ حتَّى   أجابَتْ حَيَّةٌ خَلْفَ الحِجَاب[7]

---

(١) لبط به : صرع . وفى الأصل : « ليط به » ، بالياء ، وهو تحريف .
(٢) أى مرارة الحية ، أو لعلها « الجرارة » هـ : « النواه » محرفة .
(٣) كذا فى الأصل . ولعلها : « عقربا » .
(٤) النىء بالكسر والهمز : اللحم الذى لم ينضج . وفى اللسان : « وقد يترك الهمز ويقلب ياء ، فيقال : نى ، مشددا » . فما هو هنا صواب . وانظر (٥ : ٣٥٦) .
(٥) العرس ، بالضم وبضمتين : طعام الوليمة .
(٦) س : « ولتخرج » . وفى الأصل : « من مكانها » ، محرف . وانظر ما سبق فى ص ٢٥٠ .
(٧) انظر ما أسلفت من الكلام على هذين البيتين فى ص ٢٥٠ .

وقال أبو عَدنان[١] ، وذكر ابنَ ثَرْوانَ[٢] الخارجيَّ ، حين [كان] صار إلى ظَهْر البصرة ، وخرج إليه منْ خرج مِنْ بنى نُمير :

حَسِبْتَ نُميرًا يا ابن ثَرْوان كالأُلَى لَقِيتَهُمُ بالأَمْس : ذُهلاً ويَشْكُرَا[٣]

كما ظَنَّ صَيَّادُ العَصافِيرِ أنَّ فى جَمِيعِ الكُوَى ، جَهْلاً ، فِرَاخا وأطيُرَا[٤]

فأدْخَلَ يوماً كفَّهُ جُحْر أسودٍ فشَرْشَرَهُ بالنَّهش حتى تشَرْشَرَا[٥]

أراد قول رؤبة :

كنتُمْ كمن أدْخَلَ فى جُحْرٍ يَدَا فأخْطأ الأفْعَى وَلاَقَى الأسْوَدَا

لو مسّ حرْفَىْ حجَرٍ تَقَصَّدَا[٦] بالشَّمِّ لا بالسمِّ منه قصدا[٧]

فَقَدَّم الأسوَدَ على الأفعَى . وهذا لا يقوله مَن يَعرف مقدار[٨] سُمِّ الحيات .

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ١٨٤) . هـ : « أبو عجنان » ، محرف .

(٢) فى الأصل : « أبا ثروان » . وأثبت ما يقتضيه الشعر الآتى .

(٣) ط ، هـ : « حسبت غيرا » ، صوابه فى س . وذهل ويشكر : قبيلتان .

(٤) الكوى ، بالضم : جمع كوة بالضم ، وهى الخرق فى الحائط .

(٥) شرشره : قطعه تقطيعاً .

(٦) يقال قصده فتقصد : أى كسره فتكسر . وفى الأصل : « تفصد » ، وتفصد بمعنى سال لا وجه له هنا .

(٧) كذا فى ط ، هـ فيكون المراد بهذه قصد الحجر — بالقاف — بمعنى كسره وفى س : « أقصدا » ، من أقصدته الحية : بمعنى قتلته مكانه .

(٨) س : « أقدار » . وانظر نقد هذا المعنى فى الصناعتين ٨٨ والوساطة ١٧ والشعراء ٥٧٩ .

وقال عنترة :

حلَفْنا لهُمْ والخيلُ تَرْدِى بنا معاً نزايلُكُمْ حتّى تَهِرُّوا العَواليا(١)
عَوَالِىَ سُمْرٍ مِنْ رماحِ رُدَينةٍ هَرِيرَ الكلابِ يَتَّقِينَ الأفاعيا(٢)

(حديث فى الحية)

وقال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : « اتَّقُوا ذَا الطُّفَيْتَيْنِ والأبتر » . شبّه الخيطين على ظهره بخُوص المقْل(٣) وأنْشِدْت لأبى ذُؤيب :

عَفَتْ غَيْرَ نُؤْىِ الدَّارِ لَأْياً أُبِينُهُ وأقْطاعِ طُفْىٍ قدعَفَتْ فى المعاقل(٤)

(١) ردت الخيل تردى : رجمت الأرض بحوافرها . نزايلكم ، أى لا نزايلكم . فحذف النافى . وهو جائز مع القسم . وفى الكتاب : « تالله تفتؤ تذكر يوسف » أى لا تفتأ . وقال امرؤ القيس :

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

وانظر لهذه المسألة المخصص (١٣ : ١١٥) وأمالى المرتضى (٣ : ١٣٧) والأضداد ١٤٨ والصناعتين ١٧٦. ويقال : هرت إليه الكلاب وهرته : أى نبحته. انظر أساس البلاغة . والعوالى ، رءوس الرماح . وليس المعنى أنهم ينبحونها ، ولكنه يريد إظهارهم بغضها والخوف منها . والكلب إذا خاف شيئا نبحه ، حتى إنه لينبح السحاب مما يلقى منه من أذى المطر . انظر (٢ : ٧٣ — ٧٤) .

(٢) سمر : أى رماح سمر . وروى فى الديوان والكامل ١٧٥ ليبسك : « عوالى زرقا » فتكون زرقا صفة للعوالى ، أى أسنة زرقا . والسنان الأزرق هو الشديد الصفاء ، فكأنه مرآة ينطبع فيها لون السماء . والبيتان من قصيدة لعنترة يقولها فى يوم (الفروق)، وهو يوم كان لبنى عبس على بنى سعد بن زيد مناة، ومطلع القصيدة :

ألا قاتل الله الطلول البواليا وقاتل ذكراك السنين الخواليا

(٣) انظر ما أسلفت فى ص ٢٩٥ .

(٤) النؤى : حفير حول الخباء أو الخيمة يمنع السيل ، والأقطاع : جمع قطع ، بالكسر بمعنى المقطوع . والمعاقل : جمع معقل ، كمجلس ، وهو المكان تعقل فيه الإبل =

والطُّفْىُ[1] : خُوص المقْل .

وهم يَصِفُونَ بَطْنَ المرأةِ الهيفاءِ الخميصَةِ البطْن، ببطن الحيَّةِ. وهى[2] الأَيْم . وقال العجَّاج :

* وبَطْنَ أيمٍ وقَوَاماً عُسْلُجَا[3] *

(مناقضة شعرية)

وقال أَدْهَمُ بنُ أبى الزَّعْراء[4] ، وشبَّه نفسَه بحيَّةٍ :

١٠٢ وما أَســودٌ بالبأس ترتاحُ نفسُهُ إذا حَلْبَةٌ جاءتْ ويُطْرِقُ للحِسِّ

به نَقَطٌ حمــرٌ وسودٌ كأنما تنضَّحَ نَضْحاً بالكُحَيلِ وبالوَرْسِ[5]

= أى تشد ، وفى الأصل : « المعالف » وهو خطأ ؛ إذ أن البيت من قصيدة لامية ، مطلعها :

لمن طلل بالمنتضى غــير حائل عفا بعد عهد من قطار ووابل

انظر اللسان (طفى) ومعجم البلــدان (المنتضى) . ويروى أيضا : « فى المناقل » ، و : « فى المنازل » كما فى اللسان .

(١) جمع طفية بالضم ، وتجمع أيضاً على طفى بضم ففتح . قال (انظر اللسان) :

وهم يذلونها من بعد عزتها كما تذل الطفى من رقية الراقى

أى ذوات الطفى ، بمعنى الحيات .

(٢) س : « وهو »، والحية تذكر وتؤنث .

(٣) قوام عسلج ، بضم العين واللام ، أى ناعم ينثنى ويميل .

(٤) أدهم بن أبى الزعراء الطائى ، شاعر محسن ، له أشعار جياد فى أوصاف الحيات ، كما ذكر ذلك الآمدى فى المؤتلف والمختلف ٣١ . وهــو من شعراء الحماسة . وهو كذلك شاعر إسلامى له شعر فى وقعة المنتهب ، التى كانت فى أيام مروان ابن محمد آخر خلفاء بنى أمية . انظر شرح التبريزى (٢ : ٨٢) . وفى ط : « أدهم بن أبى الزيعرى » و س : « أدهم بن أبى الزبعرى » . و هـ : « ابن أبى الزبعرى » ، والصواب فى ذلك ما أثبت .

(٥) الـكحيل ، بهيئة التصغير : القطران يطلى به الإبل ، وهو أسود اللون . والورس ، بالفتح : نبت يصبغ به ، فيعطى صفرة إلى حمرة .

أصـمٌّ قَطَارِيٌّ يكون خروجُـه قُبيلَ غُروبِ الشَّمس مُخْتَلَطَ الدَّمْس (١)
له منزلٌ ، أنفُ ابن قِتْرَةَ يغتذى به السمّ ، لم يظهر نهارا إلى الشَّمس (٢)
يَقيلُ إذا ما قَالَ بين شواهق تزِلُّ العُقَابُ عن نَفَانِفها الملس (٣)
بأَجْرَأَ مِنِّى يا ابْنَةَ القَوْمِ مُقْدَماً (٤) إذا الحربُ دبَّتْ أولَبِسْتُ لها لِبْسى (٥)

فأجابه عَنْتَرَةَ الطائى (٦) ، فقال :

عَسَاكَ تَمنى مِنْ أَراقمِ أرْضِنَا بأرْقَمَ يُسْقَى السمَّ مِنْ كلِّ مَنْطِفِ (٧)

---

(١) قطارى ، بالضم : يقطر سمه من كثرته ، أو ضخم . مختلط الدمس : أى عند اختلاط الظلام . وروى هذا البيت فى اللسان (قطر ٤١٨) منسوبا إلى تأبط شرا برواية :

* بعيد غروب الشمس مختلف الرمس *

(٢) ابن قترة ، بكسر القاف وإسكان التاء : حية خبيثة إلى الصغر ، تنطوى ثم تنقز ذراعاً أو نحوها ، لا تجرى . ط ، ه : « ابن قترة » س : « ابن قنرة » صوابهما ما أثبت . يقول : إن تلك الحية الصغيرة الخبيثة تقصد إلى منزل ذلك الأسود فتغتذى بأنفها السم . و : « به » بمعنى منه ، وفى الكتاب : « عيناً يشرب بها عباد الله » ، أى يشرب منها .

(٣) قال : أمضى وقت القائلة ، أى الظهر . والشواهق : الجبال العالية . والنفانف جمع نفنف ، بفتح النونين ، وهو صقع الجبل الذى كأنه جدار مبنى مستو .

(٤) مقدما ، بضم الميم وفتح الدال ، أى إقداماً . ويصح أن يقرأ « مقدما » بضم الميم وكسر الدال ، نصب على الحال .

(٥) اللبس ، بالكسر : ما يلبس ، والمراد لباس الحرب : من الدرع والبيضة ونحوهما . ط ، ه : « لبس » صوابه فى س .

(٦) هو عنترة بن عكبرة الطائى ، وعكبرة أم أمه ، وهو عنترة بن الأخرس بن ثعلبة . وساق نسبه الآمدى فى المؤتلف ١٥٢ قال : « شاعر محسن وفارس » . والبيت الآتى من أبيات خمسة فى الحماسة (٢ : ٣٨١) . وفى الأصل : « عنترة الصابى » وتصحيحه من المؤتلف وشرح التبريزى للحماسة (١ : ١١٨) .

(٧) تمنى ، أراد يقدر لك ، منى الله له الشىء : قدره . ولم أر تضعيف هذه النون إلا فى هذه الرواية . ورواية الحماسة ، وكذا محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) . « لعلك تمنى » . والمنطف : الموضع ينطف منه السم ، أى يقطر . وروى : « أنطف » على وزن أفعل ، قال التبريزى (٤ : ١٥١) . « وأفعل يوضع موضع فعل وفاعل » . ونطف يقال من بابى نصر وضرب .

(شعر فى الأسود)

وقال عنترة :

أترجُو حياةً يا ابن بشْرِ بن مُسهِرٍ … وقد علِقتْ رجلاك فى ناب أســودا
أصمَّ جِبالىٍّ (١) إذا عضَّ عضَّةً … تزايَلَ عنــه جلدُهُ فتبدَّدا (٢)
بِسَلْعٍ صَفاً لم يبدُ للشَّمس قبلَها … إذا ما رآه صاحب اليَمِّ أُرْعِدَا (٣)
له رِبْقَةَ فى عنقه مِنْ قميصِــه … وسائِرُه عن مَتْنِهِ قد تَقَدَّدا (٤)
رَقُودِ ضُحَيّاتٍ ، كأَنّ لِسانَهُ … إذا سمِع الإِجْرَاس مِكْحَالُ أرْمَدَا (٥)
يُفِيتُ النُّفوسَ قبل أن يقع الرُّقَى … وإن أبرق الحاوِى عليه وأرْعَدَا (٦)

---

(١) كذا . ويقال للحية : « ابنة الجبل » . ورواية اللسان (مادة قطر) : « قطارى » بمعنى ضخم .

(٢) رواية اللسان : « تزيل أعلى جلده فتريدا » .

(٣) السلع ، بالفتح والكسر : الشق . واليم : البحر . وفى اللسان (سلع) : « راكب » بدل « صاحب » . وأرعد ، بالبناء للمجهول : أصابته الرعدة .

(٤) الربقة ، بالكسر : الحبل . وقيصه : جلده المنسلخ . والمتن : الظهر .

(٥) يقول : هو ينام فى الضحى ، وذلك من شأن الحيات ، وإنما تستيقظ فى الظلام . والأجراس : جمع جرس ، بالفتح : وهو الصوت . وتقرأ أيضاً : « الإجراس» بالكسر ، وهو التصويت . ومكحال الأرمد : ما يكتحل به . وجعل لسانه كالمكحال فى دقته ، وفى سواده أيضاً . ومكحال الأرمد أشد سوادا من غيره ؛ لكثرة ما يستعمل .
ومن طريف ما جاء فى وصف لسان الحية بالسواد ، قول الآخر :

كأنما لسانه على فيه … دخان مصباح ذكت ذواكيه

قال أبو العباس ثعلب : « يقال إنه لم يسمع فى صفة الحية أحسن من هذا البيت ». انظر ديوان المعانى (٢ : ١٤٦). وقد سبق الكلام على لسان الحية فى ١٦٣ .

(٦) يفيت النفوس : يميتها موت الفجاءة . و « يقع الرقى » كذا فى الأصل . ولعلها : =

(شعر فى الحية)

وقال آخر :

لَايَنْبُتُ العُشْبُ فى وادٍ تكون به[1] ... ولا يجاورها وحْشٌ ولا شجر

رَبْداء شابكة الأنياب ذابلة ... ينبو، من اليُبْس ، عن يافوخها الحجَرُ[2]

لو سرّحت بالنَّدَى ما مسَّها بلَلٌ ... ولو تكنَّفها الحاوُون ما قدَرُوا[3]

قد حاوَرُوها فما قام الرُّقاةُ لها ... وخاتلوها فما نالوا ولا ظفِرُوا[4]

تقصِّدُ الورَلَ العادِى بضَرْبَتِها ... نكزاً ، ويهرُب عنها الحيَّةُ الذّكرُ[5]

= « يسمع الرقى » . وأبرق وأرعد : تهدد وأوعد ، بما يتلو من العزائم .

(١) تكون به : أى تكون تلك الحية به . وليس يعنى أنها تمنع العشب من أن ينبت ، ولكنه يريد أنها تختار موضعها فى القفر .

(٢) ربداء : من الربدة ، وهى الغبرة . شابكة : مشتبكة . س ، ه : « شائكة » وانظر ما سبق فى ص ٢٨١ س ٥ . وذابلة : دقيقة . ويعرض للحية الدقة عند الكبر فيكون ذلك أشد لسمها . ينبو : يرتد . س : « يا فوخة » ، صوابه فى ط ، ه . واليافوخ : ملتقى عظم مقدم الرأس ومؤخره .

(٣) يقول : ينزلق عنها الندى لملاستها ، ولو أحاط بها الحاوون ليستخرجوها من جحرها ما أمكنهم ذلك . والحيات الخبيثة لا تستجيب لدعوة الراقى .

(٤) خاتلوها : خادعوها . س ، ه : « فما نابوا » ، صوابه فى ط .

(٥) الورل : حيوان من الزحافات طويل الأنف والذنب دقيق الخصر لا عقد فى ذنبه كعقد ذنب الضب ، وهو أطول من الضب وأقصر من التمساح : Varanus والعادى : الذى يعدو ، أى يجرى . تقصده : تقطعه وتفصله تفصيلا . انظر اللسان (قصد) وما سبق فى ص ٣٠٤ . ط ، ه : « تقصر » ، س : « تذكر » ، والوجه ما أثبت . والنكز : طعن الحية الحيوان بأنفها .

جملة القول فى الظليم

فممّا فيه من الأعاجيب أنه يغتذى الصَّخرَ ، ويبتلع الحِجارةَ ، ويعمِد إلى
١٠٣ المرْوِ ، [والمرْوُ] من الحجارة التى توصف بالملاسة ؛ ويبتلع الحصى ، والحصى أصلبُ من الصَّخْر ، ثمّ يُميعه ويُذيبه فى قانصته[1] ، حتّى يجعلَه كالماء الجارى . ويقصِدُ إليه وهو واثقٌ باستمرائه وهضْمه ، وأنّه له غذاءٌ وقِوامٌ .

وفى ذلك أعجوبتان : إحداهما التَّغذِّى بما لا يُتَغذَّى[2] به . والأخرى : استمراؤه وهضمُه للشىء الذى لو أُلقِىَ فى شىءٍ ثمّ طبخ أبداً ما انحلّ ولا لان . والحجارة هو المثل المضروبُ فى الشدَّة . قال الشاعر :

* حتى يلين لِضِرْسِ المَاضغ الحَجرُ *

وقال آخر[3] :

مَا أطْيَبَ الْعَيْشَ لو أنَّ الْفتَى حَجَرٌ ... تنبُو الحوادثُ عنه وهو ملمومُ[4]

ووصف اللهُ قلوبَ قومٍ[5] بالشدَّة والقسوة ، فقال : ﴿ فَهِىَ كَالحِجَارةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ ، وقال فى التشديد : ﴿ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ[6] ﴾

---

(١) فى الأصل : « من قانصته » .

(٢) بدله فى س : « بما لا يغذو » .

(٣) هو تميم بن أبى مقبل ، كما فى ديوانه ٢٧٣ وشرح شواهد المغنى ٢٢٧ .

(٤) الحجر الملموم : هو المجتمع الشديد .

(٥) هم بنو إسرائيل . انظر الآية الرابعة والسبعين من سورة البقرة .

(٦) وقع تحريف فى هذه الآية فى النسخ الثلاث . فى ط : « النار » وفى س ، ه : « نار » . وهذه الآية هى السادسة من سورة التحريم : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » . وفى سورة البقرة أيضاً : « فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » . الآية ٢٤ .

لأنه حين حذَّر النَّاسَ أعلمهم أنَّه يُلقِى العُصاة فى نارٍ تأكلُ الحجارةَ .

ومن الحجارةِ ما يتَّخذه الصفَّارونَ[١] عَلاةً[٢] دونَ الحديد ؛ لأنَّه أصبرُ على دقِّ عِظام المطارق والفِطِّيسات[٣] .

فجوفُ النَّعامة يُذيب هذا الجوهرَ الذى هذه صفته .

(شواهد لأكل النعام الحصى والحجارة)

وقال ذو الرُّمَّة :

أَذَاكَ أمْ خاضبٌ بِالسِّىِّ مرتَعُه ... أبو ثَلاثِينَ أمْسى وهو منْقَلِبُ[٤]

شخت الجزارة مثلُ البيتِ سائرُه ... من المُسوحِ خِدَبٌّ شوقَبٌ خَشِبُ[٥]

---

(١) الصفارون : جمع صفار ، وهو من يعمل الصفر ، وهو بالضم : النحاس الجيد أو الأصفر . ط ، ه : «الصائغون» ، والوجه ما أثبت من س ؛ إذ أن السياق يأبى ما فى ط ، ه.

(٢) العلاة ، بالفتح : السندان ، «هو بالفتح ما يطرق عليه الحديد ونحوه .

(٣) جمع فطيس ، كسكيت ، وهى المطرقة العظيمة . ط : «الفطيسات» س : «العظيسات» ، صوابهما ما أثبت من ه .

(٤) أذاك : يقول أذاك الثور يشبه ناقتى أم خاضب صفته كذا وكذا . والخاضب : الظليم ، أى ذكر النعام ، الذى احمرت ساقاه . والسى بكسر السين بعدها ياء مشددة : ما استوى من الأرض . وجاء فى الأصل بالهمزة ، صوابه فى اللسان (سى) والمخصص (٨ : ٥٢) وأمالى القالى (٣ : ١٦٤) وديوان ذى الرمة ص ٢٨ كبردج . أبو ثلاثين : أى أبو ثلاثين فرخا . والنعام يبيض نحو العشر فما فوقها ، فأراد بالثلاثين أنه قد حضن أبطنا فعرف ما يصلح البيض وما يفسده ، فهو حينا ينتهى من الرعى يهرع إلى أدحيته . وقال : أمسى ، ليعبر عن جده فى اللحاق قبل الليل ، ولأنه يكون فى ذلك الوقت قد رعى فاشتدت قوته . منقلب : منصرف . ط ، ه : «وذاك» ، صوابهما فى س والمخصص والأمالى والديوان . ط : «مرتعة» صوابه فى جميع المصادر . ط ، ه : «فهو منقلب» ، وهى رواية المخصص أيضاً .

(٥) شخت الجزارة : أى دقيق القوائم . والجزارة ، بالضم : أجر الجزارة ، كالعمالة أجر العامل . وكانوا يأخذون القوائم فى أجرة الجزار فسميت القوائم جزارة . مثل =

كأنّ رجليه مِسْمَاكانِ من عُشَرٍ   صَقْبَانِ لَمْ يَتَقَشَّرْ عنهما النَّجَبَ(١)

ألْهَاهُ آءٌ وتَنُّــومٌ ، وعُقْبَتُهُ   مِنْ لائحِ المَرْوِ ، والمَرْعى له عُقَبُ(٢)

وقال أبو النَّجْم :

والمَرْوُ يُلْقِيهِ إلى أمعائه(٣)   فى سرْطم مادَ على التوائه(٤)

= البيت ، هو البيت من بيوت العرب من المسوح . قال المبرد : « يعنى إذا مد جناحيه . وإنما أخذه من قول علقمة بن عبدة :

صعل كأن جناحيه وجوجؤه   بيت أطافت به خرقاء مهجوم »

والمسوح : جمع مسح ، بالكسر ، وهو الكساء من الشعر . والحدب : الضخم . والشوقب : الطويل . خشب : غليظ خشن . ط : « حدب » صوابه فى س ، ه والديوان والكامل ٤٤٩ ليبسك .

(١) المسماك : عود يكون فى الخباء . والعشر : ضرب من كبار الشجر ، له صمغ حلو. صقبان : طويلان . والنجب : لحاء الشجر ، أى قشره . جعل رجليه كالمسماكين الطويلين الخشنين . وفى الأصل : « كأن عينيه » وهو من عجيب التحريف . وصوابه ما كتبت من الديوان . ط : « لم يتشر » صوابه فى س ، ه والديوان .

(٢) الآء : شجر له ثمر يأكله النعام . والتنوم : شجر له حمل صغار مثل حب الخروع ، وينفلق عن حب يأكله أهل البادية ، وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورق . عقبت الماشية فى المرعى : رعت الخلة عقبة ثم تحولت إلى الحمض عقبة أخرى ، أو العكس . أى هو بعد أن يأكل هذين يجعل عقبته من لائح المرو . والمرو : الحجارة البيض . واللائح : اللامع .

(٣) المرو فسر قريباً . فى الأصل : « والمره » ، تصحيحه من عيون الأخبار (٢ : ٨٦). والأمعاء : جمع معى بالتحريك ، وبكسر الأول وفتح الثانى . فى الأصل : « معائه » ، تحريف ما أثبت من عيون الأخبار ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) .

(٤) السرطم ، كجعفر : البلعوم . فى الأصل : « سرطه » وصوابه من عيون الأخبار. ماد البلعوم : مال واضطرب . فى الأصل : « مار » ويصح بها المعنى ، لكن يسترك بها الرجز لما سيأتى فى البيت بعده . وفى عيون الأخبار : « هاد » والوجه ما أثبت . على التوائه : أى بسبب التواء بلعوم هذا الظليم .

يَمُورُ فى الحلْقِ على عِلْبَائِه(١) تَمَعُّجَ الحَيَّةِ فى غِشَائِهِ(٢)

* هادٍ ولو حَارَ بَحَوصَلاَئِه *

(إذابة جوف الظليم للحجارة)

ومَنْ زَعَمَ أنَّ جَوفَ الظَّليمِ إنما يُذيب(٤) الحِجارة بقَيظ الحرارة فقد أخطأ . ولكنْ لابدَّ من مقدارٍ للحرارة [و(٥)] نحو غرائزَ أخر ، وخاصيّات أخر . ألا تَرَى أنَّ القُدورَ التى يُوقَد تحتها الأيَّامَ واللَّيالىَ ، لا تذوب .

(القول فى الخاصيات والمقابلات والغرائز)

وسأدلُّك على أنَّ القولَ فى الخاصّيَّاتِ والمقابلات والغرائز حقٌّ . ألا ترى أنّ جوفَ الكلْبِ والذِّيبِ يذيبان العِظام ولا يذيبان نَوَى التمر ، ونَوَى التمر أرخَى وألين وأضعَفُ من العظام المصْمَتة . وما أكثر ما يَهضِم

(١) يمور : أى يضطرب ويتردد ، والضمير للمرو . ط ، س : « تمر » ه : « يمر » صوابهما من المخصص (١٦ : ٦٣) وهو ما يقتضيه ارتباط هذا البيت بما بعده . والعلباء ، بالكسر : عصب العنق . فى الأصل : « علياته » بالياء ، والوجه ما أثبت موافقاً لما فى المخصص .

(٢) التمعج : التلوى . ورواية المخصص (١٦ : ٢٨ ، ٦٣) : « تعمج » بتقديم العين ، وهما بمعنى واحد . وغشاء الحية : غلافه . والمراد جلده الذى يسلخه . والحية يذكر ويؤنث ، جعل حركة المرو يتردد فى حلق الظليم كحركة الحية حين تضطرب فى جلدها قبل تمام انسلاخه . فى الأصل : « عشاه » صوابه من المخصص .

(٣) يقول : ذلك المرو ، ولو حار قليلا فى وصوله إلى حوصلة الظليم ، فهو هاد بها فى آخر الأمر ، أى مهتد . ط ، ه : « جاد » محرفة . س : « حاد » . والأوفق ما أثبت من المخصص (٨ : ١٢٢) . و « بحوصلائه » : أى هو مهتد بحوصلائه ، كأنها علم له . ورواية المخصص والفصول ٤٦٢ : « لحوصلائه » .

(٤) ط . ه . «تذيب» ، صوابهما فى س .

(٥) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إليها .

١٠٤ العظم . وقد يهضم العظمَ جوفُ الأسد وجوفُ الحيَّةِ ، إذا ازدردت بضع اللحْمِ[١] بالشَّرَهِ والنَّهَم ، وفيها بعضُ العِظام .

والبراذين التى يُحِيلُ[٢] أجوافُها القَتَّ والتِّبْنَ[٣] رَوْثاً ، لا تستمرِى الشعير .

والإبلُ تقبضُ بأسنانِها على أغْصانِ أمِّ غَيْلاَن ، وله شوكٌ كصياصِى البقر[٤] ، والقُضبانُ علِكة[٥] يابسةٌ جرد ، وصلاب متينة ، فتستمرئُها[٦] وتجعَلها ثَلْطاً[٧] ولا تقْوَى على هضْم الشَّعِير المنْقع . وليس ذلك إلاَّ بالخصائص والمقَابلات .

وقد قدَّر كلَّ شىءٍ لشىء . ولولا ذلك لما نفذ خرطومُ البعوضةِ والجِرجسة فى جلد الفيل والجاموس ، ولَمَا رأيت الجاموسَ يهرُب إلى الانغماس فى الماء مرّةً ومرّةً يتلطَّخ بالطِّين ، ومرّةً يجعله أهله ربيثَ الدكان[٨] . ولو دفعوا إليك مِسَلّةً شديدةَ المتْن ، لَمَا أدخلْتَها فى جلْد الجاموسِ إلاَّ بَعدَ التكلُّفِ ، وإلاّ ببَعْضِ الاعتماد .

والذى سخَّر جلدَ الجاموسِ حَتَّى انفرَى وانصدع لطعْنةِ البعوضة ،

---

(١) البضعة ، بالفتح وقد تكسر : القطعة من اللحم، جمعها بضع بالفتح ، وكعنب ، وصحاف ، وتمرات .

(٢) فى الأصل : « يحل » .

(٣) القت : يابس الفصفصة ، والفصفصة ما يعرف فى مصر بالبرسيم . فى الأصل : « ألقت » صوابه ما أثبت .

(٤) صياصى البقر : قرونها ، مفردها صيصية .

(٥) علكة : شديدة .

(٦) فى الأصل : « تستمرئها » .

(٧) الثلط ، بالفتح : الروث . س ، ه : « ثلكا » صوابه فى ط .

(٨) الربيث : المحبوس . وفى الأصل : « على ربيث » وهذا التصحيح للأب أنستاس .

وسخَّر (١) جلد الحمار لطعْنة الذُّباب ، وسخَّر الحجارةَ لجوف الظليم ، والعَظْمَ لجوف الكلبِ — هو الذى سخَّر الصَّخْر الصُّلْبَ لأذناب الجراد ، إذا أرادتْ أن تُلقىَ بيضها ؛ فإنّها فى تلك الحال مَتَى عمَدَتْ ذنبها فى ضاحى صخْرةٍ (٢) انصدعَتْ لها . ولو كان انصداعُها من جهة الأَسْر (٣) ، ومن قوَّة الآلة (٤) ، ومن الصَّدم (٥) وقوَّةِ الغمْز ، لانصدعت لما هُو فى الحسِّ أشدُّ وأقوى . ولكنَّه على جهة التَّسخير ، والمقابلات ، والخصائص .

وكذلك (٦) عُود الحَلْفاء ، مع دقَّته ورَخاوته ولِين انعطافه ، إذا نبَتَ فى عُمق الأرضِ ، وتلَقَّاه الآجُرُّ والخزَفُ الغليظ ، ثَقَبَ ذلك ، عند نباته وشبابه ؛ وهو فى ذلك عبقرٌ نَضير .

وزعم لى ناسٌ من أهل الأُرْدُنِّ ، أنهم وجَدوا الحلْفاء قد خرَّق جوف القار (٧) .

وزعم لى أبو عتّاب الجرّار (٨) ، أنّه سمع الأكَرَة يُخبِرونَ أنهم وجدوه قد خَرَقَ فلْسًا (٩) بَصْريًّا .

---

(١) ط : « وسخر » صوابه فى س ، هـ .

(٢) ضاحى الصخرة : ظاهرها . س ، هـ : « صاحى » صوابه فى ط .

(٣) الأسر ، بالفتح : القوة .

(٤) س : « الأيد » .

(٥) ط ، هـ : « الصدع » صوابه فى س .

(٦) س : « ولذلك » .

(٧) القار : الزفت . ط : « القار » س : « نعار » كذا . صوابهما فى هـ .

(٨) ط : « الجرار » وأثبت مافى س ، هـ . وانظر ما سبق فى (٣ : ٣٤) .

(٩) الفلس : جزء من أجزاء الدرهم . وقد تحدث عنه المحقق الكبير الأب انستاس مارى فى حواشى النقود العربية ٦٧ — ٦٨ . ط : « وقد قلع فلسا بصريا » .

وليس ذلك لشدَّةِ الغمزِ وحِدَّة الرأس ، ولـكنه يكون على قدْر ملاقاة الطباع .

ويزعمون أنَّ الصَّاعقة تسقُطُ فى حانوت الصَّيْقل[١] فتُذيب السُّيوفَ بطبعها[٢] ، وتدع الأغمادَ عَلَى شبيهٍ بحالها . وتسقُطُ عَلَى الرَّجُلِ ومعه الدراهمُ فتَسبك الدَّراهم ، ولا يصيبُ الرجُلَ أكثرُ من الموت .

والبحريُّون عندنا بالبصرة والأُبُلَّة التى تـكون عليها الصَّواعق[٣] ، لايدعون فى صُحُون[٤] دُورهم وأعالى سُطوحهم ، شيئاً من الصُّفر إلّا رفعوه ؛ لأنها عندهم تنقضُّ من أصل مخارجها ، على مقدارٍ من محاذاة الأرض ، ومقابلةِ المـكان ، فإذا كان[٥] الصُّفر لها ضاحياً ، عدلَتْ إليه عن سَنَنها[٦] .

وما أنـكر ما قالوا . وقد رأيتهم يستعملون ذلك .

وقد يَسْقط النَّوَى[٧] فى تُرَابِ المتوضَّإ ، فَإِذَا صُهرِجَ نَبتَ[٨] فإذا انتهى إلى الصَّاروج أمسك . وإن كان الصَّاروج رقيقاً فإنْ قُيِّرَ ، وجُعلَ غِلظُهُ بقدر طول الإبهام ، نبت ذلك النَّوى حتَّى يخرِق ذلك القار .

---

(١) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها .

(٢) س : «وطبعها» .

(٣) فى الأصل : «عنها الصواعق» .

(٤) صحن الدار : وسطها .

(٥) فى الأصل ، «كانت» .

(٦) السنن : الطريق . ط : «سنتها» . والوجه ما أثبت من س ، هـ .

(٧) فى الأصل : «وقد تسقط النواة» ، والسياق يقتضى ما كتبت .

(٨) صهرج المتوضأ : عمل بالصاروج ، وهو النورة أو أخلاطها .

(٩) أى جعل فوقه القار . ط : «وإن كان الصارج» ، صوابه فى س ، هـ .

ولورام رَجُلٌ خرْقَه بمسمارٍ أو سِكّة(١) ، لما بلغ إرادتَه حتى يشقَّ على نفْسه .

والذى سخَّرَ هذه الأمورَ القويَّةَ فى مذْهب الرَّأى وإحساسِ النَّاس ، هو الذى سخَّر القُمقُم ، والطَّيجن ، والمِرْجَل ، والطَّستَ ، لإبرة العقرب . فما أُحصِى عدَدَ مَنْ أخبرنى من(٢) الحوَّائين ، من أهل التَّجارب ، أنها ربَّما خرجتْ من جُحرها فى اللَّيل لطلَب الطُّعم(٣) ، ولها نشاط وعُرَام(٤) ، فتضرِب كلَّ مالقِيتْ ولقِيها : من حيوانٍ ، أو نباتٍ ، أو جماد .

وزعم لى خاقانُ بن صبيح — واستشهد المثنَّى بنَ بِشر ، وما كان يحتاجُ خبَرُه إلى شاهدٍ ، لصدقه — أنَّه سمعَ فى داره نَقْرَةً وقعتْ على قُمقُم — وقد كان سمع بهذا الحديث — فنهض(٥) نحوَ الصوت ، فإذا هو بعقربٍ فتعاورها هو والمثنى بنعالها(٦) حتى قتلاها ، ثمَّ دعَوَا بماءٍ فصبَّاه فى القُمقُم فى عشِيَّتِهِما ، وهو صحيحٌ لايسيلُ منه شىء .

فمن تعجَّبَ من ذلك فليصرِفْ بَدِيًّا(٧) تعجُّبَه إلى الشىء الذى

---

(١) السكة : الحديدة . وأصلها حديدة المحراث . ط : « سلة » ، وأثبت ما فى س ، هـ .

(٢) فى الأصل : « عن » .

(٣) ط ، هـ : « الطعام » ، وما أثبت من س أشبه بلغة الجاحظ . والطعم بالضم : الطعام .

(٤) العرام ، بضم العين المهملة : الحدة والشدة . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط ، س : « غرام » و هـ : « عزام » .

(٥) هـ : « فناهض » ، صوابه فى ط ، س .

(٦) التعاور : التداول والتناوب . س ، هـ : « بنعلهما » وهو وجه جائز ، وأثبت ما فى ط .

(٧) بديا : أى بدءا وأولا . وجاء فى س : « بدءا » .

تقذفه بذنبها[١] العقربُ في بدَن الإنسان والحميرِ والبغال ، فليفكِّرْ[٢] في مقدار ذلك من القلة والكثرة . فقد زعم لي ناسٌ من أهل العَسْكر[٣] أنهم وزنوا جَرَّارةً[٤] بعد أنْ ألسَعُوها[٥] فوجدوا وَزنها على تحقيق الوزن على مقدارٍ واحد . فإن كان الشيء المقذوفُ من شكل [الشيء] الحارّ ، فلمَ قصَّرت النَّارُ عن مبلغ عمله ؟ ! وإن كان من شِكل الشيء البارد فلمَ قصَّر الثلج عن مَبْلغ عمله ؟ ! فقد وَجَبَ الآن أنَّ السمَّ ليس يقتل بالحرارة ، ولا بالبرودة إذا كان بارداً . ولو وجَدْنا فيما أردنا شيئاً بلغ مبلَغَ الثَّلجِ والنار لذكرْناه .

فقد دلَّ ما ذكرنا على أنّ جوفَ النَّعامةِ ليس يُذيبُ الصخرَ الأملسَ بالحرارة ، ولكنَّه لابدَّ على كلِّ حالٍ من مقدارٍ من الحرارة ، مع خاصِّيَّات أُخَرَ ، ليستْ[٦] بذاتِ أسماءٍ ، ولا تعرفُ إلَّا بالوهم في الجملة .

---

(١) ط ، ه : « بديها » س : « بدبها » ، ولعل الوجه ما أثبت .

(٢) كذا في س . وفي ط ، ه : « فيفكر » .

(٣) هو عسكر مكرم ، بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء : بلد من نواحي خوزستان . قال الجاحظ عند ذكر الجرارات : « وهي تكون بعسكر مكرم وجنديسابور » . وقال الدميري عند ذكر الجرارات : « وهي عقارب صغار صفر على مقدار ورق الأنجذان . وتكون بعسكر مكرم » .

(٤) الجرارة : واحدة الجرارات . وهي ضرب من العقارب صغار تجرر أذنابها وفي الأصل : « جرادة » تحريف . انظر التنبيه السابق .

(٥) ألسعوها : أي مكنوها من لسع حيوان . ط ، ه : « التقوها » ، صوابه ما أثبت من س .

(٦) ط ، س : « ليسب » تصحيحه من ه .

(علة قتل السم)

والسمّ يقتل بالكمّ والكيف والجنس . والكمُّ : المقدار . والكيف : الحدّ . والجنس : عَيْنُ[1] الجوهرِ وذاتُه .

وتزعمُ الهندُ أنّ السّمّ إنما يقتُل بالغَرابة ، وأنّ كلّ شيء غريب خالَطَ جَوْفَ حيَوَانٍ قتَلَهُ . وقد أبى ذلك ناسٌ فقالوا : وما بالُه يكون غريباً إذا لاقى العصبَ واللّحم ، وربما كان عاملاً فيهما جميعا . بل ليس يقتل إلّا بالجنس ، وليس تُحسُّ النفسُ إلّا بالجنس . ولو كان الذى يميت حِسَّهُما إنما يميتُه لأنه غريبٌ ، جَازَ أيضاً أنْ يكون الحسّاس إنما حَسَّ[2] لأنه غريب . ولو كان هذا جائزاً لقيل فى كلّ شيء .

وقال ابن الجهم : لولا أنّ الذهب المائعَ ، والفِضّة المائعة ، يجمدان إذا صارا فى جوف الإنسان ، وإذا جَمُدَا لم يجاوزَا مكانهما ــ لكانَا[3] ١٠٦ من القواتل بالغرابة .

وهذا القول دَعْوَى فى النفس ، والنفْسُ تضيق جدًّا . وما[4] قرأت للقدماءِ فى النفْس الأجلادَ الكثيرة . [و[5]] إنما يستدلُّ ببقاء تلك الكتب على وَجْهِ الدّهر إلى يومنا هــذا ، ونَسْخِ الرِّجَال لهـا أمّةً بعدَ أمّة ، وعمرًا بعد عمر ، على جهل أكثرِ النّاسِ بالكلام . والمتكلمون

(١) فى الأصل : « غير » ، وصوابه ما كتبت .
(٢) هى صحيحة . وفى القاموس : « وحسست الشيء : أحسسته » .
(٣) فى الأصل : « لكان » . والوجه إلحاق ألف الاثنين .
(٤) لعلها : « وقد » .
(٥) ليست بالأصل .

يريدون أن يَعْلمُوا كل شيء ، ويأبى الله ذلك . فهذا بابٌ من أعاجيب الظليم .

باب آخر
وهو عندي أعجب من الأول

وهو ابتلاعُهُ الجمرَ حتى ينفُذَ إلى جوفه ، فيكونَ جوفه هو العامل في إطفائه ، ولا يكونَ الجمرُ هو العامل في إحراقه .

وأخبرني أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ سَيَّارٍ النَّظَّام — وكنّا لا نرتاب بحديثه إذا حكَى عن سماعٍ أو عِيان — أنَّهُ شَهِدَ محمد بن عبد الله ، يلقى الحجَرَ في النَّار ، فإذا عاد كالجمر قَذَف به قُدّامَهَ ، فاذا هو يبتلعه كما يبتلع الجَمْرَ . وكنتُ قلت له : إنَّ الجَمْرَ سخيفٌ سريعُ الانطفاءِ إذا لقي الرطوباتِ ، ومتى أطبقَ عليه شيء يحُولُ بيْنهُ وبين النّسيم خَمدَ ، والحجَر أشدُّ إمساكاً لما يتداخَله من الحرارة ، وأثقَلُ ثِقَلاً ، وألزقُ لزُوقاً وأبطأ انْطِفَاءً ، فلو أحميْتَ الحجارة ! فأحماها ثم قذف بها إليه ، فابتلع الأولى فارتَبت به ، فلما ثنَّى وثلّثَ اشتدَّ تعجبي له ، فقلت له : لو أحميت أواقيَّ الحديدِ ، ما كان منها رُبْعَ رِطلٍ ونصف رطل ! ففعل ، فابتلعه ، فقلت : هذا أعجبُ من الأوّلِ والثّاني ، وقد بقيَتْ علينا واحدةٌ ، وهو أن ننظر : أيَسْتَمْرِي[1] الحديدَ كما يستمْرِي الحجارة ؟ ولم يتركنا بعضُ السفهاء

---

(١) يستمرى : يستسيغ . وأصلها الهمز .

وأصحاب الخُرْق[1] أن نتعرَّفَ ذلك على الأيَّام . وكنتُ عَزَمْتَ على ذبْحه وتفتيش جَوْفِه وقانصته ، فلعلّ الحديد يكون قد بقى هناك لا ذائباً ولا خارجاً فعمَد بعضُ نُدمائه إلى سِكِّين فأُحْمِىَ ، ثم ألقاه إليه فابتلعه ، فلم يجاوزْ أعلى حلقه حتى طلعَ طرفُ السِّكين من موضع مَذْبَحِه ، ثمَّ خرَّ مَيِّتاً .

فَمَنَعَنا بخُرقِه من استقصاء ما أردْنا .

(شبه النعامة بالبعير وبالطائر)

وفى النَّعامة أنَّها لا طائرٌ ولا بعير . وفيها من جهة المَنْسِم [والوظيف[2]] والخَرَمَةِ[3] ، والشقّ الذى فى أنفه ، ما للبعير . وفيها من الرِّيش والجناحَين والذَّنبِ والمِنْقارِ ، ما للطائر . وما كان فيها من شكل الطَّائر أخرَجَهَا ونَقَلَها إلى البيض[4] ، وما كان فيها من شكل البعير لم يخرجها ولم ينقلها إلى الوُلدِ[5] . وسماها أهل فارس : « أُشْتُرْمُرْغ[6] » ، كأنَّهم قالوا : هو طائر وبعير . ١٠٧

---

(١) الخرق ، بالضم : الحمق وسوء التصرف .

(٢) الوظيف : مستدق الذراع والرجل من الخيل والإبل . وهذه الزيادة من س .

(٣) الخرمة ، بالتحريك : موضع الخرم من الأنف . وفى كل أنف خرمات ثلاث ، ثنتان خارجتان عن اليمين واليسار ، والثالثة الوترة التى بين المنخرين . ط : « الخزامة » ، وهى بالكسر : ما يوضع فى خرمة الأنف ، وليست مرادة . س ، هـ : « الخرامة » ، صوابه ما أثبت . وانظر العقد (٦ : ٢٣٧) .

(٤) البيض ، ككتب ، وبالكسر أيضاً : جمع بائض وبيوض . والعبارة محرفة فى الأصل . فى جميع النسخ : « وفيها إلى ما فيها من شكل الطائر » ، وبعد كلمة « الطائر » فى كل من ط ، هـ : « حذقها » ، وفى س : « حذفها » وهو تحريف جد مضلل ، وقد هدانى إلى تصحيح العبارة ، ما تقتضيه المقابلة بين هذه الجملة والجملة التى تتلوها .

(٥) الولد ، بالضم وكسكر : جمع والد بمعنى والدة . وفى اللسان : « وشاة والدة وولود : بينة الولاد . ووالد ، والجمع ولد » . وانظر تاج العروس . ط ، هـ : « الواعر » ، وصوابه ما أثبت من س .

(٦) « أشتر » بضم الهمزة والتاء ، ويقال أيضاً : « شتر » بحذف الهمزة ونقل =

(شعر فى شبه النعامة بالبعير والطائر)

وقال يحيى بن نوفل :

فأنتَ كساقطٍ بين الحَشَايا تَصير إلى الخَبيثِ من المَصيرِ[1]
ومثلُ نَعامةٍ تُدْعَى بعيراً تعاظُمِها إذا ما قِيلَ طِيرِى[2]
فإن قيل احْمِلى قالت فإنِّى مِنَ الطَّيرِ الْمُربةِ بالوُكورِ[3]

ثمَّ هجا خالدا[4] فقال :

وكنتَ لَدَى الُمغيرة عَيْرَ سَوْءٍ تَصُول ، من المخافةِ ، للزَّئيرِ[5]

= الضمة إلى الشين : معناه البعير . ومرغ ، بالضم : معناه الطائر .

(١) جعله ممن يلازم الفراش ، ويقعد عما تقتضيه الشجاعة والرجولة . وجاء فى حديث على « من يعذرنى من هؤلاء الضياطرة ، يتخلف أحدهم يتقلب على حشاياه ! » . وقال عمرو بن العاص : « ليس أخو الحرب من يضع خور الحشايا عن يمينه وشماله » . الخور : اللينات . « تصير » هى فى الحيوان (٧ : ٢٠) والبيان (٢ : ٢٦٦) : « يصير » .

(٢) تعاظمها : أى ادعاؤها العظمة والفوق على الطيور . وجاءت الرواية كذلك فى الجزء السابع ، والبيان ، وأصل عيون الأخبار (٢ : ٨٦) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) . وروى : « تعاصينا » كما هى عند الدميرى . وروى فى اللسان (مادة نعم) : « تعاظمه » ، أى تعاظم البعير .

(٣) أرب الطائر بوكره : لزمه ولم يفارقه .

(٤) هو خالد بن عبد الله القسرى . وروى الجاحظ فى البيان (١ : ١١٢) بيتين ليحيى بن نوفل فى هجاء خالد بن عبد الله القسرى :

بل السراويل من خوف ومن وهل واستطعم الماء لما جدّ فى الهرب
وألحن الناس كل الناس قاطبة وكان يولع بالتشديق فى الخطب

(٥) المغيرة هذا هو المغيرة بن سعيد ، صاحب فرقة المغيرية ، وهو متنبىء خرج فى إمارة خالد بن عبد الله القسرى ، وكان يقول بإلاهية على ، وتكفير أبى بكر ، وعمر وسائر الصحابة إلا من ثبت مع علىّ . وظفر به خالد بن عبد الله آخر الأمر ، فأحرقه وأحرق أصحابه فى سنة ١١٩ من الهجرة . والعير : الحمار الوحشى =

لأعلاجٍ ثمــانيةٍ وعِلْــجٍ كَبيرِ السِّنِّ ذى بصَرٍ ضَرِيرِ (١)
هتَفْتَ بكلِّ صَوْتِكَ أطْعِمُونِى شراباً ؛ ثم بُلْتَ عَلَى السَّرِيرِ (٢)

وإنما قيــل ذلك فى النَّعامةِ ؛ لأنَّ النَّاسَ يضربون بها المثَلَ للرّجل إذا كان مِمَّنْ يعتلُّ فى [كُلِّ] شىءٍ يكلفونه بعِلة ، وإن اختَلَفَ ذلك التــكليف ، وهو قولهم : « إنما أنتَ نعامةٌ ، إذا قيل لها احملى قالت : أنا طائر ، وإذا قيل لها طيرى قالتْ : أنا بعير » .

(قصة أُذنى النعامة)

وتزعمُ الأعرابُ أنَّ النَّعامةَ ذهبَتْ تطلُبُ قرنَين ، فرجَعت مقطوعةَ الأذنين ؛ فلذلك يسمُّونه « الظَّليم (٤) » ، ويصفونه بذلك .

وقد ذكر أبو العِيالِ (٥) الهُذَلىّ ذلك ، فقال :

= جعله عند ملاقاته للمغيرة كالعير ، إذا سمع زئير الأسد دفعته شدة الجبن والذعر إلى أن يهاجم هو الأسد ، مما ضاع من صوابه وطار من رشده ، وهذا معروف من طباع العير . والبيت محرف فى الأصــل وفى البيان أيضاً . فهو فى الأصل : « عبد سوء تصول من المخافة للزمير » ، وفى البيان : « تبول من المخافة للزئير » . وصوابهما ما أثبت .

(١) يشير إلى المغيرة وكبار أتباعه . وللمرزبانى حديث عن هذا البيت فى الموشح ٢٣٥ .

(٢) انظر لتوضيح هذا البيت ما سبق فى (٢ : ٢٦٧ س ١٠) والحواشى .

(٣) الظليم ، أى المظلوم ، كقتيل وجريح . وانظر ما سيأتى فى ٣٩٨ - ٣٩٩ . وجاء فى هذا قول بشار : كما فى محاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) :

وكنت كالهيق غدا يبتغى قرنا فلم يرجع بأذنين

وانظر مع هذا التذييل فى آخر الجزء .

(٤) أبو العيال ، شاعر من شعراء هذيل ، مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وأسلم فيمن أسلم من هذيل ، وعمر إلى خلافة معاوية . الأغانى (٢٠ : ١٦٧) . الجمحى : « كان رجلان من هذيل يسكنان مصر — أحدهما يقال له بدر بن عامر والآخر يقال له أبو العيال بن أبى غثير . فبينا ابن أخ لأبى العيال قائم عند قوم =

وإخال(١) أن أخاكم وعِتَابَهُ(٢) إذ جاءكم بتعطُّفٍ وسكونِ(٣)
يُمْسِي إذا يُمسِي ببطن جائع صِفْرٍ ووجهٍ ساهمٍ مَدْهُونِ(٤)
فَغَدَا يَمُثُّ(٥) ولا يُرَى في بَطْنِهِ مثقالُ حَبَّةِ خَرْدل موزونِ(٦)
أو كالنَّعامةِ إذْ غدت من بيتها ليُصاغَ قَرْنَاهَا بِغَيْرِ أذِينِ(٧)
فاجتثت الأُذْنَانِ منها فانْثَنَتْ صَلْمَاءَ ليستْ مِنْ ذَوَاتِ قُرُونِ(٨)

= يتفضلون إذ أصابه سهم فقتله . فخاصم في دمه أبو العيال ، وأنه اتهم به بدر ابن عامر ، أن يسكون ضلعه مع القوم الذين يخاصمهم ، ويخاف أن يعينهم عليه ».
وقد قال بدر بن عامر يبرئ نفسه مما قيل لأبي العيال وقرف به ، شعراً روى في (أشعار الهذليين) المطبوع في لندن ١٨٥٤ ، فأجابه أبو العيال مرة فرد عليه بدر أخرى ، وهكذا حتى تجاوبا عدة مرات . انظر أشعار الهذليين ص ١٣٦ .
وهذا الشعر الآتي هو المجاوبة الخامسة من أبي العيال الهذلي . وروى قصة الشعر أبو الفرج في الأغاني (٢٠ : ١٦٧) معزوة إلى الأصمعي وأبي عمرو . وفيها زيادة : أن ذينك الرجلين الهذليين خرجا إلى مصر في خلافة عمر بن الخطاب . وهذا الاسم هو في الأصل : « أبو العباس » وصوابه ما ذكرت .

(١) س : « وأخاك »، صوابه في ط ، هـ وبقية أشعار الهذليين .
(٢) في الأصل : « رعنانة » ، تصحيحه من بقية أشعار الهذليين .
(٣) قال ابن حبيب : يقول : جاءكم متعطفا ساكنا يريكم أن باطنه صالح ، وهو باطن سيئ .
(٤) ط : « يمشى إذا يمشى » صوابه في س ، هـ والمرجع المتقدم . والصفر بالكسر : الخالي الذي لا طعام فيه . ساهم : ضامر مهزول . وقد دهن وجهه ليرى الناس أنه مخصب وليخدعهم عن سهومه وتغيره .
(٥) يمث : يرى على بشرته وجلده مثل الدهن . في الأصل : « يموت »، وهو تحريف صوابه في بقية أشعار الهذليين . والرواية فيه : « فيرى يمث » .
(٦) مثقال : مقدار . وحب الخردل من أصغر الحبوب . يريد مثقال حبة خردل من طعام . وجعله موزونا مبالغة منه وإظهارا للمعنى .
(٧) بغير أذين : أي من غير أن يؤذن لها . في الأصل : « لتصاغ »، ووجهه ما أثبت من بقية أشعار الهذليين .
(٨) اجتثت : قطعت من أصلها . والصلماء : المقطوعة الأذنين .

(تقليد الغراب للعصفور)

ويقولون : ذهَبَ الغُراب يَتعَلَّمُ مِشْيةَ العُصفور[1] ، فلم يتعلَّمْها ، ونسِى مِشيتَه ، فلذلك صارَ يحجِلُ ولا يَقْفِزُ قَفَزَانَ العُصْفور[2] .

(مشى طوائف من الحيوان)

والبُرغوث والجرادةُ ذاتُ قفزٍ ، ولا تمشى مِشْيَةَ الدِّيكِ والصَّقرِ والبازى ، ولكن تمشى مِشية المقيَّد أو المُحَجَّل[3] [خِلْقَةً[4]] .

قال أبو عِمران الأعمى[5] ، فى تحوُّل قضــاعة إلى قحطانَ[6] :

(١) الشعر الذى رواه الدميرى يشير إلى أنهم زعموا أيضاً أنه رام تقليد القطاة . وهو :

إن الغراب وكان يمشى مشية فيما مضى من سالف الأجيال
حسد القطاة ورام يمشى مشيها فأصابه ضرب من العقال
فأضل مشيته وأخطأ مشيها فلذاك سمــوه أبا المرقال

(٢) هى صحيحة . يقال قفز يقفز قفزاً وقفزانا وقفازاً ـــ بضم ففتحة خفيفة ـــ وقفوزاً . والأسير والأعرف : نقز العصفور ينقز نقزاً ونقزانا .

(٣) المحجل : الذى قيدت قوائمه . وفى الأصل : « الحجل » محرف .

(٤) هذه الزيادة من س ، ﻫ . وهى فى أصلها : « خلقته » .

(٥) كذا فى ط ، ﻫ ، وفى س : « أبو عمروان الأعمى » ، تحريف . واسمه يحيى بن سعيد . كما فى كتاب العقة والبررة لأبى عبيدة ، فى نوادر المخطوطات (٢ : ٣٥٢) :

(٦) قضاعة ، هو قضاعة بن معد بن عدنان . وقد تحولت إلى حمير فعدت فى اليمن . انظر المعارف ص ٢٩ . وقد وضح ابن الكلبى سبب هذا التحول بأن قضاعة ليس ولداً شرعياً لمعد بن عدنان ، بل والده هو مالك بن حمير من اليمن ، فلما توفى والد قضاعة تزوجت أمه ـــ وكان اسمها عكبرة ـــ بمعد بن عدنان ، فتبناه حينئذ وتكنى به ، فنسب إليه ، أى إلى معد ، فى أول الأمر . ثم عاد النسب إلى حقيقته فصار يعرف بقضاعة بن مالك بن حمير . انظر النص فى الروض الأنف (١ : ١٦) . وقد قال عمرو بن مرة يذكر هذا النسب :

نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر قضاعة بن مالك بن حمير =

عَنْ نزار[١] :

كما استَوحَشَ الحىُّ المقيمُ ففارقُوا الْـ خَليطَ فلا عزَّ الَّذين تَحَمَّلوا
كتاركِ يوماً مِشْيَةٍ مِنْ سَجِيَّةٍ لأخرى ففاتَتْهُ فأصبحَ يَحْجِلُ[٢]

(عظام النعامة)

١٠٨ ومن أعاجيبها أنَّها مع عِظَمِ عظامها ، وشدّة عدْوها ، لا مخَّ فيها . وفى ذلك يقول الأعلم الهذلىُّ :

عَلى حتٍّ البُرايَةِ[٣] زَمْخَرِىِّ الـ سَّوَاعِدِ[٤] ظَلَّ فى شَرِىٍ طِوالِ[٥]

يعنى ظليماً شبّه [بهِ[٦]] عدْوَ فرسِه . والحتُّ[٧] : السريع . والشّرى :

= النسب المعروف غير المنكر فى الحجر المنقوش تحت المنبر
وقال الكميت يعاتب قضاعة فى انتسابهم إلى اليمن :
علام نزلتم من غير فقر ولا ضراء منزلة الحميل
والحميل: السبى يحمل من بلد إلى بلد .

(١) أى عن إخوتهم نزار بن معد بن عدنان . وفى الأصل : « بن نزار » وليس شيئاً ؛ فان قحطان هو ابن عابر ؛ كما اتفقت على ذلك كتب الأنساب .

(٢) المشية ، بالكسر : الهيئة من المشى . وقد فصل بين المتضايفين بالظرف ، وهو جائز . وفى الأصل : « مشيه » والصواب ما أثبت ؛ لقوله : « أخرى » أى لمشية أخرى . وانظر العققة و البررة لأبى عبيدة ٣٥٥ .

(٣) حت ، بحاء مفتوحة بعدها تاء مثناة . وفى الأصل : « حث » بالمثلثة ، وهو وهم وتحريف ، صوابه من اللسان (حتت ، زمخر ، برى) وحماسة البحترى ٦٦ حيث يتوسط البيت خمسة أبيات مروية هناك . س : « البرية » تحريف .

(٤) الزمخرى : سيفسره الجاحظ . س : « ذمخرى » ، صوابه بالزاى كما أثبت .

(٥) تقرأ بالكسر ، جمعا لطويل . وبالضم ، مفرداً بمعنى الطويل . قال ابن جنى « يريد أنهن إذا كن طوالا سترنه فزاد استيحاشه . ولو كن قصاراً لسرح بصره ، وطابت نفسه ، فخفض علوه » .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) ط ، ه : « الحث » س : « الحب » ، صوابهما بالمثناة . انظر التنبيه الثالث.

الحنظل . وبُرايته : قوّته على ما يَبْريه من السَّير[1] . والسَّواعد : مجارى مخّه فى العظم وكذلك مجارى عروق الضَّرْع ، يقال لها السَّواعد .

قال : ونظنّ أنَّمَا قيل لها ذلك لأنّ بعضَها يُسْعِدُ[2] بعضاً ؛ كأنّه من التَّعاون أو من المواساة[3] .

قال : والزَّمْخَرِىّ : الأجوف . ويقال : إنَّ قصب عظْم الظَّليم لا مخَّ له . وقال أبو النجم :

* هاوٍ يظلُّ المخُّ فى هَوائِه[4] *

وواحد السَّواعد : ساعد .

وقال صاحب المنطق : ليس المخُّ إلاَّ فى المجوّفة[5] ، مثل عظم الأسد .

وفى بعض عظامه مخٌّ يسير . وكذلك المخُّ قليلٌ فى عِظام الخنازير ، وليس فى بعضها منه شىءٌ البتَّة .

(بيض النعام وما قيل فيه من الشعر)

ومِنْ أعاجيبها أنّها مع عِظَم بيضها تكثِّرُ عدَد البيضِ ، ثمَّ تضَع بيضَها طولاً حتَّى لو مددْتَ عليها خيطا لما وجدت لها مِنْهُ[6] خُروجاً عن الأخرى ، تُعطى كلَّ بيضَةٍ من ذلك قسْطَه . ثمَّ هى مع ذلك ربَّما تركت

(١) ذهب ابن سيده فى تفسير هذا البيت إلى أن « حت البراية » بمعنى منحت الريش لما ينفض عنه عفاءه من الربيع . والبراية : النحاتة . وأنا أستحسن ما ذهب إليه .

(٢) أسعده بمعنى أعانه . وفى ط ، هـ : « يساعده » ، وأثبت ما فى س .

(٣) ط ، هـ : « المساواة » ، والوجه ما أثبت من س .

(٤) فى القرطين (٢ : ٧٧) : * هاو تضل الطير فى خوائه *

(٥) أى العظام المجوفة .

(٦) أى من الخيط . وفى الأصل : « منها » .

بيضها وذهبت تلتمس الطّعام ، فتجد بيض أُخرى فتحضنه . وربّما حضنت هذه بيض تلك ، وربّما ضاع البيض بينهما .

وأمّا عدد بيضها ورئالها فقد قال ذو الرُّمّة :

أذاك أم خاضبٌ بالسِّيِّ مرتَعُه أبو ثلاثين أمسى وهو مُنْقلِبُ(1)

وفي وضعها له طُولاً وعرضا على خطٍّ وسَطْرٍ ، يقول(2) :

وَمَا بَيْضَاتُ ذِى لِبَدٍ هِجَفٍّ سُقِينَ بِزَاجَلٍ حَتَّى رَوِينَا(3)

وُضِعْنَ فكلُّهنَّ على غِرارٍ هِجانُ اللَّون لم تقرع جَنِينا(4)

يَبِيتُ يَحفُهُنّ بمِرْفَقَيْهِ وَيَلْحَفُهُنّ هَفْهَافاً ثَخِينا(5)

---

(1) سبق الكلام على هذا البيت في ص ٣١١ . س : «أخاك» . هـ : « بالشى » ط : « بالسيء » وكل ذلك محرف . س ، هـ : « فهو منقلب » .

(2) القائل هو عمرو بن أحمر الباهلي ، كما سيأتي في ص ٣٤١ والكامل ٢٥ ليبسك وعيون الأخبار (٢ : ٨٧) واللسان (هجف) .

(3) عني باللبد هنا الريش . والهجف ، بكسر ففتح : الطويل الضخم ، أو المسن . ط ، هـ : « نجف » س : « بنجف » ، صوابه من اللسان والمخصص (٨ : ٥٥) . والزاجل ، بفتح الجيم ، ويقال بالهمز أيضاً : ما يسيل من مؤخر الظليم على البيض إذا حضنه . س : « بداجل » ، صوابه في ط ، هـ والمخصص واللسان (هجف ، زجل) .

(4) غرار ، بالكسر : أي حد واحد وقالب واحد . وأصل الغرار المثال الذي يضرب عليه النصل فتخرج النصال متساوية متشابهة . والهجان : البيض اللون . ولفظه بكسر الهاء يقال للواحد والجمع . و « لم تقرع » هكذا جاءت في الأصل ، ورواية المبرد : « قد وسقت » ، بمعنى حملت . ولعل سبب تحريف الأصل اشتباه هذا البيت ببيت عمرو بن كلثوم :

ذراعى حرة أدماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا

فحدث فيه لذلك الوهم ثم التحريف . ثم إن العلامة المرصفي وهم أيضاً في شرح هذا البيت من الكامل (رغبة الآمل ١ : ١٤٧) فجعله في صفة نوق ، وإنما هو في صفة بيض النعام .

(5) لحفه ، من باب منع : غطاه باللحاف . هفهافا ، يعني به الجناح . وثخينا : أي =

وقال الآخر(١) :

تَهوِى بها مُكْرَبَاتٌ فى مَرافقِها فُتْلٌ صِلابٌ مَياسِيرٌ مَعَاجِيلُ(٢)

يَدَا مَهاةٍ ، ورِجْلا خَاضِب سَنِق كأنَّهُ مِنْ جَنَاهُ الشَّرْىَ مَخلولُ(٣)

هَيْقٍ هِجَفٍّ وَزِفَّانِيَّةٍ مَرَطَى زَعْراءَ ، رِيشُ جَناحَيها هَرَاميلُ(٤)

= تراكب ريشه بعضه فوق بعض . والبيت فى الأصل :

تبيت تحفهن بمرفقيها وتلحفهن هفهافا ثخينا

والوجه ما أثبت ، إذ أن الضمائر راجعة إلى الظليم . ورواية اللسان فى مادة (هفف) : « يبيت يحفهن بقفقفيه » . وفى مادة (قفف) : « فظل يحفهن بقفقفيه » . وقفقفا الظليم : جناحاه .

(١) هو الشماخ ، من قصيدة له فى ديوانه ٧٧ – ٨٢ مطلعها :

بانت سعاد فدمع العين مملول وكان من قصر من عهدها طول

(٢) تهوى بها : أى تسرع . والضمير عائد إلى الناقة فى بيت سابق . والمكربات : المشدودات ، يعنى أن أذرعها مشدودة بمرافقها . وفتل : جمع أفتل وفتلاء ، بمعنى مندمجة شديدة . ط ، ه : « ملزمات » ، س : « مكرمات » ، وهما تحريف ما أثبت .

(٣) المهاة : البقرة الوحشية . والخاضب : الظليم احمرت ساقه . والسنق : الذى أصابه السنق والبشم من الشبع . من جناه الشرى : أى من تناوله الحنظل ، وهو أطيب طعام عند النعام . يقال جنى الثمر يجنيه جنى ، بالتحريك . والمخلول ، هو الفصيل يجعل فى لسانه عود ليمنعه من الرضاع . جعل الظليم ، فى امتناعه عن الطعام ، مما شبع ، كالفصيل المخلول الذى لا يستطيع الرضاع . والبيت محرف فى الأصل تحريفاً كبيراً ، ففى الأصل : « أشق » موضع « سنق » ، والأولى لا وجود لها فى اللغة وتصحيحه من الديوان . س : « من حناه » ه : « من حناة » صوابه فى ط والديوان . س : « محلول » صوابه فى ط ، ه والديوان

(٤) الهيق : الطويل . والهجف : الطويل الضخم . وفى الديوان واللسان (هرمل) والمخصص (٨ : ٥١) : « هزف » . والهزف : السريع . والزفانية ، بالكسر كما فى القاموس (زفف) — السريعة . ط ، ه : « زقافية » س : « زنافية » محرفتان . وضبطت فى المخصص ضبط قلم وكذا فى الديوان بالفتح . والمرطى ، بفتحات : السريعة . وفى الأصل والديوان : « مرطا » صوابه فى المخصص واللسان (هرمل) . والزعراء : القليلة الريش . والريش الهراميل : المتفرقات . وفى الأصل : « هذا ميل » ، صوابه فى الديوان والمخصص واللسان .

كأنما مُنثنى أقماعِ ما هَصَرَتْ مِن العِفَاءِ بِلِيتَيْهَا ثآليلُ(١)
تَرَوَّحا مِنْ سنام العِرقِ فالتَبَطا إلى القِنَانِ التى فيها المداخِيلُ(٢)
١٠٩ إذا استهَلَّا بشُؤبوب فقد فُعِلَتْ بما أصابَا مِنَ الأَرْضِ الأفاعيلُ(٣)
فصادَفَا البيْض قد أبدَتْ منَاكِبهاَ منها الرِّئالُ ، لها منها سَرَابيلُ(٤)
فَنكَّبَا ينقُفَانِ البَيْضَ عن بَشَر كأنها ورقُ البَسْباسِ مَغْسُولُ(٥)

---

(١) يقول : كأن رءوس مغارز الريش الذى هصرته تلك النعامة ونزعته ، بثور ظاهرة . والليت ، بالكسر : صفحة العنق . فى الأصل : « من الفقار » وتصحيحه من الديوان . والعفاء ، بالكسر : الريش . س : «بليدیها » ﻫ : « بلبيها » بهذا الإهمال . وصوابهما فى ط والديوان .

(٢) تروحا : أى سارا فى الرواح . وسنام العرق : أعلاه . والعرق ، بالكسر : الأرض المرتفعة ، أو الحبل الرقيق المستطيل من الرمل . س : « العرف » بالفاء ، وهو بالضم : الأرض المرتفعة . وأثبت مافى ط ، ﻫ والديوان . والتبطا : توجها . والقنان : جمع قنة بالضم ، وهى الجبل السهل المستوى المنبسط على الأرض . وفى الأصل : « الفقار » وأثبت مافى الديوان . والمداخيل : المداخل ، وعنى بها المداخل التى تحت الجرف ، التى تسمى الدحال . وفى الديوان : « المداحيل » بالحاء المهملة .

(٣) أى إذا اشتدا فى الجرى بدفعة منه فإنهما يخدان الأرض بمناسمهما . وأصل الاستهلال شدة انصباب المطر . والشؤبوب : الدفعة منه . فى الأصل : « إذا استهل . . . . بما أصاب . . . . » وصوابه ما أثبت موافقا لما فى الديوان .

(٤) أى وجدا البيض وقد أخرجت منه الفراخ الصغار مناكبها ، وقد علاهن بعض قشر البيض ومائه ، فكان ذلك لهن كالسرابيل . فى الأصل : « فصادف » وصوابه ما أثبت من الديوان . وفى الديوان أيضا : « منه الرئال لها منه » وهما وجهان جائزان ؛ إذ أن كل جمع يكون بينه وبين واحده الهاء نحو بقر وبقرة ، فإنه يذكر ويؤنث . المصباح ص ٩٦٨ وهذا قول الزجاج . ولابن سيده تفصيل طيب فى هذا المعنى . المخصص (١٦ : ١٠٠) .

(٥) يقول : مالا إلى ذلك البيض ينزعان قشره عن بشر تلك الفراخ ، وكأن بشرها ورق ذاك النبت حين يغسل . مكان « عن بشر » فى ط : « أعينها » وفى س : « عن » فقط ، وفى ﻫ : « عنها » وتصحيحه وإكماله من الديوان . والبشر : جمع بشرة ، يذكر ويؤنث ، كما فى التنبيه السابق . والبسباس : نبت له أوراق متراكبة شقر . تذكرة داود . وفى الديوان : « كأنه ورق البسباس » .

(تشبيه القدر الضخمة بالنعامة)

والشُّعراء يشبِّهون القِدْرَ الضَّخْمَةَ التى تكون بمنزِلِ العَظيم وأشباهِهِ من الأجواد ، بالنَّعامة . قال الرّمّاحُ ، ابنُ مَيّادة[1] :

وقلت لها لاتعجلى كذلك تقرى الشوك مالم تردد[2]

إلى جامعٍ[3] مثل النَّعامة يلتقى عوازبه[4] فوق . . . . .

جامع : يعنى القدر . وجعلها مثلَ النّعامة .

وقال ابن ميادة يمدح الوليدَ بن يزيد :

نتاج العشَار المنْقيات إذا شتَتْ[5] روابدُها مثلُ النَّعامِ العَواطِفِ[6]

---

(١) هو الرماح بن أبرد . وهو المعروف بابن ميادة . وميادة : أمه . وهو مخضرم من شعراء الدولتين . س ، ه : « الرياحى ابن ميادة » ، صوابه فى ط .

(٢) س : « يقرى » . ط : « مالم تزدد » . وفى هذا البيت والذى بعده نقص وتحريف .

(٣) ط : « جامل » ، وأثبت صوابه من س ، ه . وفى القاموس : « وقدر جامع وجامعة وجماع ككتاب : عظيمة » . وفى اللسان : « وقدر جماع وجامعة : عظيمة . وقيل هى التى تجمع الجزور » .

(٤) س : « غواديه » ، ه : « عواربه » .

(٥) س ، ه : « انتاج » صوابه فى ط . والمنقيات : ذوات الشحم . والنِّقى ، بالكسر : الشحم . وشتت : دخلت فى الشتاء . ط : « إذا المنقيات شتت » ، ه : « العشار إذا شتت » س : « العشار إذا تشتت » ، وقد وجهته بما ترى .

(٦) الروابد : من ربد ربودا : أقام . وقد عنى بهن القدور المقيمة على النار . والعواطف : الحانيات على أولادها .

وقال[1] الفرزدق[2] :

وقدرٍ كحيزُوم النّعامة أُحْمِشَتْ[3]   بأجْذالِ خُشْبٍ زالَ عنْها هشيمها[4]

(الذئب والنعام)

وضحك أبو كَلْدَةَ[5] حين أُنشِد شعرَ ابن النَّطّاح[6] ، وهو قوله :

* والذِّئب يلعب بالنّعام الشّارد *

قال : وكيف يلعب بالنّعام والذِّئبُ لايَعْرِضُ لبيض النَّعام وفراخِه حين لايكونان حاضرَين ، أو يكونُ أحدهما ؛ لأنهمَا متى ناهضاه ركَضهُ الذَّكرُ فرماه إلى الأنثى ، وأعجلَتْهُ الأنثى فرَكضَتْهُ ركضةً تُلقيهِ إلى الذَّكَر فلا يزالان كذلك حتى يقتُلاه أو يُعْجِزَهُما هَرَباً . وإذا حاوَلَ ذلك منه أَحَدُهُمَا لم يقْوَ عليه . قال : فكيف يقول :

---

(١) قبل هذا فى ﻫ : « فضحك أبو عبيدة » ، وهى زيادة لاموضع لها .

(٢) البيت فى محاضرات الراغب منسوب إلى مضرس . وهو كذلك ليس فى ديوان الفرزدق مع وجود أخواته فى ص ٨٠٣ .

(٣) حيزوم النعامة : ما استدار ببطنها وظهرها . ويقال أحمش القدر وأحمش بها : أشبع وقودها . ط ، ﻫ : « أحشمت » ، صوابه فى س والبخلاء ١٩٠ وأمالى المرتضى (٤ : ٢٩) والحماسة (٢ : ٣٢٨) ، وأول البيت فيهما : « غضوبا » . جعل غليانها بمنزلة الغضب .

(٤) الأجذال : جمع جذل ، بالكسر ، وهو أصل الشجرة . وفى الأصل : « أجفال » . تحريف ما أثبت من البخلاء ومحاضرات الراغب . ورواية أبى تمام والمرتضى : « بأجواز » أى أوساط . وهى أصلب الخشب وأبقاه ناراً . والهشيم : المتهشم . ط : « هيشها » ، صوابه فى س ، ﻫ وسائر المراجع . ط ، ﻫ : « منها » وأثبت مافى سائر المراجع .

(٥) هذه العبارة ساقطة من ﻫ . وأبو كلدة سبق ذكره فى (١ : ٢٣٤) .

(٦) هو بكر بن النطاح ، سبقت ترجمته ى (٣ : ١٩٦) .

* والذِّئب يلعبُ بالنَّعام الشَّارد *

وهذه حالُه مع النَّعام ؟ !

وزعم أنَّ نعامتين اعتَوَرَتا ذِئباً فهزَمتاه[1] ، وصعِد شجرةً ، فجالدهما ، فنقره أحدُهما ، فتناوَلَ الذِّئبُ رأسَــه فقطَعه ، ثمَّ نزل إلى الآخَر فساوَرَه فهزَمَه .

(جُبن الظليم ونِفاره)

والظَّليم يُوصَف بالُجبْن ، ويوصف بالنِّفار والتَّوحُّش .

وقال سَهم بن حنظلة[2] ، فى هجائه بنى عامر :

إذا ما رَأيتَ بنى عامرٍ رأيتَ جَفاءً وَنُوكًا كثيرا[3]

نعامٌ تَجُرُّ بأعنَاقِهـا ويمنَعها نُوكها أن تَطيرا[4]

(ضرر النعامة)

والنَّعامة تتخذها النَّاسُ فى الدُّور[5] ، وضررُها شديدٌ ؛ لأنَّها ربَّما رأتْ فى أذن الجارية أو الصبيَّة قُرطاً فيه حجرٌ ، أو حبَّةُ لؤلؤٍ ، فتَتَخْطَفُهُ

(١) اعتورتاه : تداولتاه . ﻫ : « فهربتاه » .

(٢) فى الإصابة ٣٧٠٣ : « سهم بن حنظلة بن خاقان ـــ صوابه حلوان ـــ بن خويلد ابن حرمان ـــ كذا ـــ الغنوى . قال المرزبانى : شاعر شامى مخضرم » . وذكره صاحب المؤتلف والمختلف ١٣٦ .

(٣) النوك ، بالضم والفتح : الحمق . وفى عيون الأخبار : « ونوكا كبيراً » .

(٤) الرواية فى عيون الأخبار (٢ : ٨٧) : « تمد بأعناقها » . وهذه أجود .

(٥) الدور : جمع دار . س : « تتخذ فى الدور » .

١١٠ لتأكله . فكم أذنٍ قد خرَقَتها ! وربّما رأتْ ذلك فى لَبَّة[1] الصبىّ أو الصبيَّةِ ، فتضرب بمنقارها ، فربَّما خرقت ذلك المكان .

(شعر فى تشبيه الفرس بالظليم)

وممَّا يشبَّه به الفَرَسُ ممَّا فى الظليم ، قولُ امرئ القيس بن حُجْر :

وخدٌّ أسيلٌ كالمِسَنِّ وبِرْكةٌ   كَجؤجؤِ هَيْقٍ دفُّه قد تمَوَّرا[2]

وقال عُقْبَةُ بن سَابق[3] :

وله بِركة كَجُؤجُؤِ هَيْقٍ   ولَبانٌ مضرَّجٌ بالخضَابِ[4]

وقال أبو دُوَاد[5] الإياديُّ :

---

(١) اللبة ، بالفتح وتشديد الباء : موضع القلادة من الصدر .

(٢) البركة ، بالكسر : الصدر . والجؤجؤ : الصدر أيضاً . والهيق : الذكر من النعام . والدف ، بالفتح : صفحة الجنب . وتمور : سقط منه النسيل أى الريش . وإنما يكون ذلك فى أيام الربيع وجودة المرعى . ويحدث مثله أيضاً للحمار حيث يسقط عنه الشعر . انظر اللسان (مور) . والنعام فى ذلك الوقت ينمو نمواً كبيراً . وقد سبق هذا البيت فى (١ : ٢٧٢) وانظر ديوان امرئ القيس ٢٦٧ دار المعارف .

(٣) هو عقبه بن سابق الهزانى ، شاعر من شعراء الأصمعيات (٦ — ٧) . وفى الأصل : « عبدة بن شأس » ، وصوابه ما أثبت كما جاء باتفاق النسخ فى الجزء الأول ص ٢٧٣ .

(٤) انظر لتفسير صدر هذا البيت ما سبق فى تفسير البيت السابق . والرواية فى الجزء الأول : « ولها » . واللبان ، بالفتح : وسط الصدر . مضرج بالخضاب : ملطخ بالدم . وكان العرب إذا ساقوا الخيل على الصيد ، فالسابق منها إليه يخضبون نحره بدم ما يمسكونه من الصيد ؛ علامة على أنه سباق غايات . بلوغ الأرب (٣ : ١٨) . وقد يكون المراد أن راكب هذا الجواد أو الفرس يعرض نفسه للمخاطر ؛ فيصيب فرسه نصيب من ذلك .

(٥) فى الأصل : « أبو داود » وهو تحريف يتكرر كثيرا . والصواب ما أثبت . وترجمة أبى دواد تقدمت فى (٣ : ٤٢٥) ، وهو أحد نعات الخيل المجيدين .

يَمْشِي كمشى نعامتَيْـــنِ يُتابِعانِ أشقَّ شاخِصْ[1]

وقال آخر[2] :

كأَنَّ حَماتَه كُردُوسُ فَحْلٍ مقلَّصة على سَاقٍ ظَلِيمِ[3]

وقال أبو دُوادٍ الإيادىُّ :

كالسِّيدِ ما استقبلته وإذا وَلَّى تَقُولُ مُلَمْلَمٌ ضَرْبُ[4]

لَأْمٌ إذا استقبلته ومَشَى متتابعاً ما خانَهُ عَقْبُ[5]

يَمْشِي كَمَشْىِ نَعامَةٍ تَبِعَتْ أُخْرَى إذا مَا رَاعَهَا خَطْبُ

القولُ فيما اشتُقَّ له من البَيْض اسم

قال العدَبَّس[6] الكِنانىّ : باضت البُهْمَى[7] : أى سقطت نِصالُها[8]

---

(١) أشق : يعنى ظليما واسع ما بين الرجلين . والشاخص : المرتفع . وقد سبق البيت فى (١ : ٢٧٤) .

(٢) فى (١ : ٢٧٤) أنه خالد بن عبد الرحمن .

(٣) الحماة : عضلة الساق . والكردوس ، بالضم : واحد الكراديس ، وهى رءوس العظام . وفى الأصل : « نحل » ، صوابه ما أثبت من الجزء الأول ، ط ، هـ : « على شَتّى » س : « على سَقّ » ، صوابه ما أثبت من الأول .

(٤) السيد ، بالكسر : الذئب . والململم : المجتمع المدور . والضرب : الخفيف اللحم .

(٥) اللأم : الشديد .

(٦) العدبس الكنانى : أعرابى فصيح ، ذكره ابن النديم فى الفهرست ٤٧ ليدن ، ٧٠ مصر - وفى القاموس (مادة عدبس) ، أن العدبس رجل كنانى. وفى اللسان (مادة عدبس أيضاً) « ومنه سمى العدبس الأعرابى الكنانى ». وفى الأصل: « العديس » بالياء ، صوابه ما أثبت من المراجع المتقدمة .

(٨) البهمى ، كحبلى : نبت هيئته كالشعير ، ولكنه قصير . ويعرف أيضاً بالشوفان فى سوريا . وهو بالانجليزية : Wild - oat . عن معجم النبات ، وتذكرة داود ، والقاموس .

(٨) النصال : جمع نصل ، وهو سنبلة البهمى .

وباض الصَّيف ، وباض القَيظ : اشتدَّ الحر وخرج كلُّ مافيه — من ذلك .

وقال الأسَدِىّ :

فجِئنا وقد باضَ الـكَرَى فى عيونِنا[1] فتًى مِنْ عُيُوب المقْرَفِينَ مُسَلَّمَا[2]

وقال أُميَّةُ بنُ أبى الصَّلْتِ :

ركِبَتْ بيضةُ البَيَاتِ عليهم لم يُحِسُّوا منها سِواها نذيرا[3]

وقال الرَّاعى ، يهجو ابنَ الرِّقاع[4] :

لو كنْتَ مِنْ أَحَدٍ يُهجَى هجَوْتُكُمْ يا ابن الرِّقاع ، ولـكنْ لسْتَ مِنْ أحَدِ

تأبَى قُضاعةُ لمْ تقبَلْ لـكمْ نسباً وابنَا نِزارٍ فأنتم بَيضــةُ البَلَدِ

وفى المديح قولُ علىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنه : « أنا بَيْضَةُ البَلد »

ومنه بيضة الإسلام . وبيضة القبّة : أعلاها ، وكذلك الصَّوْمَعَةُ[5] .

والبيْض : قلانس الحديد .

---

(١) الـكرى : النوم والنعاس . فى الأصل : « من عيوننا » . محرف .

(٢) فى الأصل : « عيون المقرفين » والصواب ما أثبت . والمقرفين ، إن كسرت الراء كانت من أقرف الرجل : إذا كان هجينا ، بأن تـكون أمه عربية وأبوه غير عربى . وإن فتحت الراء كانت من أقرف الرجل غيره : وقع فيه وذكره بسوء .

(٣) البيات ، بالفتح : من بيت العدو القوم : قصدهم فى الليل من غير أن يعلموا ، فيأخذهم بغتة . ط والديوان ٣٤ : « سراها » صوابه فى س ، هـ .

(٤) هو عدى بن الرقاع . وكلمتا : « ابن الرقاع » ساقطة من س . وانظر الـكلام على البيتين فى الحيوان (٢ : ٣٣٦) واللسان (بيض) وثمار القلوب ٣٩٢ والعمدة (٢ : ١٥٣) .

(٥) الصومعة ، كجوهرة : بيت للنصارى ، سمى بذلك لدقة فى رأسه .

وقال أبو حيَّة النُّميرىّ[١] :

وصدَّ الغانياتُ البِيضُ عَنِّى وما إنْ كان ذلك عن تَقَالِى[٢] ١١١

رأَيْنَ الشَّيْبَ بَاضَ على لِدَاتى[٣] وأفْسَدَ ما عَلَىَّ من الجَمَالِ[٣] !

وبَيضُ الجُرْح والخُرَاجِ والحِبْنِ[٤] : الوعاء الذى يجمع فيه الصَّديد ، إذا خَرَجَ برِئَ وصلُح .

وقد يُسمُّون ما فى بطونِ إناث السَّمك بَيْضاً ، وما فى بطونِ الجرادِ بيضاً ، وإن كانوا لا يَرَوْنَ قِشْرًا يشتمِلُ عليه ، ولا قَيْضاً يكونُ لما فيه حِضْنًا[٥] .

والخِرشاءُ : قشرة البيض إذا خَرَجَ مافيه . وسَلْخ الحيَّةِ يقال له الخِرشاء .

---

(١) اسمه الهيثم بن الربيع ، ونسبته إلى نمير بن عامر بن صعصعة ، وهو شاعر من مخضرمى الدولتين ، وقد مدح الخلفاء فيهما جميعاً ، وكان مقصداً راجزاً من ساكنى البصرة ، وكانت به لوثة ، وكان من أجبن الخلق ، وله سيف يسميه : لعاب المنية ، ليس بينه وبين الخشبة فرق . توفى نحو سنة ١٦٠ . الشعراء ٧٤٩ والأغانى ١٥ : ٦١ . وفى الأصل : « النمرى » محرف .

(٢) التقالى : المباغضة . هـ : « ثقالى » مصحفة .

(٣) لداتى : جمع لدة ، بالكسر . واللدة : من يولد معك .

(٤) الحبن ، بالكسر : الدمل . ط : « الجبن » تصحيف سبق مثله فى ٢ : ٣٣٦ ، وصوابه فى س ، هـ .

(٥) القيض ، بالفتح : القشرة العليا اليابسة على البيضة . والحضن ، بالكسر : بمعنى مايحيط بالشىء . وأصله من حضن الجبل ، وهو مايطيف به .

(شعر فى التشبيه بالبيض)

وقال الأعشى فى تشبيه اللَّفَّاء[1] الحسناء بالبيضة :

أو بيضةٍ فى الدِّعصِ مكنونةٍ   أو دُرَّةٍ سِيقَتْ إلى تاجرِ[2]

وقال فى بيض الحديد :

كأن نَعامَ الدَّوِّ باضَ عليهمُ   إذا شامَ يوماً للصَّريخ المندَّدِ[3]

وقال الأعشى :

أتتْنا مِنَ البطْحاءِ يَبْرُقُ بَيضُها   وقد رُفِعَتْ نيرانُها فاستقلَّتِ[4]

---

(١) فى الأصل : « الذلفاء » ، وهى القصيرة الأنف الصغيرته. ولا وجه لها هنا . وما أثبت هو أقرب تصحيح لـكلمة . واللفاء : الضخمة الفخذين فى اكتناز واجتماع .

(٢) مكنونة فى الدعص : مخبأة فى الرمل المستدير . ورواية الديوان ١٠٤ : « أو درة شيفت لدى تاجر » . وشيفت : جليت . وضبط « بيضة » و « درة » بالكسر ؛ لأن قبل البيت :

كدمية صور محرابها   بمذهب فى مرمر مائر

(٣) الدو : الفلاة . ورواية الديوان ١٣٢ : « إذا ريع شتى للصريخ المندد » .
والبيت فى صفة كتيبة . جعل البيض الذى يحمى رءوس الرجال شبيها ببيض النعام ؛ لـكثرته . فإن كل نعامة تبيض نحو الثلاثين . ولذا يقال لها : أم ثلاثين . وللظليم : أبو ثلاثين . وقبل البيت :

بملمومة لا ينفض الطرف عرضها   وخيل وأرماح وجند مؤيد

فضمير « شام » عائد إلى الجند . وشام : نظر ، أو سل سيفه. والصريخ : صوت المستصرخ المستغيث . والمندد ، بضم الميم وفتح الدال المشددة ؛ الصوت المبالغ فى رفعه وتشديده . ومنه قول طرفة : « لهجس خفى أو لصوت مندد » ، وفى الأصل : « الممدد »، وصواب الرواية ما أثبت من الديوان .

(٤) فى الأصل : « أتينا » صوابه من أمالى ابن الشجرى (٢ : ١٦٥ حيدر أباد) . ورواية الديوان : « أتتهم » . س ، ﻫ وحماسة ابن الشجرى ٤١ : « تبرق » ط ، س : « بيضنا » صوابها فى ﻫ وأمالى وحماسة ابن الشجرى وديوان =

وقال زيد الخيل :

كأنَّ نَعامَ الدَّوِّ باضَ عليهمُ فَأَحْدَاقُهُمْ تَحْتَ الحديدِ خوازِرُ[1]

(استطراد لغوي)

قال : ويقال تقيَّضَت البيضةُ ، والإناءُ ، والقارورة ، تقيُّضاً[2] : إذا انكسرت فِلَقاً. فإذا هي لم تَتَفَلّقْ[3] [فِلَقاً] وهي[4] متلازقةٌ ، فهي منْقَاضةٌ انقِياضاً . وقَيض البيضة : قشرتها اليابسة . وغِرْقئها : القشرة الرَّقيقة التي بين اللَّحم وبين الصَّميم . قال : والصَّميم : الجلدة .

= الأعشى ١٧٩ . ورواية العجز في الديوان : « وقد رفعت راياتها فاستقلت » . ورواية ابن الشجرى : « وقد بذخت فرسانها وأدلت » . والبيت من قصيدة للأعشى يذكر فيها وقعة ذى قار ، التي كانت بين العرب والفرس . وهو في صفة جيش الفرس وعظمته . وبعده (في رواية ابن الشجرى) :

نثاروا وثرنا والمنية بيننا وهاجت علينا هبوة فتجلت

نحاسيهم كأساً من الموت مرة وقد رفعت راياتهم فاستقلت

ومثله للأعشى في تعظيم شأن جيش الأعاجم حينئذ . (الأغانى ٢٠ : ١٤٠) :

لما أتونا كأن الليل يقدمهم مطبق الأرض تغشاها لهم سدف

بطارق وبنو ملك مرازبة من الأعاجم في آذانها النطف

من كل مرجانة في البحر أحرزها تيارها ووقاها طينها الصدف

وظعننا خلفنا تجرى مدامعها أكبادها وجلا مما ترى تجف

وانظر بقية الشعر فيها . ولوقعة ذى قار العقد (٣ : ٣٧٤) والعمدة (٢ : ١٦٩) والميدانى (٢ : ٣٥٢) ومعجم البلدان .

(١) جمع خازر : وهو من ينظر بلحاظ عينيه ، ويكون ذلك عند مايراد تحديد النظر . ورواية الشعراء ٢٢٠ : « وأعينهم تحت الحديد » . ورواية قدامة في نقد الشعر ٣٩ والأغانى ١٠ : ٤٤ : « وأعينهم تحت الحبيك » . ونسب في الأغانى لمعقر بن أوس .

(٢) ط ، هـ : « نقيضاً » ، صوابه في س .

(٣) ط ، هـ : « تنفلق » .

(٤) ط ، هـ : « فهى » ، صوابه في س .

قال : ويقال غرقَأَت البيضةُ : إذا خرجَتْ وليس لها قشر ظاهرٌ غير الغِرقِئة [1] .

قال الرَّدَّاد : غرقَأَت الدَّجاجةُ بيضها ، فالبيضة مُغَرْقأة [2] . والخِرشاء : القشرة الغليظة [3] من البيضة ، بعد أن تُثقَب فيخرجَ ما فيها من البلل ؛ وجماعُها الخَرَاشيّ ، غير مهموز .

قال : وقال ردَّاد : خِرْشاءُ الحيّة : سَلْخها حين تنسلخ [4] .

قال : وتغدّى أعرابيٌّ عندَ بعضِ الملوك ، فدبَّت على حلْقِه قَملةٌ ، فتناولها فقصَعَها بإِبهامه وسَبَّابتِهِ ، ثمَّ قتلها ، فقالوا له : ويلك! ما صنعت؟! فقال : بأبي أنتمْ وأمي ، ما بقِي إلا خِرشاؤها !

وقال المرقِّش :

إن يَغْضَبُوا يَغْضَبْ لذاكم كما يَنْسَلُّ من خِرْشائه الأرقمْ [5]

وقال دُريد بن الصِّمَّةِ في بَيض الحديد [6] :

112 قال : ويقال في الحافر نزا [7] ينزو . وأمَّا الظليم [فيقال [8]] قعا يقعُو ،

(١) كذا جاءت . والمعروف في المعاجم : « الغرقىء » بالتذكير .

(٢) ط ، ه : « غرقات » صوابه في س .

(٣) ط : « والخرشاء مغرقات الجلدة الغليظة » ، ه : « والخرشا الجلدة الغليظة » ، صوابهما في س .

(٤) ط ، ه : « يسلخ جلدها » . وما أثبت من س أشبه .

(٥) الأرقم من الحيات : الذي فيه سواد وبياض . في الأصل : « خرشائها » ، صوابه من المفضليات ٢٤٠ والمقصور والممدود ٣٨ . وقد سبق البيت في ص ٣٤٠ . ط ، ه : « تنسل » تصحيحه من س والمقصور .

(٦) بعد هذا بياض في الأصل . ولم اهتد بعد إلى شعر لدريد في بيض الحديد .

(٧) في الأصل : « نزى » بالياء .

(٨) ليست بالأصل .

مثل البعير . يقال قاع يقوعُ قَوْعا[1] وقِيَاعاً، وقَعَا يقعُو قَعْوًا. فهذا مايسوُّون فيه بينه وبين البعير . ويقال : خفّ البعير ؛ والجمع أخفاف . ومنسِمُ البعير ، والجمع مناسم ؛ وكذلك يقال للنَّعامةِ .

وقال الرّاعى :

ورِجْل كرجْل الأخْدَرِىِّ يُشِيلُها   وَظِيفٌ على خُفٍّ النّعامةِ أرْوحُ[2]

وقال جران العود :

لَهَا مثل أظفَارِ العقَاب ومَنْسِمٌ   أزجُّ كَظُنْبوب النّعَامةِ أروحُ[3]

قال : والزَّاجَل[4] : ماء الظليم ؛ وهو كالكِرَاضِ من ماءِ الفحْل . وأُنْشد لابْنِ أحمر[5] :

وما بيضات ذى لبَدٍ هِجَفٍّ   سُقِينَ بزَاجَل حَتَّى رَوِينَا[6]

وقال الطِّرِمَّاح :

سَوْفَ تُدْنِيك مِنْ لَمِيسَ سَبَنْدَا   ةٌ أمَارَتْ بالبَوْلِ مَاءَ الكِرَاضِ[7]

---

(١) كذا على الصواب فى ﻫ . وفى ط : « قعيا » و س : « قيعا » .

(٢) الأخدرى : الحمار الوحشى . يشيلها : يرفعها ويحملها . والوظيف : مستدق الذراع والساق . ووظيف أروح : اتسع مابينه وبين الوظيف الآخر .

(٣) السكرى : « يقول : أظفارها كمخالب العقاب . والمنسم : طرف خف النعامة . والأزج : المقوس . والظنبوب : أنف عظم الساق » . فى الأصل : « أظفار الكناء » تصحيحه من ديوان جران العود ص ٦ . والبيت وجملة : « وقال جران العود » ساقطان من س .

(٤) يقال بالهمز وبغير الهمز .

(٥) ط ، ﻫ : « ابن أحمر » ، صوابه فى س . وانظر ماسبق فى ص ٣٢٨ .

(٦) سبق شرحه فى ص ٣٢٨ .

(٧) السبنداة : الناقة الجريئة لاتقر للفحل . ورواية الديوان ٨١ : « سبنتاة » وهما لغتان يقال بالتاء وبالدال . أمارت : أسالت . وماء الكراض : مافى جوفها =

وربَّما استعاروا المناسم. قال الشاعر:

توعدنى بالسِّجن والآدات[1] إذا عَدَت تأظبت أدات[2]

* تربطُ بالحبل أُكَيْرِعَاتِ *

قال: ويقال لولد النَّعام: الرَّأل، والجمع رِئال ورئلان؛ وحَفَّانٌ. وحَفَّانة للواحدة، والجمع حَفّان؛ وحِسْكل. ويقالُ: هذا خِيطُ نعامٍ وخيطان[3]. وقال الأسودُ بن يُعْفُرَ[4].

وكأنّ مرجعهم مَنَاقفُ حَنْظَلٍ لِعبَ الرِّئالُ بهاوخِيطُ نَعامِ[5]

ويقال: قَطيعٌ من نَعام، ورَعْلَةٌ من نعام.

= من ماء الفحل. س، هـ: «سوف يدنيك»، وأثبت ما فى ط والديوان. ط، س: «أمارات» صوابه فى هـ والديوان. والبيت من قصيدة الطرماح، مطلعها:

قل فى شط نهروان اغتماضى ودعانى هوى العيون المراض

(١) كذا بالأصل.

(٢) كذا. وفى ط: «غدت».

(٣) الخيط، بالفتح ويكسر: الجماعة من النعام.

(٤) الأسود بن يعفر، شاعر مقدم فصيح من شعراء الجاهلية ليس بالمكثر. وكان ينادم النعمان بن المنذر. ولما أسن كف بصره، فكان يقاد. واسمه فى أعاشى العرب: أعشى بنى نهشل. الأغانى (١١: ١٢٨) والخزانة (١: ٣٦٦ سلفية) والمؤتلف والمختلف ١٦. و(يعفر) بفتح الياء وضم الفاء. وقال يونس سمعت رؤبة يقول: أسود بن يعفر بضم الياء - أى وبضم الفاء أيضاً - انظر الصحاح (عفر) والخزانة والأغانى وابن سلام ١٢٢. وهو على الوجه الأول ممنوع من الصرف، وعلى الآخر مصروف لزوال شبه الفعل عنه. ط: «يعقر» صوابه فى س، هـ.

(٥) «مرجعهم» لعلها «مربعهم». ومناقف الحنظل: حيث ينقف أى يشق ليستخرج حبه المنعى بالهبيد. يقول: قد صار موضع دارهم من وحشته مأوى النعام.

وقال الأصمعيُّ : الرَّعلة : القِطعة من النَّعَام . والسِّرب من الظِّبَاء والقَطَا . والإِجْل[١] من الظِّلف .

وقال طُفَيلٌ الغَنَوِيُّ فى بيضة الحْيِّ[٢] وما أشبه ذلك :

ضَوَابِـعُ تَنْوِى بَيْضَةَ الحْيِّ بعدما ... أذاعتْ بِرَيْعَانِ السَّوَام المعزَّبِ[٣]

قال : ويقال : للظليم إذا رعَى فى هذا النَّبات ساعةً وفى هذا ساعةً : قد عَقَّبَ يُعَقِّبُ تعقيبا[٤] . وأنشدنى لذى الرُّمَّة :

أَلْهَـاه آءٌ وَتَنُّومٌ وَعُقْبَتُهُ ... مِنْ لائحِ المَرْوِ والَمرْعَى له عُقَبُ[٥]

قال : ويقال للرجل ، إذا كان صغير الأذنين لاصقتَين بالرَّأس: أصمع ؛ وامرأةٌ صَمْعاء . ويقال : خَرَجَ السهمُ متصَمِّعاً[٦] : إذا ابتلَّتْ قُذَذه[٧] ١١٣

(١) الإجل ، بكسر الهمزة . س : « الأرجل » ، صوابه فى ط ، هـ .

(٢) فى الأصل : « الحلى » ، صوابه ماأثبت . انظر البيت الآتى وشرحه .

(٣) ضوابع : تمد أضباعها فى سيرها ، أى أعضادها . ط ، س : « صوانغ » هـ : « صوانع » صوابهما من الديوان ١١ . تنوى : تقصد . ط ، هـ : « تنبى » س « تبغى » صوابهما من الديوان . وفى الأصل : « الحلى » موضع « الحى » تحريف أيضاً . وفى شرح ديوان طفيل : « وبيضة الحى : معظمهم » أذاعت : فرقت . وريعان كل شىء : أوله » . والسوام ، كسحاب : مايسرح من إبل وبقر وغنم ، ولا واحد له . والمعزب ، بتشديد الزاى المفتوحة : الذى عزَّب عن أهله لا يروح عليهم . ط ، س : « الشباب المغرب » هـ : « السقام المغرب » ، تصحيحه من الديوان .

(٤) ط : « عضب يعضب تعضيباً » صوابه فى س ، هـ .

(٥) سبق شرح هذا البيت فى ٣١٢ . ط ، هـ : « آء آء » بالتكرار . صوابه فى س .

(٦) ط : « أصمع » هـ : « صمعاء » س : « صمعاً » صوابه ماأثبت من القاموس واللسان . ويدل له الاستشهاد الآتى .

(٧) قذذ السهم : جمع قذة بالضم ، وهى ريشة السهم .

من الدَّم وانضمّت . وقال أبو ذُؤيب :

* سهماً فَخَرَّ وَرِيشُهُ متصمِّعُ[1] *

ويقال : أتانا بثريدةٍ مُصَمَّعَة[2] : إذا دَقَّقَها[3] وحدَّدَ رأسَها ؛ وصومعة الرّاهبِ منه ؛ لأنها دقيقة الرأس . وفلانٌ أصمع القلْبِ : إذا كان ذكيًّا حديدا [ماضياً] . وقال طرفة :

لعمرى لقد مَرَّتْ عواطِسُ جَمّةٌ وَمَرَّ قُبَيْلَ الصُّبح ظبىٌ مصمِّعُ[4]

أراد : ماضياً .

(شعر فى البيض)

وقال الشاعر فى بيضة البَلدِ[5] :

---

(١) عجز بيت فى صفة صائد رمى أتانا بسهم فنفذ فيها بريشه ثم سقط . وصدره :

* فرمى فأنفذ من نحوص عائط *

فى الأصل : « ريشة » ، وصوابه من اللسان (صمع) وديوان الهذليين (١ : ٨)، والمفضليات ٤٢٥ حيث تجد القصيدة .

(٢) فى الأصل : « متصمعة » صوابه من اللسان والقاموس . ويقال أيضاً : « مصومعة » كما فى القاموس .

(٣) فى الأصل : « رققها » بالراء . وليست مرادة ، والمراد دقة الرأس . وانظر اللسان والقاموس (صمع) .

(٤) البيت من أبيات ثلاثة قالها طرفة ، فى أثناء رحلته المشهورة إلى عامل عمرو بن هند بالبحرين ، وكان قد سنحت له فى الطريق ظباء وعقاب . انظر ديوانه ٩ — ١٠ . والعواطس : جمع عاطس ، وهو مااستقبلك من الظباء . ورواية اللسان (مادة عطس) : « عواطيس » : جمع عاطوس ، وهى دابة يتشاءم بها . وفى مادة (صمع) : « عواطس » كما هنا . والمصمع : بكسر الميم المشددة : الذاهب السريع كما فسره الجاحظ . ويروى : « مصمع » بفتح الميم المشددة ، وهو الصغير الأذنين . وفى الأصل بدل : « ومر » : « ومنى » تحريف ، صوابه ما أثبت من اللسان فى موضعيه والديوان .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من س . وانظر لبيضة البلد ماسبق فى (٢ : ٣٣٦) .

أقبلت تُوضِع بِكْرًا لا خِطامَ لها   حَسِبْتَ رَهْطكَ عندى بَيْضَةَ البَلَدِ[1]

ويشبَّه عظام جماجم الرءوس ببَيض النّعامِ . وقال الأعرج القيْنِيّ[2] :

بكَينا بالرِّماح غـداةَ طَرْق   على قَتْلَى بناصفـةٍ كِرامِ[3]

جَماجمَ غُودِرَت بحمام عرق   كأَنَّ فَراشها بَيضُ النّعامِ[4]

وقال مقاتل بن طَلَبَةَ[5] :

رأيتُ سحيماً فاقَدَ اللهُ بَيْنَهَا   تَذِيلكَ بأيديها وتَـأْبَى أُيورُهَا[6]

وقال السُّحيمى يردّ عليه :

مُقَاتِلُ ، بشِّرْها ببيض نَعامةٍ   وإن لم تبشِّرْها فأنتَ أمـيرُها

وقال أبو الشِّيص الخُزاعى[7] فى بيضة الخِدْر :

---

(١) البكر ، بالكسر : الناقة لم تحمل ، أو التى ولدت بطنا واحداً . والبكر أيضاً ولدها ذكراً كان أو أنثى . وأوضع الناقة يوضعها : جعلها تضع فى سيرها ، أى تعدو عدوا خفيفاً . وفى الأصل: « ترضع بكراً »، وهو تحريف فكه .

(٢) كذا . والمعروف فى الشعراء : الأعرج المعنى، نسبة إلى معن طيىء . واسمه عدى بن عمرو ابن سويد . وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . وهو القائل :

تركت الشعر واستبدلت منه   إذا داعى صلاة الصبح قاما

كتاب الله ليس له شريك   وودعت المدامة والنداما

معجم المرزبانى ٢٥١ والإصابة ٦٤٠٩ ، ٣٧١٣ . والأعرج المعنى شعر فى البيان (١ : ٢٤٦).

(٣) ناصفة : موضع . س ، ﻫ : « بناصية » ، صوابه فى ط .

(٤) الفراش ، بالفتح : كل عظم رقيق .

(٥) هو مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم ، كما فى عيون الأخبار (٤ : ٩٦). وطلبة ، بالتحريك . انظر القاموس واللسان . ﻫ : « كلية » محرفة .

(٦) سحيم : بطن من بنى حنيفة . وفاقد الله بينها : جعل بعضهم يفقدون بعضا . ورواية عيون الأخبار : « وتعيا » موضع : « وتأبى » .

(٧) اسمه محمد بن عبد الله بن رزين ، وهو عم دعبل بن على الخزاعى . وكان معاصرا =

وأبرزَ الخِدْرُ من ثِنْيَيْهِ بَيْضتَهُ وأعجلَ الرَّوْعُ نصلَ السَّيفِ يُخترَطُ[1]

فثَمَّ تَفديك مِنّا كلُّ غانيةٍ والشّيخُ يفديك والوِلْدان والشُّمُط[2]

وقال جحش بن نصيب :

كأَنَّ فلاقَ الهامِ تحتَ سُيوفِنا خَذاريفُ بيضٍ عَجَّلَ النقفَ طائرُه[3]

وقال مهلهلٌ فى بيضة الخِدر :

وتجولُ بيضاتُ الخُدورِ حواسرًا يمسَحْنَ فَضْلَ ذَوَائبِ الأيتامْ[4]

وهو وما قبله يدلاَّن[5] على أنَّهم لا يشبِّهون ببيض النّعام إلاّ الأبكار .

قال الشاعرُ[6] :

= لأبى نواس ومسلم بن الوليد . وذكره الصفدى فى نكت الهميان ٢٥٧ وذكر أنه توفى سنة مائتين أو قبلها .

(١) الثنى ، بالكسر : واحد الأثناء ، وهى المحانى والمعاطف . وقد ثنى وأراد الجمع ، وهو معروف فى كلامهم . س : « من ثنيته بيضة » ، صوابه فى ط ، هـ . يخترط : أى يستل من غمده . يقول : استعجل الخوف نصل السيف فى حال اخترامه . فى الأصل : « مخترط » . ولا يستقيم بها إعراب البيت . فلعل الوجه ما أثبت .

(٢) الشمط ، بالضم : جمع أشمط وشمطاء . وهو من اختلط بياض رأسه بسواده . وقد ضم الميم للشعر ، وأصلها السكون .

(٣) الفلاق ، بالضم ، جمع فلاقة بالضم أيضا ، وهى القطعة . والهام : الرءوس . والخذاريف : جمع خذروف بالضم ، وهى كل شى مبعثر من شىء . س : « حذاريف » صوابه فى ط ، هـ . ونقف الطائر البيضة : ثقبها ليساعد الفرخ فى الظهور .

(٤) حواسرا : كاشفات رءوسهن . وفى الأصمعيات ١٧٦ : « عرض ذوائب » .

(٥) س ، هـ : « يدل » .

(٦) هو ذو الرمة ، كما فى الخزانة (٤ : ٤٥١ بولاق) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٩) وكتاب سيبويه (١ : ٥٦) .

وَبيض أفقْنا(١) بالضُّحَى من مُتونها   سَماوةَ بيضٍ(٢) كالخباء المقوَّضِ(٣)

هجومٍ عليهاَ نَفْسَهُ ، غَيْرَ أنَّهُ   مَتى يُرْمَ فى عَيْنَيْهِ بالشَّخْصِ يَنْهضِ(٤)

يعنى بالبِيضِ بَيْض النَّعام . وسَماوة الشىء : شخصه . لأنَّ الظَّليم لما رآهم فزِع ونهَض . وهذا البيت أيضاً يدلّ على أنَّهُ فَرُوقَةٌ(٥) . ١١٤

وقال ذو الرُّمَّة فى بيض النَّعام :

تراه إذا هبّ الصَّبا دَرَجَتْ به   غرابيبُ من بِيضٍ هَجَائنَ دَرْدَقُ(٦)

قال : والصَّبَا والجنوبُ تهبَّان فى أيام يُبس البقْل ، وهو الوقتُ الذى

---

(١) كذا فى س ، هـ . وفى ط : « فلقنا » . وفى محاضرات الراغب : « كشفنا » ورواية القالى (٢ : ٢٩٤) : « رفعنا »

(٢) كذا . ولعلها : « هيق » وهو الظليم . ورواية القالى : « جون » بمعنى ظليم أسود .

(٣) الخباء ، بالكسر : البيت من وبر أو صوف أو شعر . س ، هـ : « كالحياء » صوابهما فى ط ، والمحاضرات والأمالى . والمقوض : المهدوم . وجعله كذلك حيث حضنه البيض ورقوده عليه .

(٤) هجوم عليها نفسه : أى يهجم على البيض نفسه ويلقيها حاضنا لها . وقد أنث البيض هنا . واستشهد به سيبويه على إعمال صيغة فعول عمل اسم الفاعل . وفى الأصل : « هجوم علينا » وصوابه فى المصادر السابقة . وروى القالى وسيبويه : « بالشبح » مكان : « بالشخص » ، وهما بمعنى . والشبح والشبْح ، بالفتح ، وبالتحريك ، لغتان .

(٥) الفروقة ، بالفتح : الكثير الفزع ، يقال للمذكر والمؤنث . وله نظائر فى المزهر (٢ : ١٣٤) وانظر شواهد ذلك فى اللسان (فرق) . وفيه أيضاً أنه يقال للمؤنث « فروق » بنزع الهاء . وفى أصل الكتاب : « روحه » وهو تحريف لايستقيم .

(٦) فى الأصل . « ذرفت به » ، وتصحيحه من ديوان ذى الرمة ٣٩٨ ومن الشرح الآتى للجاحظ . و « دردق » صفة لكلمة « غرابيب » فهى مرفوعة . والبيت من قصيدة لذى الرمة ، أولها :

أدارا بحزوى هجت للعين عبرة   فماء الهوى يرفض أو يترقرق

وقبل البيت :

بمشتبه الأرباء يرى بركبه   يبيس الثرى نائى المناهل أخوق

يثقُبُ النَّعام فيه البيض . يقول : درجت به رِئلانٌ سودٌ غرابيب ، وهى من بِيضٍ هجائن : أى بَيْض . والدَّردَق : الصِّغــار ، وهو من صُغَرِ[1] الرِّئْلاَن .

(الحصول على بيض النعام)

قال طُفيل بن عوفٍ الغنَوىّ[2] ، وذكر كيف يأخذون بيضَ النّعام :

عَوازبُ لم تسمَعْ نُبُوحَ مَقَامَةٍ ولم تَرَ نارًا تِمَّ حَوْلٍ مجرَّمِ[3]
سِوى نارِ بَيض أو غَزَالٍ مُعَفَّرٍ أغَنَّ من الخُنْس المناخرِ تَوْأمِ[4]

(١) جمع صغرى . وفى اللسان : « والصغرى تأنيث الأصغر، والجمع الصغر . قال سيبويه : يقال نسوة صغر ولا يقال قوم أصاغر ، إلا بالألف واللام » .

(٢) طفيل بن عوف الغنوى : شاعر جاهلى فحل ، قالوا : وهو أوصف العرب للخيل . ويقال له : طفيل الخيل ، ويسمى أيضا : المحبر الغنوى . المؤتلف ١٨٤ .

(٣) عوازب : عنى إبلا عوازب لا تروح على أهلها ، تبيت بالقفر . وقبل هذا البيت بأربعة أبيات :

أرى إبلى عافت جدود فلم تذق بها قطرة إلا تحلة مقسم

والنبوح ، بالضم : أصوات الكلاب . والمقامة ، بالفتح : الحى المقيمون . يريد : أصوات كلاب الحى المقيمين . تم حول مجرم : أى حول تام . س ، ه : « بنوح » صوابه من الديوان ٤٥ ومما سبق فى (١ : ٣٤٨) . ه : « حامة » موضع « مقامة » صوابه فى س ، ط والديوان . ورواية القالى : « نُبُوحَ مُقَامَةٍ » قال : « النبوح : أصوات الناس . والمقامة : حيث يقيم الناس » ، ثم قال : « يقول : هذه الإبل عوازب ، لعز أربابها ، ترعى حيث شاءت لا تمنع ولا تخاف ، فلم تسمع أصوات أهل مقامة ولم تر ناراً سنة كاملة سوى نار بيض نعام يصيبه راعيها فيشويه ، أو غزال يصيده » .

(٤) معفر : مقتول ممرغ فى العفر . س : « معقر » بالقاف . والأغن : الذى فيه غنة ، وهو من صفة الظباء . وفى الأصل : « أغر » وصوابه من الديوان ، والأمالى . والأخنس : القصير الأنف . والتوأم : الذى ولد مع غيره . وذلك أشد لضؤولته وصغر جسمه .

هذه إبلُ راعٍ معزِبٍ[1] صاحب بوادٍ[2] وبدوةٍ ، لا يأتى المحاضر والمياهَ حيثُ تكون النيران[3] . وهو صاحب لبنٍ وليس صاحبَ بقْلٍ، فإبله لا ترى نارًا سوى نَارِ بَيض أو غزالٍ .

(نار الصَّيد)

وهذه النَّارُ هى النَّارُ التى يُصطاد بها الظِّباء والرئلان وبَيْض النَّعام[4] لأنَّ هذه كلَّها تعشى إذا رأتْ ناراً ، ويحدُثُ لها فكرةٌ فيها ونظر . والصبىُّ الصغير كذلك . وأوّلُ ما يعابِثُ[5] الرَّضيعُ ، أوَّلَ ما يناغى ، المصباحُ[6] .

وقد يعترى مثلُ ذلك الأسدَ ، ويعترى الضِّفدعَ ؛ لأنَّ الضِّفدعَ ينقّ ، فإذا رأى ناراً سكت . وهذه الأجناس قد تغترُّ[7] بالنَّار ، ويُحتالُ لها بهـا .

---

(١) هـ : « معرب » ، صوابه فى ط ، س .

(٢) كتبت فى الأصل بإثبات الياء . وهو جائز فى العربية فى حالة الوقف فقط . وفى كتاب سيبويه (٢ : ٢٨٨) : « وحدثنا أبو الخطاب ويونس أن بعض من يوثق بعربيته من العرب يقول : هذا غازى ورامى وعمى . أظهروا فى الوقف ، حيث صارت فى موضع غير تنوين » .

(٣) ط ، هـ : « الثيران » بالثاء . صوابه بالنون كما فى س .

(٤) تسمح الجاحظ فى التعبير ؛ فإن بيض النعام ليس مما يصطاد، بل هو مما يطلب ويبحث عنه . وكان العرب يطلبون بيض النعام فى أفاحيصها ومكامنها بالنار . جاء فى ثمار القلوب ٤٦٢ ، عند الحديث عن (نار الصيد) : « ويطلب بها أيضا بيض النعام فى أفاحيصها ومكامنها » .

(٥) يعابث ، من المعابثة ، وهى الملاعبة . وفى الأصل : « يعاتب » محرفة .

(٦) المناغاة : المحادثة والملاعبة . و « المصباح » هى فى ط ، هـ : « المصباع » صوابه فى س .

(٧) تغتر : تختدع ؛ فالأسد يرى النار فيستعظمها فتشغله عن السابلة ، وكذا الضفدع يشغل عن النقيق . ط ، س : « تفتر » ، صوابه فى هـ .

(تشبيه الغيوم بالنّعام)

وتوصف الغيومُ المتراكمة(١) بأنَّ عليها نعاماً . قال الشَّاعر(٢) :

كأنَّ الرَّبَابَ دُوَيْنَ السَّحابِ   نَعـامٌ تَعَلَّقَ بالأرْجُلِ(٣)

وقال آخر :

خَلِيلَيَّ لا تَسْتَسْلِمَا وَادْعُوا الَّذِى   له كلُّ أَمْرٍ أنْ يَصُوبَ ربيعُ

حَياً لبلاَدٍ أَبْعَدَ المَحْلُ أهلها   وفى العَظْمِ شىءٌ فى شَظَاهُ صُدُوعُ(٤)

بمنتضك(٥) عر(٦) النَّشَاص كأنها   جِبالٌ عليهنَّ النُّسورُ وُقُوعُ(٧)

---

(١) المتراكمة : المتكاثفة . ط ، هـ : « المترامكة » تصحيحه من س .

(٢) هو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، كما فى اللسان (ربب) — عن الأصمعى — ومعجم الأدباء (١٦ : ٢٥٩) عن أبى عبيد . ونسبه الحصرى فى زهر الآداب (١ : ١٧٧) إلى حسان بن ثابت . والبيت منسوب فى الكامل ٤٨٥ ، ٧٥٨ وكذا فى شرح المفضليات ٢٤٨ (عن الأصمعى) إلى المازنى . قلت : المازنى الذى عنياه هو زهير بن عروة بن جلهمة المازنى ، كما فى الأغانى (١٩ : ٣٨٧) ، أو عروة بن جلهمة ، كما فى اللسان . وقبله :

إذا الله لم يسق إلا الكرام   فأسقى وجوه بنى حنبل
أجش ملثاغزير السحاب   هزيز الصلاصل والأزمل
تكركره خضخضات الجنوب   وتفرغه هزة الشمأل

(٣) الرباب ، بالفتح : السحاب المتعلق .

(٤) الحيا : الخصب . وفى الأصل : « جنا » . والمحل : الجدب وانقطاع المطر . والشظى : عظيم لاصق بالركبة . هـ : « شطاه » . س: « وفى الفطم فى شطاه صدوع » وأثبت ما فى ط . ولعل صوابه : « وعَى العَظْمُ حَتَّى فى شَظَاهُ صُدُوعُ » ، أى وعى العظم من المحل حتى ظهرت الشقوق فى شظاه . ووعى العظم : انجبر على عثم ، أى التواء . وهو كناية عن الشدة . والبيت وسابقه فى الزهرة ٢٠٣ .

(٥) هـ : « بمنتصك » س : « بمصك » وكلها صور محرفة . ولعلها « معتنك » وأصله البعير يحبو حبواً ولا يقدر على السير . فيكون قد جعله معتنكا لثقله وكثرة مائه .

(٦) كذا بالعين المهملة . ولعلها : « غر » .

(٧) النشاص ، بالفتح : السحاب المرتفع بعضه فوق بعض .

(استطراد لغوى)

وقال آخر :

وَضَعَ النَّعَامَاتِ الرِّجالُ بِرَيْدِهَا   من بين مَخْفُوضٍ وبينِ مظَلَّل [١]

والنعائم فى السماء [٢] . والنعائم والنّعامتان من آلات البئر [٣] .

و [النعامة [٤]] : بيت الصائد [٥] .

وقال فى مثل ذلك عروة بن مُرَّة الهذلىُّ [٦] :

(١) النعامة : ظلة أو علم يتخذ من خشب ، فربما استظل به وربما اهتدى به . المخصص (٥ : ١٣٥) . والرجال هنا فاعل (رفع) . والريد ، بالفتح : الحرف الناتئ من الجبل . فى الأصل : « برمدها » ، وتصحيحه من المخصص . وشبيه بلفظه قوله :

لا شيء فى ريدها إلا نعامتها   منها هزيم ومنها قائم باقى

و « مظلل » هى فى الأصل « مضلل » وصوابه فى المخصص .

(٢) هى منزلة من منازل القمر بها ثمانية نجوم أربعة منها فى المجرة وتسمى الواردة ، وأربعة خارجة تسمى الصادرة .

(٣) النعامتان : خشبتان يضم طرفاها الأعليان ويركز طرفاهما الأسفلان فى الأرض ، أحدهما من هذا الجانب ، والآخر من ذاك الجانب ، يصقعان بحبل ويمد طرفا الحبل إلى وتدين مثبتين فى الأرض ، أو حجرين ، وتعلق القامة أى البكرة بين شعبتى النعامتين . قلت : فقد يضم إلى النعامتين ثالثة فيصرن نعائم . فى الأصل : « السر » وقد كشفت سر هذا التصحيف بما أثبت .

(٤) ليست بالأصل .

(٥) ط ، ه : « الصديد » . صوابه ما أثبت من س .

(٦) البيت الآتى منسوب فى اللسان (سرب) إلى أبى خراش الهذلى . وعروة وأبو خراش أخوان ، من عشرة إخوة أبوهم مرة الهذلى ، وكانوا جميعاً شعراء دهاة سراعاً لا يدركون عدوا . أما عروة فقتل فى الجاهلية ورثاه أبو خراش بأبيات ضادية ، فى الحماسة . وأما أبو خراش — واسمه خويلد بن مرة — فإنه أدرك زمان عمر ابن الخطاب ، وهاجر إليه ، وغزا مع المسلمين . ومات فى زمن عمر . الأغانى (٢١ : ٣٨ — ٤٨) والإصابة ٢٤١ والشعراء والخزانة (١١ : ٤٠٠ سلفية) .

وذاتِ رَيْدٍ كَزَنْقِ الفَأْسِ مُشْرِفَةٍ   طريقها سَرِبٌ بالنّاسِ مجبُوبُ[(١)]
لم يَبْقَ من عَرْسِها إلاّ نعامتُها   حالانِ منهزمٌ منها ومَنصوبُ[(٢)]

(مسكن النعام)

وفى المثل : « ما يُجْمَعُ بين الأَرْوَى والنّعام[(٣)] » ؛ لأنَّ الأَرْوَى تسكن الجبال ولا تُسهِل[(٤)] . والنّعامَ تسكن السهل ولا تَرْقى فى الجبال . ولذلك قال الشاعِرُ[(٥)] :

---

(١) الريد : ما شخص من الجبل : ط . « وذات فرند » س ، ﻫ : « وذات زند » صوابه ما أثبت من اللسان ، وانظر البيت السابق . والزنق ، بالتحريك : أصله أسلة نصل السهم . والأسلة : مستدق النصل . فيكون قد أسكن النون لضرورة الشعر . والمعنى أن ذلك الريد يشبه حد الفأس . ط ، ﻫ : « بزلف » س : « بدلف » . وفى اللسان : « كزلق الرخ » . وصواب الكلمة ما أثبت. وأما كلمة « الرخ » فى اللسان فصوابها « الزج » . والأرض المشرفة : العالية تشرف على ما حولها . والطريق السرب — ككتف — : الذى يتتابع فيه الناس . فى الأصل : « طويلها » تصحيحه من اللسان . والمجبوب . كأنه الممهد من قولهم : سنام مجبوب ، أى مقطوع . ط ، س : « مجنوب » صوابه فى ﻫ . ورواية اللسان : « دعبوب » بضم الدال ، وهو المذلل الواضح الذى يسلكه الناس

(٢) العرس ، بالفتح : حائط يجعل بين حائطى البيت الشتوى لا يبلغ به أقصاه ثم يسقف ليكون البيت أدفأ . والنعامة : الظلة . حالان أى تلك النعامة لها حالان فبعض أجزائها منهزم أى متكسر . تقول هزمت القربة فانهزمت : إذا غمزتها فتطامنت . ومنصوب : أى قائم . انظر مثيل هذا البيت فى حواشى الصفحة السابقة . فى الأصل : « مصبوب » والوجه ما أثبت .

(٣) نص المثل فى الميدانى (١ : ١٢٦) وكنايات الجرجانى ١١٨ والدميرى : « تكلم فجمع بين الأروى والنعام » . وقالوا : أى تكلم بكلمتين مختلفتين . وفى اللسان . « ومن أمثالهم : من يجمع بين الأروى والنعامة ؟ ! » . والأَرْوَى : جمع أُرْوِيَّة ، أو اسم جمع ، وهى أنثى الوعول .

(٤) أسهل : نزل فى السهل من الأرض .

(٥) هو مهلهل ، كما فى اللسان (ظهر ، كلس) أو عبيد بن الأبرص ، كما فى مختصر تهذيب الألفاظ ١٧١ واللسان (كلس) . والبيت بدون نسبة فى المقاييس (كلس) .

وَخَيْلٍ تَـكَرْدِسُ بالدَّارِعِينَ   كمَشْيِ الوُعول على الظَّاهِرَهْ(١)

وقال كثيِّر :

يهدى مَطَايَا كالحَنِيِّ ضَوَامِرًا   بنِيَاطِ أغْبَرَ شَاخِصِ الأمْيَالِ(٢)

فَـكَأَنَّهُ إذْ يَغْتَدِى مُتَسَنِّمًا   وَهْدًا فَوَهْدًا نَاعِقٌ بِرِئالِ(٣)

(شعر فى التشبيه بالنعام)

وقال الأعشى ، فى تشبيه النَّعام بمـا يتدلَّى من السَّحاب من قطع الرَّباب :

(١) ط : « وتبلى » س ، هـ : « ونبل » ، صوابه من الحيوان (٦ : ٣٠٠) والمخصص (١٠ : ٦٩) واللسان . وتـكردس : تمشى مشية المقيد . ط : « يكردس » س ، هـ : « مكردس » ، صـوابهما من سادس الحيوان . والرواية فى المخصص واللسان والمختصر : « تَـكَدَّسُ » أى تتكدس . والتكدس : أن يمشى الفرس كأنه مثقل . والدارع : لابس الدرع الحديدى . والظاهرة : أعلى الجبل حيث يسكن الوعل . وفى الأصل : « الطاهر » صوابه من المخصص واللسان والمختصر . وانظر ما سيأتى فى (٦ : ٣٠٠) .

(٢) الحنى : كغنى : جمع حنية ، وهى القوس . جعلها كالقسى فى نحولها . وانظر الاستدراكات . ونياط المفازة : بعد طريقها . ط ، س : « نباط » صوابه فى هـ . والأغبر : الطريق ذو الغبرة . شاخص : قائم . والأميال : جمع ميل ، بالـكسر ، وهو المنار يبنى للمسافر فى أنشاز الأرض وأشرافها . وفى الأصل : « الأمثال » . ولا وجه له ، صوابه ما أثبت .

(٣) تسنم الشىء : علاه . س : « متنسا » صوابه فى ط ، هـ . والوهد ، بالفتح : الأرض المنخفضة . فعنى تسنم الوهد : أشرف عليه من الأنشاز التى حوله . ط : « وهد فوهد » س ، هـ : « وهدى فوهدى » صـوابهما ما أثبت . وناعق : هو من نعق الراعى بالغنم : دعاها وصاح بها . ط : « ناطق » تصحيحه من س ، هـ .

يا هَلْ تَرى بَرْقاً على الـ جَبَلَيْنِ يُعْجِبُنى انْجِيابُه (١)
مِنْ ساقِطِ الأكنافِ ذِى زَجَلٍ أرَبَّ به سَحابُه (٢)
مثــلِ النَّعامِ مُعَلَّــقاً لمَّـا زَقَا ودنا ربابُه (٣)

وقال وشَبَّه ناقتَه (٤) بالظَّلِيم :

وإذا أطافَ لبابه بسَدِيسِهِ (٥) ومسافراً ولجا به وتَزَيَّدَا (٦)
شَبَّهْتُهُ هِقْلاً يُبارِى هِقْلَةً رَبْدَاءَ فى خِيطٍ نَقَانِقَ أربدا (٧)

---

(١) ياهل : أى ياصاح هل . حذف المنادى ، كما جاء فى الكتاب : « ألا يا اسجدوا » فى قراءة الكسائى ، وكقوله :

يالعنة الله والأقوام كلهم والصالحين على سمعان من جار

برفع « لعنة » . ورواية الديوان ١٩٨ : « بل هل » . والجبلان ، هما جبلا طيىء : أجأ وسلمى . وانجيابه : انكشافه . ويروى : « انتصابه » . وفى شرح الديوان : « الناصب من البرق ترى ضوءه ثابتا » . ط ، س : « انحيابه » تصحيحه من ه والديوان .

(٢) من ساقط الأكناف : أى من سحاب ساقط النواحى . وفى الأصل : « متساقط » . و « الأكناف » هى فى س : « الأكتاف » وصواب هذين التحريفين من الديوان . والزجل ، بالتحريك : الصوت . أرب به : أقام .

(٣) معلقا ، فى موضع حال من النعام . فى الأصل : « معلق » ووجهه ما أثبت من الديوان . وانظر شبيه هذا المعنى فى البيت الذى سبق فى ص ٣٥٠ . زقا : صاح . وفى اللسان : « وكل صائح زاق . . . وقد تعدوا ذلك إلى مالا يحس فقالوا : زقت البكرة » . ط ، ه : « رقا » ولا وجه له ، وأثبت مافى س . ورواية الديوان : « لمـا دَنَا قَرِدًا ربابُه » القرد : المجتمع . والرباب : ما تدلى من السحاب .

(٤) كذا . والوجه : « بعيره » أو « جمله » . كما يفهم من الشعر . انظر الديوان ١٥٢ .

(٥) رواية الديوان : « وإذا يلوث لُغامَه بسَدِيسهِ » و : « أطاف لغامه » .

(٦) كذا فى ط ، ه . وفى س : « ومسافر دلجا به » ، وكلاهما محرف . ورواية الديوان : « ثنّى فهبَّ هِبَابُهُ وتَزَيَّدَا »

(٧) الهقل ، بالكسر : الفتى من النعام . ط ، س : « شبهته صعلا » . والصعل ، بالفتح : الطويل من النعام . ورواية الديوان : « وكأنه هقل يبارى هقلة » . والربداء : الرمادية اللون ، أو السوداء . وروى فى الديوان : « رملاء » =

وذكر زهيرٌ(1) الظَّليمَ وأولاده ، حتَّى(2) شبَّه ناقتَه بالظَّليم :

كأنِّى وردْفِى وَالْقِرَابَ وَنُمْرُقِى على خاضبِ السَّاقين أرعَنَ نِقْنِقِ(3)

تَرامى به حبُّ الصَّحارَى وقد رَأى سَماوةَ قَشْرَاءِ الوظيفَيْنِ عَوْهَقِ(4)

تحنُّ إلى مِثْلِ الحبابيرِ جُثَّمٍ لَدَى سَكَنٍ مِنْ قَيضِها المتفلّقِ(5)

تحطَّمَ عنها [قَيضُها] عَنْ خَراطمٍ وعن حَدَق كالنَّبْخ لم يتفلّقِ(6)

النَّبْخ(6) : الجُدَرِىّ(7) .

= أى رمادية اللون . والخيط ، بالفتح والكسر : جماعة النعام . ط ، س : « نبط » ه : « نيط » تصحيحه من الديوان . والنقانق : جمع نقنق ونقنقة ، وهو الخفيف من النعام . فى الأصل : « تعانق » والوجه من الديوان . و « أربدا » صفة لخيط ، وجر بالفتحة لوزن أفعل . ه والديوان : « أرمدا » وهما بمعنى .

(1) الصواب نسبته إلى كعب بن زهير فى قصة رواها أبو الفرج فى ١٥ : ١٤١ . وفى ديوان زهير ٢٤٥ أن زهيرا وكعبا اشتركا فيها .

(2) لعلها : « حين » ، أو : « حيث » .

(3) الردف ، بالكسر : الحقيبة ونحوها . والقراب ، بالكسر : غمد السيف . ويروى : « والفتان » وهو غشاء الرحل . والنمرق : مايوضع فوق الرحل يقعد عليه الراكب . خاضب الساقين : عنى به ظليما احمرت ساقاه . والنقنق ، النافر أو الخفيف .

(4) فى الديوان والأغانى : و « تراخى » ، أى تطاول . ط ، ه : « وقد أرى » . وأثبت مافى س ، والديوان والأغانى ، والسماوة : أعلى شخص الشيء . والقشراء : البينة القشر ، وهو شدة الحمرة . أو القشراء : المتقشرة الساق لاريش عليها . والوظيف : مستدق الساق . وفى ط ، س : « الوظيفة » و ه : « قشر الوظيفة » صوابه ماأثبت . والعوهق : الطويل : يستوى فيه المذكر والمؤنث . ط ، س : « عيهق » ه : « عبهق » محرفتان عما أثبت .

(5) فى الأصل : « ميل الجناحين » ، صوابه من الديوان والأغانى . والحبابير : جمع حبارى ، يعنى فراخها . والجثم : الجاثمة المقيمة فى موضعها . والسكن : حيث تسكن . وفى الأصل : « عن بيضها » ، صوابه من الديوان والأغانى . والقيض : قشر البيض .

(6) التكملة من الديوان والأغانى . وفى ط ، ه : « خراطم أسيح » . والنبخ : الجدرى . س ، ط : « كالمح » ، ه : « كالمخ » ، صوابهما من الديوان والأغانى واللسان (نبخ) .

(7) س : « السح » . ط ، ه : « السيح » ، محرفتان .

(8) فى الأصل : « الحدور » ، تحريف ماأثبت .

(النعامة فرس خالد بن نضلة)

وكان اسمُ فرس خالدِ بن نَضْلَةَ[1] : « النَّعامة » . قال :

تَدَارَكَ إرخاءُ « النَّعامةِ » حَنْثَرًا وَدُودَانَ أَدَّتْهُ إلىَّ مُكَبَّلا[2]

(تشبيه مشى الشيخ بمشى الرئال)

وقال عُروة بن الوَرد[3] :

أليسَ ورائى أن أدِبَّ على العَصَا فيأمَنَ أعدائى ويَسْأَمَنِى أهْلِى[4]

رهِينَةَ قَعْرِ البيتِ كلَّ عَشِيَّةٍ يُطِيفُ بِىَ الوِلْدَانُ أَهْدِجُ كالرَّأْلِ[5]

---

(١) خالد بن نضلة الأسدى ، فارس مشهور من فرسانهم ، وله ذكر فى يوم النسار ؛ إذ كان رئيس أسد يومئذ . كامل ابن الأثير ١ : ٣٧٧ . س : « فضلة » صوابه فى القاموس (نعم) وكامل ابن الأثير ، والبيان ٣ : ٢٥٠ ، ٢٦٩ وبلوغ الأرب ٢ : ١١٨ . وقد قال البيت الآتى يذكر فيه أنه أسر حنثر بن الأضبط ، ودودان ابن خالد . شرح المفضليات ٣٦٦ وبلوغ الأرب ٢ : ١١٨ .

(٢) الإرخاء : شدة العدو . ط : « أحساء » س ، هـ : « أرحاء » ، والوجه ماأثبت ، كما فى بلوغ الأرب . و « حنثراً » هى فى الأصل : « جيداً » صوابه فى بلوغ الأرب . وانظر التنبيه السابق . وفى الأصل أيضاً : « أردته » صوابه ماأثبت . وفى بلوغ الأرب : « ودودان أدت فى الحديد » . مكبلا : مقيداً .

(٣) عروة بن الورد شاعر من شعراء الجاهلية ، فارس ، صعلوك ، جواد . وكان يسمى عروة الصعاليك ، لجمعه إياهم ، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا فى غزواتهم .

(٤) يقول : أليس ورائى إن سالمت الناس ، وتركت مخاطر التصعلك ، أن يلحقنى الكبر فأهون ويضجر منى أهلى ؟ ! فهو يحتج للتصعلك بما ترى . س ، هـ : « على الصفا » س : « وييأس بى » ، هـ : « وييأس أهانى » ، صواب ذلك فى ط والديوان ١٠٣ .

(٥) رهينة : أى ملازم لا يبرح . وهدج الشيخ فى مشيته : قارب الخطو وأسرع من غير إرادة . والرأل : فرخ النعام .

شبَّهَ هَدَجَانَ[1] الشَّيخ الضعيفِ فى مشيته بهدَجَان الرأل . ١١٦

وقال أبو الزَّحْف[2] :

أشكو إليك[3] وَجَعًا بركْبتى وَهَدَجَاناً لم يكنْ فى مِشْيتى[4]

* كَهَدَجَانِ الرَّألِ حَوْلَ الهَيْقَتِ[5] *

وقال آخر ، ولست أدرى أيُّهما حَمَل على صاحبه :

أشكُو إليكَ وَجَعاً بمرفَقِى[6] وَهَدَجَاناً لم يكنْ فى خُلقِى

* كَهَدَجَانِ الرَّألِ حَوْلَ النِّقْنِقِ *

ولم يفضحْه إلَّا قوله :

* أشكو إليك وجعاً بِمِرْفَقِى *

لأنَّ الأوَّلَ حكى أنَّ وجعه فى المكان الذى يصيبُ الشُّيوخ ، ووجع المرفق مثلُ وجَعِ الأذُنِ ، وضربانِ الضِّرس ، ليس من أوجاع الكِبَر فى شىء .

---

(١) فى الأصل : « وشبيه بهذا أن » ، تحريف ما أثبت .

(٢) أبو الزحف ، سبقت ترجمته فى (٢ : ١٩٧) . وفى الأصل : « أبو المرهف » ، محرفة . والرجز فى الشعراء ٦٦٩ فى ترجمة أبى الزحف . وقد نسب فى نوادر أبى زيد ٢٥٥ إلى (ابن عُلْقَة التَّيمىّ) ، برواية أخرى . وأراه رجزاً آخر اتفق خاطرا القائلين فيه . وهو بغير نسبة فى أمالى القالى (١ : ١٨٩) . ونسب فى العقد (٢ : ٥٢) إلى أعرابى .

(٣) فى العقد : « إلى الله » .

(٤) فى الشعراء والنوادر والأمالى : « من مشيتى » .

(٥) الهيقة : النعامة الطويلة . وقد أراد : « الهيقة » فصيَّر هاء التأنيث تاء فى المرور عليها . فى الأصل : « النقنق » ولا تتفق مع الرجز ، وتصحيحها من اللسان (هدج ، هيق) وسائر المصادر المتقدمة ماعدا العقد ، فالرواية فيه أشد تحريفاً . وروى : « خلف » مكان « حول » فى جميع المصادر ماعدا العقد .

(٦) المرفق ، كمنبر ومجلس : موصل الذراع فى العضد .

(شعر فيه ذكر النعامة)

وقال ابن ميّادة ، وذكر بنى نَعامةَ من بنى أسد — وقد كان قَطَرِىُّ ابن الفجاءة يكنى أبا نعامة[1] — :

فهل يمنَعَنِّى أنْ أسيرَ ببَلْدَةٍ نَعامةُ ، مِفْتاحُ المخازِى وبابُها

وهجا دُريدُ بنالصِّمّةِ رجُلاً فجعل البيضةَ الفاسدة مثلاً له ، ثمَّ ألحق النَّسرَ بأحرار الطَّيرِ وكرامها — وما رأيتُهُمْ يعرِفون ذلك لنسر — فقال :

فإنِّى أعلى رغْم العَذولِ لَنَازِلٌ بحيث التَقَى عيط وبِيضُ بنى بدر[2]

أيَا حَكَمَ السَّوْءَاتِ لا تَهْجُ وَاضْطَجِعْ فهل أنْتَ إن هاجَيْتَ إلَّا من الْخُضْرِ

وهل أنْتَ إلَّا بَيْضةٌ مات فَرْخُها ثَوَتْ فى سُلوخ الطيرِ فى بلدٍ قفْرِ[4]

حَوَاهَا بغاثٌ : شرُّ طير علمتُها وَسُلَّاءُ ليستْ من عُقابٍ ولا نسْرِ[5]

---

(١) قطرى ، بالتحريك : نسبة إلى موضع بين البحرين وعمان . وهى نسبة غير حقيقية ؛ فإن مولده بلد يقال له الأعداد . والفجاءة كذلك لقب لأبيه ، قالوا : قدم أهله فجأة فلقب بذلك . واسم قطرى جعونة ، واسم أبيه مازن . وأبو نعامة كنيته فى الحرب ، ونعامة فرسه ، وكنيته فى السلم أبو محمد . خرج قطرى فى زمن مصعب وكان بينه وبين الحجاج نضال مستمر طويل . وعثر به فرسه فاندقت فخذه فمات وجىء برأسه إلى الحجاج سنة ٧٨ . وفيه يقول الحريرى فى المقامة السادسة : « فقلدوه فى هذا الأمر الزعامة تقليد الخوارج أبا نعامة » . ابن خلكان والدميرى وشرح التبريزى للحماسة .

(٢) كذا . ولعله : « غيظ » أو « عيص » اسما قبائل .

(٣) الخضر : اسم قبيلة . ط ، س : « الحصر » هـ : « الحضر » . ولعل صوابه ما أثبت .

(٤) سلوخ : جمع سلخ ، بالفتح ، وهو مايسلخه الطائر من ريشه ، فهو يبطن به عشه ليضع فيه البيض . انظر ماسبق من القول فى سلخ الطيور ص ٢٢٤ . س : « شلوخ » ، ولا وجه لها .

(٥) السلاء ، كرمان : ضرب من الطير أغبر طويل الرجلين »

(استطراد لغوى)

ويقال للأنثى من ولد النَّعامة : قلوص ؛ على التشبيه بالنَّعام من الإبل . وهذا الجمع[1] إلى ماجعلوه له من اسم البعير ، وإلى ما جعلوا له من الخفِّ والمنسِم ، والخْرَمَةِ[2] ، وغير ذلك .

قال عنترة :

تأوِى له قُلُصُ النَّعامِ كما أوَت   حِزَقٌ يَمَانِيَةٌ لأعجَمَ طِمْطِمِ[3]

وقال شَمَّاخ بن ضِرار[4] :

* قلوص نَعامٍ زِفُّها قد تَمَوَّرَا[5] *

(وصف الرئال)

ووصف لبيدٌ الرِّئالَ فقال :

---

(١) كذا . ولعلها : « يجمع » .

(٢) الخرمة ، بالتحريك : سبق شرحها فى ص ٣٢١ . وفى الأصل : « الخزامة » محرفة .

(٣) تأوى له : أى تلجأ إليه . والضمير عائد إلى الظليم ، المفهوم من قوله قبل هذا البيت :

وكأنما أقص الإكام عشية   بقريب بين المنسمين مصلم

وفى الأصل : « تأوى به » ، صوابه من المعلقات واللسان (قلص) . والقلوص الشابة من الرئال ، أى فراخ النعام . والحزق : الجماعات . والمراد بها جماعات الإبل . لأعجم طمطم : أى لإهابة راعيها الأعجم الذى لايفهم الكلام .

(٤) يصف ناقته ، من قصيدة له فى ديوانه ٢٦ — ٣٤ .

(٥) الزف ، بالكسر : صغار الريش . س ، ه : « زحها » محرفة . وتمور : سقط . وصدر البيت :

* وقد أنعلتها الشمس نعلا كأنه *

فأضْحَتْ قد خَلَتْ إلاَّ عِرَارًا وعَزْفًا ، بعـد أحياءٍ حِلَالِ(١)

١١٧ وخَيِطاً من خَوَاضِبَ مُؤْلفاتٍ كَأَنَّ رِئالَها وُرْقُ الإفالِ(٢)

(قول فى بيت لحسان)

وقال حسانُ بن ثابتٍ ، رضى الله عنه(٣) :

لعمرُكَ إنَّ إِلَّكَ فى قُرِيش كإِلِّ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ(٤)

---

(١) العرار ، بكسر العين المهملة : صوت الظليم . يقال عريعر عرارا ، وعار يعار معارة وعرارا . ط : « غرارا » ، صـوابه فى س ، هـ واللسان (عرر) . والعزف : صوت الرياح ، وقد يجعله العرب بزعمهم صوت الجن . وفى الأصل : « عرفا » تصحيحه من اللسان . وأحيال حلال : أى أقوام مقيمون متجاورون . ينعت تلك الديار بعد مارحل عنها أهلها .

(٢) الخيط بالفتح والكسر : جماعة النعام . والخواضب : الظلمان قد احمرت سوقها . مؤلفات : ألفت الرمل . وفى الأصل : « مزلفات » صوابه من الديوان . ورئالها : فراخها . والورق : جمع أورق ، وهو مالونه كلون الرماد . والإفال : جمع أفيل ، كأمير ، وهو الفصيل من الإبل . وفى الأصل : « الإمال » بالميم ، محرفة .

(٣) يهجو أبا سفيان بن الحارث . والبيت أول أبيات أربعـة فى ديوانه ٤٠٧ — ٤٠٨ . وبعده :

فإناك إن تمت إلى قريش كذات البو جائلة المرام
وأنت منوط بهم هجين كما نيط السرائح بالخدام
فلا تفخر بقوم لست منهم ولاتك كاللئام بنى هشام

(٤) الإل : القرابة . والسقب : ولد الناقة ساعة يولد . ط : « الفيل » ، س ، هـ : « السيف » صوابهما ماأثبت من الديوان ، والمخصص (٣ : ١٥١) وأمالى القالى (١ : ٤١) والأضداد ٣٤٦ . والرواية فيها جميعاً : « من قريش » وهناك بيت آخر يشتبه بهذا البيت . وهو :

وأشهد أن إلك من قريش كإل الفيل من ولد الأتان

وصاحبه عبد الرحمن بن الحكم يقوله لمعاوية : كما فى الحيوان (١ : ١٤٦ ، ٧ : ٢٣٥) والخزانة (٢ : ٥١٨ بولاق) . أو صاحبه يزيد بن مفرغ ، كما فى الشعراء ٣٢٢ والموشح ٢٧٣ . أو هو عبد الرحمن بن حسان : كما فى العقد (٤ : ١٨٢) .

وقد عاب عليهِ هذا البيتَ ناسٌ ، وظَنُّوا أنَّهُ أراد التبعيد ، فذكر شيئين قد يتشابهان من وجوهٍ . وحسانُ لم يردْ هذا ، وإنما أراد ضَعْفَ نَسبه فى قُريش ، وأنّه حينَ وَجَدَ أدنى نَسب[1] انتحل ذلك النَّسب .

(النعامة ، فرس الحارث بن عباد)

وقال الفرزدقُ — وذكَرَ الفرَسَ الذى يقال له : « النَّعامة » ، وهو فرسُ الحارث بن عُبَاد ، التى يقول فيها :

قرِّبا مَرْبِطَ النَّعامةِ مِنِّى   لَقِحَتْ حَرْبُ وائِلٍ عن حِيالِ[2]

وقولُ الفرزدق[3] :

تُرِيكِ نُجُومَ اللَّيلِ والشَّمْسُ حَيَّةٌ[4]   كرامٌ[5] بناتِ الحارثِ بن عُبادِ

نساءٌ أبوهنّ الأغرّ ، ولم تَكُنْ   من الحُتِّ فى أجْبالها وهَدَادِ[6]

---

(١) كذا بالأصل . ولعلها : « سبب » .

(٢) عن حيال ، أى بعد حيال . والحيال ، بالكسر : ألا تحمل الناقة بولد . وقد قال الحارث هذا الشعر لمناسبة تجدها فى (يوم قضة) من أيامهم .

(٣) يقوله للنوار زوجه ، وكان تزوج عليها امرأة من ولد الحارث بن عباد ، فقالت له : تزوجتها أعرابية دقيقة الساقين ! .

(٤) كذا رواية صدر البيت فى الموشح ١٠٤ والأغانى (١٩ : ٩) . وروى : « أرتك » فى الأغانى (٨ : ٨٩) ، و : « أراها » فى الديوان ١٥٩ . يقول لها : إن بنات الحارث بن عباد يجلبن إليها الغيرة الممضة حتى يظلم عليها نهارها . والعبارة مثل ، كما جاء فى قول طرفة (ديوانه ٦٥) :

إن تنوله فقد تمنعه وتريه النجم يجرى بالظهر

(٥) روى فى الديوان والموشح والأغانى (٨ : ٨٩) : « زحام » . وللمرزبانى كلام فى هذا اللفظ دقيق .

(٦) الحت ، بالضم ، وهداد : قبيلتان من الأزد . ط : « من الأزد فى جاراتها وهداد » . ولعله تصرف من المصحح اعتمد فيه على رواية الأغانى (١٩ : ٩) =

أبوها الذى آوى النّعامةَ بعد ما أبَتْ وَائِلٌ فى الحَرْبِ غيرَ تمَادِ[1]

وقد مَدحوا بناتِ الحارث بن عباد هذا ، فمن ذلك قوله[2] :

جاءُوا بحارِشَةِ الضِّبابِ كأنَّهمْ جَاءُوا ببنتِ الحارثِ بن عُبادِ[3]

ويلحق[4] هذا البيت بموضعه ، من قولهم : باضَ الصَّيفُ[5] ، وباضَ القَيظ[6] . وقال مضرِّس :

بلمَّاعةٍ قد باكَرَ الصَّيفُ ماءَها وباضت عليها شمسُه وحرارُه[7]

= لكن فى س ، هـ : « من الحب فى إحالها » ، وتصحيح هذا التحريف من الديوان .

(١) أبوها ، يعنى أبا زوجته . و « آوى النعامة » إشارة إلى قوله : قربا مربط النعامة » . ط : « قاد النعامة » ويظهر أيضاً أنه اعتماد من المصحح على رواية الأغانى (١٩ : ٩) . ورواية الديوان : « أدنى » . والتمادى : اللجاجة . ووائل هو والد بكر وتغلب اللتين أشعلتا نار حرب البسوس ، فكانت إحداهما تحاوب الأخرى .

(٢) فى (٦ : ١٠٢) : وقائلة هذا الشعر امرأة من بنى مرة بن عباد . ونحوه فى ثمار القلوب ٢٣٩ — ٢٤٠ .

(٣) بحارشة الضباب : أى بامرأة تحرش الضباب ، أى تصيدها . وقد عدت هذه حرش الضباب لؤما ومسبة ، ولكن بعض العرب لا يرى فى ذلك شيئاً . انظر تفصيل هذا الخلاف فى (٦ : ٧٧ — ١١١) . أما بنت الحارث بن عباد فثل فى الكرم والشرف .

(٤) الكلام من مبدإ هذا إلى نهاية بيت مضرس ساقط من س . وربما دل هذا على أنه كلام دخيل من صنع أحد القراء . وكلمة « بموضعه » تشير إلى ماسبق فى ص ٣٣٥ — ٣٣٦ .

(٥) فى الأصل : وهو هنا ط ، هـ : « السيف » . وانظر ماسبق فى ٣٣٦ .

(٦) فى الأصل : « ومن باض القيظ » ، وكلمة « من » مقحمة .

(٧) لماعة : أى فلاة يلمع فيها السراب . ط : « بداعية » صوابه فى هـ ، واللسان (حرر) . وفى اللسان أيضاً : « قد صادف الصيف » . والحرائر : جمع حرور ، بالفتح ، وهو الحر . وباضت الشمس : أخرجت كل حرها . ورواية اللسان : « فاضت » .

(ابن النعامة ، فرس خُزز بن لوذان)

وابن النّعامة : فرس خُزَز بن لَوْذَان(١) . وهو الذى يقول لامرأته حين أنكرتْ عليه إيثاره فرسه باللبن :

كَذَبَ العَتِيقُ ومَاءُ شَنٍّ باردٌ   إنْ كنْتِ سائلتى غَبوقاً فاذهَبِى(٢)

إنّى لأَخْشَى أن تقولَ خليلتى(٣)   هــذا غبارٌ ساطعٌ فتَلَبَّبِ(٤)

---

(١) خزز بزايين وبوزن عمر ، ابن لوذان ، بفتح اللام وبذال معجمة : شاعر قديم جاهلى ، كما فى الخزانة (٣ : ١١ بولاق) . وفى الأصل : « حرز » ، صوابه فى القاموس (خزز ، لوذ) والمؤتلف ١٠٢ ، والبيان (٣ : ٣١٧) . ونسبة الشعر الآتى إلى خزز ، مثلها فى الخزانة والبيان وأمالى ابن الشجرى (١ : ٢٦٠) . ونسب إلى عنترة فى المخصص (١٣ : ٢٠٦) والعقد (٢ : ٢٥٦) وحماسة ابن الشجرى ٨ وأماليه (١ : ٢٦١) .

(٢) هو مثل صادق من عناية العرب بخيلهم ، وإيثارهم لها على أنفسهم وعلى أزواجهم ولو أدى ذلك إلى النزاع مع الحرم . وقال فى مثل هذا ، الأعرج المعنى (الحماسة ١ : ١٣٠) :

أرى أم سهل ما تزال تفجع   تلوم وماأدرى علام توجع

تلوم على أن أمنح الورد لقحة   وما تستوى والورد ساعة يفزع

أم سهل : امرأته . والورد : اسم فرسه . ولقحة : أى لبن ناقة لقحة . وما تستوى : أى ما تستوى امرأته وذلك الفرس ساعة الفزع للحرب .

(٣) يقول لها : عليك بأكل العتيق ، وهو يابس التمر ، وبشرب الماء البارد الذى فى القربة الخلق ، ولا تتعرضى لغبوق اللبن ، وهو شربه بالعشى ؛ لأن اللبن خصصت به مهرى الذى أنتفع به ويسلمنى وإياك من الأعداء . وكذب كذا ، وكذب عليك كذا : مثلان غريبان من أمثلة الإغــراء ، لـكنه جاء مسموعا كثيراً فى كلامهم . انظر اللسان (كذب) وأمالى ابن الشجرى والمزهر (١ : ٢٢٥).

(٤) يعنى بخليلته زوجته . ط ، س : « خليلى » وتصح بالتصغير وإرادة النداء =

إنَّ العدوَّ لهم إليكِ وسيلةٌ ... إنْ يأخذوكِ تَكَحَّلِي وتخضَّبي[1]
ويكون مَرْكَبُكِ القَعودَ وحِدْجَه ... وابنُ النَّعامة يوم ذَلِكِ مَرْكَبي[2]

(شعر فى النعامة)

وقال أبو كبير الهذلىّ :

١١٨ وَضَعَ النَّعاماتِ الرِّجالُ بِرَيْدِها ... يُرْفَعْنَ بَين مُشَعْشَعٍ وَمُهَلَّلِ[3]

وقال ذُو الإصبع العَدْوانىّ :

ولى ابنُ عَمّ على ما كان مِنْ خُلُقٍ ... مخالفٌ لىَ أقْليـه ويقلينى[4]
أزْرَى بنا أنَّنا شالَتْ نعامتُنا ... فَخَالَنى دُونَهُ بل خِلْتُهُ دُونى[5]

= وأثبت مافى هـ والبيان واللسان (لبب) . ورواية ابن الشجرى فى الحماسة : « ظعينتى » . والظعينة : المرأة . والغبار الساطع الذى تعنى : هو مايتطاير من جرى خيل العدو المغير . والتلبب : التحزم بالسلاح وغيره .

(١) العدو ، من الكلمات التى تقال للواحد والاثنين والجمع ، والمثنى والمذكر ، بلفظ واحد . روى ابن الشجرى فى الأمالى : « أن يأخذوك » وقال : « موضعه نصب بتقدير حذف الخافض ، أى فى أن يأخذوك » . ثم قال : « قذفها بإرادتها أن تؤخذ مسبية ، فلذلك قال : تكحلى وتخضبى » .

(٢) أى يحملك الأعداء حين تسبين على القعود ، وهو الفصيل من الإبل . والحدج بالكسر : مركب من مراكب النساء . يقول : وأما أنا فأركب للقاء العدو فرسى المسمى بابن النعامة . وقيل : أراد بابن النعامة باطن القدم ، وقيل أراد الطريق . وأول الثلاثة أصحها .

(٣) « وضع » هى فى الأصل : « وقع » و « بريدها » هى فى ط ، س « بربدها » وفى هـ : « برمدها » . وانظر ما أسلفت من التحقيق فى ٣٥١ . و « يرفعن » هى فى الأصل : « يدفعن » . والمشعشع : المتفرق فيه فرج . والمهلل : المتقوس . وانظر عجز البيت وشرحه فيما سبق ص ٣٥١ .

(٤) أى أبغضه ويبغضنى .

(٥) شالت نعامة القوم : تفرقت كلمتهم وذهب عزهم ، أو لم يبق منهم إلا بقية . والبيتان من قصيدة فى المفضليات ١٥٩ — ١٦٤ .

وقال أبو دُوادٍ الإيادىُّ فى ذكر الصَّيد ، وذَكر فرَسه :

وأخذنا به الضرار وقلنا بجقير بنانه أضمار[1]
فأتانا يَسعَى تَفَرُّشَ أمِّ ال بَيضِ شَدًّا وقد تَعَالَى النهارُ[2]
غير جعف[3] أوابدٍ ونعامٍ ونعامٍ خِلالها أثوارُ
فى حوال العقارب[4] العمر فيها حين ينهضن[5] بالصباح عذارُ

ثم قال :

يتكشفن من صرائع ستٍّ قسِّمت بينهنَّ كأسٌ عُقَارُ
بين ربْدَاءَ كالمِظَلَّةِ أفق وظليمٍ مع الظَّليم حمار[6]
ومهايين حربين ورِئال وسيوب كأنّه أوْتَارُ[7]

---

(١) كذا جاء البيت محرفا فى الأصل . س : « الضرا » . ﻫ : « فلسنا » موضع « وقلنا » . س : « بخفر » موضع : « بحقير » .

(٢) أم البيض ، عنى بها النعامة . والتفرش : أن ترفرف بجناحيها . فى الأصل : « وأتى يبتغى تفرس » ، صوابه فى المعانى الكبير ٧٧٥ واللسان والمقاييس (فرش) .

(٣) كذا بالأصل .

(٤) كذا فى ط . وفى س ، ﻫ : « فى حو القارب » ، محرفتان .

(٥) س ، ﻫ : « ينهض » .

(٦) ربداء : أى نعامة رمادية اللون . والمظلة : بالكسر والفتح ، الكبير من الأخبية ، وقد جاء مثل هذا فى قول ذى الرمة ص ٣١١ :

* شخت الجزارة مثل البيت سائره *

وسيأتى مثله لذى الرمة ص ٣٦٨ . ط : « كالمصلتة » س ، ﻫ : « كالمظلة » صوابه ما أثبت . والأفق ، بضمتين : الرائع ، يقال للذكر والأنثى ، وقد سكن الفاء للشعر .

(٧) كذا فى س ، ﻫ . وفى ط :

ومهاتين حرس ورئال وسيوف كأنها أوتار

والنصان محرفان . وفى المعانى الكبير ٧٧٦ قطعة من البيت فقط « كأنه أوثار » . بالثاء المثلثة. قال ابن قتيبة : « قيل هو الثوب الأبيض المحشو ، وقيل : البرذعة » .

(شعر فى تشبيه الناقة بالظليم)

ووصف علقمة بن عبدة ناقته ، وشبهها بأشياء منها[1] ثم أطنب فى تشبيه إياها بالظليم :

تلاحِظ السَّوْطَ شزْراً وهى ضامزة كما توجَّس طاوِى الكَشح مَوْشُومُ[2]
كأنَّها خاضب زُعْرٌ قوائمُـه أجْنَى له باللِّوَى شَرْىٌ وَتنُّومُ[3]
يظلُّ فى الحَنْظلِ الخطبان ينقفُه وما استَطَفَّ من التَّنُّوم مَخْـذومُ[4]
فُوه كشَقِّ العصاَ لأْياً تَبَيَّنُهُ أَسَكُّ مايسمَعُ الأصواتَ مَصْلُومُ[5]
يكادُ منسمه يَخْتَلُّ مُقْلَتَهُ[6] كأنَّهُ حاذِرٌ للنَّخْس مَشهومُ[7]

---

(١) كذا . وقد تكون هذه الكلمة زائدة ، وقد تكون أصيلة يتلوها كلام سقط .

(٢) نظر شزراً : أى بمؤخر عينه . ضامزة ، بالزاى : أى ساكتة خائفة . س ، ه والديوان ١٣٠ : « ضامرة » وما أثبت من ط ، والمفضليات ٣٩٩ أجود . والتوجس : التسمع الصوت الخفى . س ، ه : « تزجر » ، محرف عما أثبت من ط ، والديوان ، والمفضليات . والموشوم : الذى فى ذراعيه خطوط . وعنى به الثور الوحشى . س ، ه : « مرشوم » ، محرف .

(٣) الخاضب : الظليم قد احمرت ساقاه . والزعر : القليلات الريش . ه : « ذعر » . مصحفة . روى فى المفضليات : « قوادمه » . والشرى : الحنظل . والتنوم : نبت . وأجنى : أى أدرك وأمكن من جنيه . س ، ه : « أحنى » صوابه فى ط : والديوان وعيون الأخبار (٢ : ٨٧) والمفضليات ٣٩٩ حيث القصيدة .

(٤) الخطبان : بالضم والكسر : جمع خطبانة بالضم ، وهى الصفراء فيها خطوط خضر . فى الأصل : « الحبطان » صوابه فى الديوان والمفضليات واللسان (طفف) . ينقفه : يشقه ليستخرج لبه . واستطف : أى بدا للآخذ . والمخذوم : المقطوع ه : « محدوم » وأثبت مافى ط ، س والمفضليات . ورواية الديوان : « مجذوم » وهو المقطوع قطعاً وحياً .

(٥) لأيا تبينه ، أى لا تتبينه إلا بعد جهد ومشقة . ط : « لا يأتبينه » . س ، ه : « لأياييينه » صوابه من الديوان والمفضليات . والأسك : الأصم . والمصلوم : الصغير الأذنين أو المقطوعهما .

(٦) المنسم ، كمجلس : طرف خف النعامة . يختل مقلته : ينفذ فيها وينتظمها .

(٧) المشهوم : الفزع . س ، ه : « موسوم » س : « حازم النحيين » ه : =

حتى تذكَّرَ بَيْضَاتٍ وَهَيَّجَـهُ يومُ رذَاذٍ ، عليه الرِّيحُ مَغْيُومُ[١].
فلا تَزيُّدُه فى مَشْيِـهِ نَفِقٌ[٢] ولا الزَّفيفُ دُوينَ الشَّدِّ مَسْئُومُ[٣]
يَأْوِى إلى حِسْكِلٍ زعْرٍ حَواصِلُها[٤] كأنَّهنَّ إذا بَرَّكْنَ جُرثُومُ[٥]
وضَّاعةً كعِصِىِّ الشِّرْعِ جُؤْجُؤُهُ كأنَّهُ بتناهى الرَّوْضِ عُلْجُومُ[٦]
حَتى تَلافَى وقرنُ الشَّمْسِ مرتفعٌ أُدْحِىَّ عِرْسَيْنِ فيه البيضُ مَرْكُومُ[٧].

= « حازم التبختر » تحريف ما أثبت من ط والديوان والمفضليات .

(١) فى المفضليات : « عليه الدجن » . ﻫ : « معتوم » .

(٢) التزيد : الزيادة . والنفق ، كفرح : المنقطع . س : « لغوا » . س ، ﻫ : « ولا تزيد وفى مشيه » ، صوابه فى ط والمصدرين السابقين .

(٣) الزفيف : المشى السريع . دوين ، تصغير دون : أى أقل . فى الأصل . « مشؤوم » صوابه فى المصدرين السابقين . س ، ﻫ : « إلا الرفيف دون السلك » ، محرف .

(٤) الحسكل ، كزبرج : الصغير من ولد النعام . س ، ﻫ : « درحق » صوابهما : « دردق » . فى الديوان : « حرق » .

(٥) الجرثوم : أصل الشجرة يجتمع إليه التراب . س ، ﻫ : « إذا ركبن مرثوم » .

(٦) الوضاع : الذى يعدو وضعا . والوضع : عدو سريع من عدو الإبل . وقد زاد التاء للمبالغة ، كما جاءت فى علامة ونسابة . والشرع ، بالكسر : جمع شرعة ، وهى وتر القوس أو العود . والجؤجؤ : الصدر . والتناهى : جمع تنهية ، وهى الأماكن المطمئنة لها من جوانبها ما يمنع الماء أن يخرج منها . والروض : جمع روضة . والعلجوم : البعير الطويل المطلى بالقطران . ولعمرى لقد دار علقمة على رأسه ، فشبه ناقته بالظليم ثم عاد فشبه الظليم بالبعير ، وقد دفعه إلى ذلك إفراطه فى الاستطراد . س ، ﻫ : « وصاعد كقصى الترع » و « بتناهى الروس » صوابه ما أثبت من ط والمفضليات والديوان .

(٧) تلافى ، بالفاء : أى تداركه . س ، والديوان : « تلاقى » صوابه فى ط ، ﻫ والمفضليات . واللسان (عرس) . والأدحى : موضع بيض النعامة . وأراد بالعرسين الذكر والأنثى . س : « أرحى عرينين » محرف . ومركوم : راكب بعضه بعضاً . ﻫ : « محجوم » ، ولا وجه له .

١١٩ يُومِي إليها بإنقاض وَنَقْنَقَةٍ كما تَرَاطَنُ فى أفْدانِها الرُّومُ (١)
صَعْلٌ ، كأنَّ جَناحَيْهِ وَجُؤْجُؤَهُ بيتٌ أطافَتْ به خَرْقَاءُ مَهْجُومُ (٢)
تحفُّهُ هِقْلَةٌ سَطْعاءُ خَاضِبَــةٌ تجيبُهُ بِزِمارٍ فيــه تَرْنِيمُ (٣)

(رؤيا النعامة)

الأصمعيّ ، قال : أخبرنى رجلٌ من أهل البَصرة قال : أرسلَ (٤) شيخ من ثقيفٍ ابنَه فلانا — ولم يحفظ اسمه — إلى ابن سِيرِينَ ، فكلمه بكلامٍ ، وأمُّ ابنِه هذا قاعدةٌ ، ولا يظنُّ أنّها تفطِنُ ، فقال له : يابنيَّ اذهبْ إلى ابن سِيرِينَ ، فقل له : رجلٌ رأى أنَّ له نعامةً تطحَن . قال : فقلت له ،

---

(١) يومى إليها : يشير . س ، ه : « يرحى » صواب هذه : « يوحى » كما فى الديوان والمفضليات . والإنقاض : صويت مثل النقر . والنقنقة : صوت كصوت الدجاجة للبيض . وتراطن الروم : تكلموا برطانتهم . ويصح أن يكون حذف من الفعل إحدى التاءين تخفيفاً ، فيكون أصله : تتراطن . والأفدان : جمع فدن ، بالتحريك ، وهو القصر المشيد . ه : « أفرايها » س : « أقرائها » ، صوابهما فى ط والديوان والمفضليات .

(٢) الصعل : الصغير الرأس . والجؤجؤ : الصدر . وخرقاء : أى ريح خرقاء لاتدوم على حال فى هبوبها . المخصص (٩ : ٨٧) . وفى الكامل ٤٤٩ : « والخرقاء : التى لا تحسن شيئاً ، فهى تفسد ماعرضت له » ، وفى اللسان : « وقال المازنى فى قوله : أطافت به خرقاء : امرأة غير صناع ، ولا لها رفق ، فإذا بنت بيتا انهدم سريعاً » . وتفسير ابن سيده أجود وأقرب . والمهجوم : المهدوم . وهو من صفة البيت الذى شبه به جناحى الظليم وجؤجؤه .

(٣) الهقلة : الفتية من النعام ، أو الطويلة الخرقاء . س ، ه : « يحفه مقلة » محرف . والسطعاء : الطويلة العنق . س ، ه : « صعقاء » محرفة . والزمار ، بالكسر : صوت أنثى النعام .

(٤) س ، ه : « أرسلنى » ، صوابه فى ط .

فقال : هذا رجلٌ اشترى جاريةً فَخَبَّأَهَا فى بنى حنيفة[١] . قال : فجئت أبى فأخبرتُه ، فنافرَتْهُ أمِّى ، وما زالت به حتى اعترف أنّ له جارية فى بنى حنيفة .

وما أعرفُ هذا التأويل . ولولا أنّه من حديث الأصمعى مشهورٌ ما ذكرته فى كتابى .

(مسيلمة الكذاب)

وأمّا قول الشاعرِ الحنفىِّ فى مسيلِمة الكذاب ، فى احتياله وتمويهه وتشبيهِ ما يحتال به من أعلام الأنبياء ، بقوله :

ببيضَة قَارُورٍ وَرَايَةِ شَادنٍ وتوصيلِ مَقصوصٍ من الطيرِ جادفِ[٢]

قال : هذا شعرٌ أنشدَنَاه أبو الزَّرقاء سَهْمٌ الخثعمى . هذا [منذُ[٣]] أكثَرَ من أربعينَ سنة . والبيتُ من قصيدةٍ قد كان أنشدنيها فلم أحفَظْ منها إلاّ هذا البيت .

فذكر أنَّ مسيلمة طاف ، قبلَ التنبِّى ، فى الأسواق التى كانت بين دور العجم والعرَب ، يلتقُون فيها للتسوُّق والبِياعات[٤] ، كنحو سُوق الأُبُلّة ، وسُوق بَقّة[٥] ، وسوق الأنبار ، وسوق الحِيرة .

---

(١) أى فى حى بنى حنيفة .

(٢) الجادف من الطير : ما يطير وهو مقصوص ، كأنه يرد جناحيه إلى خلفه ، كما يفعل الملاح بمجدافيه . وفى الأصل : « جائف » ، ولا وجه له .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) فى اللسان : « تسوق القوم : باعوا واشتروا » . س ، ه : « فيه » ه : « السوق » ، محرفتان عما فى ط . والبياعات : الأشياء التى يتبايع بها فى التجارة .

(٥) بقة : اسم موضع قرب الحيرة كان ينزله جذيمة الأبرش . وفيه المثل : « ببقة خلفت الرأى » . ط ، ه : « لقة » س : « لفة » ، صوابه من معجم البلدان .

قال : وكان يلتمس تعلُّمَ الحِيَل والنِّيرَجَات[١] ، واختيارات النُّجوم والمتنبئين . وقد كان أحكَمَ حِيَل السَّدَنَةِ والحُوَّاءِ[٢] وأصحـابِ الزَّجْر والخطّ[٣] ، ومذهبَ الكاهنِ والعَيَّاف[٤] والسَّاحر ، وصاحبِ الجنّ الذي يزعم أنّ معه تَابِعَةً[٥] .

قال : فخَرَجَ وقد أحكم من ذلك أموراً . فمن ذلك أنّهُ صبّ على بيضَةٍ من خَلٍّ قاطع[٦] — والبيض إذا أطيل إنقاعُه في الخلّ لانَ قشرُه الأعلى ، حتّى إذا مددته استطال واستدقّ وامتدّ كما يمتدُّ العِلْكُ ، أو على قريب من ذلك — قال : فلمّا تمّ له فيها ما حاوَل وأمّل ، طوّلها ثُمّ أدخَلَها قارورةً ضيِّقَةَ الرَّأسِ ، وتركها حتّى جفّت ويبست . فلمّا جفّت

---

(١) كذا في الأصل . قال صاحب القاموس : « والنيرنج ، بالكسر : أخذ كالسحر وليس به » ، وعقب عليه الشارح بقوله : « هكذا في سائر النسخ ، والمنقول من نص كلام الليث : النيرج ، بإسقاط النون الثانية » . وجاء في المعارف ١٧٨ : « وكان صاحب نيرنجات » فهما مذهبان في التعريب . وهو بالفارسية : « نيرنگ » .

(٢) السدنة : جمع سادن ، وهو خادم الكعبة ، أو خادم بيت الصنم . س : « السدانة » صوابه في ط ، ﻫ . والحواء : جمع حاو . انظر ما سبق في تحقيق هذه الكلمة في التنبيه الرابع من ص ٢٦٩ .

(٣) الخط : ضرب من ضروب الكهانة ، يأتي صاحب الحاجة إلى الحازى فيعطيه حلوانا ، فيقول : اقعد حتى أخط لك . وبين يدى الحازى غلام له معه ميل له — أى قضيب — ثم يأتي إلى أرض رخوة ، فيخط الأستاذ خطوطاً كثيرة بالعجلة ، لئلا يلحقها العدد ، ثم يرجع فيمحو منها على مهل خطين خطين ، فإن بقي من الخطوط خطان فهما علامة قضاء الحاجة والنجح ، وإن بقي واحد كان ذلك أمارة الخيبة ، وبينما الحازى يمحو يقول الغلام للتفاؤل : ابنى عيان ! أسرعا البيان ! .

(٤) العياف ، من العيافة ، بالكسر : وهى زجر الطير ، والتفاؤل بأسمائها ، وأصواتها ومرها .

(٥) ﻫ : « تابعة » ، أى جنية تتبعه .

(٦) خل قاطع : أى شديد الحموضة .

انضمّت ، وكلما انضمّت استدارتْ ، حتى عادت كهيئتها الأولى . فأخرجها إلى مُجّاعَة[١] ، وأهل بيته ، وهم أعراب ، وادّعى بها أعجوبةً ، وأنّها جُعلت له آية . فآمَنَ به في ذلك المجلس مُجّاعَة[٢] . وكان قد حمل معه ريشًا في لون ريشِ أزواجِ حمامٍ ، وقد كان يَرَاهُنَّ في منزل مُجّاعةَ مَقاصِيصَ .

١٢٠ فالتفت ، بعد أن أراهم الآيةَ في البيض إلى الحمام ، فقال لِمُجّاعَة : إلى كم تعذِّب خَلْقَ الله بالقصِّ ؟ ! ولو أراد الله للطَّير خلافَ الطَّيَرَانِ لَمَا خَلَقَ لها أجنحةً ، وقد حَرّمْتُ عليكم قصّ أجنِحة الحمام ! فقال لَهُ مُجّاعة كالمتعنت : فَسَل الذى أعطاك في البيضِ هذه الآية أنْ يُنبِتَ لك جَناحَ هذا الطائر الذَّكَرِ السَّاعةَ !

فقلت لسهم : أمَا كان أجوَدَ من هذا وأشبَهَ أنْ يقول : فَسل الذى أدْخَلَ لك هذه البيضة فَمَ هذه القارُورة أنْ يخرجها كما أدخلها . قال : فقال : كأنَّ[٣] القَومَ كانُوا أعراباً ، ومثلُ هذا الامتحانِ من مُجّاعة كثير . ولَعَمْرِى إنَّ المتنبىَ لَيخدع[٤] ألفاً مثلَ قيس بن زهير[٥] ، قبل أن يَخْدَع

---

(١) هو مجاعة ، بضم الميم وتشديد الجيم ، ابن مرارة بن سلمى الحنفى اليمامى ، صحابى جليل ، كان من رؤساء بنى حنيفة، وأسلم ووفد . الإصابة ٧٧١٦. وقد ذكره المرزبانى فى المعجم ٤٧٢ . وأثبت له الجاحظ بلاغة فى البيان (٤ : ٩٠) . وذكر المرزبانى أنه عاش إلى خلافة معاوية .

(٢) حدث هذا قبل أن يسلم مجاعة ، فلا تناقض . وكان مجاعة ممن أسره خالد بن الوليد يوم اليمامة ، فوجهه إلى أبى بكر الصديق ، فقال مجاعة من أبيات :

أترى خالداً يقتلنا اليو م بذنب الأصيفر الكذاب
لم ندع ملة النبى ولا نحـ ن رجعنا فيها على الأعقاب

(٣) ط ، هـ : « كان » ، وأثبت ما فى س .

(٤) ط : « يخدع » .

(٥) هو قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسى ، كان يلقب بقيس الرأى ؛ لجودة =

واحداً من آخرِ المتكلمين ، وإن كان ذلك المتكلم لا يشقُّ غبارَ قيس فيما قيسٌ بسبيله .

قال مسيلمة : فإنْ أنا سألتُ الله ذلك ، فانتبِهْ له حتى يطيرَ وأنتم ترونَهُ ، أتعلمون أني رسول الله إليكم ؟ قالوا[1] : نعم . قال : فإني أريد أنْ أناجيَ ربّي ، وللمناجاة خَلوةٌ ، فانهضوا عنّي ، وإن شئتم فأدخلوني هذا البيت وأدخِلوهُ مَعِي[2] ، حتى أخرجه إليكم السَّاعةَ وافيَ الجناحَين يطير ، وأنتم ترونَهُ ولم يكن القوم سَمِعُوا[3] بتغريز[4] الحمام ، ولا كان عندهم باب الاحتياط في أمْر المحتالين . وذلك أن عُبَيداً الكيِّس[5] ، فإنّه[6] المقدَّم في هذه الصناعة ، لو منعوه السِّتر والاختفاء . لَمَا وصل إلى شيءٍ من عمله جلٌّ ولا دَقٌّ ؛ ولكان واحداً[7] من النَّاس . فلما خلا بالطائر أخرج الريش الذي قد هيَّأه ، فأدخل طرَفَ كلِّ ريشةٍ مِمَّا[8] كانَ معه ، في جَوف ريش الحمام المقصوص ، من عند المقطع والقَصِّ . وقَصَبُ[9]

= رأيه . وهو صاحب داحس التي راهن عليها حذيفة بن بدر صاحب الغبراء ، فلما سبق قيس تنازعا وشبت نار حرب داحس والغبراء في الجاهلية .

(١) في الأصل : « قال » ، والوجه ما كتبت .

(٢) ط : « فأدخلوه هذا البيت وأدخلوني معه » ، وأثبت ما في س ، هـ . ومؤداهما واحد .

(٣) ط : « يسمعوا » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٤) تغريز الحمام : أي تغريز الريش في جناحه . وأصله من تغريز النخل ، أي نقله من موضع إلى موضع . وهذا يقابل ما يعرف في اصطلاح زراع مصر بالشتال ، بفتح الشين . ط : « بتغرير » هـ : « بتعزيز » ، وأثبت الصواب من س .

(٥) كذا في الأصل . وفي أنساب ابن الكلبي من اسمه عبيد بن مالك بن شراحيل بن المكيس . انظر تاج العروس (كيس) .

(٦) ط : « فأنه » س : « فاته » ، وصوابه في هـ .

(٧) ط : « واجدا » .

(٨) ط : « كما » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٩) قصب الريش : أنابيبه . في الأصل : « قضيب » محرفة .

الرِّيش أجوَفُ ، وأكثَرُ الأصــولِ حِدَادٌ وصلاب . فلما وَفَى الطَّائرَ ريشَهُ صارَ فى العين كأنَّهُ بِرْذَوْنٌ موصولُ الذّنب ، لا يعرِف ذلك إلاَّ من ارتاب به . والحمام بنفسه قد كان له أصولُ ريشٍ ، فلما غُرِّزَتْ تمت[1] فلما أرسله من يده طار . وينبغى ألاَّ يكونَ فَعَلَ ذلك بطائرٍ قد كانوا قطوه[2] بعد أن ثبت عندهم . فلما فعل ذلك ازداد مَنْ كان آمَنَ به بصيرةً وآمَنَ به آخرون لم يكونوا آمنوا به ، ونزع منهم فى أمْره[3] كلٌّ من كان مستبصِرًا فى تكذيبه .

قال : ثمَّ إنَّهُ قال لهم — وذلك فى مِثْل ليلةٍ مُنكَرَةِ الرِّيَاحِ مُظلمةٍ فى بعض زمان البوارح[4] — إنَّ الملك عَلَى أن ينزل إلىَّ[5] ، والملائكة تطير ، وهى ذوات أجنحة ، ولمجىء الملَكِ زَجَلٌ وخشخشة[6] وقعقعة ، فمن كان منكمْ ظاهرًا فَلْيَدْخُلْ منزلَه ، فإنَّ من تأمَّل اختُطِفَ بصرُه ! ثم صــنَعَ رايةً من رايات الصِّبيان التى تعمل من الورق الصِّينىّ[7] .

(١) انظر التنبيه (٤) من الصفحة السابقة .
(٢) كذا فى الأصل ، بالطاء . وقد تكون : « قصوه » .
(٣) أى صار فى مذهبه ، وسار فى نصرته .
(٤) البوارح : الرياح الشدائد التى تحمل التراب ، وخصها بعضهم بما كان منها فى القيظ .
(٥) أى على وشك أن ينزل على .
(٦) الخشخشة : صوت كصوت السلاح . ه : « حشحشة » بمهملتين ، وليس لها وجه .
(٨) من خواص الورق الصينى النعومة والحسن والرفق والرقة . انظر ثمار القلوب ٤٣١ . قال : « وذكر صاحب المسالك والممالك أنه وقع من الصين إلى سمرقند فى سبى ســباه زياد بن صالح فى وقعه أطلخ — سنة ١٣٤ — من يصنع الكواغيد ثم كثرت الصنعة ، واستمرت العادة ، حتى صارت متجرا لأهل سمرقند » . وجاء فى فهرست ابن النديم ٢١ ليبسك ٣١ مصر : « الورق الصينى ويعمل من الحشيش » .

١٢١ ومن الكاغَدِ[١] ، وتُجْعَلُ لها الأذنابُ والأجنحة ، وتعلَّق فى صدورها الجلاجل[٢] ، وترسَل يوم الرِّيح بالخيوط الطِّوال الصِّلاب .

قال : فبات القومُ يتوقَّعون نزولَ المَلَك ، ويلاحظون السَّماءَ ، وأبطأ عنهم حتَّى قام جلُّ أهلِ اليمامة ؛ وأطْنَبت[٣] الرِّيح وقويت ، فأرسلها ، وهم لا يَرَوْنَ الخيوطَ ، واللَّيلُ لا يُبِينُ عن صورة الرَّقِّ[٤] ، وعن دقَّة الكاغد . وقد توهَّموا قبل ذلك الملائكة . فلمَّا سمِعُوا ذلك ورأوه تصارَخُوا وصاح : من صَرَفَ بصَرَه ودخلَ بيتَه فهو آمن ! فأصبح القومُ وقد أطبَقُوا على نصرتِه والدَّفعِ عنه . فهو قوله :

بِبَيْضَةِ قَارُورٍ وَرَايَةِ شَادنٍ وتوصيلِ مَقْصوصٍ منالطيرِ جادِفِ[٥]

فقلت لسهمٍ[٦] : يكون مثلُ هذا الأمرِ العجيب، فلاَ يقولُ فِيهِ شَاعرٌ، ولا يَشيعُ به خبر؟! قال : [أ[٧]] وَكلما كان فى الأرض عجبٌ ، أو شىء

---

(١) الكاغد ، بفتح الغين ، كلمة فارسية أصلها صينى ، بمعنى القرطاس الذى يكتب فيه. والكاغذ لغة فيه . والقرطاس أيضاً معربة من اليونانى : χάρτης وتنطق : « خَارْطِيس » . انظر الألفاظ الفارسية لأدى شير ١٣٦ .

(٢) الجلاجل : جمع جلجل ، بجيمين ، وهو الجرس الصغير . س: « الخلاخل » ، محرفة .

(٣) أطنبت الريح إطنابا : اشتدت فى غبار . اللسان والقاموس . والكلمة محرفة فى الأصل فهى فى ط : « طلبت » ، وفى س ، ه : « طابت » . أما الأولى فظاهرة التحريف ، وأما الثانية فإن معناها يناقض ما بعدها ، وهو « وقويت » إذ أن الريح الطيبة هى اللينة غير الشديدة .

(٤) الرق ، بالفتح ، ويكسر : الصحيفة البيضاء .

(٥) فى الأصل : « جائف » . وانظر شرح هذه الكلمة وتحقيقها فى ص ٣٦٨ حيث أنشد هذا البيت .

(٦) س : « لهم » محرفة . وسيترجم الجاحظ « سهما » فى ص ٣٧٩ .

(٧) ليست بالأصل .

غريبٌ ، فقد وجَبَ أن يشيع ذكرُه ، ويقالَ فيه الشِّعرُ ، ويجعلَ زمانُهُ تاريخاً ! أَلَسْنَا معشَرَ العربِ نزعُمُ أنَّ كسرى أبرويز ، وهو من أحرار فارسَ ، من الملوكِ الأعاظم ، وسليلُ ملوكٍ ، وأبو مُلوك ، مع حَزْمه ورأيه وكماله ، خطبَ إلى النُّعمان بن المنذر ، وإلى رجلٍ يرضى أن تكونَ امرأتُهُ ظِئرا لبعض ولدِ كسرى ، وهو عامله ، ويسمِّيه كسرى عبداً ، وهو مع ذلك أُحَيْمِر أُقَيْشِرُ ، إمَّا من أشلاء قصيِّ بن معد ، وإما من عُرْض لخم . وهو الذى قالوا : تَزَوَّجَ مومسةً — وهى الفاجِرةُ ؛ ولا يقال لها مومسةٌ إلاَّ وهى بذلك مشهورة — وعَرَفها بذلك ، وأقام عليها ، وهُجِىَ بها ولم يَحفِلْ بهجائهم . ومِمَّا زاد فى شهرتها قصّة المرقش [1] . وناكها قُرَّة بن هُبيرة [2] حين سباها . فعلم بذلك وأقامَ عليها ، ثمَّ لم يرضَ حتَّى قال لها : هل مَسَّكِ ؟ قالت : وأنت والله لو قَدَر عليك لَمَسَّك ! فلم يَرْضَ بها حتَّى قال لها : صِفِيهِ لى . فوصَفَتْهُ حَتَّى قالتْ : كأنَّ شعر خَدَّيْهِ حَلَقُ الدِّرْع ! وبال على رأسه خلف بن نوالةَ الكنانى عامَ حَجّ ، وَنَصَّرَه عدىُّ بنُ

(١) هو المرقش الأصغر ، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك ، أو عمرو ابن حنظلة بن سعد بن مالك،وهو ابن أخى المرقش الأكبر . واسمه عمرو — أو عوف — ابن سعد بن مالك . والمرقش الأصغر أشعر المرقشين وأطولها عمراً . والمعروف أنه عشق فاطمة بنت المنذر ، أخت النعمان لا زوجه . وقصتهما فى الأغانى (٥ : ١٨٣ — ١٨٤) . وفيها يقول — من قصيدة مفضلية مطلعها (انظر المفضليات ٢٤٤) — :

ألا يا اسلمى لا صرم لى اليوم فاطما ولا أبداً ما دام وصلك دائما

(٢) قرة بن هبيرة ، أحد بنى قشير ، وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأسلم . الإصابة ٧٠١٠ .

زيد بأحمق سبب[1] . وخطب أخوه المنذر إلى عبيدة بن همام ، فردّه أقبح الردّ ، وقال[2] :

أتوني ولم أرضَ ما بيّتوا[3] وقد طرقوني بأمرٍ نُكُرْ
لأُنكِحَ أيِّمَهم منذراً وهل يُنكِحُ العبدَ حُرٌّ لِحُرْ[4]

ثمّ مع ذلك خطب إليه كسرى بعضَ بناته فرغب بها عنه ، حتّى كان ذلك سببَ هربه وعِلّةً لقتله — فهل رأيت شاعرًا فى ذلك الزّمان

١٢٢ مع كثرة الشعراء فيه ، ومع افتخارهم بالذى[5] كان منهم فى يوم جَلُولَى[6] ويومِ ذى قار ، وفى وقائع المثنّى بن حارثة ، وسعد بن أبى وقّاص — فهل سَمِعْتَ فى ذلك بشعرٍ صحيحٍ طَريف[7] المخرج ، كما سمعته فى جميع مفاخرهم ممّا لايدانى هذا المفخر[8] ؟ !

---

(١) نصره تنصيراً : أدخله فى النصرانية . وانظر خبر تنصير عدى بن زيد للنعمان بن المنذر فى الأغانى (٢ : ٢٢ — ٢٣) .

(٢) البيتان بدون نسبة فى الكامل ٤٤٦ ليبسك . ونسبا فى اللسان (نكر) إلى الأسود ابن يعفر .

(٣) ما بيتوا : أى مادبروه وفكروا فيه ليلا . هـ : « بينوا » ، محرفة .

(٤) جعل أخا المنذر عبداً ، فقال : وهل يزوج الحر عبداً مثل أخى المنذر لحر مثل المرأة التى خطبها . فى الأصل : « حرا بحر » ، وصوابه من الكامل .

(٥) س ، هـ : « فى الذى » .

(٦) المعروف : « جلولاء » بالمد ، لكنها قد قصرت فى الشعر ، فمنه قول القعقاع ابن عمرو :

ونحن قتلنا فى جلولا أثابرا ومهران إذ عزت عليه المذاهب
ويوم جلولاء الوقيعة أفنيت بنو فارس لما حوتها الكتائب

قال ياقوت : « فقصرها مرة ومدها أخرى » . وهى طسوج من طساسيج السواد . وبها كانت الوقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة ١٦ وقتلوا منهم مائة ألف فيما يروون .

(٧) س ، هـ : « ظريف » بالمعجمة .

(٨) ط ، س : « المفتخر » .

ولقد خَطَبَ بَعْضُ إخْوَتِهِ(١) إلى رجالٍ من نِزار ، من غيرِ أهل البيوتات ، فرغبوا عنهم .

وأمّ النعمان سَلْمَى بنت الصّائغ(٢) : يهوديّ من أنباط الشام ، ثمّ كان نَجْلُهُ(٣) لفِعلٍ غيرِ محمود .

وقد قال جَبَلةُ بن الأيْهم(٤) ، لحسّان بن ثابت : قد دَخَلْتَ عليّ ورأيتَنى ، فأينَ أنا من النّعمان ؟ قال : واللهِ(٥) . . . .

[فالنّعمان(٦)] مع هذه المثالب كلِّها قد رَغِبَ بنفسه(٧) عن مصاهرة كِسْرَى ، وهو من أنْبَهِ الكسور(٨) . وكما(٩) كان أبْرَوِيزُ أعْظَمَ خَطَرًا .

---

(١) ط ، هـ : « إخوانه » . ولم يفصل صاحبا القاموس والمصباح بين الاثنين ، لكن جاء فى اللسان : « وأكثر ما يستعمل الإخوان فى الأصدقاء ، والإخوة فى الولادة » .

(٢) اسمه عطية ، كما فى الأغانى (٩ : ١٥٨) . وفى البيان (٣ : ٢٤٦) : « سلمى بنت عقاب » .

(٣) نجله ، أى ولادته . ط ، هـ : « بخله »، صوابه فى س .

(٤) هو جبلة بن الأيهم الغسانى ، آخر ملوك الغساسنة بالشام . أسلم ثم تنصر فى أيام عمر بن الخطاب . وحديثه مع حسان معروف . الأغانى (١٤ : ٢) والعمدة (٢ : ١٧٨) والخزانة (٤ : ٢٩٧ — ٣٠٣ سلفية) . وفى الأصل : « خلف » محرف عما أثبت .

(٥) فى الكلام نقص ، تقديره كما فى الأغانى (١٤ : ٣): « ... لقفاك خير من وجهه ، ولشمالك خير من يمينه ، ولأخمصك خير من رأسه ، ولخطؤك خير من صوابه ، ولصمتك خير من كلامه : ولأمك خير من أبيه ، ولخدمك خير مزقومه » . كما أن صاحب الحديث (فى الأغانى) هو عمرو بن الحارث الأعرج ، لاجبلة .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) س : « قد ترغب بنفسه » .

(٨) الكسور : جمع كسرى : اسم الملك الفرس ، معرب « خُسْرَوْ » أى واسع الملك . ويجمع كسرى أيضاً على أكاسرة ، وكساسرة ، وأكاسر ، انظر القاموس . وجاء فى س فقط : « الأكاسرة » . وكسرى الذى يعنيه الجاحظ ، هو كسرى أبرويز . وانظر (٧ : ١١٢) .

(٩) فى الأصل : « وكلما » .

كانَتْ أَنَفَتُهُ[1] أَفْخَرَ للعَرَبِ ، وأدلَّ على مايدَّعون من العلوِّ فى النسب وكان الأمر مشهوداً ظاهراً ، ومُرَدَّدًا[2] على الأسماع مستفيضا . فإذْ قد تهيَّأ أن يكون مثلُ هذا الأمر الجليل ، والمفْخرِ العظيم ، والعربُ أَفْخَرُ الأمم ، ومع ذلك قد أغفلوه — فشأنُ مسيلمةَ أحقُّ بأن يجوزَ ذلك عليه .

وأنشدنى يوسفُ لبعضِ شعراءِ بنى حَنيفة ، وكان[3] يُسَمَّى مُسَيْلِمَةَ وَيُكْنَى أبا ثُمامة :

لهفى عَلَيْكَ أبا ثُمامَهْ لهفى على رُكْنَىْ شمامَهْ[4]
كم آيةٍ لأبيهمُ[5] كالشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ غَمامَهْ

وقد كتبنا قِصَّتَهُ وَقِصَّةَ ابن النَّوَّاحَةِ (فى كتابنا الذى ذكرنا فيه فَصْلَ ما بين النبىِّ والمتنبى) وَذَكَرْنَا جميعَ المتنبئين ، وشأنَ كلِّ واحدٍ منهم على حِدَتِهِ ، وبأىِّ ضربٍ كان يَحتالُ ، وَذَكَرْنَا جملةَ احتيالاتِهِمْ ، والأبوابَ التى تدور عليها مخاريقهم[6] . فإنْ أردتَ أَنْ تعرفَ هذا البابَ فاطلبْ هذا الكتاب ؛ فإنهُ موجود .

---

(١) أى أنفة النعمان من مصاهرة كسرى . ط ، هـ : « ألفته »، س : « الفتنة » . والأوضح ما أثبت .

(٢) فى الأصل : « وموروداً » . ولا تتجه .

(٣) أى كان مسيلمة .

(٤) فى المعارف ١٧٨ : « على ركنى شهامة » .

(٥) كذا . ورواية المعارف : « كم آية لك فيهم » .

(٦) المخاريق : يراد بها تلك الألاعيب التى يلجأ إليهم المشعوذون . واحدها مخراق . قال التبريزى فى شرح المعلقات ٢٢١ : « قيل المخاريق : ما مثل بالشىء وليس به نحو ما يلعب به الصبيان » . وانظر التنبيه والإشراف ٢٤٠ س ١٩ والحيوان (١ : ١٠) .

(هجاء النعمان)

وقد هجا عبدُ القيس بنُ خُفَافٍ البُرْجُمِيُّ(١) ، النُّعْمَانَ بنَ المنذر ، في الجاهليَّةِ ، وذكر ولادة الصائغ (٢) [له] فقال :

لَعنَ اللهُ ثمَّ ثنَّى بِلَعنٍ ابنَ ذا الصَّائغِ ، الظلومَ الجهولا (٣)

يجمعُ الجيشَ ذا الألوفِ ويغزُو ثمَّ لا يرزأُ العـدُوَّ فَتِـيلا (٤)

(سَهْمٌ الحنفي)

وكان سَهْمٌ الحنفيُّ يلي طَبَرِسْتان (٥) ، لمعن بن زائدة (٦) ، مع حداثة سنه يومئذ ، وكان له مروءةٌ وَقَدْرٌ في نفسه .

---

(١) عبد القيس بن خفاف البرجمى ، نسبة إلى البراجم : قبيلة من تميم . شاعر جاهلى ، وله خبران مع حاتم الطائى والنابغة الذبيانى . والخبر الأول فى الأغانى (٧ : ١٤٥ — ١٤٦) ومعجم المرزبانى ٣٢٥ . وأما خبره مع النابغة فهو أنه هو ومرة بن سعد بن قريع عملا هجاء فى النعمان على لسان النابغة — وهما البيتان الآتيان مع ثالث متوسط بينهما — فأفسد ذلك على النابغة أمره عند النعمان . الأغانى (٩ : ١٥٨) . وقد ذكره المرزبانى باسم (قيس) حيث ذكره فى من اسمه قيس . والمعروف عبد القيس كما فى الأغانى ونوادر أبى زيد ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٦ والمفضليات ٣٨٣ والحماسة (١ : ١١٣) . وفى الأصل : « عبد القيس خفاف » ، بإسقاط « بن » ، وصوابه ما أثبت . ويقال فيه أيضاً : « عبد قيس » .

(٢) ط : « والده الصائغ » ، س : « ولادة الصائع » ، صوابهما فى هـ .

(٣) روى ابن قتيبة فى الشعراء ١١٢ ، ١١٧ « قبح الله » . وروى هو وصاحب الأغانى (٩ : ١٥٨) : « وارث الصائغ الجبان الجهولا » .

(٤) يرزؤه : ينقصه . ط : « يرزه » س : هـ « يرز » ، صوابهما ما أثبت من الأغانى . والفتيل : الهنة التى فى شق النواة . هـ ، س : « قليلا » . والأجود ما أثبت من ط والأغانى .

(٥) طبرستان بفتح الطاء والباء وراء مكسورة : بلاد جنوبى بحر طبرستان ، المعروف أيضاً ببحر الخزر . انظر خريطة الممالك الإسلامية .

(٦) معن بن زائدة الشيبانى ، أحد أجواد العرب وفرسانهم . وكان فى أيام بنى أمية =

(كثرة الشعر وقلته في بعض قبائل العرب)

وبنو حنيفة مع كثرة عددهم ، وشِدّةِ بأسهم ، وكثرة وقائعهم ، وَحَسَدِ العربِ لهم على دارهم وتُخُومهم وَسْطَ أعدائهم ، حتى كأنهم وَحْدَهُمْ[1] يعدِلُون بَكْراً كلها — ومع ذلك لم نرَ قبيلةً قطُّ أقلَّ شعراً منهم . وفي إخوتهم
١٢٣ عِجْلٍ قَصِيدٌ وَرَجَزٌ ، وَشُعَرَاء ورَجّازون . وليس ذلك لمكانِ[2] الخِصْب وأنهم أهلُ مَدَر ، وأكَّالو تمرٍ[3] ؛ لأنّ الأوْسَ والخزْرَج كذلك ، وهم في الشعر كما قد علمت . وكذلك عبدُ القيس النّازلة قرى البحْرين[4] ، فقد تعرفُ أنَّ طعامَهم أطْيبُ[5] من طعام أهل اليمامة .

وثقيفٌ أهلُ دارٍ ناهيك بها خِصْباً وطِيباً ، وهم وإن كان شعرُهم أقلَّ ، فإنَّ ذلك القليلَ يدلُّ على طبْعٍ في الشعر عجيب . وليس ذلك مِنْ

= متنقلا في الولايات، ومنقطعاً إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري ، أمير العراقين ، فلما انتقلت الدولة إلى بني العباس ، وجرى بين أبي جعفر المنصور وبين يزيد ابن عمر ما جرى ، من محاصرة واسط ، أبلى معن مع يزيد بلاء حسنا . فلما قتل يزيد هرب معن خوفا من المنصور ، ثم دخل معن في شيعة المنصور وصار من خواصه . وقتل معن بسجستان ، إذ كان واليا عليها ، سنة اثنتين ، أو ثمان وخمسين ومائة . ورثاه مروان بن أبي حفصه بمرثية ، هي من عيون الشعر العربي . وفيات الأعيان والأغاني وتاريخ بغداد ٧١٢٧ .

(١) ط : « وأحدهم »، صوابه في س ، هـ .

(٢) ط : « المكان »، صوابه في س ، هـ

(٣) أكالو تمر : أي لهم نخيل يأكلون تمرها . ط : « آكالو تمر » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٤) البحرين ، تلك البلاد الواقعة على بحر فارس . ط : « البحر » ، والوجه ما أثبت من س ، هـ .

(٥) في الأصل : « أخبث » . وهو عكس المراد .

قِبَلِ رداءة الغِذاء ، ولا من قِلّة الخِصب الشّاغل والغِنَى[١] عن النّاس ؛ وإنّما ذلك عن قدْر ما قسَمَ الله لهم من الحظوظ والغرائز ، والبلادِ والأعراقِ مكانَها .

وبنو الحارث بن كعب قبيلٌ شريفٌ ، يجرون مَجارِيَ ملوك اليمن ، ومجارِيَ ساداتِ أعراب أهْلِ نَجْدٍ ، ولم يكن لهم فى الجاهليّة كبيرُ حَظٍّ فى الشعر . ولهم فى الإسلام شعراءُ مفْلِقُونَ .

وبنو بَدْرٍ كانوا مفْحَمين[٢] ، وكان ما أطلق الله به ألسنةَ العرب[٣] خيرا لهم من تصيير الشعر فى أنفسهم .

وقد يَحْظَى[٤] بالشعر نَاسٌ ويخْرُجُ[٥] آخَرون ، وإن كانوا[٦] مثلهم أو فوقهم . ولم تُمْدَحْ[٧] قبيلةٌ فى الجاهليّة ، من قُريش ، كما مُدحت

---

(١) فى الأصل : « والغنا » .

(٢) فى القاموس : « المفحم كمكرم : العيى ومن لا يقدر يقول شعراً » ، كذا جاءت العبارة .

(٣) أى ما أطلق به ألسنة الشعراء فى مديحهم ، فمن ذلك قول حاتم الطائى (الأغانى ١٦ : ١٠٤ والديوان ١١٦) :

إن كنت كارهة معيشتنا هاتا فحلى فى بنى بدر
جاورتهم زمن الفساد فنعـ ـم الحى فى العوصاء واليسر
فسقيت بالماء النمير ولم ينظر إلى بأعين خزر
الضاربين لدى أعنتهم والطاعنين وخيلهم تجرى
والخالطين نحيتهم بنضارهم وذوى الغنى منهم بذى الفقر

وانظر مديح دريد بن الصمة لهم فى ٣٥٨ .

(٤) ط ، هـ : « يحظاه » ، س : « يحظأه » ، صوابهما ما أثبت .

(٥) كذا فى س ، ط ؛ وفى هـ : « يحرج » ، وربما كانت : « يحد » أى يسوء حظه .

(٦) س ، هـ : « كان » ، صوابه فى ط .

(٧) س ، هـ : « يمدح » .

مخزوم . ولم يتهيَّأ من الشَّاهد والمثل لمادح فى أحدٍ من العرب ، ما تهيَّأ لبنى بدر .

وقد كان فى ولد زُرارة[1] لصُلبــه ، شعر كثير ، كشعر لقيط[2] وحاجبٍ[3] وغيرهما من ولده . ولم يكن لحذَيفة ولا حِصْن ، ولا عيينةَ ابنِ حِصن ، ولا لحَمَل بنِ بدْر — شِعْرٌ مذكور .

(حظوة الخلفاء والولاة بالشعر)

وقد كان عبدُ العزيز بن مَرْوَانَ أَحْظَى[4] فى الشعر من كثير من خلفائهم . ولم يكنْ أَحَــدٌ من أصحابنا ، من خُلفائنا وأئمتنــا ، أحْظَى

---

(١) هو زرارة بن عدس ، بضمتين ، ابن زيد . جد جاهلى . بنوه بطن من بنى دارم . وكان حكيما من قضاة تميم .

(٢) لقيط بن زرارة ، شاعر فارس من فرسانهم ، وله خبر فى يوم رحرحان ، وكان من الرؤساء فى يوم جبلة ، وقتل فى ذلك اليوم وجعل يقول عند موته :

يااليت شعرى عنك دختنوس ... إذا أتاك الخــبر المرموس
أتحلق القرون أم تميس ... لابل تميس إنها عروس

دختنوس : بنته . وكان جبلة قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة . الأغانى (١٠ : ١٩ - ٤٤) . ط : « شعراء كلقيط » ، س : « شعرا كثيراً كشعر لقيط » هـ : « شعراً كثيراً لقيط » ، وقد وجهت القول بما ترى .

(٣) وكان حاجب بن زرارة من رؤســاء يوم جبلة . وقد عاش إلى أن وفد على الرسول وأسلم وبعثه على صدقات بنى تميم . وهو الذى رهن قوسه عند كسرى على مال عظيم ووفى به . الإصابة ١٣٥٥ . وانظر قصة (قوس حاجب) فى بلوغ الأرب (١ : ١٢٥) فهى ممتعة . وممن رهن من العرب قوسه أيضاً ، سيار ابن عمرو بن جابر الفزارى ، احتمل للأسود بن المنــذر دية ابنه الذى قتله الحارث بن ظالم ، ألف بعير ، وهى دية الملوك ، ورهنه بها قوسه . انظر العقد (٣ : ٣١١ - ٣١٢) .

(٤) إشارة إلى المدائح الكثيرة الجيدة التى مدحه بها نصيب الشاعر ، وكذا عبد الله بن قيس الرقيات . ط ، س «أحطأ» ، هـ : «أحظا» ، صوابهما ما أثبت من العمدة (٢ : ١٤٨) حيث نقل عن الجاحظ نقلا كاملا .

فى الشعر من الرَّشيد[١] . وقد كان يزيد بن مَزْيَد[٢] وعمُّه[٣] ، مِمَّنْ أَحْظَاهُ[٤] الشِّعْرُ .

وما أعلمُ فى الأرض نعمة بَعْدَ وِلاَيَةِ اللهِ أَعْظَمَ من أنْ يكونَ الرَّجُلُ ممدوحاً .

الصُّمُّ من الحيوان

تقول العرب : ضربانِ من الحيوانِ لا يَسمعان الأصوات . وذلك عامٌّ فى الأفاعى والنَّعام .

واعتدَّ من ادَّعى للنَّعام الصَّمَمَ بقول عَلْقَمة :

فُوهُ كَشَقِّ العَصاَ لأْياً تَبيَّنُهُ أَسَكُّ مايَسْمَعُ الأصْوَاتَ مَصْلومُ[٥]

---

(١) وأما هارون الرشيد فقد أطنب فى مدحه أبو العتاهية ، وإبراهيم الموصلى ، وإسحاق الموصلى ، ومروان بن أبى حفصة ، والعتابى ، وابن مناذر ، وأشجع السلمى ، ومنصور النمرى ، ونصيب الأصغر وغيرهم . ط ، س : « أخطأ » هـ : « أحظاه » . والوجه فيهما ما كتبت .

(٢) يزيد بن مزيد بن زائدة الشيبانى : أمير شجاع ، ندبه هارون الرشيد لقتال الوليد ابن طريف الشارى الخارجى ، فقتله وعاد إلى أرمينية ، حيث كان والياً عليها . توفى سنة ١٨٥ .

(٣) عمه ، هو معن بن زائدة الشيبانى ، الذى سبقت ترجمته فى ص ٣٧٩ — ٣٨٠ .

(٤) حظى يزيد بن مزيد بمديح مسلم بن الوليد ومنصور النمرى . ورثاه أبو موسى التيمى بمرثية سمعها الرشيد فبكى بكاء اتسع فيه ، حتى لو كانت بين يديه سكرجة لملأها من دموعه . الأغانى (١٨ : ١١٦ — ١١٧) . وأما عمه فقد حظى بمديح مروان بن أبى حفصة ، ومطيع بن إياس ، وعلى بن خليل ، والحسين ابن مطير ، وغيرهم . فى الأصل : « أخطأه » ، صوابه ما أثبت . وأحظاه : جعله ذا حظوة .

(٥) تقدم شرح هذا البيت فى ص ٣٦٦ . هـ : « يبينه » . س : « أسد » هـ : « أشد » كل منهما بدل « أسك » محرف .

قال(١) : ولا يصلح أن تكون « ما » فى الموضع الذى ذَكَر(٢) لأنَّ ذلك يصير كقول القائل : التمْر حلو ، والثَّلج بارد ، والنَّار حارَّة . [و(٣)] لا يحتاج إلى أن يُخبر أنَّ الذى يُسْمَعُ هذا الصَّوتُ ؛ لأنهُ لا مسموعَ إلاَّ الصَّوت .

قال خصمه : فقد قال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَة

حَتَّى تلاقَى وقرنُ الشَّمْسِ مرتفعٌ ... أدحىَّ عِرْسَيْنِ فيه البَيضُ مَرْكومُ(٤)

يوحِى إليها بإنقاض وَنَقْنَقَةٍ ... كما تَرَاطَنُ فى أفْدانها الرُّومُ(٥)

١٢٤ ثم قال :

تحفُّهُ هِقْلَةٌ سفعاء خاذلة ... تجيبهُ بزِمارٍ فيه ترنيمُ(٦)

واحتجَّ من زعم أنها تسمع ، بقوله(٧) :

وصحْمٍ صِيَامٍ بين صَمْدٍ ورِجْلَةٍ ... وبَيْضٍ تُؤَامٍ بينَ مِيثٍ وَمِذْنبِ(٨)

---

(١) القائل هو الجاحظ ، ينقد البيت .

(٢) س : « فى موضع الذى » ، مع حذف كلمة « ذكر » . ط : « فى الموضع لذى ذكر » ، صوابهما ما أثبت من هـ .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) سبق شرح هذا البيت فى ص ٣٦٧ . س : « أرخى » هـ : « أرحى » محرفتان .

(٥) سبق شرحه فى ص ٣٦٨ . س : « فى أندائها » . وهى صحيحة ؛ فالأنداء : جمع النادى ، وهو مجتمع القوم . انظر اللسان . هـ : « أبدائها » ، محرفة عن سابقتها .

(٦) سبق شرحه فى ص ٣٦٨ . والسفعاء : السوداء . هـ : « صفعاء » س : « صنعا » ، محرفتان عما فى ط . وخاذلة : مقيمة على ولدها .

(٧) هو لبيد . اللسان (صحم) .

(٨) الصحم : جمع أصحم ، وهو ما فى لونه غبرة . وقد عنى بها الحمير ، كما فى اللسان . ط ، هـ : « ضخم » س : « صخم » محرفتان . والصيام : جمع صيّم ، بالفتح ، وهو الغليظ الشديد ، وفى الأصل : « صنام » بالنون . وفى اللسان : =

مَتَى مَا تَشَأْ تَسْمَعْ عرارًا بِقَفْرَةٍ ... يُجِيبُ زِمَارًا كاليَرَاعِ المُثَقَّبِ[1]

وقال الطِّرِمَّاح :

يدعو العِرَارُ بها الزِّمَارَ كأنَّهُ ... أَلِمٌ تجاوبُه النِّساءُ العُوَّدُ[2]

قال : وصَوْتُ النعامة الذَّكر : العِرارُ[3] . وصوت الأنثى : الزِّمَار .

وأنشدَ الذى زَعَمَ أَنَّهَا لا تسمع[4] ، قولَ أسامةَ بنِ الحارث الهذَلىِّ[5] :

تذَكَّرْتُ إخْوانى فَبِتُّ مُسَهَّداً ... كما ذكرت بَوًّا من اللَّيل فَاقِدُ[6]

= « صيام » . وأثبت تصحيح ما فى الأصل . و « صمد » بالفتح ، و « رجلة » بالكسر : موضعان . وفى الأصل : « بين ضمر ورجله » تصحيحه من اللسان . وبيض تؤام : أى أزواج . والميث ، بالكسر : جمع ميثاء، وهى الأرض السهلة . والمذنب ، كمنبر : مسيل الماء .

(١) العرار ، بالكسر : صياح الظليم . وفى الأصل : « عوارا » محرفة . والزمار ، بالكسر : صوت أنثى النعام . فى الأصل : « تجيب زمارا » ، صوابه ماأثبت . وسيعاد البيت فى ص ٤٠٠ .

(٢) يدعو ، هنا ، بمعنى يجيب ، كما فى شرح الديوان ٨٩ . وفى الأصل : « العوار » صوابها فى الديوان . والألم : الذى أصابه الألم . يقال رجل ألم ووجع – كلاهما كفرح – وفى الأصل : « أيم »، تصحيحه من الديوان .

(٣) فى الأصل : « العوار » محرفة .

(٤) فى الأصل : « الذى زعم الهذلى أنها لاتسمع » . وكلمة « الهذلى » مقحمة بلا ريب .

(٥) ذكره المرزبانى فى معجمه وقال : مخضرم .الإصابة ٤٤٢ .

(٦) مسهد : من السهاد ، وهو الأرق . والبو : ولد الناقة . والفاقد : التى فقدت ولدها . س : « ذكر برأ » ه : « ذكرت برا » ط : « ذكرت بردا » وفى الجميع : « فاقداً » بالنصب . وكل ذلك تحريف ، صوابه ما أثبت موافقا مافى بقية أشعار الهذليين (٢ : ١٠٦) .

لعمرى لقد أَمْهَلتُ فى نَهْىِ خالدٍ عَنِ الشَّامِ إمَّا يَعْصِيَنَّكَ خالدُ[1]

وَأَمْهَلْتُ فى إخوانه فكأنَّما تَسَمَّعَ بالنَّهْىِ النَّعامُ المُشَرَّدُ[2]

وقال الذى زعم أنَّها تسمع : فقد قال الله عزَّ وَجَلَّ : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾. ولو عنَى أنَّ عَماهم كعمى العُمْيان ، وصممَهم كصمَمِ الصُّمَّان ، لما قال : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ وإنَّما ذلك كقوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ . وكيف تُسمِعُ المدبرَ عنك ! ولذلك يقال : « إنَّ الحُبَّ يُعمِى وَيُصِمُّ » . وقد قال الهذلىُّ :

* تَسَمَّعَ بِالنَّهْىِ النَّعَامُ المُشَرَّدُ[3] *

والشارد النافر عنك لا يوصف بالفهم . ولو قال : تسمع بالنَّهْى ، وسكت — كان أبلغَ فيما يريد . وهو كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ . قال الرَّاجز :

رِدِى رِدِى وِردَ قَطَاةٍ صَمَّا[4] كُدْرِيَّةٍ أَعْجَبَهَا بَرْدُ المَا[5]

---

(١) فى الأصل : « خالداً » ، صوابه ما أثبت من اللسان . وفى الأصل أيضاً : « إلى الشام » ، تصحيحه من اللسان (مهل) وبقية أشعار الهذليين . وأول البيت فى ه : « وإنى قد أمهلت » . وأمهلت : بالغت . يقول : إن عصانى فقد بالغت فى نهيه.

(٢) تسمع : أى أصغى ليسمع . ويروى : « يُسَمَّعُ » . والنعام المشرد لا يصغى إلا ريثما يشرد ، وذلك لنفوره وتوحشه . فى الأصل : « المشردا » ، وصوابه ماأثبت .

(٣) فى الأصل : « المشردا » . وانظر التنبيه السابق .

(٤) يخاطب ناقته . والرجز فى الوساطة ٣٠١ حيث استشهد به على أن المتنبى سرق منه قوله : * وورود قطا صم تشايحن فى ورد * وانظر الاستدراكات .

(٥) الكدرية : واحدة الكدرى ، وهو ضرب من القطا غبر الألوان ، رقش الظهور ، صفر الحلوق . س ، ه : « كردية » ، تحريف طيب ، صوابه فى ط —

أى لأنها [لا[١]] تسمع صوتاً يَثنيها ويَرُدُّهَا[٢] .

وأنشد قول الشاعر :

دَعَوْتُ خُلَيْدًا دَعْوَةً فَكأنما[٣] دعوت به ابنَ الطَّوْدِ أَوْ هُو أَسْرَعَ

والطَّود : الجبل . وابنُهُ : الحجر الذى يَتَدَهْدَهُ[٤] منه ، كقوله[٥] :

* كَجُلْمُودِ صَخرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ[٦] مِنْ عَلِ *

وقال الرَّاجز :

وَمَنْهَلٍ أَعْوَرِ إِحْدَى الْعَيْنَيْنْ[٧] بَصِيرِ الأُخْرَى وَأَصَمَّ الأُذُنَيْنْ[٨]

= والوساطة واللسان (صمم) وشرح محب الدين أفندى لشواهد الكشاف . استشهد به الزمخشرى عند قوله تعالى : « ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا » من سورة مريم .

(١) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام .

(٢) وفى اللسان : « لسكك أذنيها . وقيل لصممها إذا عطشت » ، ووجهه محب الدين أفندى بأنها لاتسمع صوت القانص حتى تنفر . وهو تعليل جيد .

(٣) فى اللسان (مادة طود) : « جليداً » . وفى أساس البلاغة : « كليبا » س ، ط : « وكأنما » ، وأثبت مافى ه واللسان والأساس .

(٤) يتدهده : يتدحرج . س ، ه : « بعد هذا » ، ولعل هذه الأخيرة محرفة عن « يتدهدى » ، وهى لغة فى يتدهده .

(٥) هو امرؤ القيس ، من معلقته . وصدره :

* مكر مفر مقبل مدبر معا *

(٦) ط : « السيد » ، وهو على الصواب فى س ، ه .

(٧) المنهل : منزل السفار على الماء . أعور إحدى العينين : أى فيه بئران غاضت إحداهما .

(٨) بصير الأخرى : أى أن البئر الأخرى بها ماء . وفى الأصل : « بصيرة » تصحيحه من اللسان (عور) . والرواية فيه : « بصير أخرى » . وأصم الأذنين : أى ليس يسمع فيه صدى الصوت . فى الأصل : « أصم » بدون واو ، وهى ضرورية لوزن الشعر . والبيت من مشطور السريع .

١٢٥ كأنَّهُ كانَ فى ذلك المَنْهَل بِيرَانِ[١] ، والآبارُ أعينٌ ، فَغُوِّرَتْ إحدى البِيرَين[٢] وتُرِكت الأُخْرى .

وقوله : « أَصَمُّ الأُذُنَيْنِ » لِمَا[٣] أنْ كان عنده[٤] فى الأرض فَضَاءٌ وَخَلاءٌ[٥] ، حيثُ لايسمع فيه صوت ، جعله أنْ[٦] كان لايسمَعُ صوتاً أصمَّ ؛ وإنْ كان ذلك لفقْدِ الأصْواتِ .

(شاهد من الشعر لسمع النعامة)

قال : وقد قال الحارثُ بن حِلِّزَةَ[٧] قولاً يدلُّ على أنها تسمع[٨] ، حيث قال :

ولقد أَسْتَعِينُ يوماً على الهـ ـمِّ إذا خفَّ بالثَّوِىِّ الثَّوَاءُ[٩]

---

(١) كذا جاءت فى الأصل ، بتسهيل الهمزة .

(٢) كذا بالتسهيل .

(٣) ط : « لا » ، وصوابه فى س ، هـ .

(٤) أى عند المنهل .

(٥) فى الأصل : « فضل وخلا » ، وصوابه ما أثبت .

(٦) أى لأن . وحذف الجار مطرد فى مثل هـذا . ط : « إذ » ، وأثبت ما فى س ، هـ .

(٧) الحارث بن حلزة ، شاعر جاهلى من بنى يشكر . والأبيات الآتية من معلقته المشهورة ، التى قال فيها أبو عبيدة : « أجود الشعراء قصيدة واحدة جيدة طويلة ، ثلاثة نفر : عمرو ابن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، وطرفة بن العبد » .

(٨) فى الأصل : « لا تسمع » ، وهو خلاف المراد .

(٩) الثوى : المقيم . والثواء ، هكذا جاءت بالأصل . والصواب : « النجاء » ، وهى السرعة . وأما « الثواء » فهى قافية لمطلع المعلقة :

آذنتنا ببينها أسماء رب ثاو يمل منه الثواء

بزفوفٍ كأنها هِقْلَةٌ أُمُّ رِئالٍ دوِّيَّةٌ سفعاء[١]

ثمَّ قال :

آنسَتْ نَبْأَةً وأفْزَعَهَا القُنَّاص عَصْرًا وقد دنا الإمْسَاء[٢]

فترى خَلْفَهُنَّ مِنْ سُرْعَة المَشْى مَنِيناً كأنَّهُ أهباءُ[٣]

ولو قال : « أفْزَعَها[٤] القنَّاصُ » ولم يقل : « آنَسَتْ نبأة » — والنَّبْأة الصَّوت — لكان لكُمْ فى ذلك مَقَال[٥] .

(شعر فى معنى الصمم)

وقال امرؤ القيس :

وَصُمٌّ صِلَابٌ مايَقِين من الوَجَى كأنَّ مكانَ الرِّدْفِ منه على رالِ[٦]

---

(١) زفوف ، بالفتح : أى ناقة سريعة . والهقلة : النعامة . والرئال : أولادها . دوية : منسوبة إلى الدو ، وهى الأرض المترامية الأطراف . والسفعاء : السوداء . س : « صنعاء » ه : « صفعاء » محرفتان . ورواية المعلقات : « سقفاء » أى عالية .

(٢) آنست نبأة : أحست صوتا خفيا .

(٣) قال التبريزى : « خلفهن : خلف الإبل ؛ لأن الناقة الموصوفة ، تسير مع غيرها ، فحمل الضمير على المعنى » . والمنين ، بالفتح : الغبار الدقيق . و « إهباء » روى بالفتح : بمعنى الغبار المرتفع فى الجو . وروى بالكسر : مصدر أهبى يهبى إهباء : أثار التراب .

(٤) فى الأصل : « أفزع » ، وهو مخالف لنص الشعر السابق .

(٥) فى الأصل : « فقال » ، والوجه ما أثبت .

(٦) يقول : ولذلك الفرس حوافر صم صلاب ما يضعفن فى سيرهن من الوجى . والوجى : أن يجد الفرس فى حافره وجعاً يشتكيه ، من غير أن يكون فيه صدع أو غيره . ط ، س : « تعبن » ه : « تعين » ، صوابهما من الديوان ٦٦ واللسان (وق) . ط : « الوجا » س ، ه : « الرجا » صوابهما من المصدرين السابقين . والردف : الذى تردفه ، ومكانه الذى يقعد فيه يسمى القطاة ، ويستحب =

وإنما يعنى أنَّهَا مُصْمَتَةٌ غير جَوفاء . وقال الآخَر :

قلْ ما بدا لك مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ حِلْمِى أصمٌّ وَأُذْنِى غَيْرُ صَمَّاءِ

يريد أنّ حلمَهُ ليس بسخيف متخلخِل، وليس بخفيف سَارٍ ، ولكنه مصمَت . وقال الشاعرُ :

* وأسأل(١) من صمّاء ذاتِ صَليل *

وإنما يريد أرضاً يابسة ، ورملةً نشَّافَةً ، تسأل(٢) الماء : أى تريده وتبتلعه ؛ وهى فى ذلك صمّاء .

(ذكر الصُّمِّ فى القرآن الكريم)

وقد قال الله لناسٍ يسمعون : ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ(٣)﴾ وذلك على المثل . وقال : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَايَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَايَعْقِلُونَ(٤)﴾ . وذلك كلّه على ما فسّرنا . وقال : ﴿وَالَّذِينَ إذا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا

= إشرافها ؛ فلذلك شبهها بعجز الرأل . والرال ، أصله الهمز ، وخففه لمكان القافية . وقبل البيت :

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا له حجبات مشرفات على الفال

(١) س ، هـ : « وأسل » ، صوابها فى ط . وهى من السؤال ، كما سيأتى فى شرح الجاحظ ، وكما فى اللسان . وصدر البيت فى اللسان :

* أَجَلْ لاَ ، وَلَكِنْ أَنْتَ أَلْأَمُ مَنْ مَشَى *

(٢) ط ، هـ : « تسال » ، صوابه فى س .

(٣) الآية الثامنة عشرة من سورة البقرة .

(٤) الآية ١٧١ من سورة البقرة .

عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَاناً[1] ﴾ ، وقال أيضا : ﴿ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ[2] ﴾ .

(شعر فى معنى الصمم)

وقال عَنترة :

ظَلِلْنَا نَكُرُّ المَشْرَفِيَّةَ فيهمُ ... وخُرْصَانَ صُمِّ السَّمْهَرِيِّ المثقَّفِ[3]

وقال العُجَيرُ السَّلولىّ :

وقد جَذَبَ القومُ العصائبَ مؤخراً ... ففيهنَّ عنْ صُلْعِ الرِّجال حُسُورُ[4]

فظلَّ رِداءُ العَصْبِ مُلقًى كأنَّه ... سَلَى فَرَسٍ تَحْتَ الرِّجال عَقيرِ[5]

لَوَ انَّ الصُّخُورَ الصُّمَّ يَسْمَعْنَ صَلْقَنا ... لَرُحْنَ وفى أعْرَاضِهنَّ فُطورُ[6] ١٢٦

وقال زهير[7] :

---

(١) الآية ٧٣ من سورة الفرقان .

(٢) الآية ٤٥ من سورة الأنبياء ، وأولها : « قل إنما . . . . » .

(٣) المشرفية : ضرب من السيوف ، منسوب إلى مشارف الشام . والخرصان ، بالكسر والضم : جمع خرص بالضم ويكسر ، وهو سنان الرمح . والسمهرى من الرماح : هو الصليب العود . والمثقف : المعدل المسوى بالثقاف . ط : « المثقب » تحريف ، صوابه فى س ، هـ والديوان ١٦١ ، والرواية فيه :

فظلنا نكر المشرفية فيهم ... وخرصان لدن السمهرى المثقف

(٤) حسور : انكشاف .

(٥) العصب ، بالفتح : ضرب من البرود . وفى الأصل : « نداء العصب » ، صوابه من مجالس ثعلب ٥٩٣ . والسلى بالتحريك : الجلدة التى يكون بها الولد . وتكتب بالياء . وفى الأصل بالألف . والعقير : التى عقرت ، أى قطعت قوائمها . وفى الأصل : « عقور » صوابه من المجالس . وفى البيت إقواء .

(٦) يقول : لو أن تلك الصخور سمعن صوتنا الشديد فى تلك الحرب ، لرحن وقد تشققت أعراضهن . والأعراض : الجوانب والنواحى . ورواية الأغانى (١١ : ١٥٠) :

لو أن الجبال الصم يسمعن وقعها ... لعدن وقد بانت بهن فطور

(٧) والبيتان ليسا فى ديوان زهير .

ليتني خُلِقتُ للأبَدِ صَخْرَةً صمّاءَ في كَبِدِ[1]
لا تَشَكّى[2] شرَّ جارتِها خُلِقَتْ غليظةَ الكَبِدِ

وقالت جُمْل بنتُ جَعْفَر :

بنى جَعْفَرٍ لا سِلْمَ حَتَّى نَزُورَكمْ بكلِّ رُدَيْنِيٍّ وأبيضَ ذي أَثْرِ[3]
وَحَتَّى تَرَوْا وَسْطَ الْبُيُوتِ مُغيرةً تُصِمُّكُمُ بِالضَّرْبِ حَاشِيَةَ الذُّعْرِ[4]
تَبِينُ لِذِي الشَّكِّ الذي لم يكن دَرَى وَيُبْصِرُهَا الأَعْمَى وَيَسْمَعُ ذُو الْوَقْرِ[5]

وقال دريد :

متى كان الملوك لكم قَطِينًا[6] على ولاية صَمّاءَ مِنِّي[7]

(مثل وحديث في الصمم)

ومن الأمثال قولهم : « صمَّتْ حَصَاةٌ بِدَم[8] »، قال : فأصله أنْ

---

(١) كبد ، بفتح فكسر : اسم جبل . في الأصل : « كبدى » !

(٢) في الأصل : « تشتكى » ، وبذلك ينكسر الوزن ؛ إذ البيت من بحر المديد .

(٣) الرديني : الرمح المنسوب إلى امرأة تدعى ردينة ، كانت هي وزوجها سمهر يقومان القنا بخط هجر . وعنت بالأبيض : السيف . والأثر ، بالفتح : فرند السيف . ط ، س : « أشر » هـ : « أسر » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) مغيرة : أي خيلا مغيرة هائجة بأربابها . ط : « خاشية الذعر » . وأثبت صوابه من س ، هـ . وللعرب مجاز في مثل هذا . يقولون : حشى الرجل غيظا ، وكبراً ، كما قال المرار :

وحشوت الغيظ في أضلاعه فهو يمشي حظلانا كالنقر

وكما قال المسعودي :

ولا تأنفا أن ترجعا فتسلما فما حشى الإنسان شراً من الكبر

(٥) تبين : تظهر هي . والوقر ، بالفتح : ثقل الأذن ، أو ذهاب السمع كله .

(٦) القطين : تبع الرجل ومماليكه وخدمه .

(٧) كذا جاء هذا الشطر .

(٨) يضرب مثلا في الإسراف في القتل وكثرة الدم . الميداني (١ : ٣٥٩) .

يكثُرَ القتْلُ وسفْكُ الدِّماءِ ، حتَّى لو وقَعَتْ حصاةٌ على الأرض لم يُسْمَعْ لها صوتٌ ؛ لأنها لاتلقى صلابةَ الأرض .

وقد جاء في بعض الحديث : « إذا كانت تلك الملاحِمُ بلَغت الدِّماءُ الثُّنَنَ[1] »، يعني ثُنَنَ[2] الخيل ، وهو الشَّعر الذي خلف الحافر .

(صمت السيف)

وقال الزُّبير بن عبد المطَّلب[3] :

وَيَنْبِي نَخْوَةَ المختَالِ عنِّي جُرَازُ الحدِّ ضَرَبتُه صَمُوتُ[4]

لأنَّ السَّيْفَ إذا مرَّ في العظْم مَرًّا[5] سريعاً فلم يكن له صوت — كانَ في معنى الصامت[6] .

---

(١) الثنن ، بضم الثاء وفتح النون : جمع ثنة ، بضم الثاء وتشديد النون ؛ الشعرات التي في مؤخر رسغ الدابة . ط ، ه : «السن» س: « الس »،صوابهما ما أثبت ، موافقا لما جاءت في أمثال الميداني في أثناء الكلام على المثل السابق . وانظر : « بلغت الدماء الثنن » في أمثال الميداني (١ : ٨٣) . والملاحم : جمع ملحمة ، بالفتح ، وهي الحرب ذات القتل الشديد .

(٢) ط ، ه : « سن »، س : « بين » محرفتان . وانظر التنبيه السابق .

(٣) هو الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ؛ سيد كريم وشاعر محسن . وكان من رجالات قريش في الجاهلية . وهو أكبر أعمام الرسول الكريم العشرة . وهو القائل :

ولولا الحمس لم يلبس رجال ثياب أعزة حتى يموتوا

المؤتلف (١٣٠ — ١٣١) والمعارف ٥٢ والروض الأنف (١ : ٧٨) .

(٤) ينبي : يبعد . ونخوة المختال : تكبر المتكبر وتعظمه . وسيف جراز الحد ، بضم الجيم : ماضيه ونافذه . وانظر ما سيأتي في (٦ : ٤٣٧) . ورواية اللسان (صمت) :

وينبي الجاهل المختال عني رقاق الحد ضربته صموت

وأنشده عن ثعلب على هذه الصورة :

ويذهب نخوة المختال عني رقيق الحد ضربته صموت

(٥) ط ، س : « مر »، صوابه في ه .

(٦) وقيل : لرسوبه في الضريبة ، وإذا كان كذلك قل صوت خروج الدم . انظر اللسان .

(شعر في مجاز الصمم)

وقال ابن ميّادة :

مَتى أدعُ في قَيْسِ بن عَيْلَانَ خائفاً إلى فَزَعٍ تُرْكَبْ إلَيَّ خُيُولُهَا[1]
بملمومة كالطَّودِ شهْباء فَيْلَقٍ رَدَاحٍ يصمُّ السَّامعين صليلُها[2]

لأنَّ الصَّوت إذا اشتدَّ جدًّا لم يُفْهَمْ معناه ، إنْ كان صاحبه أراد أن يخبر عن شيء . ومتى كثُرت الأصواتُ صارت وَغًى[3] ، ومنع بعضُها بعضاً من الفهم . فإذا لم يفهمها[4] صار في معنى الأصمّ ، فجاز[5] أن يسمّى باسم الأصمّ .

وعلى ذلك قال الأضْبَط بن قريع ، حين آذوه[6] بنو سعدٍ فتحوَّل من جوارهم فى آخرين فآذوه ، فقال : « بِكلِّ وادٍ بَنُو سَعْدٍ[7] » .

(١) المراد بالخيول هنا الفرسان الذين يركبون الخيول . ومنه فى الحديث : « ياخيل الله اركبى ». انظر البيان (٢ : ٢٧) . ويصح أن تقرأ « تركب » بالبناء للمفعول فلا يكون فيها مجاز .

(٢) ملمومة : أى كتيبة عظيمة مجتمعة . والطود : الجبل العظيم . والشهباء : البيضاء ، لما فيها من بياض السلاح . والكتيبة الفيلق : الكثيرة السلاح . والرداح ، بالفتح : الكثيرة الفرسان الثقيلة السير لكثرتها .

(٣) الوغى : الصوت والجلبة فى الحرب . ط ، س : « رغاء »، وإنما الرغاء ، بالضم : صوت ذوات الخف . هـ : « وعا »، صوابهما ما أثبت .

(٤) س : « نفهمها »، صوابه فى ط ، هـ .

(٥) س ، هـ : « لجاز » !

(٦) كذا فى س ، هـ . على لغة أكلوه البراغيث . ط : « آذاه » .

(٧) سبق المثل فى (١ : ٣٥٨) و (٣ : ١٠٤) .

وقال جِرانُ العَود :

وقَالَتْ لنا وَالْعِيسُ صُعْرٌ من البُرَى ... وأخفافها بالجَنْدَلِ الصُّمِّ تقذِفُ[١]

(قول منكر صمم النعام)

وقال الذى ينكر صَمَمَ شىءٍ من الخلق : اعتللتم فى صمَم النعام بقول زهير :

[أَصَكَّ مُصَلَّمِ الْأُذُنَيْنِ أَجْنَى ... لَهُ بِالسِّىِّ تَنُّومٌ وَآءٌ[٢]]

وبقول أوس بن حجر :

وَيَنْهَى ذَوى الأحْلَامِ عنِّى حُلومُهم ... وَأَرْفَعُ صَوْتِى للنَّعامِ المخزَّمِ[٣] ١٢٧

يريد خَرْقَ[٤] أنفه ، وهو فى موضع الخَرَمَةِ[٥] من البعير .

وأمَّا قوله : « وَأَرْفَعُ صَوْتِى للنَّعام » فإنما خصَّ بذلك النّعامَ لأنَّها تَجْمَعُ الشّرُودَ وَالنِّفَار ، إلى المُوقِ وسوءِ الفهْم . ولو قال : وأرفع صوتى للحَمير والدّوَاب لكان كذلك . والمصلَّمة : السُّكُّ التى ليس لآذانها حَجم .

---

(١) العيس ، بالكسر : الإبل الخالصة البياض . صعر من البرى : موائل من جذب البرى : جمع برة ، وهى الحلقة توضع فى أنف البعير . والجندل : الحجارة .

(٢) هذا البيت ليس بالأصل . وبه يلتئم الكلام ويتم . وقد أثبته اعتماداً على ما سيأتى فى ص ٣٩٨ .

(٣) المراد بالأحلام هنا ، الألباب والعقول . وفى اللسان : « والمخزم من نعت النعام ، قيل له مخزم لثقب فى منقاره » . وعجز البيت فى المقاييس (خزم) .

(٤) فى الأصل : « عرض » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) فى موضع الخرمة ، أى ذلك الخرق بمكانة الخرمة ، شبيه بها . والخرمة ، بالتحريك ، سبق شرحها فى ص ٣٢١ . فى الأصل : « الخزامة » . ولا تصح ، فإن الخزامة هى الحلقة التى توضع فى الخرمة . وانظر ماسبق فى ص ٣٢١ .

(رد عليه)

قال : [قولُ[١]] الذى زعم أنها ليست بصماء لا يجوز ؛ لأنَّ الدوابَّ تسمعُ وتَفهم الزَّجْر ، وتجيب الدُّعاء . بل لو قال : وأرفع صوتى للصخور والحِجارة ، كان صواباً ، وكان لِيَرْفع صوته معنًى ؛ إذْ[٢] كان الرّفْعُ والوضْعُ[٣] عند الصُّخور سَوَاءً . وليس كذلك الدوابُّ . ولو كان إنما جعله مصلَّمًا ، وجعلَ آذانَ النّعام مصلومةً ؛ لأنه ليس لآذانها حَجْم فالطير كله كذلك إلاَّ الخفّاش[٤] . وكلُّ شيءٍ يبيض من الحيوان فليس لها حَجْم آذَان . فى قَصْدهم بهذه الكلمة إلى النّعامِ ، بين جميعِ ما ليس لأذنَيه حجْم ، دليلٌ على أنَّ تأويلَكم خطأ . قال عَلْقمة بن عَبَدَة :

فُوه كشَقِّ العَصَا لأْياً تبيّنُهُ أَسكُّ ما يَسْمَعُ الأصواتَ مصلومُ[٥]

وقالت كَبْشة بنت مَعْديكرِب[٦] :

---

(١) ليست بالأصل . وبمثلها يستقيم الكلام .

(٢) فى الأصل : « إذ لو » . وكلمة « لو » لاوجه لوجودها .

(٣) أى رفع الصوت ووضعه . والوضع بمعنى التخفيض .

(٤) س : « لا الخفاش » ط : « الأخفاش » . وأثبت الوجه من هـ .

(٥) كذا على الصواب فى هـ . وفى س : « لأياً يبينه » ، و ط : « الا يأتبينه » وسبق شرحه فى ٣٦٦ ، وإنشاده كذلك فى ٣٨٣ .

(٦) كبشة ، هى أخت عمرو بن معديكرب . وكذلك جاءت النسبة فى حماسة أبى تمام (١ : ٧١) والبحترى ٣٠ وأمالى القالى (٢ : ٢٢٦ ، ٣ : ١٩٠) والشعراء ٣٣٥ والخزانة (٣ : ٧٧ بولاق) . ونسبت فى لباب الآداب ١٨٢ إلى ريحانة أخت عمرو بن معديكرب . قال التبريزى : « كبشة اسم مرتجل علماً . وليس بتأنيث كبش لأن ذلك لامؤنث له من لفظه ، إنما هى نعجة » . وقد قالت الشعر حينا قتل أخوها عبد الله ، ولم يأخذ عمرو بثأره ، بل أخذ دية أخيه ، فغضبت هى وقالت الشعر تحضضه على الأخذ بالثأر ، فى أسلوب حسن بديع .

وَأَرْسَلَ عَبْدُ اللهِ إذ حانَ يومُهُ إلى قومه ألاَّ تَغُلُّوا لَهُمْ دمى[1]

ولا تأخُذُوا منهمْ إفالاً وَأَبْـكُرًا وَأُتْرَكَ فى بيتٍ بِصعْدةَ مُظْلِمِ[2]

جَدَعْتُمْ بعبد الله آنفَ قَوْمِكمْ[3] بنى مَازنٍ أَنْ سُبَّ راعىِ المخَزَّمِ[4]

فإن أنتمُ لم تثْأرُوا لأخيـكُمُ فَمَشُّوا بآذانِ النّعامِ المصلَّمِ[5]

فلو كانت إنّما تريد أنّه ليس لسامعِها حجمٌ ، كانت الدُّنيا لها مُعرضة .

وقال عنترة :

---

(١) تغلوا : تخونوا . كذا جاءت الرواية فى ﻫ . وفى س : « ألا تقلوا » محرفة . وفى ط : « لا تعقلوا » ، ومعناه لا تأخذوا بدل دمى عقلا . والعقل ، بالفتح : الدية . وهى رواية الحماسة وأمالى القالى (٢ : ٢٢٦) ولباب الآداب . وروى فى الأمالى (٣ : ١٩٠) : « ألا تخلوا » . وفى حماسة البحترى : « ألا يعلوا » تحريف رواية ﻫ .

(٢) الإفال : جمع أفيل ، وهو من أولاد الإبل ما أتى عليه سبعة أشهر أو ثمانية . والأبكر : جمع بكر بالفتح ، وهو ولد الناقة . وصعدة : مخلاف من مخاليف اليمن . وجعلت قبره مظلماً لما يزعمون من أن المقتول إذا ثأروا به أضاء قبره ، فإن أهدر دمه أو قبلت ديته أظلم . التبريزى . وإنما ذكرت الإفال والأبكر ، والديات لا تكون منها ، لما أرادت من معنى تحقير الدية .

(٣) جدعتم : قطعتم . آنف : جمع أنف . والمراد : أذللتم قومكم . ورواية الأمالى : « قومه » ، وفى الخزانة : « سيد قومه » .

(٤) بنى مازن ، أى يابنى مازن . والمخزم ، كذا جاء هنا بإعجام الخاء والزاى . وكذا فى الأمالى . لـكن ضبطه صاحب الخزانة بتشديد الزاى المفتوحة والحاء قبلها مهملة . ومهما يكن فهو ، كما قالوا — : رجل من بنى مازن ، كان له عبد يرعى ، وجلس عبد الله مع بنى مازن فشرب ، فتغنى ذاك العبد الحبشى بشعر ، فيه تشبيب بامرأة من بنى زبيد ، فلطمه عبد الله وسبه ، فنادى الحبشى : يالمازن ! فقاموا إلى عبد الله فقتلوه . عن الأمالى والأغانى (١٤ : ٣٢) . والرواية فى الأغانى :

أيقتل عبد الله سيد قومه بنو مازن أن سب راعى المخزم

(٥) ﻫ : « لم تتلدوا » محرفة . وروى : « لم تثأروا واتديتم » و : « لم تقتلوا واتديتم » . و : « لم تثأروا بأخيكم » .

وكأنما أقِصُ الإكامَ عَشِيَّةً بقَرِيبِ بَيْنَ المَنْسِمَيْنِ مُصَلَّمِ[1]
تأوِى له حِزَقُ النَّعامِ كما أَوَتْ حِزَقٌ يَمانِيَةٌ لأَعْجَمَ طمطمِ[2]

ولو كان عنترة إنَّمَا أراد عدَم الحجْم ، لقد كانت الدُّنيا له معرضة .

وقال زُهير :

بآرزةِ الفَقَارةِ لم يخنهـا قِطافٌ فى الرِّكاب ولا خِلاءُ[3]
كأنَّ الرَّحْلَ منها فَوْقَ صَعْلٍ من الظلمانِ جُؤجُؤه هَواءُ[4]
أَصَكَّ مُصَلَّمِ الأُذُنَيْنِ ، أَجْنَى له بِالسِّىِّ تَنُّومٌ وَآءُ[5]

(رد منكر صمم النعام)

قال القوم : فإنَّا لا نقول ذلك ، ولـكنَّ العربَ فى أمثالها تقول : إنَّ
١٢٨ النَّعامةُ ذهبَتْ تطلبُ قرنَين فقطعوا أذنيها[6] . ليجعلوها مثلاً فى المُوقِ
وسوء التدبير . فإذا ذكر الشَّاعِرُ الظَّلِيمَ ، وذ كَرَ أنَّهُ مصلَّم الأذنين ،

(١) يقول : كأنما أكسر الإكام بظليم قريب بين المنسمين . والمنسم ، كمجلس : الظفران المقدمان فى الخف . وقرب المنسمين مما يجعل الخف صاباً . و « بين » تقرأ بالجر . ورواها بعض اللغويين بالنصب على تقدير « ما » ، وهو وجه ضعيف .

(٢) سبق شرح هذا البيت فى ص ٣٥٩ .

(٣) الفقارة ، بالفتح : واحدة فقار الظهر ، بالفتح أيضاً . آرزة : متداخلة مدمجة . س : « بيارزة » ، هـ : « الفقاوة لم يجبها » ، صوابه فى ط وديوان زهير ٦٧ واللسان (أرز ، قطف ، خلأ) والمخصص (٧ : ١٦٢) والمقصور ٣٨ . والقطاف : اسم من قطفت الدابة تقطف – من بابى ضرب ودخل – : أساءت السير وأبطأت . والخلاء ، بالكسر : مصدر خلأت الناقة تخلأ : حرنت من غير علة .

(٤) جؤجؤه هواء : أى صدره فارغ لاقلب فيه ، فهو كالمذعور يسرع العدو هربا .

(٥) الأصك : المتقارب العرقوبين . وأجنى الشجر : أدرك . والتنوم والآء : نبتان .

(٦) انظر ما سبق فى ٣٢٣ .

فإنما يريد هذا المعنى . فكَثُرَ ذلك حتى صار قولهم : مصلم الأذنين ، مثلَ قولهم صَكّاء . وسواءٌ قال صَكّاء ، أو قال نعامة ، كما أنّهُ سواء قال خنْساء أو قال مهاة ونَعْجَةٌ وبقرة وظبية ؛ لأنَّ[1] الظِّباء والبقرَ كلها فُطْس خُنْسٌ . وإذا سَمَّوا امْرَأةً خنْساءَ فليسَ الخَنَسَ والفطَسَ يُريدون ، بل كأنهم قالوا : مَهاةٌ وَظَبية . ولذلك قال المسيَّبُ بنُ علَسٍ[2] في صفة النَّاقة :

صَكّاءَ ذِعْلِبَةٍ إذا استقْبَلْتَها حَرَجٍ إذا اسْتَدْبَرْتَها هِلْوَاعِ[3]

فتفهَّمْ هذا البيت ، فإنّهُ قد أَحْسَنَ فيه جدًّا .

والصَّكَكُ في الناس ، والاصطكاك في رجلي الناقة عيب[4] . فهو لم يكنْ ليصِفَها بما فيه عيب[5] ، ولكنَّه لا يفرق بين قولهِ [صَكّاء ، وبين

---

(١) من مبدإ : « قال صكاء » إلى هنا ، ساقط من هـ .

(٢) المسيب ، كمعظم ، بذا ضبطه صاحب القاموس والأنبارى فى شرح المفضليات ٩٢ ، جاء فيها : قال مؤرج : إنما لقب زهير بن علس بالمسيب ، حين أوعد بنى عامر بن ذهل ، فقالت له بنو عامر بن ضبيعة : قد سيبناك والقوم ! وضبطه صاحب الخزانة بصورة اسم الفاعل . واسمه زهير بن علس كما تقدم . وهو جاهلى لم يدرك الإسلام . انظر الخزانة (٣ : ٢١٧ سلفية) .

(٣) الذعلبة ، بكسر الذال واللام : الناقة السريعة . والحرج : الجسيمة الطويلة . والهلواع : ذات النزق والخفة . وهكذا ورد البيت فى الأصل : وصواب إنشاده ، كما فى اللسان (هلع) والمفضليات ١٦ :

صكاء ذعلبة إذا استدبرتها حرج إذا استقبلتها هلواع

إذ أن جسامتها وطولها ونزقها ، إنما تبين عند الاستقبال . وقبل هذا البيت :

فتسل حاجتها إذا هى أعرضت بخميصة سرح اليدين وساع

(٤) كذا فى ط . وفى س : « واصطكاك رجلى الناقة » . وفى هـ : « واصطكاك رجل الناقة » . وهذه محرفة .

(٥) كذا على الصواب فى ط ، س . وفى هـ : « فلولم يكن يصفها » . . الخ .

تقوله[1]] نعامة[2] ، وكذلك لايفرّقون بين قولهم : أعلم ، وبين قولهم : بَعِيرٌ[3] . قال الراجز :

إنى لِمن أنكَرَ أو تَوَسَّما أخو خَناثِيرَ يَقودُ الأعلَمَا[4]

كأنه يقول : يقودُ بعيراً . وهو كقول عنترة :

وحَليلِ غانيةٍ تَرَكْتُ مجدَّلاً تَمكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الأعْلَمِ[5]

(ردّ مدّعى الصّمم)

فقال مَن ادّعى للنّعام الصَّمَم : أمَّا قولكم : من الدَّليل على أن النّعامة تسمعُ قولُ الشاعرِ :

* تدعُو النّعام به العِرار[6] *

وقوله :

متى ماتَشأ[7] تسمع عِرَاراً بقَفْرَةٍ يجيب زِمَاراً كاليَرَاعِ المثقَّب

وقوله[8] :

آنَسَتْ نَبْأَةً وأفزعها القَنّاصُ عَصْراً وَقَدْ دَنَا الإمْسَاءُ

فليس ذلك أراد . وقد يراك الأخرسُ مِن النّاس — والأخرسُ أصمُّ —

(١) ليست هذه الزيادة بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) فى الأصل : « نعم » . تحريف ، انظر له السطر الرابع .

(٤) الخنائير : الدواهى . والرجز رواه الجاحظ مرة أخرى فى (٦ : ٤١٢) .

(٥) انظر ما أسلفت من شرح هذا البيت ونقده فى (٣ : ٣٠٩) . ھ : « وخليل » بالخاء المعجمة .

(٦) سبق البيت بتمامه فى ٣٨٥ برواية أخرى .

(٧) فى الأصل : « متى تأتنا » . وصوابه مما سبق فى ٣٨٥ .

(٨) هو الحارث بن حلزة اليشكرى ، من معلقته. وانظر ص ٣٨٩.

فيعرف ماتقول ، بما يرى مِنْ صُورة حَرَكَتِكَ[1] ، كما يعرف معانيكَ من إشارتك ، ويدعُوك ويطلُبُ إليك بصوتٍ ؛ وهو لم يسمَعْ صوتَك قطُّ فيقصدَ إليه ، ولكنه يريد تلك الحركةَ ، وتلك الحركةُ تولِّد الصوت ، أراده هو أو لم يرده[2] . وَيُضْرَبُ فيصيح ، وهو لم يقصدْ إلى الصِّياح ، ولكنّه متى أدار لسانَهُ فى جَوْبَةِ[3] الفم بالهواء الذى فيه ، والنّفس الذى يُحضِره مُجمّاع الفم[4] ، حدَثَ الصوت . وهذا إنّما غايَتَهُ الحركة فيعرف صورة تلك الحركة .

والأخرس يرى[5] النّاس يصفِّقون بأيديهم ، عند دعاء إنسانٍ ، أو عند الغضب والحَدِّ[6] ، فيعرف صورة تلك الحركةِ ؛ لطول تَرْدادِها على ١٢٩
عينيه ، كما يعرف سائر الإشارات . وإذا تعجَّبَ ضربَ بيدَيهِ كما يضربون .

فالتّعامة تعرفُ[7] صورةَ إشارة الرِّئلان وإرادتها ، فتعقل[8] ذلك ، وتجاوبها بما تعقل عنها من الإشارة [والحركة] ، وغدت[9] لحركتها أصواتً . ولوكانا يسمعان لم تزد حالهما[10] فى التّفاهُم على ذلك .

---

(١) فى الأصل : « حركة » .
(٢) س ، هـ : « أم لم يرده » .
(٣) الجوبة : الحفرة . والمراد باطن الفم . س : « حوجة » . ط ، هـ : « جوحة » ، وأثبت ما سبق فى مثل هذا الموضع فى (١ : ٧٠) مطابقاً لما فى نسخة كوبريلى .
(٤) الجماع ، كرمان : مجتمع الأصل .
(٥) ط : « والأخرس من يرى » . هـ : « والآخر من يرى » ، صوابهما ما أثبت من س .
(٦) الحد ، بفتح الحاء : الحدة والغضب . وفى الأصل ، « الجد » بالجيم ، محرف .
(٧) ط : « تعرق » ، صوابه فى س ، هـ .
(٨) س : « فتفعل » ، صوابه فى ط ، هـ .
(٩) س : « ويحدث » .
(١٠) س : « حالتهما » .

(شمّ النعامة)

والعرب تقول : « أَشَمُّ مِنْ نَعامةٍ » و : « أَشَمُّ مِنْ ذَرَّةٍ » . قال الرَّاجز :

* أَشَمُّ مِنْ هَيْقٍ وَأَهْدَى مِنْ جَمَلْ[1] *

وقال الحِرْمازىُّ ، فى أرجُوزته :

* وهـو يَشْتَمُّ اشتِمام الهَيْقِ[2] *

قال : وأخبرنا ابنُ الأعرابىِّ أنَّ أعرابيًّا كلم صاحِبَهُ ، فرآه لا يفهَمُ عنه ولا يسمعُ كلامَهُ فقال : « أَصلَخُ كَصَلَخِ[3] النَّعامَةِ » !

(شم الفرس والذئب والذَّرّ)

وقد يكون الفرَسُ فى الموكب وخلفه ، على قاب غَلوتين ، حِجْرٌ أو رَمكة[4] ، فيَتَحصَّنُ[5] تحتَ راكبِه ، من غير أن تكونَ صهلَتْ .

والذِّئب يشتَمُّ ويستروح مِنْ مِيلٍ ، والذَّرَّة تَشْتَمُّ ما ليس لهُ ريحٌ ، مما لو وضعْتَهُ على أنفِكَ ما وجَدْتَ لَهُ رائحة وإن أجَدْتَ التشمُّمَ ، كرِجْل

---

(١) سبق هذا البيت فى ١٣٣ . والهيق ، بالفتح : الظليم . وأهدى ، من الهداية . وذاك أنه يعرف مكامن الماء فى الصحراء ، فيتجه إليها بنفسه .

(٢) سبق البيت فى ١٣٣ .

(٣) الصلخ ، بالتحريك : الصمم وذهاب السمع . والوصف منه أصلخ . قال :

لو أبصرت أبكم أعمى أصلخا إذا لسمى واهتدى أنى وخى

وفى اللسان : « وإذا دعى على الرجل قيل : صلخاً كصلخ النعامة ! » . ط : « أصلم كصلم » ، صوابه فى س ، ه .

(٤) الحجر ، بكسر الحاء : الأنثى من الخيل . والرمكة ، بالتحريك : البرذونة تتخذ للنسل .

(٥) يتحصن : تبدو منه أمارات الذكورة. وقد سبق نحو هذا التعبير فى (٢ : ١٤١ س٨) . ط ، س : « فيشخص » وليس بذاك . والأوفق ما أثبت من ه والبيان (٢ : ٢٥٧).

الجرادة تَنْبِذُها[1] من يدك فى موضعٍ لم تَرفيه ذرَّة قطّ ، فلا تلبث أن ترى الذرّ إليها كالخيط الأسودِ الممدود .

وقال الشَّاعر ، وهو يصف استرْواح الناس :

وجاءَ كمِثْلِ الرَّألِ يتبع أنْفَهُ لِعَقْبَيْهِ مِنْ وَقْعِ الصُّخورِ قَعاقعُ[2]

فإنَّ الرَّألَ يشتمُّ[3] رائحة أبيه وأمّه والسَّبُعِ والإنْسَانِ من مكانٍ بعيد . وشبَّهَ بِهِ رَجُلاً جاءَ يتّبع الرِّيح فيَشتمُّ .

(استطراد لغوى)

وقال الآخر :

والمرء لم يغضَبْ لمطْلَبِ أنْفِهِ أو عِرْسِه لِكَرِيهةٍ لم يَغْضَبِ[4]

ومطْلَب أنفه : فَرْجُ أمِّه ؛ لأنَّ الولد إذا تمَّتْ أيَّامُهُ فى الرّحم ، قَلاَ مكَانَهُ[5] وكرِهَه ، وضاق به موضِعُهُ ، فطلبَ بأنفه مَوضع المخرَجِ مِمَّا هو فيه من الكرب ، حتَّى يَصِيرَ أنفه ورأسُهُ على فم الرَّحم ، تِلقاءَ فم المخرج . فالأَّناء[6] والمكانُ يرفعانه فى تلك الجهة ، والولد يلتمِسُ تلك الجهة بأنْفه

(١) نبذ ، من باب رمى : بمعنى ألقى ورمى . ط : هـ : « ينفذها » ، صوابه فى س وفى أمثال الميدانى (١ : ٣٥١) حيث نقل كلام الجاحظ ولم يصرح بذلك .

(٢) الرأل : فرخ النعام . هـ : « لعقبيه » محرفة .

(٣) س : « يشم » .

(٤) كذا جاء . وروى صدره فى كنايات الجرجانى ٢٧ : « من كان لا يغضب لمطلب أنفه » ، وكنايات الثعالبى ٧ : « وإذا الكريم أضاع مطلب أنفه » ، واللسان (أنف) : « وإذا الكريم أضاع موضع أنفه » . وعجزه عند الجرجانى « من أمه أو عرسه » ، والثعالبى : « أو عرسه لكريهة » أى كما عند الجاحظ . واللسان : « أو عرضه لكريهة » .

(٥) قلاه ، كرماه ورضيه ، قِلًى وقَلاءً ومَقْلِيَة : أبغضه وكرهه غاية الكراهة .

(٦) الأناء ، بالفتح : أن يحين الشىء .

ولولا أنّه يطلبُ الهواءَ من ذاته ، ويكرهُ مكانَه من ذاته ، ثم خرج إلى عالَمٍ آخَرَ خلافِ عالمه الذى رُبِّى فيه ، لَمَاتَ ؛ كما يموت السَّمَكُ إذا فارقه الماء . ولكنَّ الماءَ لمّا كانَ قابلاً لطباع السمك [غاذياً[1] لها ، والسَّمكُ[2]] مريداً له ، كان فى مفارقته له عطَبُه . وكان فى مفارقة الولد لجَوْف البطن واغتذائه فضلاتِ الدَّم ، [مَالَا يَنْقُضُ[3]] شيئاً من طباعِه وطباع المكان الذى كان له مَرَّةً مَسْكناً . فلذلك قال الشَّاعر الجاهلىّ :

والمرءُ لم يغضب لمطلَبِ أنفه أو عِرسه لكريهةٍ لَمْ يغضَبِ[4]

يقول : متى لم يَحْمِ فرجَ أمّه وامرأته ، فليس مِمَّن يغضب من شىء يؤُول إليه .

(قول المتكلّمين فى صمم الأخرس)

١٣٠ وزعم المتكلّمون أنَّ الأخرسَ أصمُّ ، وأنّه لم يُوتَ من العجْز عن المنطق لشىءٍ فى لسانه ، ولكنَّه إنما أُتِى فى ذلك ؛ لأنّه حين لم يسمع صوتاً قطُّ ، مؤلَّفاً أو غير مولَّف ، لم يعرف كيفيَّته فيقصدَ إليه . وأنّ جميع الصُّمِّ ليس فيهم مُصْمَت[5] ، وإنما يتفاوَتُون[6] فى الشِّدَّةِ واللِّين ؛ فبعضهم يَسمع الهدّة والصَّاعقة ، ونَهيق[7] الحمار إذا كان قريباً منه ،

(١) س : « عاريا » صوابه فى هـ .
(٢) الزيادة من س ، هـ .
(٣) ليست بالأصل . وبمثلها يتم الكلام .
(٤) سبق هذا البيت فى ٤٠٣ . وموضع عجزه فى كل من ط ، هـ كلمة : « البيت » .
(٥) مصمت : أى تام الصمم خالصه .
(٦) فى الأصل : « يتقاربون » .
(٧) ط ، هـ : « ونعيق » ، وإنما النعيق للغراب والبوم . وصوابه فى س .

والرَّعد الشَّديدَ ، لا يسمَعُ غيرَ ذلك . ومنهم من يَسمع السِّرار[1] ، وإذا رفَعْت له الصَّوتَ لم يسمَعْ . ومتى كلَّمته وقرَّت الشِّكاية[2] فى أذنه ، فهِمَ عنك كلَّ الفهم . وإن تـكلَّمْت على ذلك المقدارِ فى الهواءِ ، ولم يكن ينفُذُ فى قناةٍ تحصُرُه وتجمعُه ، حتَّى تُؤدِّيَه إلى دِماغه — لم يفهمه .

فالأصمُّ فى الحقيقة إنَّما هو الأخرس ، والأخرس إنَّما سمِّى بذلك على التشبيه والقرابة . ومتى ضَرَبَ الأصمُّ من النَّاس إنساناً أو شيئاً غيرَه ، ظنَّ أنَّه لم يبالِغْ ، حتَّى يسمعَ صوتَ الضربة . قال الشَّاعر[3] :

أَشَارَ بِهِمْ لَمْعَ الأصمِّ فأقبَلُوا عَرَانِينَ ، لا يأتيه للنَّصرِ مُحْلِبُ[4]

وقال الأسَدِىّ :

وَأُوصِيكُمُ بطِعَانِ الكُماةِ فقَدْ تعلمُونَ بأنْ لا خُلُودَا[5]

---

(١) السرار ، بالكسر : مصدر ساره يساره : حدثه فى أذنه .

(٢) كذا فى ط . وفى س : « وطرت السكابة » ، هـ : « وطرت الشكاية » .

(٣) هو بشر ، كما فى اللسان (صمم) . يعنى بشر بن أبى خازم . وهو شاعر جاهلى قديم . وبشر بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة . و خازم بالخاء والزاى المعجمتين . الخزانة (٤ : ٣٣٦ سلفية) .

(٤) فى اللسان : « ويقال للنذير إذا أنذر قوما من بعيد ، وألمع لهم بثوبه : لمع بهم لمع الأصم . وذلك أنه لما كثر إلماعه بثوبه كان كأنه لا يسمع الجواب ، فهو يديم اللمع » . وعرانين الناس : وجوههم وسادتهم وأشرافهم ، مأخوذ من عرنين الأنف ، وهو رأسه . والمحلب : من يعين المرء من غير قومه . يقول : هو لا يعينه أحد من غير قومه . فى الأصل : « مخلب » وتصحيحه من اللسان (حلب) . ويروى أيضاً : « مجلب » بالجيم ، كما فى اللسان (صمم) وفى اللسان (جلب) : « وأجلبه : أعانه » . والرواية بالحاء المهملة أجود وأصح . وقبل البيت :

وينصره قوم غضاب عليكم متى تدعهم يوما إلى الروع يركبوا

(٥) رواية اللسان (صمم) : « فأوصيكم » . وقبل هذا البيت :

فأبلغ بنى أسد آية إذا جئت سيدهم والمسودا

وضَرْبِ الجماجمِ ضَرْبَ الأصَـ ـمِّ حَنْظَلَ شَابَةَ يَجْنى الهبيدا[1]

وقال الهذليُّ[2] :

فالطعْنُ شَغْشَغَةٌ والضَّرْبُ مَعْمَعَةٌ ضَرْبَ الُمعَوِّل تحْتَ الدِّيمَـةِ العَضَدا[3]

وإنما جعله تحتَ الدِّيمة ؛ لأنَّ الأغصانَ والأشجارَ تصير أَلْدَنَ وأعْلَكَ ، فيحتاج الذى يضربُ تلك الأُصولَ قبل المطر ، إلى عشْر ضَرَباتٍ حتَّى يقطع ذلك المضروب ؛ فإذا أصابه المطَرُ احتاج إلى أكثرَ من ذلك .

---

(١) وضرب الجماجم : أى وأوصيكم بضرب رءوس الأعداء . والأصم الذى عنى ، هو الظليم من النعام . وشابة : موضع بنجد . وفى الأصل : « شآنه » ، وصوابه من اللسان (شوب وصمم) . والهبيد : حب الحنظل ، وهو أحب طعام إليه . وفى الأصل : « الوليدا » وهو تحريف . وفى اللسان : « هبيداً » .

(٢) هو عبد مناف بن ربع الجربى ، شاعر جاهلى من شعراء هذيل . و (ربع) بكسر الراء بعدها باء موحدة ساكنة . والجربى ، كقرشى : نسبة إلى جريب ، كقريش ، وهو بطن من هذيل . والبيت من قصيدة ذكر قصتها البغدادى فى الخزانة (٣ : ١٧٢ بولاق) وهى اثنا عشر بيتا . وقد نسب صاحب العمدة : (١ : ٢٠١) البيت إلى أبى كبير الهذلى . وليس بذاك . وقد نسبه العسكرى فى ديوان المعانى (٢ : ٥٥) إلى عبد مناف بن ربعى . صوابه « ربع » كما فى الخزانة واللسان (شغشغ ، هقع ، عول ، عضد) . وفى اللسان (عول) : « قال ابن برى : الصحيح أن البيت لساعدة بن جؤية الهذلى » .

(٣) الشغشغة بغينين معجمتين : تحريك السنان فى المطعون ليتمكن منه . وفى الخزانة : « شفشفة » . وفى الأصل وديوان المعانى : « شعشعة » ، وهما تحريف ما أثبت من اللسان والمخصص (٥ : ١٣٥) والعمدة . والمعمعة : شدة الحرب والجد فى القتال . والمعمعة أيضاً : الدمشقة ، وهى عمل فى عجل . ط ، ه : « مقمعة » وأثبت ما فى س . والرواية فى جميع المصادر : « هيقعة » . والهيقعة : صوت السيوف . والمعول ، بكسر الواو المشددة : الذى يتخذ العالة ، وهى شجر يقطعه الراعى أو الرامى فيستظل به من المطر . العضد ، بالتحريك : ماقطع من الشجر .

(تحقيق معنى شعرى)

وأنشدنى يحيى الأغر[1] :

كَضَرْبِ القُيونِ سَبِيكَ الحديـــدِ يومَ الجنائب ضرباً وكيدا[2]

فلم أعرفه ، فسألتُ بعضَ الصَّياقلة فقال : نعم ، هذا بَيِّنٌ معروف . إذا أخْرَجْنا الحديدةَ من الكِيرِ فى يومِ شَمال[3] ، واحتاجت فى القطع إلى مائة ضربةٍ ، احتاجَت فى قطْعها يومَ الجَنُوب إلى أكثر من ذلك ، وإلى أشدّ من ذلك الضَّرب ؛ لأنَّ الشمالَ يُيَبِّسُ ويقصِف ، والجنوب يرطِّب ويلدِّن .

(الأخرس)

والإنسان أبداً أخْرسُ ، إذا كان لا يسمع ولا يتبيَّن الأصواتَ التى تخرج من فيه ، على معناه[4] . ويقال فى غير الإنسان ، على غير ذلك . قال كثيِّر :

١٣١ ألم تَسْألى يا أمّ عَمْرٍو فتُخْبَرِى   سَلِمْتِ وأسقاكِ السَّحابُ البوارقُ

بُكيًّا لصَوتِ الرَّعدِ خُرسٌ روائح   ونعق ولم يُسْمَعْ لهن صواعق[5]

(١) هـ : « الأعز » .

(٢) القيون : جمع قين ، بالفتح ، وهو الحداد . والجنائب : جمع جنوب ، وهى الريح التى تقابل الشمال . والوكيد : الشديد الصائب .

(٣) أى يوم ريح شمال .

(٤) أى على المعنى الحقيق للخرس .

(٥) هـ : « روامج » بدل : « روائح » . ونعق ، كذا وردت . وانظر ديوان كثير (١ : ١٤٠)

وتقول العرب : « مازلت تحتَ عينٍ خرساء » . والعين : السحابة تبقى أيّاماً تمطـر . وإذا كثُر ماؤها وكثُف ، ولم يكن فيهـا مخارق لم تملح ببرق[1] .

(سرعة الضوء وسرعة الصّوت)

ومتى رأيتَ البرقَ سَمِعتَ الرَّعْدَ بعدُ . والرّعدُ يكون فى الأصل قبلَه ولـكنَّ الصّوتَ لا يصل إليك فى سرعة البرق ؛ لأنَّ البارقَ والبصر أشدُّ تقارباً من الصّوتِ والسَّمْع . وقد ترى الإنسانَ ، وبينك وبينه رحْلهُ فيضرب بعَصًا إمَّا حَجَراً ، وإمّا دَابَّةً ، وإمَّا ثوباً ، فترى الضَّرْب[2] ثمّ تمكثُ وقتاً إلى أن يأتيَك الصّوت .

(السحابة الخرساء)

فإذا لم تصوِّت السَّحابة لم تبشِّر بشيءٍ ، و [إذَا[3]] لمْ يكن لها رِزٌّ[4] سمِّيت خَرْساءَ .

(الصخرة الصَّمَّاء)

وإذا كانت الصَّخرةُ فى هذه الصِّفة سمِّيت صماءَ . قالَ الأعشَى :

وإذَا تجيءُ كَتِيبـــةٌ ملمُومَـــةٌ   مَكْرُوهَةٌ يخشى الـكُمَاةُ نِزَالها

وعلى غير هذا المعنى قال كثيِّر :

كأنى أنادى صَخْرَةً، حِينَ أَعْرَضَتْ،   من الصُّمِّ لو تمشى بها العُصْمُ زَلَّتِ

---

(١) انظر الاستدراكات .

(٢) س : « الضربة » .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) الرز ، بالـكسر : الصوت تسمعه من بعيد ، أو الصوت مطلقاً .

ومن هذا الشّكل قولُ زُهير :

وتَنُوفَةٍ عَمْيــاءَ لا يَجْتــازُها إلا المشيَّعُ ذُو الفُؤَاد الهــادى[1]
قَفْرٍ هجَعْتُ بها ، ولستُ بنائمٍ ، وذِراعُ مُلْقِيَةِ الجِـرَانِ وِسادِى[2]
ووقَعْتُ بَيْنَ قُتُودِ عنْسٍ ضَامِرٍ لَحَّاظةٍ طَفَلَ العشىِّ سِنَادِ[3]

فجعل التَّنُوفَةَ عَمْياءَ[4] ، حين لَمْ تكن بها أمارات .

(الزَّبَابَة)

ودابَّة يقال لهـا الزَّبابَة[5] ، عمياء [صَمَّاء[6]] ، تشبه الفأرة ؛ وليست

---

(١) المشيع ، بفتح الياء المشددة : الشجاع ؛ لأن قلبه لايخذله ، فكأنه يشيعه . والفؤاد الهادى : المهتدى ، أو الذى يهدى صاحبه .

(٢) قفر ، يقال أرض قفر ، ومفازة قفر وقفرة أيضاً . فهى مما يوصف به المؤنث ، صفة لتنوفة . والهجوع ، هنا ، بمعنى الاضطجاع ، نوما كان ، أو غير نوم . المخصص (٥ : ١٠٤) . وملقية الجران ، عنى بها ناقته . ألقت جرانها : وضعت باطن عنقها على الأرض ، تستريح بذلك . ومثل هذا البيت فى معناه قول الآخر (الخزانة ٤ : ٤٨٠ بولاق) :

يارب سار بات ماتوسدا إلا ذراع العنس أو كف اليدا

(٣) القتود : جمع قتد، بالتحريك ، وهو أداة الرحل . والعنس ، بالفتح وبالنون الساكنة : الناقة الصلبة . ووقعت ، هنا ، كأنه من الوقعة ، بالفتح : وهى النومة فى آخر الليل . وطفل العشى : آخره عند غروب الشمس واصفرارها . وإنما تكثر اللحظ فى ذلك الوقت لما يداخلها من الحنين إلى ولدها ، فتتعجل الأوبة ويظهر نشاطها . والسناد ، بالكسر : الشديدة الخلق ، قال ذو الرمة :

جمالية حرف سناد يشلها وظيف أزج الخطو ظمآن سهوق

وفى الأصل : « سنادى » ، والوجه ما أثبت .

(٤) فى الأصل : « عيبا » ، تحريف .

(٥) الزبابة بفتح الزاى ، بعدها باء موحدة . ط ، س : « الزيابة » هـ : « الذبابة » ، صوابهما ما أثبت .

(٦) ليست بالأصل . وأثبت ماتقتضيه المقارنة الآتية .

بالخلد ؛ لأنَّ الخُلْدَ أعمى وليس بأصمّ .

والزّباب[1] يكون فى الرَّمل .

وقال الشاعرُ[2] :

وهُـــمُ زِبَابٌ حائر لا تَسْمَعُ الآذانُ رَعْـــدَا[3]

(الأعمى من ولد الحيوان)

وكلُّ مولودٍ فى الأرض يُولد أعمَى ، إن كان تأويل العمَى[4] أنّهُ لا يُبصر إلاَّ بعد أيام . فمنه ما يفتح عينيه بعد أيّامٍ كالجِرْوِ[5] ؛ إلاّ أولادَ الدّجاج ؛ فإنَّ فراوجها تَخْرُجُ من البيض كاسِيَةً كاسِبة .

(شعر فيه مجون)

وقال أبو الشَّمقْمق ــ وجعل الأيْر أعمى أصمَّ على التشبيه ــ فقال :

فسلَّمْ عليه فاتِرَ الطَّرْفِ ضَاحِكًا وصوَّت له بالحارثِ بن عُبادِ

---

(١) ط ، هـ : « الذباب » ، صوابه فى س .

(٢) هو الحارث بن حلزة ، كما فى عيون الأخبار (٢ : ٩٥ — ٩٦) واللسان (زبب) .

(٣) أى لا تسمع آذانهم صوت الرعد . والبيت محرف فى الأصل س ، هـ : « فهو رباب » ط : « فهو ذباب » ، وفى الجميع : « لايسمع » و هـ : « الأذانل » مكان : « الآذان » وأثبت صحة الرواية من الحيوان (٥ : ٢٦٠) وعيون الأخبار واللسان .

(٤) س : « أعمى » . هـ : « لعمى » وهذه محرفة . وأثبت ما فى ط .

(٥) الجرو ، مثلثة : ولد الكلب والأسد والسباع . ط ، هـ : « كالجرذ » س : « كالجرذ » ، صوابهما ما أثبت . وفى (٢ : ٢٨٨) : « وجرو الكلب يكون أعمى عشرة أيام وأكثر . وقد يعرض شبيه بذلك لكثير من السباع » .

بأصْلعَ مِثْلِ الجرْوِ جَهْمٍ غضَنْفَرٍ   مُعَاوِدِ طَعْـنٍ جَائفٍ وسناد[1]
أصمّ وأعْمَى يُنْغِضُ الدَّهْرَ رَأسَهُ   يسـير على مَيْلٍ بغير قيادِ[2] ١٣٢

(قولٌ لمن زعم أن النعامة تسمع ، وردٌّ عليه)

و [قال] مَنْ زعَم أنَّ النّعـامة تسمَع : يدلُّ على ذلك قول طَرَفَةَ :

هَلْ بِالدِّيارِ الغَدَاة من خرَسِ   أمْ هَلْ بِرَبْعِ الجميعِ مِنْ أنَسِ[3]
سِـوَى مَهاة تَقْرُو أسِرَّتَه   وَجُؤْذُرٍ يَرْتَعِي على كُنُسِ[4]
أو خاضِـبٍ يرتعي بهِـقْلَتِهِ   متى تَرُعْهُ الأصْـوَاتُ يهتَجِس[5]

فقد قال طَرَفة كما ترى :

* متى تَرُعْهُ الأصوات يهتجس *

وقال الآخر : جوابُنا فى هذا هو جوابنا فيما قبله .

---

(١) الطعن الجائف : الذى يصل إلى الجوف .

(٢) أنغض رأسه : حركه إلى أسفل وأعلى . فى الأصل : « ينفض » بالفاء ، وأراها محرفة . ط ، س : « على مهل » ، وأثبت ما فى ه ، وهو أجود .

(٣) الأنس ، بالتحريك : الحى المقيمون . س : « جرس » موضع : « خرس » تحريف .

(٤) المهاة : البقرة الوحشية . تقرو : تقصد . والأسرة : جمع سر ، بالكسر ، وهو من الوادى : أفضل موضع فيه . والجؤذر : ولد البقرة الوحشية . وفيه مع الهمز لغتان : الجُؤذر بضم الجيم والذال ، وبضم الجيم وفتح الذال . وانظر سائر اللغات فى القاموس . والكنس ، بضمتين : جمع كناس ، بالكسر ، وهو بيت الوحش كما فى فقه اللغة ٣٠٤ طبع الحلبى . وفى شرح التبريزى للمعلقات ١٣٠ : « وهو شىء يتخذه الظباء ، تجذب أغصان الشجرة ، فتقع إلى الأرض ، فيصير بينها وبين ساق الشجرة مدخل تستظل به » .

(٥) الخاضب : الظليم احمرت ساقاه . يرتعى بهقلته : يرعى مع أنثاه الفتية . يهتجس : فى القاموس : « هجسه : رده عن الأمر فانهجس » . ونحوه فى اللسان . فلعل يهتجس وينهجس فعلان مطاوعان لهجسه ، وإن لم تذكر المعاجم أولهما .

(فكاهة)

وروى الهيثم بنُ عديٍّ ، وسمعه بعضُ أصحابنا من أبي عبيدة ، قال : تضارَط أعرابيَّان عند خالد بن عبد الله(١) ، أحدُهما تميميٌّ والآخر أزْديٌّ ، فضَرَط الأزْديُّ ضَرْطَةً ضئيلة ، فقال التميميّ :

حَبَقْتَ عَجِيفاً مُحْثَلاً ولوَ أنَّنِي   حَبَقْتُ لأَسْمَعْتُ النّعَامَ المشَرَّدَا(٢)

فَمَرَّ كمَرِّ المنجَنِيق وصَوْتُهُ   يبذُّ هَزِيمَ الرَّعْدِ ، بدءًا عمَرَّدا(٣)

(مَنْ لَقَبُه : نَعامة)

وزعم أبو عمرو الشَّيبانيُّ عن بعض العرب ، أنّ كلّ عربىّ [وأعرابىّ] كان يلقَّب نَعامة ، فإنما يلقَّب بذلك لشدّةِ صَمَمِه . وأنَّهُ سأله عن الظليم : هل يسمع ؟ فقال : يَعرِفُ بأنفه وعينِه ، ولا يحتاج معهما إلى سمْع .

وَأنْشَدَنِي :

فَجِئْتُكَ مِثْلَ الهِقْلِ يشتمُّ رَألَهُ   ولا عَرْفَ إلاّ سَوْفُهَا وَشَميمُها(٤)

---

(١) هو خالد بن عبد الله القسرى .

(٢) العجيف : المهزول . ولم يذكر فى اللسان والقاموس بمادة (عجف) . والمحثل ، بالحاء المهملة بعدها مثلثة مفتوحة : المزيل . وفى الأصل : « مجتلا » محرف .

(٣) المنجنيق ، وتكسر الميم : آلة ترمى بها الحجارة ، مؤنثة وقد تذكر ، فارسيتها : من جه نيك ، أى أناما أجودنى . يبذ : يغلب ويفوق . وهزيم الرعد : صوته . والبدء ، بالفتح : أصل معناه السيد والشاب العاقل . وبدءا : حال ثانية من ضمير « مر » . ط ، س : « بده » هـ : « بداء » محرفتان عما أثبت . والعمرد ، كعملس : الطويل . وانظر نحو هذا المعنى فى (٦ : ٤٦٩) .

(٤) العرف ، بالفتح : الريح طيبة أو غير طيبة . والسوف ، بالفتح : الشم . وفى ط ، هـ : « شوفها » س : « ثوفها » . وهما كلمتان محرفتان لا تنبضان بمعنى . والوجه ما أثبت .

وزعم أنَّ لَقَبَ بيهس[1] نَعامة ، وأنَّه لقِّب بذلك لأنه كان فى خلق نعامة ، وكان شديدَ الصَّمَم مائقاً[2] . فأنْشَدَ لعدىِّ بن زَيد[3] :

ومِنْ حَــذَرِ الأَيَّامِ مَاحَزَّ أَنْفَهُ
قَصِيرٌ وَخَاض المَوْت بالسَّيْفِ بَيهسُ[4]

نعامةُ لَمَّا صرَّع القومُ رَهْطَهُ
تَبَيَّن فى أَثْوَابِهِ كيفَ يَلْبَسُ[5]

وقال المتنخِّل الهذَلىُّ[5] ، وذكر سَيْفاً :

مُنْتَخَبُ اللُّبِّ لهُ ضَرْبَةٌ
خَدْباءُ كالعَطِّ من الخِذْعِلِ[6]

---

(١) بيهس : رجل من بنى فزارة بن ذبيان . وله حديث وقصة فى الأغانى (٢١ : ١٢٢ — ١٢٤)، ونقلها عنه صاحب الخزانة فى (٣ : ٢٧٢ — ٢٧٣ بولاق) . وذكره الميدانى فى مثل : « ثكل أرأمها ولدا » .

(٢) مائقاً : أى أحمق . والموق بالضم والفتح : الحمق . هذا . وقد زعم أبو الفرج أنه إنما سمى نعامة بقوله :

فَلأَطْرُقَنْ قَوْمًا وَهُمْ نِيَامٌ وَأَبْرُكَنْ بِرْكَةَ النَّعَامَهْ

(٣) الحق أن قائل الشعر هو المتلمس الضبعى ، من قصيدة فى ديوانه المخطوط ، وكما فى الأغانى وحماسة أبى تمام (١ : ٢٦٨) والبحترى ١٩ وأمثال الميدانى (١ : ١٣٨ ، ٢١٦) ومروج الذهب (١ : ٢٩٢) والخزانة ، ومعاهد التنصيص (١ : ٢٤٨) . وقد ذكر الجاحظ البيتين فى البيان (٤ : ١٧) ولم ينسبهما .

(٤) قصة قصير متداولة فى الكتب . وانظر المراجع المتقدمة . واسمه قصير بن سعد اللخمى . ورواية البيان : « ولاقى الموت بالسيف » ، والمروج ، والأغانى ، والخزانة ، والميدانى : « ورام الموت » . رام : طلب .

(٥) المتنخل ، بكسر الخاء المشددة ، اسم فاعل من تنخل ، لقب مالك بن عويمر الهذلى شاعر من شعراء هذيل . وهو جاهلى كما فى الخزانة (٤ : ١١٠ سلفية) . وفى الشعراء من يقال له : (المتنخل السعدى) ذكره الآمدى فى المؤتلف ١٧٩ .

(٦) منتخب اللب : أى منتزع العقل ، فهو فى هوجه كالمجنون . ورواية اللسان : (خذعل) : « تنتخب اللب » . والخدباء ، بفتح الخاء : الهوجاء . وفى الأصل : « حدباء » ، تصحيحه من اللسان . كالعط من الخذعل : أى كالشق من ثوب الخذعل وهو بكسر الخاء والعين : المرأة الحمقاء ، أو ثياب من أدم يلبسها الرعن =

يقول : هذا السَّيف أهوجُ لاعَقْل له . والحَدَب (١) فى هذا الموضع : الهوَج (٢) ، وتهاوِى الشىءِ لاَيتَمالك . ويقال للسَّيف : لايُبالى مالَقِىَ .

(شعر فى النعام والتشبيه به)

وقال الأعشى فى غير هذا الباب :

كَحَوْصَلَةِ الرَّألِ فى جَرْيِهَا   إذا جُلِيَتْ بَعْدَ إقْعَادِها (٣)

١٣٣ « كحوصلة الرَّأل » يصف الخمْرَ بالُحمرة . جليت : أخرجت ؛ وهو مأخوذ من جَلوة العروس القاعدة ، إذا قَعَدَت عن الطَّلَب (٤) . ومثله فى [غير (٥)] الخمر قولُ علقمة :

تأوى إلى حِسْكِلٍ حُمْرٍ حواصِلُه   كأَنَّهُنَّ إذا بَرَّكْن جُرثومُ (٦)

وقال الأخنس بن شهاب (٧) :

تَظَلُّ بها رُبْدُ النَّعامِ كأنَّهَا   إمَاءٌ تُزَجِّى بالمسَاءِ حَواطبُ (٨)

= لتحمل عبثهم وحمقهم . ط ، ه : « الخزعل » صوابه بالذال ، كما فى س ، واللسان .

(١) فى الأصل : « الحدب » بالحاء، صوابه بالمعجمة .

(٢) الهوج ، بالتحريك : الحمق والرعونة . ه : « الهدج » صوابه ما أثبت من س ، ط .

(٣) فى جريها : أى عند سيلانها وتدفقها من فم الدن . والرأل : فرخ النعام . وحوصلته حمراء ؛ لتجردها من الريش .

(٤) أى عن أن يطلبها الأزواج .

(٥) ليست بالأصل ، ولا يصح الكلام بدونها .

(٦) سبق هذا البيت وشرحه فى ص ٣٦٧ .

(٧) الأخنس بن شهاب ، شاعر جاهلى قبل الإسلام بدهر . الخزانة (٣ : ١٦٩ بولاق) نقلا عن شرح المفضليات ٤١٠ .

(٨) الربد : جمع أربد وربداء ، وهو ما فى لونه غبرة . والإماء : جمع أمة ، بالتحريك وهى المملوكة . والحواطب : اللاتى يجمعن الحطب . وخص المساء ؛ لأن الإماء =

تُزجِّى : تَدْفَعُ(١) ؛ وذلك أنّهُ يثقل حِملها فتمشى مِشْية النَعامةِ .

وقال الرّاجز(٢) :

وإذا الرِّياحُ تَرَوَّحَتْ بِعَشِيَّةٍ رَتَكَ النَّعامُ إلى كَثِيفِ العَرْفَجِ(٣)

والرَّتَكُ : مشْيٌ سريع . يقول تبادِرُ إلى الكثيف(٤) تستتر به(٥) من البَرْد . وقال :

* رَتْكَ النَّعامةِ فى طريقٍ حامِ(٦) *

= المحتطبات يرجعن فيه إلى أهاليهن وقد أعيين ، فهن يمشين على تؤدة . انظر شرح المفضليات. ورواية المفضليات: « بالمشى » مكان : « بالمساء » .

(١) فى الأصل : « ترفع » ، صوابه من اللسان وشرح المفضليات ٤١١ . ويروى : « تَزَجَّى » بنزع إحدى التاءين .

(٢) كذا ، وصوابه : « الشاعر » . وهو الحارث بن حلزة اليشكرى ، من قصيدة مفضلية ٢٠٥ أولها :

طرق الخيال ولا كليلة مدلج سدكا بأرحلنا ولم يتعرج

(٣) كذا أنشد الجاحظ هذا البيت . وتفسيره الآتى يشهد لصحة هذا النص عنده هو ، وكذا صحة ماضبطت به البيت . لكن صواب الرواية والضبط ، هو كما فى المفضليات ٥٢٦ :

وإذَا اللِّقَاحُ تَرَوَّحَتْ بِعَشِيَّةٍ رَتْكَ النَّعامِ إلى كَنِيفِ العَرْفَجِ

وبعده :

أَلفَيْتَنَا للضيف خَيْرَ عِمَارَةٍ إنْ لَمْ يَكُنْ لَبَنٌ فَعَطْفُ المُدْمَجِ

اللقاح : الإبل ، وأحدها لقوح ، بالفتح . تروحت بعشية : سارت فى آخر النهار راجعة إلى مأواها . رتك النعام : أى مثل رتك النعام . والرتك ، بالفتح والتحريك : مقاربة الخطو . والكثيف : الملتف. وأما الكنيف ، بالنون، فهو حظيرة تعمل من شجر تأوى إليها الإبل . والعرفج : شجر .

(٤) س : « الكثيب » محرف . وفى الكلام نقص ، لعله « الكثيف من العرفج » .

(٥) س : « تستتر به » . ولعلها صحيحة . وقالوا : انسرب الوحشى : دخل فى كناسه .

(٦) طريق حام : أى حمى رمله مما ضربت فيه الشمس . وهو أشد لرتك النعامة .

(استقبال الظليم للريح)

وليسَ لقولِ مَنْ زعم أنَّ الظليم إذا عدا استقبَل الرِّيح [وإنما ذلك مخافةَ أن تكونَ الرِّيحُ من خلفه فتكبِتَه(١) — معنًى ؛ لأنَّا نجدُهم يصفون جميع مايستدعونه(٢) باستقبال الرِّيحِ] . قال عَبْدة بن الطَّبيب ، يصف الثَّور :

مستقبل الرِّيحِ يهفُو وهو مبترِكٌ ‏ ‏ ‏ لسانُه عَنْ شِمالِ الشَّدْقِ مَعْدُولُ(٣)

ووصف الذِّيبَ طُفيلٌ الغَنَويُّ ، فقال :

كسِيدِ الغَضَا العادِى أضَلَّ جِرَاءَهُ ‏ ‏ ‏ عَلَى شَرَفٍ مُسْتَقْبِلَ الرِّيحِ يلحَبُ(٤)

---

(١) تكبته : تصرعه لوجهه ، كبته يكبته كبتاً فانكبت . وممن ذهب هذا المذهب شارح ديوان طفيل ص ٢٣ قال : « وكل دابة أو ضامر إذا جرت استقبلت الريح ، لأنها إذا استدبرتها كسعتها وألقتها » .

(٢) كذا بالأصل . ولعلها : « يستسرعونه » ، أى يعدونه سريعا . وقد علل الأمر صاحب اللسان بقوله : « وامتخر الفرس الريح واستمخرها : قابلها بأنفه ؛ ليكون أروح له » .

(٣) يهفو : يشتد عدوه . قال بشر بن أبي خازم يصف فرساً :

يُشَبَّهُ شَخْصُها وَالْخَيْلُ تَهْفُو ‏ ‏ ‏ هُفُوًّا ظِلَّ فَتْخَاءِ الجَنَاحِ

وابترك : انتحى على أحد شقيه فى عدوه . ط : ه : « مشتبك » س : « مشترك » صوابهما من المفضليات ١٤٠ . والشدق هى فى س : « السدق » ه : « السدف » صوابهما فى ط والمفضليات . وأول البيت فى كل من ط ، ه : « يستقبل » وأثبت رواية س والمفضليات .

(٤) السيد ، بالكسر : الذئب . والغضا : نبت تلجأ إليه الذئاب . وذئاب الغضا أخبث الذئاب . ط : « العاوى » ه : « العارى » ، صوابهما فى س . ورواية الديوان : « الغادى » . أضل جراءه : فقد أولاده ، فهو يسرع فى عدوه مجتهدا ليبحث عنها . والشرف : الأرض العالية . ورواية الديوان : « عَلاَ شَرَفًا » . يلحب : =

(استطراد)

ويُلحَق(1) بموضع ذِكْر الضَّربِ الشديد ، قولهم فى المَثَل : « ضرَبْنَاهُمْ ضَرْبَ غَرَائبِ الإبِلِ » . قال أبو حيّة :

جَدِيرُونَ يَوْمَ الرَّوْعِ أَنْ يخضِبُوا القَنَا
وَأَنْ يتركوا الكَبْشَ المدجَّجَ ثاويا(2)
ضَرَبْنَاهُمُ ضرب الحساما غرائب
وإذا جاءك عطاشا لعسا حراراً ضواريا(3)

وإذا جاءت عِطاشاً قَدْ بلَغ منها العطشُ واليُبْسُ ، قيل : جاءتْ تَصِلُّ

= يمر مرا سريعاً . وفى الأصل : « يلهث » ، صوابه ماأثبت . والبيت من قصيدة بائية لطفيل ، أولها :

تَأَوَّبَنِي هَمٌّ من الليلِ مُنْصِبُ   وجَاءَ مِنَ الأَخْبَارِ مالا أُكَذِّبُ

وهو قد نعت بالبيت الذى أنشده الجاحظ فرسا شبهه بالذئب . وقبل البيت :

كأنَّ على أعرافِهِ ولجامِهِ   سَنَا ضَرَمٍ مِنْ عَرْفَجٍ يتلهبُ

(1) الكلام من هنا إلى قوله فى الصفحة الآتية : « وزعم ابن أبى العجوز » ، استطراد من الجاحظ لاعلاقة له بالكلام السابق .

(2) القنا : الرماح . يخضبونها : أى بدماء الأعداء . والكبش : القائد ، أو الرئيس . المدجج : ذو السلاح . ثاويا : مقتولا . ه : « الكيس » س : « الكبس » س ، ه : « المحدد » مكان : « المدجج » ، ه : « قاويا » . وصواب رواية البيت من ط .

(3) هذا البيت ساقط من س . ه : « وإذا جاءت » . وهو كلام محرف مشيأ ، لم أجد له مرجعا يعين على تحقيقه .

أجوافها صَليلا . قال الرَّاعى :

فَسَقَوْا صوَادِىَ يَسْمَعُون عشِيَّةً ... لِلْماءِ فى أجوافِهِنَّ صَلِيلَا

قال : وأنشدنا أبو مَهديَّة ، لمزاحمٍ العُقَيلى[1] :

غَدَتْ مِنْ عَليه بعدَ ماتمَّ ظِمْؤُها ... تَصِلُّ،وَعَنْ قَيْضٍ بِزَيزَاء مَجْهَلِ[2]

قال : الزِّيزاء[3] : المكان الغليظ .

وقال آخر[4] :

أَلَمْ تَعلمى يا أمَّ حَسَّانَ أنَّنِى ... إذا عَبْرَةٌ نَهْنَهتُها فَتَجلَّتِ[5]

١٣٤ رجَعت إلى صَدْر كجرَّةِ حَنْتَمٍ ... إذا قُرِعَتْ صِفْرًامِنَ الماءِ صلَّتِ[6]

---

(١) هو مزاحم بن عمرو ، شاعر بدوى إسلامى ، صاحب قصيد ورجز ، كان فى زمن جرير والفرزدق ، وكان جرير يصفه ويقرظه ويقدمه . الأغانى (١٧ : ١٥٠) .

(٢) أى أقامت مع فرخها حتى عطشت وطلبت الماء ، فطارت لذلك عند تمام ظمئها . والظمء ، بالكسر : مابين الشربين أو الوردين . وروى فى الكامل والمخصص (١٤ : ٥٧) : « تم خمسها » . وهو بالكسر : ورود الماء فى كل خمسة أيام . قال أبو حاتم : ولم يرد أنها تصبر عن الماء خمسة أيام ، إنما هذا للإبل لا للطير ، ولكنه ضربه مثلا . ابن السيد فى الاقتضاب ٢٤٨ . وقد تكلم كثير من العلماء فى هذا البيت ، فى دخول : « من » على « على » . انظر أدب الكاتب ٣٨٣ وابن سيده (١٤ : ٥٧) والبغدادى (٤ : ٢٥٣ بولاق) واللسان (صلل) . ط : « يعدما » تحريف . والقيض ، بالفتح : قشر البيضة الأعلى . والزيزاء ، بالكسر والفتح : ماغلظ من الأرض . هـ : « من قيض بزيراء » محرف . قال أبو حاتم : قلت للأصمعى : كيف قال : غدت من عليه ، والقطاة إنما تذهب إلى الماء ليلا ، لا غدوة ؟ فقال : لم يرد الغدو ، وإنما هذا مثل التعجيل . والعرب تقول : بكر إلى العشية ، ولا بكور هناك .

(٣) هـ : « الزيراء » ، محرف .

(٤) هو عمرو بن شأس ، كما فى اللسان (حنتم) والأغانى (١٠ : ٦١) . وعمرو ابن شأس شاعر مخضرم ، أدرك الإسلام وهو شيخ كبير . شرح التبريزى للحماسة (١ : ١٤٩ بولاق) .

(٥) أم حسان هى زوجه . والعبرة ، بالفتح : الدمعة . نهنهها : كفها . تجلت : ظهرت . وفى الأغانى : « فتخلت » ، والأولى أقوى وأطيب .

(٦) الحنتم : جرار خضر تضرب إلى الحمرة ، وقد يقال للخزف كله حنتم . =

(اختبار أمير المؤمنين المنصور لأحد الحوَّاء)

وزعمَ ابن أبى العجوز الحوَّاءُ ، أنَّ الأفاعىَ صُمٌّ ، فلذلك لاتجيب الرُّقَى ، ثمَّ زعم لى فى ذلك المجلس(١) أنَّ أميرَ المؤمنينَ المنصورَ ، أراد امتحان رُقَى حَيَّةٍ(٢) وأنْ يتعرَّف صحَّتها من سُقْمها ، وأنَّهُ أَمَرَ(٣) فصاغوا له أَفْعًى من رَصاص ، فجاءت ولا يَشُكُّ النَّاظر فيها ؛ وأنَّهُ أمر(٤) بإلزاقها فى موضعٍ من السَّقف ؛ وأنَّهُ أحضرهُ وقال [له] : إنَّ هذه الأفعى قد صارَتْ فى هذه الدَّارِ ، وقد كرِهْتُها لمكانها ؛ فإن احْتَلْتَ لى برُقْيَةٍ ، أو بما أحببْتَ(٥) أحسنتُ إليك . قال : إن أرَدْتُ أنْ آخذها هَرَبَتْ(٦) ولكنْ أرقِيها حتى تنزل ! فرقاها فلما رآها لاتتحرَّكُ زادَ فى رفْع صوته وألقى قِنَاعَهُ ، فلما رآها لاتتحرَّكُ نزعَ عِمامتَهُ وزاد فى رفعِ صوتِه ، فلما رآها لاتتحرّك نَزَعَ قلنسوتَه وزادَ فى رَفْعِ صوتِه . فلما رآها لاتتحرَّك نَزَعَ ثِيابَهُ ، وزاد فى رَفْعِ صوْتِهِ(٧) ، حَتَّى أَزْبَدَ(٨) ، وتمرَّغَ

= انظر اللسان والنهاية . صفراً من الماء : خالية منه . وجعل صدره كالجرة من الحنتم ، فى صلابتها وشدتها .

(١) بدل هـذا الـكلام من أول الفقرة فى س : « زعـم ابن أبى العجـوز فى ذلك المجلس » .

(٢) س ، ﻫ : « جده » ط : « جد » ، صوابهما ماأثبت . وانظر ٤٢٠ س ٢ .

(٣) ط ، ﻫ : « فأمرهم » .

(٤) ط ، ﻫ : « ثم أمر » .

(٥) ط ، ﻫ : « أحست » ، صوابه فى س .

(٦) س : « فعلت » .

(٧) الـكلام من مبدإ : « وألقى قناعه » إلى هنا ساقط من س .

(٨) ط ، س : « أربد » . ﻫ : « أزبد » ، صوابهما ماأثبت . وأزبد بمعنى ظهر منه الزبد على جانبى الشفتين .

فى الأرض ، فلما فعل ذلك سال ذلك الرَّصاصُ وذابَ ، حتى صار بين أيديهم ، فأقرَّ عند ذلكَ المنصورُ بجودَةِ رُقيته .

فقلت له : ويلك ! زعمتَ قُبَيْلُ أنَّ الأَفاعِىَ لاتجيب الرُّقَى ؛ لأنها لاتسمع ، وهى حيوان ، ثمَّ زعمتَ أنَّها أجابت ، وهى جماد ! !

(شعر وخبر فى نفار النعامة)

وقال الشَّاعِرُ :

وربداء يَكفيها الشَّميمُ ومالها   سِوى الرُّبْدِ من أُنْسٍ بتلك المجاهِلِ

يخبر أنَّ النَّعامة لاتستأنسُ بشىءٍ من الوحْش ، وأنَّ الشَّمَّ يغنيها فى فهم ماتحتاج إليه .

وهى مع ذلك إذا صارتْ إلى دور النَّاس ؛ فليس معها من الوحْشة منهم ، على قدر ما يذكرون .

وفى الوحش ما يأنس ، وفيها[1] مالا يأنس . وقال كثيِّر :

فأقسَمْتُ لَا أَنْسَاكِ ماعِشْتُ لَيْلَةً   وإنْ شَحَطَتْ دارٌ وَشَطَّ مَزارُهَا[2]

وما استَنَّ رَقراقُ السَّرَاب وما جَرَتْ   ببيض الرُّبا أنسيُّها وَنَوَارُهَا[3]

(١) س : « ومنها » .

(٢) شحطت : بعدت . وشط مزارها : بعد .

(٣) استن السراب : اضطرب . والسراب ، كسحاب : مايرى على وجه الأرض كأنه ماء وليس به ، وهو يبدو فى الفلوات فيخدع السفر يظنونه ماء . وفى الكتاب « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً » . وقد علله العلماء بما يكون من الانعكاسات الضوئية ، فتظهر صورة السماء فى صفحة الأرض ، أو تبدو صورة النخيل البعيدة ، فى وضع مقلوب يخدع الناظر ، فيحسبها ظلالا مرتسمة فى ماء . والأنسى من الحيوان ، يقال بفتح الهمزة والنون ، نسبة إلى الأنس =

ووصف بلادًا قفاراً[1] غيرَ مأنوسة فقال :

ماتَرَى الْعَيْنُ حولَهــا مِنْ أنِيسٍ قُرْبَهاَ غيرَ رابداتِ الرِّئَـال[2]

خصّها بالذِّكْر ؛ لأنها أَنْفَرُ وأشْرَدُ ، وَأَقَلُّ أنساً من جميع الوحش .

وقال الأحيمر[3] : كنتُ آتى الظَّبْيَ حَتَّى آخُذَ بذراعيه ؛ وما كان شئٌ من بهائم الوحْش ينكرُنى إلاّ النّعام[4] .

وَأنْشَدَ قَوْلَ ذى الرُّمَّةِ :

وكلّ أَحَــمِّ المقْلتــين كأنَّهُ أخوالإنْسِ من طُولِ الخَلاءِ المغفّلِ[5]

= والأنسة بالتحريك فى كل منهما بمعنى الائتناس . ويقال بكسرها نسبة إلى الإنس بالكسر ، وهم بنو آدم . ويقال بضمها نسبة إلى الأنس ، بالضم ، وهو ضد الوحشة . وأول هذه اللغات أضعفها . وقد أعاد الضمير فى « أنسيها » إلى الحيوان ، ولم يذكره ، ولكنه مفهوم ضمنا . والنوار ، بالفتح : النافر الذى لا يستأنس من الحيوان . والرواية فى ديوان كثير (١ : ٩١) : « وحشيها ونوارها » .

(١) س : « أقفارا » .

(٢) الرابدات : المقيمات . ربد ربودا : أقام . والرئال : جمع رأل ، بالفتح ، وهو ولد النعام . وفسرت « الرابدات » فى شرح ديوان كثير (١ : ١٤٨) بأنها « صفة بمعنى الربد جمع ربداء ، وهى التى فى سوادها نقط بيض أو حمر » . ولعل مافسرت به أقرب إلى الاشتقاق . فليس فى المعاجم التى بأيدينا « رابد » بمعنى « أربد » .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ١٣٣) . والخبر فى العقد (٤ : ٢٣٨) وعيون الأخبار (٢ : ٨٨) .

(٤) كذا أورد الجاحظ الخبر مقتضبا ، وهو بتمامه ، كما فى عيون الأخبار (٢ : ٨٨) « كنت حين خلعنى قومى ، وأطل السلطان دمى ؛ وهربت وترددت فى البوادى ظننت أنى قد جزت نخل وبار ، أو قريب منها . وذلك أنى كنت أرى النوى فى رجيع الذئاب . وكنت أغشى الظباء وغيرها من بهائم الوحش فلا تنفر منى ؛ لأنها لم تر أحداً قبلى . وكنت أمشى إلى الظبى السمين فآخذه ؛ وعلى ذلك رأيت جميع تلك الوحوش ؛ إلا النعام ؛ فإنى لم أره قط إلا نافراً فزعا » .

(٥) أحم : أسود . والمقلة ، بالضم : حدقة العين . لا وأراد به الظبى . والخلاء المغفل : الذى لا علامة فيه ولا أثر . وضبط « كل » بالنصب ؛ لأن قبل البيت كما فى الديوان ٥٠٥ : =

(نفار الوحش وهربها من الصحارى)

١٣٥ يدلّ على ذلك فى قَدْرِ ما شاهدنا أنّهم يخرجـــون إلى الصّحارى الأغفال(١) ، التى لم يُذْعَر صيدُها ، ولا يطؤُها النّاس ، فيأتون الوحْشَ فوضَى هَمَلاً ، ومعهم كلابُهم وفهودُهم تتلوّى(٢) بأيديهم ، فيتقدّمون إلى المواضع التى لو كانوا ابتدءوا الصّيْدَ مِنْ جهتها لأخَذُوا ما أخذوا . فإذا نفرَتْ وحوشُ هذه الأرْضِ ، ومرَّت بالأرْضِ المجاوِرَةِ لها ، نفرت سُكّان تلك الأرضِ مع هذه النّوافر ، ولا تعودُ تلك الصّحَارِى إلى مثل ما كانت عليه ، مِنْ كثْرَة الوَحْشِ حيناً .

ومتى لم تنفِّرها الأعرابُ بالكلابِ والقِسِىِّ ، ونَصْب الحبائل ، رتَعتْ بقُربهم ، ثمَّ دنتْ منهُمْ أوّلاً فأوّلاً ، حـتى تطأ أكنافَ بيوتهم . وهى اليوم فى حَيْرِ(٣) المعتصم بالله(٤) والواثق بالله(٥) على هذه الصّفة .

= دعت مية الأعـداد فاستبدلت بها   خناطيل آجـال من العين خـذل

وبعده سبعة أبيات ، ثم :

وكل موشاة القوائم نعجة   لها ذرع قد أحرزته ومطفل

تريع له ريع الهجان وأقبلت   لها فرق الآجال من كل مقبل

ثم البيت : « وكل أحم المقلتين » .

(١) الأغفال : التى لاعلامة فيها ولا أثر .

(٢) س : « ملوى » !.

(٣) الحير ، بالفتح : البستان ، أو الموضع المطمئن الوسط المرتفع الحروف . ومثله الحائر . جاء فى اللسان : « وبالبصرة حائر الحجاج ، معروف ، يابس لاماء فيه . وأكثر الناس يسميه الحير ، كما يقولون لعايشة : عَيْشَة . يستحسنون التخفيف وطرح الألف » . فى ط ، س : « حيز » ، هـ : « حد » صوابهما ماأثبت .

(٤) المعتصم بالله ، هو محمد بن هارون الرشيد ، بويع بالخلافة سنة ٢١٨ بعد وفاة المأمون ، وهو فاتح عمورية ، وأول من أضاف من الخلفاء اسمه إلى اسم الله تعالى . توفى بسامرا سنة ٢٢٧ .

(٥) الواثق بالله ، هو هارون بن محمد بن هارون الرشيد ، فهو ابن المعتصم . ولى بعد أبيه سنة ٢٢٧ وتوفى بسامرا سنة ٢٣٢ .

(هجرة الظِّباءِ إلى الناس)

وخبَّرنى إبراهيم بْنُ السِّنْدىّ[1] قال : خبرنى عبدُ الملك بنُ صالح ، وإسحاقُ بن عيسى ، وصالحٌ صاحبُ الموصِل ، أنّ خالدَ بنَ بَرْمَكَ ، بينا هو على سطحٍ من سُطوح القُرى مع قَحْطبَةَ[2] ، وهم يتغدّون[3] ، وذلك فى بعض منازلهم[4] ، حين فصلوا من خُراسَانَ إلى الجبل . قال : وبين قَحْطَبَةَ وبينَ الأعداء مَسِيرَةُ أيّامٍ وليال . قال : فبينا خالد يتغدّى معه وذلك حين نزلوا وبهم كلاَلُ السَّير ، وحينَ عَلّقُوا على دوابِّهم[5] ، ونصبوا قُدُورَهُمْ ، وقَرّبُوا سُفَرَهُمْ[6] .

---

(١) هو إبراهيم بن السندى بن شاهك ، يروى عنه الجاحظ كثيراً . وأبوه السندى ابن شاهك ، كان يلى الجسرين ببغداد للرشيد . انظر الجهشيارى ٢٣٦ - ٢٣٧ . وقد نعت الجاحظ إبراهيم بأنه « مولى أمير المؤمنين » . الرسائل ٤٧ ساسى .

(٢) هو قحطبة بن شبيب الطائى ، صحب أبا مسلم الخراسانى وكان شريكه فى إقامة الدعوة العباسية بخراسان ، وقاد جيوش أبى مسلم فكان مظفراً ، غرق فى الفرات سنة ١٣٢ حين ابتدأت الخلافة العباسية . ط : « قرطبة » محرفة . وقحطبة ، بفتح القاف والطاء .

(٣) أى يتناولون الغداء ، بالفتح ، وهو طعام الغدوة ، بالضم ، وهى البكرة ، أو ما بين الفجر وطلوع الشمس . س : « يتغذون » بالذال المعجمة .

(٤) بعد هذا فى س : « وذلك حين نزلوا وبهم كلال السير » ، وهو كلام مقحم سيأتى فى موضعه قريباً .

(٥) فى اللسان : « والعليق : القضيم يعلق على الدابة . وعلقها : علق عليها » . والقضيم : الشعير . ولا تزال هذه العبارة حية عندنا فى مصر ، يستعملها سواس البهائم . ط : « علفوا على دوابهم » محرفة .

(٦) السفر : جمع سفرة ، بالضم ، وهى طعام المسافر ، وتقال لتلك التى تبسط ويؤكل عليها والتى يوضع فيها طعام المسافر .

قال : فَنَظَرَ خالدٌ إلى الصَّحراءِ ، فرأى أَقَاطِيعَ الظِّباءِ قد أقبلَت من جهة الصَّحَارَى ، حتى كادت تخالِطُ العَسْكَرَ ، فقال لِقَحْطَبَةَ : أَيُّها الأمير ! نَادِ فى النَّاس : « يا خَيلَ الله ارْكَبى[1] » ؛ فإنّ العدوّ قد حَثَّ إليكَ السَّير ، وعامّةُ أصحابك لن يسرِجوا ويُلجِموا قبل أن يروا سَرَعانَ الخيل[2] . فقام قحطبة مذْعوراً ، فلما لم يرَ شيئاً يَرُوعه ، ولَمْ يَرَ غُبارا قال لخالد : ما هذا الرّأيُ ! قال : أيُّها الأمير ! لا تتشاغل بى وبكلامى ، وَنَادِ فى النَّاس[3] . أما تَرَى أقاطيعَ الوحْش قد أقبلت ، فارقت[4] مواضعَها حتَّى خالطت الناس ؟ ! إنّ وَرَاءَها جَمْعاً عظيما[5] ! . قال : فو الله ما ألجموا وَأَسْرَجُوا[6] حَتَّى رَأَوْا ساطِعَ الغَبَارِ ، ولا تلبَّسوا[7] وتسلَّحوا حَتَّى رأوا الطليعة[8] . فما التأموا حتى استوى أصحابُ قحطبَة على ظُهورِ خيولهم . ولولا نَظْرَةُ خالد بنِ برمَكَ وفِراستُهُ ، لقد كان ذلك الجيش اصطُلِم[9] .

---

(١) روى الجاحظ هذا الحديث فى أول ما اختاره « من كلام الرسول ، مما لم يسبقه إليه عربى ، ولم يشاركه فيه عجمى ، ولم يدع لأحد ، ولا ادعاه أحد ، مما صار مستعملا ومثلا سائراً » . البيان (٢ : ١٥) .

(٢) سرعان الخيل ، بالتحريك ، ويسكن : أوائلها . وفى الأصل : « وغاية أصحابك أن يسرجوا » ، صوابه من ابن أبى الحديد (٣ : ٤١٣) .

(٣) كذا فى هـ . وفى س : « ناد فى الناس » بإسقاط الواو . ط : « ونادى فى الناس » محرفة .

(٤) كذا بدون ذكر الواو قبله ، على الاستئناف . وفى ابن أبى الحديد بالواو .

(٥) س : « فظيعاً » . وفى ابن أبى الحديد : « وإن وراءها لجمعا كثيفا » .

(٦) أى وضعوا اللجم والسروج على الخيل .

(٧) تلبسوا : لبسوا ثياب الحرب .

(٨) طليعة الجيش : أولهم . س : « الطلبة » .

(٩) اصطلم الجيش ، بالبناء للمفعول : أبيد ، واستؤصل .

(قصَّة فى قوَّة الشمّ)

وكان إبراهيم [بنُ[1]] السِّندىِّ يحدِّثُنا مِنْ صدقِ حِسِّ أبيه فى الشَّمِّ ، بشيءٍ ما يحكى مثلُهُ إلاَّ عن السِّباع والذَّرِّ والنَّعام . وزعم أنَّ أباه قال ذات يوم : أجدُ ريحَ بولِ فأرة ! ثمَّ تشَمَّمَ وأجَالَ أنْفَهُ فى المجلس ، فقال : هو فى تلك الزَّاوية ! فنظروا فإذا على طرف البِساط من البلَلِ بقدْر الدِّرْهم ، أو أَوْسَعَ شيئاً ، فقضَوْا أنَّه بولُ فأرة . ٩٣٦

قال : وشَهِدْتُهُ مَرَّةً وأَشْرَاطُهُ[2] قيامٌ على رأسِه فى السِّمَاطين[3] ، فقال : أجدُ رِيحَ جَوْرَبٍ عَفِنٍ مُنْتِن ! فتشمَّمْنا بأجمعنا ، فلم نَجِدْ شَيْئاً ، ثمَّ تشمَّمَ وقال : انزَعُوا خُفَّ ذاك . فنزعوا خُفَّه ، فكلَّما مدَّ النازعُ له شيئاً بدا من لِفافته . فما زال النَّتْنُ يَكْثُفُ ويزدادُ ، حتَّى خلَعَ خُفَّهُ ونزَعَهُ مِنْ رِجْله ، فَظَهَرَ من نَتْنِ لِفَافَتِهِ ماعُرِفَ به صِدْقُ حِسِّه . ثمَّ قال : انزَعُوا الآنَ أَخْفَافَكُمْ بأجمعكم ، فلا بُدَّ من ألاَّ يكونَ فى جميع اللَّفائفِ مُنْتِنٌ غيرُ لِفافته ، أو تكونَ لِفافتُه أنتنَها ؛ فَنَزَعُوا ، فلم يَجِدُوا فى جميعها لِفافةً منتنةً غيرها .

وأَنْشَدُوا :

غزا ابْنُ عُميرٍ غَزْوةً تركت لنا ثَناءً كنَتْنِ الجوربِ المتخرِّقِ[4]

---

(١) ليست بالأصل . وانظر ما سبق فى التنبيه الأول من ص ٤٢٣ .

(٢) الأشراط : الحرس ، ومثله ماجاء فى قول حسان (اللسان : شرط) :

فى ندامى بيض الوجوه كرام نبهوا بعد هجعة الأشراط

(٣) السماطين : مثنى سماط ، بالكسر ، وهو الصف من الناس .

(٤) ابن عمير هذا ، اسمه عبد الله بن عمير ، كما سبق فى (١ : ٢٤٠) . وفيه وفى ثمار القلوب ٤٨٦ : « تركت له » . ورواية الوساطة ٢٩٩ : « لها » =

(أقوى درجات التشَّم)

وليس الذى يُحكَى من صِدق الحسِّ فى الشّم — عن بعض النَّاس ، وعن النّعام والسِّباع ، والفأر والذَّرّ ، وضروبٍ من الحشَرات — من شكل ما نطق[1] به القرآنُ العظيمُ ، من شأن يعقوبَ ويوسفَ عليهما الصلاة والسَّلام حين يقول تعالى : ﴿ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَنْ تُفَنِّدُونِ . قَالوا تَاللهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ ﴾ . وكان هذا من يعقوبَ بعد أن قال يوسفُ : ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِى هٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ . ولذلك قال : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ ، ثمَّ قال : ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ .

وإنما هذا علامةٌ ظهرَتْ له خاصة ، إذ كان النَّاسُ لا يشتمُّون أرواحَ أولادِهم[2] إذا تباعَدُوا عن أنوفهم ، وما فى طاقة الحصان الذى يجدَ ريحَ الحِجْر ممَّا يجوز الغَلوتين والثَّلاثَ[3] . فكيف يجِدُ الإنسانُ وهو بالشَّام ريحَ ابنه فى قميصه ، ساعةَ فَصَلَ من أرض مصر ؟ ! ولذلك قال : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَالاَ تَعْلَمُونَ ﴾ .

= والثناء ، بتقديم المثلثة : ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم ، وخص به بعضهم المدح ، ورواية الوساطة وثمار القلوب : « الجورب المتمزق » .

(١) كذا فى س : وفى ط ، هـ : « مما نطق » .

(٢) الأرواح ، هنا : جمع ريح ، بالكسر ، وهى بمعنى الرائحة .

(٣) أى ولا يشتمون ما فى طاقة الحصان . . . الخ . والحجر ، بالكسر : أنثى الخيل . يجوز : يزيد . والغلوة ، بالفتح : قدر رمية بسهم ، وانظر ما سبق من الكلام على تشمم الحصان فى ٤٠٢ وكذا (٢ : ١٤١) .

(بعض المجاعات)

وقد غَبَرَ موسى وهو يَسِير أرْبَعين عاماً(١) ، لايذوق ذَوَاقاً(٢) . وجاع أهل المدينة فى تلك الْحَطْمَةِ(٣) ، حتّى كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشدُّون الحَجَر على بُطُونهم ، من الجُوعِ والجَهْدِ . وكان النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله الطَّيِّبين الطَّاهرين — يقول : « إنِّى لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ ، إنِّى أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّى ، يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِى » .

(حِجَاجٌ فى ذبح الحيوان وقتله)

ورجَالٌ مِمنْ ينتحِل الإسلام ، يُظهِرُون التقذُّرَ من الصَّيدِ ، وَيَرَوْنَ أنَّ ذلكَ من القَسوة . وإنَّ أصحاب الصَّيْدِ لَتُوَدِّيهم الضَّراوةُ التى اعترتهم

(١) غبر : مكث . س ، ه : « وهو يسرى » . والوجه ما أثبت من ط . والسرى لايكون إلا بالليل . و « عاما » صوابه « يوما » . انظر الاستدراكات .

(٢) الذواق ، بالفتح : المأكول والمشروب . وفى الحديث : « لم يكن يذم ذواقا » فعال بمعنى مفعول من الذوق ، يقع على المصدر والاسم . وما ذقت ذواقاً : أى شيئاً .

(٣) الحطمة ، بالفتح والضم : الجدب والسنة الشديدة ، كأنها تحطم كل شىء . وكان النبى صلى الله عليه وسلم ، قد دعا على مضر فقال : « اللهم اشدد وطأتك على مضر وابعث عليهم سنين كسنى يوسف » . فتتابع عليهم الجدوبة والقحط سبع سنين ، حتى أكلوا القد والعظام والعلهز . فنال ذلك الجدب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وبدعائه عوقبوا ، حتى شد وشد المسلمون على بطونهم الحجارة من الجوع . تأويل مختلف الحديث ٢٦٩ ، ٣١٨ والتجريد الصريح للزبيدى (١ : ٧١) وثمار القلوب ٣٧ . وفى صحيح البخارى : « فأخذتهم سنة حصت كل شىء » . عمدة القارى (٧ : ٢٧ — ٢٨) . وقد كان هذا الأمر فى مكة قبل الهجرة ، لا فى المدينة كما ذكر الجاحظ . عمدة القارى (٧ : ٤٦ س ١٣) .

مِنْ طرُوقِ الطَّير فى الأوكار ، ونَصْب الحبائل للظِّباء ، التى تنقطع عن الخِشْفَانِ [١] حتى تموتَ هُزْلًا وجُوعا ، وإشلاء السِّباعِ على بهائم الوحش ،
١٣٧ وستُسْلِمُ [٢] أهلها إلى القَسْوة ، وإلى التهاوُن بدماء النَّاس .

والرَّحمةُ شكلٌ واحد . ومَنْ لم يَرْحَم الْكَلْبَ لم يَرْحَمِ الظَّبىَ ، ومَن لم يرْحَمِ الظبىَ لم يَرْحَم الجدْىَ ، ومَنْ لَمْ يَرْحَمِ الْعُصْفُورَ لَم يَرْحَم الصَّبِىَّ . وصغارُ الأمور تؤدِّى إلى كبارها .

وليس ينبغى لأحدٍ أن يتهاونَ بشيءٍ مما يؤدى إلى القَسْوة يوماً مَا . وأكثرُ ماسمعت هذا البابَ ، مِن ناسٍ من الصُّوفِيَّة ، ومن النَّصارى ؛ لمضاهاة النَّصارى سبيلَ الزَّنَادِقَةِ ؛ فى رفضِ الذبائح ، والْبُغضِ لإراقة الدِّماء ، والزُّهدِ فى أكل اللُّحْمَانِ .

وقد — كان يرحَمك الله — على الزِّنديق ألَّا يأتى ذلك فى سِباع الطير ، وذوات الأربع من السِّباع . فأما قتْلُ الحَيَّة والعقرب ، فما كان ينبغى لهم البَتَّةَ أَنْ يَقفوا فى قتلهما طرْفَة عَينٍ ؛ لأنَّ هذه الأمورَ لاتخلو منْ أن تكون شَرًّا صِرْفاً ، أو يكون مافيها من الخير مغْموراً بما فيها من الشَّر . والشَّرُّ شيطانٌ والظُّلمة عدُوُّ النُّور . فاستِحْياءُ الظلمة وأنتَ قادرٌ على إماتتها ، لايكونُ من عمل النُّور . بل قد ينبغى أن تكونَ رحمةُ النُّور لجميع الخلائق والنَّاس ، إلى استنقاذهما من شرور الظُّلمة .

---

(١) الخشفان : جمع غريب للخشف ، بتثليث الخاء ، وهو ولد الظبية عند ما يتحرك للمشى . ولم أر هذا الجمع فى معجم ، وجمعه فى اللسان والقاموس على « خشفة » بكسر ففتح .

(٢) أى ، وستسلم الضراوة . فى الأصل : « ستسلم » بدون واو . والمراد بالسباع هنا الحيوان المفترس من الوحش والطير ، كالكلاب والفهود والبزاة .

وكما ينبغي أن يكون حَسَناً فى العقل استحياءُ النُّور والعَمَلُ فى تخليصه والدَّفْعُ عنه ــ فكذلك ينبغى أنْ يكون قتْلُ الظُّلْمة وإماتتُها ، والعَوْنُ على إهلاكها ، وتوهينِ أمرها ــ حسناً .

والبهيمة التى يَرَوْنَ أن يدفَعُوا عنها أيضاً ممزُوجة[١] ، إلَّا أنّ[٢] شرَّها أقلُّ . فهم إذا استَبْقَوْها فقد استبْقَوا الشُّرورَ المخالطة لها .

فإنْ زعموا أنَّ ذلك إنما جاز لهم ؛ لأنَّ الأغْلَبَ على طِباعِها النُّور فلْيغتفروا فى هذا الموضعِ إدخالَ الأذى على قليل مافيها من أجزاءِ الشَّرِّ[٣] كما اغتفروا مافى إدخال الروح والسُّرور[٤] على مافى البهيمة من أجزاء الظُّلْمة لدفعهم عن البهيمة ؛ إذْ كان أكثرُ أجزائها من النُّور .

وإنما ذكرتُ ما ذكرت ؛ لأنهم قالوا : الدَّليلُ على أنَّ الذى أنتم فيه ، مِنْ أكل الحيوان كلَّ يومٍ من[٥] الذبائح ، مكروهٌ عِنْدَ الله ، أنَّـكُمْ لَمْ تَرَوْا قطُّ ذبَّاحى[٦] الحيوان ولا قَتَّالى[٧] الإنسان ، ولا الذين لايقْتاتون إلَّا اللَّحْمَان يفلحون[٨] أبدا . ويستغنون[٩] ؛ كنحو صيَّادِى السَّمك وصيَّادى الوحْش[١٠] وأصناف الجزَّارِين والقَصَّابين ، والشَّوَّائين والطهَّائين

(١) أى ممزوج فيها الخير بالشر .

(٢) س : « لأن »، صوابه فى ط ، هـ .

(٣) فى الأصل : « الخير » ، والصواب عكسه ، كما يقتضى الكلام .

(٤) الروح ، بالفتح : الرحمة . و « السرور » هى فى أصلها « الشرور » مصحفة .

(٥) ط : هـ : « ومن » . والوجه حذف الواو كما فى س .

(٦) هـ : « ذبايح » محرفة . ط : « ذابح » وأثبت ما فى س لملاءمته نسج الكلام .

(٧) ط فقط : « قتال » .

(٨) س ، هـ : « لا يفلحون » . والوجه إسقاط « لا » كما فى ط .

(٩) فى الأصل : « ولا يستغنون » .

(١٠) جاءت كلمة « صياد » فى الموضعين : « صيادى » بحذف الياء الآخرة . والوجه إثباتها .

والفهَّادِين(١) والبيَازِرة(٢) والصَّقَّارين والكلابين ؛ لا ترى أحداً منهم صار إلى غِنًى ويُسْرٍ ، ولا تراهُ أبداً إلا فقيراً مُحَارَفاً(٣) ، وعلى حالٍ مشبِهَةٍ بحاله الأولى .

وكذلك الجلَّادون ، ومن يضرِبُ الأعناق بين يَدَى المُلوك . وكذلك

١٣٨ أصحابُ الاستخراج(٤) والعذابِ ، وإن أصابوا الإصابات ، وجميع أهل هذه الأصناف .

نَعَمْ وحتَى ترى بعضَهم وإن خَرَج نادِرًا خارجيًّا ، ونال منهم ثَروةً وجَاهاً وسُلطاناً ، فإمَّا أن يُقْتَلَ ، وإمّا أنْ يُغْتَصَبَ(٥) نَفْسَهُ بميتَةٍ عاجلة ، عندَ سرورِه بالثَّروة ؛ أو يبعث الله عليه المحق(٦) فلا يَنْمُو له شيء ، وإما ألَّا يجعل مِنْ نسلهم عَقِباً مذكوراً ، ولا ذِكْراً نبيهاً وَذُرِّيَّةً طَيِّبَة مثل الحجَّاج بن يوسف ، وأبى مسلم(٧) ، ويزيد بن أبى

(١) الفهاد : الذى يصطاد بالفهد ، ذاك الحيوان .

(٢) البيازرة ، بتقديم الزاى : جمع بيزار . وبيزار : معرب بازيار ، الفارسية ، وهو القائم بأمر البازى . انظر الصحاح واللسان . ط : « البيازة » هـ : « البيارزة » س : « البيازرة » ، محرفات عما أثبت . وقد جاءت على الصواب فى ص ٤٣٥ .

(٣) المحارف ، بفتح الراء : المحدود المحروم .

(٤) انظر للاستخراج ، وهو استصفاء أموال المختلسين ، حواشى البيان ٢ : ٤٣ ، ١٦٦ .

(٥) ط ، هـ : « يغصب » ، وأثبت ما فى س .

(٦) المحق ، بالفتح : النقصان ، وذهاب البركة . س : « المحو » .

(٧) يعنى أبا مسلم الخراسانى . وهو عبد الرحمن بن مسلم ، القائد المشهور ، الذى قام بتأسيس الدولة العباسية ، توفى سنة ١٣٧ وله من العمر سبع وثلاثون سنة ، قتله أبوجعفر المنصور .

مسلم[١] ومثل أبي الوعد[٢] ، ومثل رجالٍ ذكروهم لانحبُّ أن نسميهم .

قال : فإنَّ هؤلاء مع كثرة الطَّرُوقَةِ[٣] وظُهورِ القدْرة ، مع كثرة الأنسال ، قد قَبَحَ اللهُ أمرَهم ، وأخْمَلَ أولادهم . فهم بين مَنْ لم يُعقِبْ ، أو بَيْنَ مَنْ هوَ في معنى مَن لم يُعقب .

فقلت للنَّصارَى بديًّا : كيف كان النَّاسُ أيَّام الحُكم بما في التَّوْراة أيَّامَ[٤] موسى ودَاودَ ، وهما صاحبا حُروبٍ وقَتْلٍ ، وسِبَاءٍ وذبائحَ ؟ ! نعم حتى كان القُربان كُله أو عامَّتهُ حيواناً مذبوحاً ، لذلك سَمَّيتم بيت المَذْبَحِ .

ولسْنَا نسألكم عن سِيرَة النَّصارى اليومَ ، ولكِنَّا نسألُكُمْ عن دين موسى وحُكْمِ التَّوْرَاةِ ، وحُكْمِ صاحب الزَّبور . وما زالوا عندكم إلى أن أنكروا رُبُوبيَّةَ المسيح ، على أكثرَ من حالنا اليومَ في الذبائحِ .

وأنتم في كثيرٍ من حالاتكم تُغْلُونَ علينا السَّمَكَ حتَّى نتوخَّى أيَّاماً بأعيانها ، فلا نشترى السَّمَكَ إلا فيها ؛ طلباً للإمكانِ والاسترْخَاص وهي يومُ الخميس ، ويومُ السبت ويومُ الثُّلاثاء ؛ لأن شراءكم في ذلك

(١) يزيد بن أبي مسلم ، هو يزيد بن دينار الثقفي ، كان مولى الحجاج بن يوسف وكاتبه ، ولما حضرت الحجاج الوفاة استخلفه على الخراج بالعراق ، فلما مات أقره الوليد بن عبد الملك . وقال الوليد في شأنه : « مثلي ومثل الحجاج وابن أبي مسلم ، كرجل ضاع منه درهم فوجد ديناراً ! » . قتل يزيد سنة ١٠٢ . وفيات الأعيان (٢ : ٢٧٦ - ٢٧٧). وفي س ، ط : « يزيد بن مسلم » . هـ : « زيد بن مسلم » ، صوابهما ما أثبت . وسيأتي على الصواب في ص ٤٣٥ — ٤٣٦ .

(٢) كذا جاء . ولم أجد له تعريفا .

(٣) الطروقة ، بالفتح : المرأة ، والزوجة .

(٤) س : « وأيام » .

اليوم يَقِلُّ . على أنّكم تُكْثِرُونَ مِنَ الذَّبائح فى أيَّام الفِصْح[1] وهل تَدَعُونَ أكل الحيوان إلّا أيَّاماً معدُودةً ، وساعاتٍ مَعْلُومةً ؟ !

فإذا كانت الحِرْفةُ والمِحَنُ إنما لزِمَا القصَّابين والجزَّارين والشَّوَّائين ، وأصنافَ الصَّيَّادين ، من جهة العقوبة — فأنتمْ شركاءُ صيَّادِى السَّمَكِ خاصَّةً ؛ لأنّكم آكَلُ الخلْقِ له ، وأنتم أيضاً شُرَكاءُ القصَّابين فى عامَّةِ الدّهْرِ . فلا أنتم تَدِينُون للإسلام فتعرفوا ما عليكم ولكم ، وفصْل[2] مابين الرّحمةِ والقَسوة ، وما الرَّحمةُ ، وفى أىِّ موضعٍ يكونُ ذلك القتلُ رحمةً ؟ فقد أجمعوا على أنَّ قَتْلَ الْبَعْض إحياءٌ للجميع ، وأنَّ إصلاحَ النّاس فى إقامةِ جزاءِ الحسنة والسيئة . ﴿وَلَكُمْ فى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ[3]﴾ .

والْقَوَدُ حَيَاةٌ . وهذا شىءٌ تَعْمَلُ به الأممُ كلها ، غيرَ الزَّنَادِقَةِ . والزَّنَادِقَةُ لم تَكُنْ قَطُّ أُمَّةً ، ولا كان لها مُلْكٌ وَمَمْلَكَةٌ ، ولَمْ تزَلْ بيْنَ مَقْتُولٍ وهاربٍ ومنافقٍ . فلا أنتم زَنَادِقَةٌ . ولا ينكر لمن كان ذلك مَذْهَبَهُ أن يقول هذا القَوْلَ .

فأنتم لادهرِيَّة[4] ، ولا زَنَادِقَةٌ ، ولا مُسلمون ؛ ولا أنتم رَاضُونَ بحُكمِ اللهِ أيّام التّوراة .

١٣٩ فإن كان هذا الحكمُ قد أمرَ الله به — وهو عَدْلٌ — فليس بين الزّمانَيْنِ فرق .

---

(١) الفصح ، بالكسر : عيد للنصارى . انظر القاموس وبلوغ الأرب . (١ : ٣٥٧) والتنبيه والإشراف ١٠٨ ، ١٢٣ والاستدراكات .

(٢) فصل : أى فرق . فى الأصل : « فضل » ، وهو تصحيف يتكرر .

(٣) هـ : « ولكم فى القصاص » . وهو سهو من الكاتب .

(٤) سبق شرح هذه الكلمة فى ص ٧٩ — ٨٠ .

وَبَعْدُ فَإِنَّا نَجِدُكم تأكُلُونَ السَّمك أكلاً ذَرِيعا ، وتتقذرون من اللّحام ! أفلأنَّ السّمك لا يألَمُ القتلَ ، أم لأنَّ السَّمكَ لمَّا قتلتمُوه بلا سِكّين لم يُحِسّ[1] قَتلَهُ ؟ ! فالجميع حيوانٌ ، وكلٌّ مقتول يألَمُ ، وكلٌّ يُحِسّ . فكيف صار أكْلُ اللَّحمِ قَسْوَةً ، وَأكْلُ السَّمَكِ ليْسَ بقسْوة ؟ ! . وكيف صار ذَبْحُ البهائمِ قسوة ، ولا تكون تفرِقَةُ ما بين السَّمَكِ والماء حَتّى تَموت[2] قسوة ! وكيف صار ذَبحُ الشّاةِ قَسوَةً وصيدُ السمك بالسّنانير المذرّبة المعقّفة[3] ليس لها شعائر تخالف العقاف المنصوص[4] فى جهاتها . وكيف وهى وإنْ لم تنشَبْ فى أجوافها ، وتَقْبِضْ على مجامع أرواحِها ، لم تقدِرْ على أخْذِها ؟ !

وكيف صار وَجْءُ اللَّبّة[5] من الجَزُور أقسى من ضَرْب النبائل[6] ؟ ! أم كيف صار طَعْن العَير[7] بالرُّمح ، ونصبُ الحبائل للظّباء ، وإرسالُ الكِلابِ عليها أشَدُّ مِنْ وقع النّبائل[8] فى ظَهْرِ السّمَك ؟ !

---

(١) ط : « يحسن » ، صوابه فى س ، هـ .

(٢) المراد بالتفرقة الصيد . تموت : أى تموت السمك . س فقط : « يموت » بالياء . وكل جائز .

(٣) المذربة : المحددة . والمعقفة : الملوية .

(٤) كذا جاءت العبارة محرفة فى الأصل . بيد أنه فى ط : « العقاب » مكان « العقاف » .

(٥) وجء اللبة : طعنها بالسكين . واللبة ، بالفتح : المنحر ، أى موضع النحر . س ، هـ : « وحاء » ، ولم أجد هذه إلا بمعنى لا يلائم هذا الموضع . ط : « وجأ » محرفة . ط : « اللبة » ، صوابها فى س ، هـ .

(٦) كذا فى ط ، هـ . وفى س : « التبابل » بهذا الإهمال .

(٧) العير ، بالفتح : الحمار الوحشى .

(٨) كذا . ولعلها : « النبال » : جمع نبل ، بمعنى السهام .

ولأنكم تكثرون قولكم : لا نأكل شيئاً فيه دمٌ أيّامَ صومِنا ، فالسَّمك دمٌ ، ولا بدَّ لجميع الحيوان من دمٍ أو شيءٍ يُشاكِلُ الدَّم ، فما وجْهُ اعتلالِكم بالدَّم ؟! أَلِأَنَّ[1] كلَّ شيءٍ فيه دمٌ فهُوَ أشدُّ ألماً ؟ فكيف نعلم ذلك؟ وما[2] الدَّليلُ عليه ؟

فإن زعمتم أنَّ ذلك داخلٌ في باب التعبُّدِ والمصْلَحة ، لا في باب القِياسِ والرَّحْمَةِ والقَسْوة ، فهذا باب آخر . إلاَّ أنْ تدَّعُوا أنَّ ذواتِ الدِّماء[3] أقوى للأبدان ، وآشَرُ[4] للنُّفوس ، فأردتم بذلك قلّة الأشَرِ وضَعْفَ البدن . فإنْ كان ذلك كذلك فقد ينبغي أنْ يكونَ هذا المعنى مُستبيناً في آكِلِي السَّمَكِ من البحريين[5]

وأمّا ما ذكَرْتُم مِنْ مُلازمَةِ الحِرْفَةِ لهؤلاء الأصْناف ، فإنَّ كلَّ مَنْ نزلَتْ صِناعَته ، ودَقَّ خَطَرُ تجارَتِه ، كذلك سَبيله .

وأحلُّ الكَسْب كلّه وأطْيَبُه عِنْدَ جميعِ النّاسِ سَقْيُ الماء ، إمَّا على الظَّهر ، وإمّا على دابَّة . ولم أرَ سَقَّاءً قطُّ بلَغَ حالَ اليسارِ والثَّروة . وكذلك ضَرَّابُ اللَّبِنِ ، والطَّيّانُ والحرّاثُ . وكذلك ما صَغرَ من التِّجاراتِ والصِّناعاتِ .

ألا ترون أنَّ الأموالَ كثيراً ما تكونُ عند الكتَّاب ، وعندَ أصحاب الجَوهرِ ، وعندَ أصحابِ الوَشْيِ والأنماط[6] ، وعند الصّيارفَةِ

---

(١) في الأصل : « ألا أن » .
(٢) في الأصل : « وأما » .
(٣) يعني بذوات الدماء : ماسوى السمك . وفي الأصل : « دواب الماء » .
(٤) آشر : أفعل من الأشر بالتحريك ، وهو المرح والنشاط . في الأصل : « أسر » وانظر السياق .
(٥) في الأصل : « في أكل السمك من البحرين » ، محرفة .
(٦) الأنماط : ضرب من البسط .

والحنّاطين(١) ، وعند البحريِّين والبصريين(٢) . والجلّابُ أبدا(٣) ، والبيازِرَة(٤) أيسر ممّنْ يَبْتَاع منهم .

وجُمَلُ الأموالِ حَقٌّ(٥) بأنْ تُربحَ الجُمَلَ مِنْ تفاريق الأموال . وكذلك سبيل القصّاب والجزّار ، والشَّوّاء ، والبازيار(٦) ، والفهّاد .

وأمّا ما ذكرتم من انقطاعِ نَسْلِ القُساةِ ، وخمولِ(٧) أولادِهم ، كانقطاع نسْل فِرعَونَ ، وهامان ، ونُمرُود(٨) ، وبُخْت نَصّر(٩) ، وأشباههم ، فإنّ الله يقول : ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ . ١٤٠

وإن شئتم أن تعدّوا من المذكورين بالصَّلاَحِ أكثَرَ مِن هؤلاء ممّن كان عقيما أو كانَ ميناثاً(١٠) ، أو يكونَ ممّنْ نَبَتَ لهم أَوْلاَدُ سَوْءٍ عقّوهُمْ في حياتهم ، وعرّضوهُمْ للسَّبِّ بعد موتهم — لوجَدْتمُوهُمْ .

وعلى أني لم أَنْصِبْ نَفسى حَرْباً لِلحَجّاجِ(١١) بن يوسف ، ويزيد

---

(١) الحناط : بائع الحنطة ، وهي بالكسر : البر .

(٢) كذا .

(٣) المراد بالجلاب : من يجلبون الرقيق والعبيد للتجارة فيها . و « أبدا » كذا في الأصل ، وقد تكون صحيحة . أو لعلها « أثرى » من الثراء ، وهو الغنى واليسر .

(٤) سبق الكلام على البيازرة في ص ٤٣٠ .

(٥) هي صحيحة . يقال : هو حق بكذا ، أي جدير به . انظر القاموس .

(٦) البازيار : من يتعهد البازي ويعتني به . وفي الأصل : « البازباز » مصحفة .

(٧) الكلام من مبدإ : « وجمل الأموال حق » إلى هنا ، ساقط من ه .

(٨) نمرود ، بالضم : جبار من الجبابرة ، ظهر إبراهيم عليه السلام في زمنه . وانظر الاستدراكات .

(٩) هو ذاك الطاغية المشهور الذي خرب بيت المقدس . ولي ملك بابل سنة ٦٠٦ قبل الميلاد .

(١٠) كذا بالياء ، وأصلها الهمز ، والمئناث : من لا يولدله إلا الإناث .

(١١) الحرب : المحارب . ولعله يريد بذلك : مدافعاً عن الحجاج ، وانظر ما سبق في ٤٣٠ .

ابن أبي مسلم[١] ، أتحرى بهما[٢] ، وهما عِندى من أهل النَّارِ . ولكِنى عرَفْتُ مَغْزاكم .

وعلى أنَّكُمْ ليسَ القَصَّابينَ أرَدْتُمْ ، وَلكِنَّكُمْ أرَدْتُمْ دِينَ المسلمين .

وَقَدْ خَرَجَ الحجَّاجُ من الدُّنياَ سَليماً فى بَدَنِهِ ، وظَاهِرِ نعمته ، وعلىٌ مرتَبَتِهِ من الملْك ، ومَكانِهِ من جَوازِ الأمْرِ وَالنَّهْى[٣] .

فإنْ كان الله عِنْدَكُمْ سَلَّمَهُ وَعاقَبَ أولاده ، وكان ذلك دينَكم فإنَّ هذا قولُ إن خاطبتم به الجبْرِيَّةَ[٤] فعسى أن تتعلَّقوا منهمْ بسبب، فأمّا مَنْ صَحَّحَ القَوْلَ بالْعَدْل[٥] فإنَّ هذا القولَ عِنْده من الخطأ الفاحش الذى لاَ شبهَةَ فيه .

(شعر فى القانص وفقره)

وكان ممَّا أنشدوا من الدَّليل على أنَّ القانِصَ لا يزالُ فقيراً — قَوْلُ ذى الرمَّةِ :

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٤٣١ .

(٢) كذا بالأصل . ولعله : « أتحدى بهما » ، فيكون مراده أنهما لا يصلحان لأن يتحدى بهما ، أو يدافع عنهما .

(٣) جوار الأمر والنهى : نفوذهما .

(٤) الجبر ، هو نفى الفعل حقيقة عن العبد ، وإضافته إلى الرب تعالى . والجبرية أصناف . فالجبرية الخالصة هى التى لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا . والجبرية المتوسطة التى تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة . فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثراً ما فى الفعل ، وسمى ذلك كسباً ، فليس بجبرى . والمعتزلة يسمون من لم يثبت للقدرة الحادثة فى الإبداع والإحداث استقلالا — جبريا . الملل والنحل (١ : ١٠٨) .

(٥) يعنى المعتزلة ، وهم يسمون أهل العدل . يقولون : إن الله منزه أن يضاف إليه =

حَتَّى إِذَا مَالَهَا فِى الجَدْرِ وَاتَّخَذَتْ شَمْسُ النَّهَار شُعَاعاً بينها طِبَبُ(١)
ولاَحَ أَزْهَرُ مَشْهُورٌ بِنُقْبَتِــهِ كَأَنَّهُ حِينَ يَعْلو عَاقِرًا لَهَبُ(٢)
هَاجَتْ بِهِ جُوَّعٌ طُلْسٌ مُخَصَّرَةٌ شَوَازِبٌ لاَحَهَا التَّقْرِيب والخَبَبُ(٣)
جُرْدٌ مُهَرَّتَةُ الأَشْــدَاقِ ضَارِيَةٌ مثلُ السَّرَاحِين فى أعناقها العَذَبُ(٤)

= شر وظلم ، وفعل هو كفر ومعصية ؛ لأنه لو خلق الظلم كان ظالما ، كما لو خلق العدل كان عادلا . الملل والنحل (١ : ٥٦) .

(١) لها : غفل . يعنى ثورا وحشياً . والجدر ، بالفتح : نبت رملى . والشعاع ، بالضم : ضوء الشمس الذى تراه عند ذرورها كأنه الحبال أو القضبان مقبلة عليك . والطبب ، كعنب : جمع طبة ، بالكسر ، وهى الطريقة من طرائق الشعاع . وأصل الطبة السير الذى يخرز به . س : « إذا رابها » هـ : « إذا نابها » ، محرفتان صوابهما فى ط والديوان ٢٣ ، وجمهرة أشعار العرب ١٨٣ ، واللسان (طبب) . س ، هـ « فى الخدر وانحدرت » تصحيحه من الديوان واللسان . وفى اللسان : « وانحدرت » محرفة . ط والجمهرة : « بالجدر » وهى صحيحة . س ، ط : « قبب » هـ : « طنب » ، صوابهما فى الديوان والجمهرة واللسان .

(٢) لاح : ظهر ، وأشرق . س ، هـ : « ناب » محرفة . وأثبت ما فى ط والديوان وجمهرة أشعار العرب واللسان (نقب) . والأزهر : الأبيض . وأراد به الصبح . والنقبة ، بالضم : اللون . فى الجمهرة : « معروف بنقبته » . يعلو عاقراً : أى يرتفع فى رملة لا تنبت شيئاً ، شبهت بالعاقر من الناس : الرجل والمرأة اللذين لا يلدان . وقد شبه الصبح بلهب النار . جاء فى جمهرة أشعار العرب : « منهم من يقول إنه يعنى الفجر ، ومن يقول إنه يعنى به الثور » .

قلت : ممن جعله يعنى الثور صاحب اللسان ، فإنه قال : « يصف ثوراً » .

(٣) يقول : أولعت بذاك الثور كلاب جائعة ، فى لونها غبرة إلى سواد ، قد ضمرت خواصرها . ط وجمهرة أشعار العرب : « هاجت به عوج » وفى الجمهرة والديوان : « زرق مخصرة » . والشازب ، بالزاى : الضامر اليابس . س : « شواذب » بالذال ؛ مصحفة . لاحها : هزلها وغيرها . والتقريب والخبب : ضربان من العدو . وفى الديوان : « التغريث والجنب » . التغريث : التجويع . والجنب بالتحريك : أن يشتد عطش الحيوان حتى تلزق رئته بجنبه . وأصله فى الإبل .

(٤) جرد : جمع أجرد ، وهو القليل الشعر . وفى الديوان واللسان (عذب) : =

ومُطعَمُ الصَّيْدِ هَبّالٌ لِبُغْيَتِهِ   ألْفَى أبَاهُ بِذَاكَ الْكَسْبِ يَكْتَسِبُ(١)

مقزَّعٌ أَطْلَسُ الأطمَارِ لَيْسَ له   إلاّ الضِّرَاءَ وَإلاّ صَيْدَهَا نَشَبُ(٢)

فانصاعَ جَانِبَهُ الوَحْشِيَّ وَانْكَدَرَتْ   يلحبن لا يأتلى المطلوبُ والطَّلَبُ(٣)

قال: فجعله كما ترى مقزَّعاً أطلسَ الأطمار، وخبَّرَ أنّ كِلاَبَه نشبُه، وأنّه ألفَى أباه كذلك.

وأنشَدُوا فى ذلك قول الآخر:

= « غضف ». مهرتة الأشداق: واسعتها. والسراحين: الذئاب، واحدها سرحان، بالكسر. والعذب: سيور تشد فى أعناق الكلاب، واحدها عذبة، بالتحريك.

(١) مطعم الصيد: أى رجل طعمته وحرفته الاصطياد، فهو مرزوق منه. ومطعم، بضم الميم وفتح العين، قال امرؤ القيس:

مُطْعَمٌ للصَّيْدِ ليس لَهُ   غَيْرَهَا كَسْبٌ على كِبَرِه

هبال، من الاهتبال، وهو سرعة الأخذ. والبغية، بالضم: الطلبة. والطلبة بفتح، فكسر: مايطلبه المرء. س، ه: « هتاك لنقبته » محرفة. وفى جمهرة أشعار العرب: « هباش لبغيته ». ألفى أباه، يقول: هو صائد ابن صائد، فذاك أمهر له.

(٢) مقزع: خفيف الشعر. أطلس: أغبر. والأطمار: جمع طمر بالكسر، وهو الثوب الخلق البالى. والضراء، بالكسر: جمع ضرو بالكسر أيضاً، وهو الضارى. عنى بها الكلاب. وصيدها: أى ماتصيده الكلاب من الوحش. والنشب، بالتحريك: المال.

(٣) انصاع: ذهب سريعاً. جانبه: أى على جانبه. والجانب الوحشى: الأيمن من الدابة، وقيل الأيسر. انكدرت: أى انقضت. وضميره للكلاب. يلحبن: يسلكن طريقا لاحباً ممهدا. أو يمررن مراً سريعاً. لا يأتلى: أى لا يترك جهداً ولا يخفض من جريه. والمطلوب، عنى به الثور. والطلب، بالتحريك: جمع طالب، وهو من نادر الجمع. وقد أراد به الكلاب. س، ه: « واتصلت بحيث لا يأبأ » تحريف ما أثبت من ط والديوان وجمهرة أشعار العرب، واللسان (صوع، لحب، طلب).

وأعْصمَ أنْسَتْهُ المنيّـةُ نَفْسَهُ رعَى النَّبْـعَ والظَّيَّانَ فى شاهقٍ وَعْرِ (١)
مَوَارِدُهُ قَلْتٌ تصفِّقُه الصَّبَا بنِيقٍ مزُلٍّ ، غيرُ كدْرٍ ولانَزْرِ (٢)
قَرَتْهُ السَّحابُ ماءها ، وتَهدَّلَتْ عليه غُصونٌ دانياتٌ من السُّمْرِ (٣)
أُتيحَ له طِلْحٌ إزَاهُ بكفِّه هَتُوفٌ وأَشْبَاهٌ تُخُيِّرْنَ مِنْ حَجْرِ (٤)
أبو صِبْيةٍ لا يَسْتدِرُّ إذا شَتَا لَقُوحاً ،ولا عَنْزاً ،وليس بذىوَفْرِ (٥)

---

(١) أعصم : يعنى وعلا بإحدى يديه بياض . س : « وأعظم » مصحفة . أنسته المنية نفسه ، أى أعماه قدر الموت عن الحذر . والنبع والظيان : من أشجار الجبال . وفى الأصل : « النبت والطيان » محرف .

(٢) القلت : نقرة فى الجبل تمسك الماء . تصفقه : تضربه . والصبا : ريح شرقية . والنيق ، بالكسر : أعلى موضع فى الجبل . مزل : تزلق عليه الأقدام ولا تثبت . س : « مزك » . وغير كدر ، صفة للقلب . وقد أسكن الدال للشعر .

(٣) تهدلت : تدلت . والسمر : نبات ، وهو بضم الميم . وأسكنها للشعر .

(٤) أتيح له : أى قدر . والطلح ، بالكسر : المعيى . أراد صائداً . وإزاه : أى سبب عيشه . والإزاء ، بكسر الهمزة والمد ، وقصره الشعر . فى الأصل : « أذاه » مصحفة . والهتوف : القوس المرنة المصوتة . قال الشنفرى :

هتوف من الملس المتون يزينها رصائع قد نيطت إليها ومحمل

وقال الشماخ :

هتوف إذا ما جامع الظبى سهمها وإن ريع منها أسلمته النوافز

ط ، س : « خنوف » ﻫ : « حتوف » صوابهما ما أثبت . وأشباه : أى سهام متشابهة طبعت على غرار واحد . وحجر ، بالفتح : قصبة اليمامة ، تنسب إليها السهام والنصال ، قال الراعى :

توخَّى حَيْثُ قَالَ القَلْبُ منه بحَجْرِيٍّ ترى فيه اضطمارا

أى نصل منسوب إلى حجر . أبو حنيفة : « وحدائد حجر مقدمة فى الجودة » . وقال رؤبة :

حتَّى إذا تَوَقَّدَتْ من الزَّرَقْ حجْرِيَّةٌ كالجمْرِ مِنْ سَنِّ الذَّلَقْ

(٥) يقول : له صبية ، فهو يسعى جاهداً ليحصل على ما يقوتهم به من صيد . والقلوح =

١٤١ لَهُ زَوْجَةٌ شَمْطَاءُ يَدْرُجُ حَوْلَهَا فَطِيمٌ تُنَاجِيه ، وَآخَرُ فى الحِجْرِ (١)

مُشَوَّهةٌ لم تَعْبَ طيباً ولم تَبِتْ تقتِّر هندِيًّا بلَيْلٍ على جَمْرِ (٢)

مُحَدَّدَةُ الْعُرْقُوبِ ثَلْمٌ نَابُهَا تَعَرَّقُهَا الأَوْذَارَ مِنْ فِقَرِ الحُمْرِ (٣)

مُسَفَّعَةُ الخَدَّيْنِ ، سُوَّدَ دِرْعُهَا تقدُّرها باللَّيلِ ، والأَخْذُ بالقِدْرِ (٤)

كغُولِ الفلاةِ لم تُخضِّبْ بَنَانَهَا ولم تَدْرِ مَا زِيُّ الخرائدِ بالمِصْرِ (٥)

فَأَرْسَلَ سهْمًا أرهَفَ القَيْنُ حَدَّهُ فَأَنْفَذَ حِضْنَيْهِ فَخَرَّ على النَّحْرِ (٦)

= بالفتح : الناقة الحلوب . يقول : ليس له لقوح فيستدرها . واختار الشتاء لما أنه وقت المجهدة والعسر عندهم . وإنما يخصبون فى الربيع . ط : « يستدرا » صوابه فى س ، هـ . الوفر ، بالفتح : الغنى .

(١) أى فى حجرها . والشمطاء : التى يخالط سواد شعرها بياض . وهو يصور بذلك كثرة عيال الصائد .

(٢) لم تعب طيباً : لم تهيئه ولم تخلطه . يقال عبأ الطيب يعبؤه ، من باب منع : صنعه وخلطه . فأصله الهمز كما رأيت ، فلما سهلها بالألف ، عامله كالمعتل . والهندى : أراد به العود الهندى الذى يتبخر به . والتقتير : تهييج القتار ، وهو بالضم : ريح البخور .

(٣) العرقوب ، بالضم : عصب غليظ فوق عقب الرجل . ثلم نابها : كسر حرفه . والتعرق : أكل ما على العظم من اللحم . والأوذار : القطع الصغيرة من اللحم . وفى الأصل : « الأوزار » صوابه بالذال كما أثبت . والفقر ، كعنب : جمع فقرة ، بالكسر ، وهى الواحدة من عظام الصلب . هـ : « نقر » محرفة . والحمر ، أصله الحمر بضمتين : جمع حمار . عنى ما يصطاده زوجها من حمر الوحش . وسكن الميم لضرورة الشعر .

(٤) مسفعة : مسودة . هـ : « مسقعة » محرفة . والدرع ، بالكسر : القميص . والتقدر ، مثل معناه الطبخ فى القدر ، ولم يذكره صاحبا اللسان والقاموس . وفى اللسان : « قدر القدر يقدرها ويقدرها قدراً . واقتدر أيضاً بمعنى قدر » . ط ، س : « تقذرها » ، وأثبت ما فى هـ .

(٥) الزى ، بالكسر : الهيئة . والخرائد : جمع خريدة ، وهى البكر لم تمسس ، أو الخفرة الطويلة السكوت ، الخافضة الصوت ، المستترة .

(٦) القين ، بالفتح : الحداد . أنفذ حضنيه : خرق جنبيه . والحضن ، بالكسر : الجنب . والنحر ، بالفتح : أعلى الصدر .

(مُساءلة المنانيَّة)

كان أبو إسحاقَ يسأل المنانيَّة(١) ، عن مسألةٍ قريبة المأخَذِ قاطعة ، وكان يزعُمُ أنها ليست له .

وذلك أنَّ المنانيَّةَ تزعَمُ أنَّ العالَمَ بما فيه ، من عشرةِ أجناس : خمسةٌ منها خيرٌ ونورٌ ، وخمسةٌ منها شرٌّ وظلمَة . وكلُّها حاسَّةٌ وَحارَّة .

وأنَّ الإنسانَ مركَّبٌ مِنْ جميعِها على قدْر ما يكونُ في كلِّ إنسان من رُجْحانِ أجناس الخَيرِ على أجْنَاس الشَّرِّ ، [ورُجْحانِ(٢)] أجْنَاس(٣) الشَّرِّ على أجناسِ الخير .

وأنَّ الإنسانَ وإن كان ذا حَواسٍّ خمسةٍ(٤) ، فإنَّ في كلِّ حاسَّةٍ متوناً(٥) من ضِدِّه من الأجْناس الخمسة . فمتى نَظَرَ الإنسانُ نظْرَةَ رحمة فتلك النَّظْرَةُ من النُّور ، ومن الخير . ومتى نَظرَ نَظْرَةَ وعيدٍ ، فتلك النَّظْرَةُ من الظلمة . وكذلك جميع الحواسِّ .

وأنَّ حاسَّة السَّمعِ جنسٌ على حِدَةٍ ، وأنَّ الذى فى حاسَّة البصر من الخير والنُّور ، لا يعين الذى فى حاسَّة السَّمع من الخيرِ ولكنه لا يضادُّه(٦) ،

(١) المنانية : أتباع مانى . انظر ما سبق ص ٨١ . وقد أسهب القول ابن النديم فى تفصيل مذهبه · الفهرست ٣٢٧ - ٣٣٧ ليبسك ٤٥٦ - ٤٧٢ مصر .

(٢) ليست بالأصل . وبها يصلح الكلام .

(٣) فى الأصل : « فاحتاج » . ووجهه ما أثبت .

(٤) كذا . وهى صحيحة ؛ فإن المعدود إذا وصف بالعدد جاز فى العدد المطابقة وعدمها . الصبان ٤ : ٦١ .

(٥) كذا فى الأصل .

(٦) ط ، هـ : « يضاره » بالراء . وأثبت ما فى س .

ولا يُفاسِدُهُ ، ولا يمنعه . فهو لايعينه[1] لمكان الخِلاف والجِنس ، ولا يعين عليه ؛ لأنَّهُ ليس ضِدًّا .

وأنَّ أجناسَ الشَّرِّ خلافٌ لأجناس الشَّرِّ ، ضِدٌّ لأجناس الخير . وأجناسَ الخيرِ يخالفُ بعضها بَعْضاً ولا يضادُّ . وأنَّ التَّعاونَ والتآدِى[2] لا يقعُ بين مختلِفِها ، ولا بين متضادِّها[3] ، وإنما يَقعُ بين متفقها .

قال : فيقال للمنانيِّ : ما تقول فى رَجُل قال لرجُلٍ : يا فلان ، هل رأيت فلانا ؟ فقال المسئول : نعم قد رأيته . أليسَ السَّامعُ قد أدَّى إلى النَّاظِرِ ، وَالنَّاظِرُ قد أدَّى إلى الذَّائقِ ؟ ! وإلاَّ فلِمَ قال اللِّسَانُ نَعَمْ ! إلاَّ وقد سَمِعَ الصَّوْتَ صاحبُ اللِّسَانِ ؟ !

وهذه المسألة قصيرةٌ كما ترى ، ولا حِيلةَ له بأنْ يَدْفَعَ قَوْلَهُ .

(مُساءلَة زنديق)

ومسألةٌ أخرى ، سأل عنها أميرُ المؤمنين[4] الزِّنديقَ الذى كان يكنى بأبى علىّ ، وذلك عندما رأى من تطويلِ مُحمَّدِ بن الجهم[5] وعجْز العُتبى[6] وسوءِ فهم[7] القاسم بن سَيَّار[8] ، فقال له المأمون : أَسأَلُكَ عن حَرفين

(١) س : « يمنيه » ومع إسقاط « لا » . هـ : « لا يمينه » . وصوابهما ما أثبت من ط .

(٢) التآدى : التعاون . وفى الأصل : « التأذى » ولا يستقيم به المعنى .

(٣) س ، هـ : « مضادها » .

(٤) يعنى الخليفة « المأمون » كما سيأتى فى الكلام .

(٥) هو محمد بن الجهم البرمكى ، الذى أسلفت ترجمته فى (٢ : ٢٢٦) .

(٦) هو محمد بن عبد الله العتبى . وقد تقدمت ترجمته فى (١ : ٥٤) .

(٧) فى الأصل : « وسوقهم » وهو تحريف .

(٨) القاسم بن سيار ، ذكره الجاحظ فى الرسائل ٢٤ ساسى ، فيمن كانوا يغشون دار الخلافة . وأجرى له ذكراً فى ٢٦ ، ٢٧ من الرسائل .

فقط . خبِّرنى : هل ندِم مُسىءٌ قَطُّ على إساءته ، أو نكون نحنُ لم نندَمْ
على شيءٍ كان منّا قط ؟ ! قال : بل ندِم كثيرٌ من المسيئينَ على إساءتهم . ١٤٢
قال : فَخَبِّرْنِى عن النَّدَم على الإساءة ، إساءةٌ أو إحسان ؟ قال : إحسان .
قال : فالذى ندم هو الذى أساءَ أو غيْرُهُ ؟ قال : الذى نَدِم هو الذى أساءَ.
قال : فأُرى صاحبَ الخير هو صاحبُ الشَّرِّ ، وقد بطل قولكم : إنَّ الذى
ينظر نَظرَ الوعيد غيرُ الذى ينظر نَظَرَ الرحمة . قال : فإنى أزعمُ أنَّ الذى
أساءَ غيرُ الذى ندِم . قال : فندم على شيءٍ كان منه أو على شيءٍ كان من
غيره ؟ فقطعه[1] بمسألته ، ولم يتبْ ولم يرجِعْ ؛ حتى مات ، وأصْلاَه الله
نارَ جَهنَّمَ .

(شعر فى هجو الزنادقة)

وقد ذكر حمَّادُ عجردٍ ناساً فى هجائه لعُمارَة[2] ، فقال :

لو كنْتُ زِنْدِيقًا ، عُمارُ ، حبوتَنى أو كنْتُ أعبُد غيْرَ رَبٍّ محمَّدِ[3]
أو كنتُ عِندك أو تراك عرفْتَنى كالنَّضْرِ أو ألْفيتُ كابْنِ المُقْعَدِ[4]
أو كابْنِ حمَّادٍ ربيئةِ دينكمْ جبلٍ وما جبلُ الغَوى بمرْشَدِ[5]
لكِنَّنى وحَّدْت رَبِّىَ مُخلِصاً فجفَوْتَنى بُغْضاً لكلِّ موحِّدِ

---

(١) قطعه : أى غلبه بالحجة وأسكته .

(٢) فى الأصل : « لبشار » ، ونص الشعر والتعقيب عليه ، يوجب ما أثبت .

(٣) عمار ، أى ياعمارة . وحذف جواب (كنت) الثانية لدلالة جواب الأولى .

(٤) هـ : « أو تراك عرفتنى » .

(٥) الربيئة : الطليعة ، وعين القوم . والغوى : الضال . ط ، هـ : « القوى »
ووجهه ما أثبت من س .

وحَبَوْت مَنْ زَعَمَ السَّماءَ تَكوَّنَتْ

والأرضَ خالقها لها لم يَمْهَد[1]

والنَّسْمَ مثلَ الزَّرْعِ آنَ حَصادُهُ منه الحصيدُ ومنه مالَمْ يُحْصَدِ[2]

وحمَّادٌ هذا أشهر بالزَّنْدَقَةِ من عُمارَة بن حربية[3] ، الذى هجاه بهذه الأبيات .

وأمَّا قوله :

وحبوت من زعم السماء تكوَّنت . . . . (البيت)

فليس يقول أحد : إنَّ الفلكَ بما فيه من التَّدْبير . تكوَّنَ بنفسه ومِنْ نفسه ! فَجَهْلُ[4] حمَّادٍ بهذا المقدارِ من مقالة القوْم[5] ، كأنَّهُ عندى ممَّا يعرفه من براءته الساحة[6] . فإن كان قد أجابَهُمْ فإنما هو من مقلِّديهم .

---

(١) الأرض عطف على السماء .

(٢) أى : وحبوت من زعم النسم . . . الخ . والنسم ، بالتحريك : جمع نسمة ، بالتحريك . والنسمة : الإنسان . وقد أسكن السين لضرورة الشعر . وفى الأصل : « النعم » تحريف ما أثبت . وجاء فى الأغانى (١١ : ٧١) فى أثناء الحديث عن عمارة بن حمزة ، الذى هو هنا : عمارة بن حربية : « وكان له نديم يعرف بمطيع ابن إياس ، وكان زنديقاً مأبونا . وكان له نديم آخر يعرف بالبقلى . وإنما سمى بذلك ؛ لأنه كان يقول : الإنسان كالبقلة ، فإذا مات لم يرجع » . فهذا النص يفسر ماجاء فى البيت ، ويدل على التصحيح الذى أثبت .

(٣) كذا ورد هذا الاسم فى الأصل ، بحاء مهملة بعدها راء وباء موحدة تحتية تتلوها ياء مثناة تحتية . وفى الأغانى (١١ : ٧١) : « عمارة بن حمزة » . وأمالى المرتضى (١ : ٩٠) نقلا عن الجاحظ « عمارة بن حمزة » .

(٤) فى الأصل : « فجعل » .

(٥) يعنى بالقوم ههنا الزنادقة .

(٦) كذا فى ط . وفى س : « من براءة الساحة » ، وفى هـ : « مما نعرفه من براءته الساحة » وكل محرف .

وهجا حمادُ بن الزِّبرِقان[1] ، حماداً[2] الراوية فقال :

نِعْمَ الفتَى لَوْ كانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ ويقيمُ وقتَ صَلاتِهِ حَمادُ

هدَلَتْ مَشافِرَهُ الدِّنانُ فأَنْفُهُ مِثْلُ الْقَدُومِ يَسُنُّها الحَدّادُ[3]

وابْيَضَّ مِنْ شُرْبِ الْمُدامَةِ وَجْهُهُ فبَياضُه يوم الحسابِ سَوادُ

فقد كان[4] كما ترى :

هدَلَتْ مَشافِرَهُ الدنانُ فأنفُه مثلُ القدوم .... (البيت)

فقد رأيتُ جماعةً مِمَّنْ يُعاقِرُون الشَّراب ، قد عظمت آنفُهُمْ[5] وصارتْ لهم خراطيمُ ، منهُمْ رَوْحُ الصّائغُ[6] ، وعبدُ الواحد صاحب اللؤلؤيّ[7]

---

(١) نسبه صاحب الأغانى (٦ : ١٦٢) إلى أبي الغول، وكان حماد قد عاب شعراً له. وانظر الخزانة (٤ : ١٣٢ بولاق) والمخصص (١٧ : ٦) والعقد (٤ : ٣٢١) وأمالى المرتضى (١ : ٩١) وديوان المعانى (١ : ٣١٤) والشعراء ٧٥٤ .

(٢) فى الأصل : « حماد » .

(٣) الدنان: جمع دن ، بالفتح ، وهو من الأوعية التى يحفظ فيها الخمر ، وهو خزفى مستطيل مقير لايقعد إلا أن يحفر له . والقدوم ، بالفتح : قدوم النجار ، مؤنثة . فى المخصص : « نفخت مشافره الشمول »، والمرتضى : « بسطت مشافره الشمول »، والعسكرى : « هدلت مشافره المدام وأنفه » . والمدام والشمول : الخمر .

(٤) لعلها : « قال » .

(٥) آنف : جمع أنف . س ، هـ : « أنفهم » بالإفراد . وهو جائز . والعرب يقيمون الواحد مقام الجمع . وفى الكتاب : « ثم يخرجكم طفلا » أى أطفالا . و : « لا نفرق بين أحد منهم »، والتفريق لا يكون إلا بين اثنين ؛ فالمعنى لا نفرق بينهم . و : « وإن كنتم جنبا ». انظر سر العربية ٣٣٩ الحلبى ، وحواشى الحيوان (٢ : ٤٠٣) .

(٦) لعله : « أبو روح الصائغ » . انظر (٣ : ٤٣٥) .

(٧) كذا وردت كتابة هذا الاسم بواوين فى الأصل وفى سائر المراجع القديمة . واللؤلؤى ، هو الحسن بن زياد ، الذى تقدمت ترجمته فى (١ : ٥٢) .

وجماعة من نَدْمانِ[1] حمّاد بن الصَّباح ، وعبد الله أخو نهر[2] ابن عسكر وناس كثيرٌ[3] .

ويدلُّ على ذلك من المنافَرةِ قولُ جَرِيرٍ للأخطل :

١٤٣ وشَرِبتَ بعد أبي ظهير وابنِه سكَرَ الدِّنانِ كأنَّ أنفكَ دُمَّلُ[4]

وكان منهم يونس بن فروة[5] . وفي يونس يقول حمّادُ عجرد :

أما ابنُ فَرْوَةَ يُونسٌ فكأنَّهُ مِنْ كِبْرِهِ أيرُ الحمارِ القائمُ[6]

ما النَّاسُ عِنْدَكَ غيرُ نفسِكَ وحْدها والخَلْقُ عندكَ ما خلاكَ بهائمُ[7]

إنّ الذي أصبحْتَ مفتوناً به سيزُول عنك وأنفُ جارِكَ راغمُ

فتعضُّ من نَدَمٍ يَدَيْكَ على الذي فرَّطت فيه ، كما يَعضُّ النَّادمُ

---

(١) الندمان ، بالفتح : النديم على الشراب . والمراد هنا جماعة الندامى . وفي اللسان : «وقد يكون الندمان واحداً وجمعاً» . ومثله في القاموس .

(٢) هـ فقط : «هز» . وكلمة : «أخو» هي في الأصل : «أخا» .

(٣) في الأصل : «وناسا كثيراً» ، صوابه ما أثبت .

(٤) السكر ، بالتحريك : الخمر ، أو نبيذ يتخذ من التمر ، أو كل مسكر .

(٥) يونس بن فروة ، ويقال ابن أبي فروة . وجاء بالأخيرة في لسان الميزان (٢ : ٣٥٣ ، ٦ : ٣٣٤ ، ٣٣٥) وكذا أمالي المرتضى (١ : ٩٠) نقلا عن الجاحظ . وما في الشعر يرجح التسمية الأولى . وجاءت التسمية الأولى أيضاً في جمع الجواهر ٢٠٩ في أثناء رسالة للخوارزمي ، والعمدة (٢ : ١٨٥) والطبري (١٠ : ٥٠) .

(٦) في الأصل : «من كفره» وهو تحريف ، صوابه في عيون الأخبار (١ : ٢٧٢) ، والعمدة ، وجمع الجواهر . وفي جمع الجواهر أيضاً : «ذاك الحمار» .

(٧) في عيون الأخبار والعمدة : «والناس» موضع : «والخلق» . والبيت ساقط من س .

فلقـــد رَضيتَ بعُصْبَةٍ آخَيتهــمْ وإخاهُمُ لك بالمعَرَّةِ لازمُ[1]
فعلِمْتَ حِينَ جعلتهم لك دخلة[2] أنى لعِرضك فى إخائك ظالِمُ

(ذكر بعض الزنادقة)

وكان حمّادُ عجرد[3] ، وحماد الرّاوية[4] ، وحمّادُ بن الزِّبرقان[5] ، ويونسُ بن هارُون[6] ، وعلى بن الخليل[7] ، ويزيد بن الفيض[8] ، وعُبادة وجميل بن محفوظ[9] ، وقاسم[10] ، ومطيع[11] ، ووالبة بن الحباب ، وأبانُ

(١) وإخاهم ، أراد : وإخاؤهم ، أى صحبتهم . قصر الكلمة للشعر . ط : « أوخاهم » تصحيحه من س ، هـ .

(٢) دخلة الرجل ، بتثليث الدال : بطانته .

(٣) حماد عجرد ، بالإضافة ، هو حماد بن عمر بن يونس ، شاعر مشهور ، وهو من مخضرمى الدولتين : الأموية والعباسية ، ولم يشتهر إلا فى العباسية . وكان بينه وبين بشار أهاج فاحشة . توفى سنة ١٦١ وقيل ١٦٨ أو قتل سنة ١٥٥ .

(٤) حماد الراوية ، هو حماد بن أبى ليلى ، عرف بكثرة روايته للشعر والخبر ، وكان يصنع فيهما . ولد سنة ٩٥ وتوفى سنة ١٥٥ .

(٥) حماد بن الزبرقان ، ذكره ابن حجر فى لسان الميزان (٢ : ٣٤٧) ، وهو من اتهم بالزندقة .

(٦) كذا فى الأصل ، وهو كذلك فى الأوراق للصولى ١٠ قسم أخبار الشعراء . وقد نقل عن الجاحظ ولو أنه لم يصرح بذلك . وقد يكون : « يونس بن فروة » الذى تقدمت ترجمته قريباً .

(٧) هو رجل من أهل الكوفة ، مولى لمعن بن زائدة ، وكان يعاشر صالح بن عبد القدوس ، لا يكاد يفارقه ، فاتهم بالزندقة . وله أخبار مع المهدى والرشيد. انظر الأغانى (١٣ : ١٣ — ١٨) .

(٨) ذكره صاحب لسان الميزان .

(٩) كذا فى الأصل وأمالى المرتضى والأغانى (١٦ : ١٤٣) نقلا عن الجاحظ . والأوراق ١٠ قسم أخبار الشعراء . وعند ابن حجر فى لسان الميزان : « حميد بن محفوظ » . فى رسم خاص . ولعله تصحف عليه .

(١٠) فى أمالى المرتضى : « قاسم بن زنقطة » .

(١١) هو مطيع بن إياس الكنانى ، من مخضرمى الدولتين ، كان ظريفا خليعاً . وله —

ابن عبد الحميد[1] ، وعمارة بن حربية[2] ، يتواصلون ، وكأنهم نفس واحدة وكان بشارٌ ينكر عليهم .

ويونسُ الذى زعم حمادُ عجْرِدٍ أنّهُ قد غرَّ نفسه بهؤلاءِ ، كانَ أشهَرَ بهذا الرّأى منهم ، وقد كان كتبَ كتاباً لملك الرُّوم ِ فى مثالب العرب ، وعيوب الإسلام ، بزعمه[3] .

(هجائية فى أبان والزنادقة)

وذكر أبو نواسٍ أبانَ بْنَ عبد الحميد اللاّحقى ، وبعضَ هؤلاءِ ، ذِكْرَ إنسانِ يَرَى لهم قدْرًا وخطراً ، فى هجائِيّةٍ لأبان[4] ، وهو قوله :

جالسْتُ يوماً أباناً لا دَرَّ دَرُّ أبان
ونحنُ حَضْر رواق الـ أمير بالنهْرَوَانِ[5]

= ونشأ بالكوفة . وأخباره مسهبة فى الأغانى (١٢ : ٧٥ - ١٠٣) .

(١) أبان بن عبد الحميد اللاحق ، شاعر من ظراف الشعراء . نقل للبرامكة كتاب كليلة ودمنة فجعله شعراً ؛ ليسهل حفظه عليهم ، فأعطاه يحيى عشرة آلاف دينار ، والفضل خمسة آلاف دينار ؛ ولم يعطه جعفر وقال : ألا يكفيك أن أحفظه فأكون راويتك ؟ ! .

(٢) فى الأغانى ولسان الميزان : « عمارة بن حمزة » ، وما فى أوراق الصولى يوافق ما أثبت من الأصل .

(٣) زاد فى أمالى المرتضى : « فأخذ منه مالا » .

(٤) ذكر سبب هذا الهجاء ، أبو الفرج فى الأغانى (٢٠ : ٧٣) قال : « كان يحيى بن خالد البرمكى قد جعل امتحان الشعراء وترتيبهم فى الجوائز ، إلى أبان بن عبد الحميد ، فلم يرض أبو نواس المرتبة التى جعله فيها أبان ، فقال يهجوه بذلك » .

(٥) حضر ، هنا بمعنى قربه وبمحضر منه . والنصب على الظرفية . وأصله بتحريك الحاء والضاد . وسكن الضاد للشعر . ويقال أيضاً حضرة ، بالفتح . قال :

فشلت يداه يوم يحمل راية إلى نهشل والقوم حضرة نهشل =

حَتَّى إذا ما صَلاة الـ ـأُولَى أَتَتْ لأَوَانِ[1]
فقامَ ثَمَّ بها ذُو فصاحةٍ وبيــانِ[2]
فـكلّ ما قال قلْنَـا إلى انقضاء الأذان[3]
فقـال : كيف شهدتم بِذَا ، بغيرعِيـان ؟![4]
لا أشهَـدُ الدَّهْرَ حَتَّى تعَــاينَ العَيْنَان !
فقلت : سبحانَ رَبِّى ! فقال: سُبحانَ مانى! [5]
فقلت : عيسى رسولٌ فقال: مِنْ شَيطانِ! [6]
١٤٤ فقلتُ : موسى كَليمُ الْـ ـمهيمِن المنَّــانِ[7].

= والرواق ، بالكسر : مقدم البيت ، أو سقف فى مقدمه . ط ، س : « ونحن وحضروان » ، وتصحيحه من الديوان ١٨٠ وأوراق الصولى (قسم أخبار الشعراء ١١) .

(١) صلاة الأولى ، عنى بها الصبح . لأوان : أى لأوانها ووقتها . س ، ط : « الأذان » ، وأثبت ما فى الديوان ، والأوراق ، والأغانى . وفى هـ والخزانة (٣ : ٤٠٨ بولاق) نقلا عن الأغانى : « لأذان » ، وإخالها تحريفاً .

(٢) أى قام بصلاة الصبح مؤذنا لها ، رجل ذو فصاحة وبيان . فالمراد الأذان ، لا الصلاة .

(٣) أى كلما قال المؤذن قولا رددوه بعده .

(٤) بذا : أى بقولى المؤذن : « أشهد ألا إله إلا الله » ، « أشهد أن محمداً رسول الله » . بغير عيان : بغير معاينة ومشاهدة .

(٥) مانى : صاحب دين المانوية الزنادقة . انظر ما كتبت عنهم فى ص ٨١ .

(٦) فى الأصل : « من شيطانى » ، صوابه من الديوان والأوراق . وقد أراد أنه قال : رسول من شيطان !

(٧) المنان : اسم من أسماء الله تعالى ، أى المعطى ابتداء . وفى الأصل : « المنانى » ، تصحيحه من الديوان والأوراق .

فقال : ربُّكَ ذو مُقْ　لَةٍ إذا ولِسانِ ؟
فنفسه خلقَتْه　أم مَنْ؟! فقُمْتُ مكانى
عن كافرٍ يَتَمَرَّى　بالكفر بالرَّحمنِ[1]
يريد أن يتسوّى　بالعُصْبة المُجّان
بعَجْرَدٍ وعُبادٍ　والوالبيِّ الهِجانِ[2]
وقاسمٍ ومُطيعٍ　رَيْحانةِ النَّدْمانِ[3]

وتَعَجُّبِى من أبى نواس ، وقد كان[4] جالسَ المتكلمين أشدُّ من تعجبى من حَمّادٍ ، حين يَحكى عن قومٍ من هؤلاء قَولاً لا يقولُه أحد[5] . وهذه قُرَّة[6] عَينِ المهجوّ . والذى يقول : سبحانَ مانى ، يعظم أمر عيسى تعظيماً شديداً[7]

(١) يتمرى : يتزين . يقول : هو يتخذ الكفر زينة له . وبئس الزينة ! . ط والأوراق : « يمارى » بمعنى يشك ، وليس له وجه صالح . وأثبت ما فى س والديوان . وفى هـ : « متمرى » تحريف ما فى س . وبين هذا البيت وسابقه بيتان فى الديوان ، هما :

وقلتَ ربِّى ذو رحْ　مَةٍ وذو غُفْرانِ
وقُمْتُ أسحَبُ ذيلى　عن هازئٍ بالقُرانِ

(٢) فى الصفحة ٤٤٧ ، من اسمه : « عبادة » ، فلعله هو بعد تغيير يسير ، لما يقتضى الشعر . أما الوالبى فهو والبة بن الحباب . شاعر من شعراء الدولة العباسية ، هاجى بشارا وأبا العتاهية فلم يصنع شيئاً ، وفضحاه . وهو أستاذ أبى نواس . الأغانى (١٦ : ١٤٢) .

(٣) سبق تفسير هذه الكلمة فى ص ٤٤٦ .

(٤) س : « وهو كان » .

(٥) إشارة إلى ما سبق فى ص ٤٤٣ .

(٦) هـ : « قوة » تحريف .

(٧) هذا مافهمه الجاحظ . ويؤيده ماورد فى فهرست ابن النديم ٣٢٨ ليبسك ٤٥٨ مصر : « وزعم مانى أنه الفارقليط المبشر به عيسى عليه السلام . واستخرج مانى =

فكيف يقول : إنَّه من قِبَلِ شيطان ؟ !

وأما قوله : « فنفسه خلقَتْه أم من » فإنَّ هذه مسألةٌ نجدها ظاهرةً على ألْسُنِ العوامّ . والمتكلمون لا يحكون هذا عن أحد .

وفى قوله : « والوالبيُّ الهجان » دليلٌ على أنَّه من شكلهم .

والعجب أنَّه يقول فى أبان : إنَّهُ ممَّن يتشبه بعَجْرد ومُطيعٍ . ووالبةَ ابن الحباب ، وعليٍّ بن الخليل ، وأصبغ[1] — وأبانُ فوقَ ملء الأرض مِنْ هؤلاء . ولقد كان أبانُ ، وهو سكرانُ ، أصحَّ عقلا من هؤلاء وهم صحاةٌ[2] . فأمَّا اعتقادُه فَلاَ أدرى ما أقول لك فيه ؛ لأنَّ النَّاس لم يؤْتَوْا فى اعتقادهم الخطأَ المكشوفَ ، من جهة النظر[3] . ولكنَّ للنَّاس تأسِّيًا وعاداتٌ ، وتقليدٌ للآباء والكُبراء ، ويعملون على الهوى ، وعلى ما يسبق إلى القلوب ، ويستثقلون التَّحصيلَ ، ويُهملون النَّظَرَ ، حتى يصيروا فى حالٍ متى عاودوه وأرادوه ، نظروا بأبصار كليلة[4] ، وأذهان مدخُولة ، [و] مع سوء عادَة . والنَّفسَ لا[5] تجيبُ وهى مُستَكْرَهة . وكان

= مذهبه من المجوسية والنصرانية » . لكن جاء فى الفهرست أيضاً مايؤيد مافهمه أبو نواس . ففيه : « ومانى ينتقص سائر الأنبياء فى كتبه ، ويزرى عليهم ، ويرميهم بالكذب ، ويزعم أن الشياطين استحوذت عليهم ، وتكلمت على ألسنتهم بل يقول فى مواضع من كتبه : إنهم شياطين ! فأما عيسى المشهور عندنا وعند النصارى ، فيزعم أنه شيطان » الفهرست ٤٦٨ مصر . فالظاهر أن مرد ذلك الخلاف إلى مانى أقوال مانى من التناقض والتنافر .

(١) لم يذكر هؤلاء جميعاً فيما رواه الجاحظ من القصيدة المتقدمة ، فلعله سقط منها شىء . وانظر الديوان والأوراق حيث تجد زيادة فى الشعر .

(٢) الصحاة : جمع صاح ، من صحا يصحو . س : « أصحاء » ، صوابه فى ط ، هـ والأوراق ١٢ قسم أخبار الشعراء .

(٣) ط ، هـ : « النظير » ، صوابه فى س .

(٤) كليلة : ضعيفة . س : « قليلة » تحريف . وفى الأصل : « ونظروا » .

(٥) س : « لما » .

يقال : « العقل[1] إذا أكرِه[2] عَمِي » . ومتى عَمِيَ الطِّباعُ[3] [و] جَسا وغلظ وأهمل ، حتّى يألف الجهل ، لم يكد[4] يفهم ما عليه وله . فلهذا وأشباهه قاموا على الإلف ، والسّابق إلى القلب .

(شعر لحماد عجرد)

وقال حمّادُ عجْرَد :

اعلَمُوا أنَّ لوُدى ... ثمناً عندى ثَميناَ
لَيتَ شِعْرِى أىَّ حُكْمٍ ... قَدْ أراكُمْ تَحْكُمُونا
أنْ تكونوا غيرَ مُعْطِيـ ... ـنَ وأنتمْ تأخذونا[5]
ابْنِ لُقْمانَ بنَ عادٍ ... فى اسْتِ هذا الدِّينِ دِينا[6]

وما رأيت أحداً وضع لقمانَ بنَ عاد فى هذا الموضع ـ غيرَه ! وقال حمّادُ عجردٍ فى بشار :

يا ابنَ الخبيثةِ إنّ أمَّـ ... ـكَ لم تكُنْ ذاتَ اكتتامِ[7]
وتبدّلتْ ثَوْبانَ ذا الْـ ... ـأَيْرِ المضبّرِ والعُرَامِ[8]

---

(١) ط ، هـ : « الطفل » ، صوابه فى س .
(٢) فى الأصل : « كره » .
(٣) الطباع ، بالكسر : الطبع والسجية .
(٤) ط ، هـ : ولم يكد » بإثبات الواو قبلها ، صوابه فى س .
(٥) ط : « تأخذون » ، صوابه فى س ، هـ .
(٦) ابن : أمر من بنى يبنى . ط ، س : « أين » وصوابه فى هـ . ولقمان : أى يالقمان ، حذف حرف النداء .
(٧) أى كانت تجاهر بفسقها .
(٨) ثوبان : رجل اتهمت أم بشار به . وفيه أيضاً يقول حماد عجرد (الحيوان ١ : ٢٤٢) :

ثَوْبَانَ دَقَّاقَ الأَزْز بأرواثٍ حسـامِ[1]
عَـرْدٍ كقائمةِ السَّرِ يرِ يُبيلهاَ عنـد الرِّطام[2]
وَأَتَتْ سُمَيعةُ بَعْدَهَا بالمصمئلاتِ العِظـامِ[3]
أخت لهم كانت تكا بِرُ أن تُسَافِحَ مِنْ قيام[4]

وقال حمّاد يذكر بشاراً :

غزالة الرجسة أو بنتها سُمَيعة الناعيـة الفهرا[5]

وقال وذكر أمّه[6]

أبَنِي غَزَالة يا بني جُشم اسْتِها ليَحقكُمْ أنْ تفرَحوا لا تجزعُوا[7]

(حماد عجرد وبشار)

وما [كان] ينبغي لبشّارٍ أنْ يناظِرَ حماداً من جهة الشعرِ وما يتعلَّقُ

= يابن التى نشزت عن شيخ صبيتها لأير ثوبان ذى الهامات والعجر
يقول : تبدلت ثوبان بزوجها . ط : « ثوبين » ، تحريف صوابه فى س ، هـ .

(١) ط : « دقاقا » صوابه فى س ، هـ . ط : « الازار » وأثبت مافى س ، هـ ، وهما محرفان . س : « يدقها أرزب خام » وأثبت مافى ط ، هـ . على تحريفهما .

(٢) العرد ، بالفتح : الصلب الشديد . ط : « كقائمة السير » صوابه فى س ، هـ . يبيلها : يجعلها تبـول . ط ، س : « يسلها » ووجهه ماأثبت من س . والرطام : أن يخالطها مستوعبا . هـ : « الركام » صوابه فى ط ، س .

(٣) ضبطت « سميعة » بهيئة التصغير فى س . والمصمئلات : الدواهى .

(٤) تـكابر ، هى فى ط : « لـكابر » محرفة .

(٥) كذا جاء البيت .

(٦) أى أم بشار . ط ، س : « وقال ذو الرمة » وهو تحريف لاجرم .

(٧) أبنى ، أى يابنى . والجشم ، كصرد : الجوف : ط ، هـ : « ياجشم » وإكماله من س .

بالشِّعر ، لأنَّ حمَّاداً فى الحَضِيض ، وَبشَّارًا مع العَيُّوق[١] . وليس فى الأرض مولَّدٌ قَرَوِىٌّ يُعَدُّ شعرُه فى المحدث إلاّ وبَشَّارٌ أشعرُ منه .

(شعر فى هجو بعض الزنادقة)

وقال أبو الشمقمق فى جميل بن محفوظ[٢] :

وهذا جميلٌ على بغله وَقَدْ كانَ يعدُو عَلَى رِجْلِهِ
يَرُوحُ ويغدو كأَيْرِ الحمارِ وَيرجِــعُ صِفْراً إلى أهله[٣]
وقد زَعموا أنَّهُ كافرٌ وأنَّ التَّزَنْدُقَ من شَكْلِهِ
كأنى به قد دعاهُ الإمامُ وآذن ربُّكَ فى قتْــلِهِ

(غلو أبى نواس فى شعره)

وأمّا أبو نُواسٍ فقد كان يتعرّضُ لِلْقَتْلِ بجهْدِهِ . وقد كانوا يعجَبون من قوله :

كيف لايُدْنيك مِنْ أَمَلٍ مَنْ رَسُولُ اللهِ مِنْ نَفَرِه[٤]

---

(١) العيوق ، بفتح العين ، وتشديد الياء المضمومة : نجم أحمر مضىء فى طرف المجرة الأيمن ، يتلو الثريا لايتقدمها . يضرب به المثل فى العلو .

(٢) سبقت ترجمته فى ٤٤٧ .

(٣) ط : « يروح ويغد » صوابه فى س ، هـ . صفراً : خالى اليدين .

(٤) من نفره : من قومه وأنصاره : هـ : « نقله » تحريف . والبيت من قصيدة رائية مشهورة مطلعها :

أيها المنتاب من عفره لست من ليلى ولا سمره

يمدح بها العباس بن عبيد الله بن أبى جعفر المنصور . الديوان ٦٦ . وقد أثار هذا البيت ضجة كبيرة بين الأدباء ، فأخذوا عليه قوله : « من رسول الله من نفره » . انظر الكامل ٢٣٤ – ٢٣٥ ليبسك والعقد (٣ : ٤٣٦ – ٤٣٧) =

فلما قال :

فاحْبِبْ قُريشاً لحبِّ أحمَدِها واشكُرْ لها الجَزْلَ مِنْ مواهبها[1]

جاء بشيء غطَّى على الأوّلِ .

وأنكروا عليه قولَه :

* لو أكثر التَّسْبيح ما نَجَّاه *

= حيث تجد النقد والاعتذار له . وفى الموشح ٢٧٩ أن أبا على الضرير ، أحد رواة أبى نواس قال : « أنشدنى أبو نواس فى العباس بن عبيد الله ؛ مديحه الذى يقول فيه :

كيف لايدنيك من أمل من رسول الله من نفره

فعلمت أنه كلام ردىء مستهجن موضوع فى غير موضعه ، وأنه مما يعاب به ؛ لأن من حق الرسول صلى الله عليه وسلم أن يضاف إليه ، وألا يضاف إلى أحد . فرأى ذلك فى وجهى ، فقال لى : ويلك ! إنما أردت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم من القبيل الذى هو منه ، كما قال حسان :

وما زال فى الإسلام من آل هاشم دعائم عز لا ترام ومفخر

بهاليل منهم جعفر وابن أمه على ومنهم أحمد المتخير

فقال : منهم ، كما قلت من نفره . أى من النفر الذين العباس منهم ، فما تعيب من هذا ؟ ! » . قال أبو على : « فعلمت أن هذا ضرب من الاحتيال » . وقد روى هذا الخبر فى أخبار أبى نواس ١٦١ - ١٦٢ وزاد فى آخره : « ولكنه قد أحسن المخرج منه » . وفى الصناعتين ١١٣ نظائر لهذا الخطأ .

(١) رواية الديوان ١٥٧ : « أحبب » بقطع الهمزة وإسقاط الفاء : أمر من أحب يحب . ورواية الجاحظ هنا تخرج على لغة ضعيفة . وفى اللسان عن الفراء ، أن حببته لغة . وفيه أيضاً : « وكره بعضهم : حببته ، وأنكر أن يكون هذا البيت لفصيح » . وفيه : « وحكى سيبويه : حببته وأحببته بمعنى » . وفى الصناعتين ١١٣ : « واحبب » . والبيت من قصيدة جيدة لأبى نواس يفتخر فيها بقحطان ويهجو عدنان ، وقد أبدع فى صنعتها إبداعا ، وأتى بطريف حقا . ولكن هذه القصيدة جلبت إليه شؤما بما حبسه الرشيد وأطال من حبسه . ومطلعها :

ليست بدار عفت وغيرها ضربان من قطرها وحاصبها

وفيها يقول :

فاهج نزارا وافر جلدتها واهتك الستر عن مثالبها

فلما قال :

١٤٦ يا أحمدَ المُرتجَى في كلِّ نائبةٍ قُمْ سيِّدِي نَعْصِ جبّارَ السَّمواتِ(١)

غطّى هذا على الأوّل(٢) . وهذا البيت مع كُفْره مُقبِت جدا . وكان يُكثِر في هذا الباب(٣) .

(خطأ أبي نواس في شعره)

وأما سوى هذا الفنِّ فلم يعرِفُوا له من الخطإ إلاّ قولَه :

أمستخبرَ الدّارِ هلْ تنطِقُ أنا مكان الدار لا أنطقُ(٤)

كأنها إذْ خرِسَتْ جَارِمٌ بينَ ذَوِي تَفْنِيدِهِ مُطْرِقُ(٥)

فعابوه بذلك ، وقالوا : لايقول أحد : لقد سكت هذا الحَجَرُ ، كأنَّهُ

(١) أحمد هذا ، هو أحمد بن أبي صالح ، كان أبو نواس يتعشقه . أخبار أبي نواس ١٤٥ . وأبيات القصيدة فيها ، وفي ديوانه ٢٤٩ — ٢٥٠ . وقبله :

فقلت والليل يجلوه الصباح كما يجلو التبسم عن غر الثنيات

(٢) في الأصل : « الأولى » . وانظر مثل هذا التعقيب في الصفحة السابقة . و « غطى » رسمت بالألف في هذا الموضع وسابقه في كل من ط ، ه وهو رسم قديم . وأثبت مافي س .

(٣) أي كان أبو نواس يكثر من القول في مثل المعنى السابق . ومما قال في ذلك (الصناعتين ١١٣) :

تنازَعَ الأحمدان الشِّبهَ فاشْتَبَهَا خَلْقًا وَخُلْقًا كما قُدَّ الشِّرَاكانِ

قال العسكري : « فزعم أن ابن زبيدة مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم في خلقه وخلقه » .

(٤) ط : « أمخبر الديار » س : « أمستخبر الديار » ه : « يامستخبر الدار » ، ولعل صوابه ماأثبت . وعجز البيت هكذا ورد بالأصل .

(٥) الجارم : الجاني . والتفنيد ، المراد به : اللوم والعذل . والتفنيد : التكذيب والتعجيز وتخطيء الرأي وتضعيفه . والبيت عند العسكري في الصناعتين ٦٨ .

إنسانٌ ساكت ، وإنما يُوصَف خَرَسُ الإنسانِ بخَرَسِ الدّارِ ، ويشبَّهُ صممه بصمَمِ الصَّخر .

وعابوه بقوله ، حين وصف عَيْنَ الأسد بالجحوظِ ، فقال :

كأنَّما عَيْنُهُ إذا التهبَتْ بارِزَةَ الجفْنِ عينُ مخنوقِ[1]

وهُمْ يَصِفُونَ عينَ الأسد بالغؤورِ . قال الرّاجز :

* كأنما يَنْظرُ من جَوْفِ حَجَرْ[2] *

وقال أبو زُبَيدٍ[3] :

كأنَّ عَينيه فى وَقْبَين من حَجَرٍ قِيضا اقتياضاً بأطراف المناقيرِ[4]

ومع هذا فإنّا لا نعرف بَعْدَ بَشّارٍ أشعرَ منه[5] .

وقال أبو زُبيد :

وعَينانِ كالوَقْبين فى ملءِ صَخْرَةٍ ترى فيهما كالجمْرَتَيْنِ تَسَعُّرُ[6]

(قصة راهبين من الزّنادقة)

وحدَّثنى أبو شُعيب القَلّالُ ، وهو صُفْرِىٌّ[7] ، قال : رهبان الزّنادقة

---

(١) هـ : « والمخنوق » وأثبت ما فى ط ، س والصناعتين ١١٥ .

(٢) فى الصناعتين : « من خرق حجر » .

(٣) هو أبو زبيد الطائى ، الذى تقدمت ترجمته فى (١ : ٣٥٢) .

(٤) الوقب ، بالفتح : النقرة فى الصخر . قيضا : شقا وحفرا . اقتياضا : استئصالا . فى الأصل : « قيضاً اقتناصا » محرف ، صوابه فى الصناعتين ١١٥ . والمناقير : جمع منقار ، وهو حديدة كالفأس ينقر بها .

(٥) منه : أى من أبى نواس . وحق هذا التعقيب أن يكون بعد البيت الآتى .

(٦) فى الصناعتين : « فى قلب صخرة » « يرى فيهما » .

(٧) الصفرى ، بالضم ، ويكسر : واحد الصفرية . وهم فرقة من الخوارج ، نسبوا إليه زياد بن الأصفر ، أو عبد الله بن صفار ، أو إلى صفرة ألوانهم ، أو لخلوهم من =

سَيّاحون(١) ، كأنهم(٢) جعلوا السِّياحَةَ بدلَ تعلقِ النُّسطورى(٣) فى المطامير .

و [مُقـامُ(٤)] الملْكانىِّ(٥) فى الصَّـوامع . ومُقـامُ النُّسطورِىِّ

= الدين . انظر القاموس . وتفصيل مذهبهم فى الفرق ٧٠ - ٧١ والملل والنحل (١ : ١٨٣ - ١٨٤) . والأرجح نسبتهم إلى زياد بن الأصفر ، كما فى الفرق والملل . ط : « صفرى » صوابه فى س ، هـ .

(١) السياحة : الذهاب فى الأرض للعبادة ، وانظر ماسيأتى من قول الجاحظ .

(٢) ط ، هـ : « لأنهم » وأثبت ما فى س .

(٣) فى القاموس : « النسطورية ، بالضم وتفتح : أمة من النصارى تخالف بقيتهم . وهم أصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمن المأمون ، وتصرف فى الإنجيل بحكم رأيه ، وقال : إن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة . وفى الفصل (١ : ٤٩) : « وهذه الفرقة غالبة على الموصل والعراق وفارس وخراسان . وهم منسوبون إلى نسطور ، وكان بطريركا بالقسطنطينية » . وقد أخطأ صاحب القاموس ؛ فإن نسطور ، أو نسطورس كان قبل الهجرة لا فى زمن المأمون كما زعم . وقد ذكر المسعودى فى التنبيه والإشراف ١٢٧ أن السنهودس الثالث بمدينة أفسيس قرر لعن نسطورس والتبرؤ منه ونفيه ، فسار إلى صعيد مصر فأقام ببلاد أخميم والبلينا ومات بقرية يقال لها سيفلج » . وقد كان اجتماع ذلك السنهودس فى سنة ٤٣١ الميلادية ، كما جاء فى كتاب تاريخ الأمة القبطية ، تأليف لجنة التاريخ القبطى (الحلقة الثانية ١١٦) . وكما جاء فى معجم القرن العشرين : (Nestorian) . وصاحب القاموس المحيط المتوفى سنة ٨١٧ هـ قد تابع فى خطئه هذا ، ما ذكره الشهرستانى صاحب الملل والنحل المتوفى سنة ٥٤٨ ، حيث قال فى (٢ : ٦٤) : « النسطورية أصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمان المأمون » . وانظر رد ابن الأثير عليه فى الكامل (١ : ١٩١) . وقد تولى نسطورس بطريركا سنة ٤٢٨ م . فبينه وبين ظهور الإسلام نحو ١٨٣ سنة .

(٤) ليست بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(٥) الملكانى : واحد الملكانية ، ويقال ملكانى وملكائية ، كما فى مفاتيح العلوم ٢٣ وملكى وملكية كما فى التنبيه والإشراف ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٦ . وفى مفاتيح العلوم : « وهم منسوبون إلى ملكاء . وهم أقدمهم » . يعنى أقدم النصارى . وفى الملل والنحل (٢ : ٦٢) : « الملكائية أصحاب ملكا الذى ظهر بالروم واستولى عليها » . والحق أن الملكانيين منسوبون إلى « ملكا » =

فى المطامير [١] .

قال : ولا يَسِيحون إلاَّ أَزواجا . ومتى رأيتَ منهم واحداً فالتفتَّ رأيتَ صاحبَه [٢] ، والسِّياحة عندهم ألاَّ يبيت أحدُهم فى منزلٍ ليلتَين . قال : ويسِيحون على أربع خِصال : على القدْس ، والطّهر ، والصِّدق ، والمسكنَة . فأمَّا المسكنة ، فأَنْ يأكلَ من المسألة [٣] ، ومِمَّا طابت به أنفُسُ النَّاس له حَتَّى لا يأكلَ إلاَّ من كسْبِ غيره الذى عليه غُرْمُهُ ومأثمه . وأمّا الطهر فترك الجِماعِ . وأمّا الصِّدق فعلى ألاّ يكذبَ . وأما القُدْس فعلى أن يكتُمَ ذنبَه ، وإن سئل عنه .

قال : فدخل الأهوازَ منهم رجلان ، فمضى أحَدُهما نحو المقابرِ للغائط وجلس الآخرُ بقربِ حانوتِ صائغٍ ، وخرجت امرأةٌ من بعض تلك القُصُور ومعها حُقٌّ [٤] فيــه أحْجارٌ نَفيسة ، فلما صَعِدَت من الطَّريق إلى دكان الصَّائغ زلِقت فسقَطَ الحقُّ من يدها ، وظليمٌ لِبعضِ أهل تلك الدُّورِ يتردَّدُ ٦٤٧
فلما سقَطَ الحقُّ وبايَنَهُ الطَّبَقُ [٥] ، تبدّدَ ما فيه مِنَ الأحْجار ، فالتَقَمَ

= « ومعناه » الملك بالسريانية . والمراد بهم : أتباع مذهب قياصرة الروم ، الذى يسمى أيضاً المذهب الخلقيدونى ، الذى أقره المجمع المعقود فى خلقيدونية سنة ٤٥١ م . انظر تاريخ الأمة القبطية (الحلقة الثانية ص ٩١ — ٩٣) .

(١) المراد بالمطامير : أماكن تهيأ تحت الأرض . وهى فى أصلها اللغوى : حفر أو أماكن تحت الأرض ، يطمر فيها الطعام والمال ، أى يخبأ . والمطمورة أيضاً : السجن تحت الأرض . انظر اللسان .

(٢) س : « ترى صاحبه » .

(٣) أى سؤال الناس الطعام . س : « فأنه » مكان : « فأن » .

(٤) الحق ، بالضم : وعاء من الخشب ، ومثله الحقة ، بالضم أيضاً . وقد يكون الحق جمعاً لحقة ، كما فى اللسان والقاموس . لكن المراد هنا المفرد قطعاً .

(٥) الطبق ، بالتحريك : غطاء كل شىء . وفى الحديث : « حجابه النور ، لو كشف طبقه لأحرقت سبحات وجهه كل شىء أدركه » . سمى طبقاً لأنه يطابق ويساوى ما هو غطاء له .

ذلك الظَّليمُ أعظَمَ حَجرٍ فيه وأَنْفَسَهُ ، وذلك بِعَيْنِ السّائح[1] ؛ ووثبه الصّائغُ وغلمانهُ فجمَعُوا تلك الأحْجَارَ ، وَنَحّوا النَّاسَ[2] وصاحُوا بهم فلم يَدْنُ منهم أحدٌ ، وفقدوا ذلك الحجَر ، فصرخت المرأةُ ، فكشف القَوْمُ وتناحَوْا[3] ، فلم يصيبوا الحَجَرَ ، فقال بعضهم : واللهِ ما كان بقربنا إلاّ هذا الرّاهبُ الجالسُ ، وماينبغى أن يكون إلاّ معــه ! فسألوه عن الحجَر فكرِه أنْ يخبرَهم أنه فى جوف الظليم فيُذْبَحَ الظليمُ ، فيكونَ قد شاركَ فى دم بعضِ الحيوان ، فقال : ما أخذْتُ شيئاً ! وبحثوه وفتّشوا كلّ شىء معه وألحُّوا عليه بالضّرب ، وأقبل صاحِبَهُ وقال . اتّقوا اللهَ ! فأخذُوهُ وقالوا[4] دفعته إلى هذا حَتَّى غَيَّبَهُ ! فقال : ما دفعتُ إليه شيئاً ! فضربوهما ليقرّ[5] فبينما هما كذلك إذْ مَرَّ رَجُلٌ يَعْقِلُ ، ففهم عنهُمُ القِصَّةَ ، ورأى ظليماً يتردّدُ فقال لهم : أكان هــذا الظليمُ يتردَّد فى الطريق حِينَ سقَطَ الحجر ؟ قالوا : نَعَمْ . قال : فهو صاحبكم . فعوَّضُوا أصحاب الظليم ، وذبحوه وشقُّوا عن قانصته ، فوجدوا الحجَر وقد نَقَص فى ذلك المقدارِ من الزَّمانِ شبيها بِشَطْره[6] ، إلاّ أنها أعطتْهُ لوْناً صارَ الذى استفادُوه من جهةِ اللَّوْنِ أربحَ لهم من وزْنِ ذلك الشَّطر أنْ لَوْ كانَ لم يَذْهَبْ .

ونارُ القانصةِ غيرُ نارِ الحجَرِ[7] .

---

(١) العين ، بالفتح : المعاينة . ومنه قولهم فى المثل : « تطلب أثراً بعد عين » . انظر أمثال الميدانى فى هذا الرسم .

(٢) نحوا : أبعدوا . ط : « نحو الناس » صوابه ، فى س ، هـ .

(٣) تناحوا : المراد بها تباعدوا . ط : « تناجوا » بالجيم ، صوابها فى س ، هـ .

(٤) ط ، س : « وقال » صوابه من هـ .

(٥) فى الأصل : « ليموتا » . وفى الجماهر للبيرونى ٤١ : « فضربا ضرب التقرير » .

(٦) أى قريبا من نصفه .

(٧) أى النار التى تقدح من الحجر .

القول في النِّيران وأقسامها

ونحنُ ذاكِرُون جُمَلاً في القَول في النِّيرانِ وأجناسها ، ومَواضِعِها ، وأيّ شيءٍ منها يضافُ إلى العجَم ، وأيّ شيءٍ منها يضاف إلى العَرب . ونُخبِرُ عن نيران الدِّيانات وغير الدِّيانات . وعمَّن عظَّمها وعمَّن استهانَ بها . وعمَّنْ أفرطَ في تعظيمها حتَّى عَبَدَها . ونخبِرُ عن المواضع التي عُظِّمَ فيها مِنْ شأنِ النّار .

(نار القربان)

فمن مواضعها التي عُظِّمَتْ بها أنَّ الله عزَّ وجلّ جعلها لبني إسرائيلَ في موضعِ امتحانِ إخلاصهم ، وَتعَرُّفِ صدقِ نِيّاتهم ؛ فكانوا يتقرَّبون بالقُرْبان . فَمَنْ كانَ منهم[1] مُخْلِصاً نزلتْ نارٌ من قِبَلِ السّماء حتَّى تُحيطَ به[2] فتأكُلَهُ ، فإذا فَعلَتْ ذلك كان صاحبُ القُرْبانِ مُخْلِصاً في تَقَرُّبِهِ . ومَتَى لَمْ يَروْها وَبَقِيَ الْقرْبَانُ على حَاله . قَضَوْا بأنّهُ كانَ مدخولَ القلْب فاسِدَ النِّيّةِ . ولذلك قال الله تعالى في كتابه : ﴿ الَّذِينَ قَالوا إنَّ اللهَ عَهِدَ إلَيْنَا ألاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلهُ النّارُ قُلْ قَدْ جاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قتَلْتُمُوهُمْ إنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ[3] ﴾ . ٩٤٨

والدَّليل على أنَّ ذلك قَدْ كَانَ معلوماً ، قولُ الله عزّ وجلّ :

---

(١) « فمن كان منهم » ساقطة من هـ .

(٢) أي بالقربان . وفي الأصل : « بهم » ، تحريف .

(٣) الآية ١٨٣ من آل عمران .

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِى قُلْتُمْ ﴾ ثمَّ إنَّ اللهَ سَتَرَ على عبادِه ، وجعَلَ بيانَ ذلك فى الآخرة . وكان ذلك التَّدْبيرُ مصلحةَ ذلك الزّمانِ[1] ، ووفق[2] طبائعهم وعِلَلهم . وقد كانَ القومُ من المعاندةِ والغَباوة على مقدارٍ لم يكنْ لينجع[3] فيهم ويَكْمُلَ لمصلحتهم إلاّ ما كان فى هذا الوزْن . فهذا بَابٌ من عظم شأن النَّار فى صُدور النّاس .

ومِمّا زاد فى تعظيم شأنِ النّار فى صدور النَّاس[4] قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى . إِذْ رَأَى نَارًا فقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّى آنَسْتُ نَارًا لعَلِّى آتِيكمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ[5] أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هَدًى . فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِىَ يَامُوسَى . إِنِّى أَنا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ . وقال عزَّ وجَلَّ : ﴿ إِذ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ[6] إِنِّى آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُون . فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِىَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِى النَّارِ وَمَنْ حَولَهَا وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وكان ذلك مما زاد فى قَدْرِ النّارِ فى صدور النّاس .

---

(١) فى ثمار القلوب ٥٥٥ نقلا عن الجاحظ : « وكان ذلك التدبير مصلحة فى ذلك الأمر » .

(٢) ط : « ووافق » ، وأثبت ما فى ﻫ وثمار القلوب .

(٣) ط : « ينجع » .

(٤) الكلام من قوله : « قول الله عز وجل » إلى هنا ، ساقط من س .

(٥) فى الأصل : « بخبر » وهو تحريف شنيع . والآية هى العاشرة من سورة طه .

(٦) ط ، ﻫ : « فقال لأهله امكثوا » س : « وقال لأهله امكثوا » . وهو تحريف كبير كسابقه . والآية هى السابعة من سورة النمل . وقد سبق مثل هذا التحريف فى القرآن ، فى ص ٨ و ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢١٠ . وانظر تحقيق النصوص لعبد السلام هارون ص ٤٥ .

ومن ذلك نار إبراهيم صلى الله عليه وسلم . وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ . قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ ثمّ قالَ ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ فلما قالَ الله عزّ وجلّ : ﴿ قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ كانَ ذلك ممّا زاد فى نباهة النّار وَقَدْرِهَا فى صُدور النّاس .

بابٌ آخر

(تنويه القرآن الكريم بشأن النار)

وهو قوله عزّ وَجَلّ : ﴿ الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (١) ﴾ .

والنّارُ مِنْ أَكبَرِ الماعون(٢) ، وأعظَمِ المرافق . ولو لم يكنْ فيها إلاّ أنّ الله عزّ وَجَلّ قد جَعَلَهَا الزاجرةَ عن المعاصى ، لكان ذلك ممّا يزيد فى قَدْرِها ، وفى نَباهةِ ذِكْرِها .

وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِى تُورُونَ . ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ(٣) ﴾ ، ثم قال : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ(٤) ﴾ . فقف عند قوله : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا ﴾ -

(١) الآية ٨٠ من سورة يس .

(٢) الماعون : ما ينتفع به . فى الأصل : « من أكثر الماعون » .

(٣) الآيتان ٧١ ، ٧٢ من سورة الواقعة .

(٤) الآية ٧٣ من سورة الواقعة .

فإن كنت بهذا القول مؤمناً فتذكَّرْ ما فيها من النعمة أوّلاً ثم آخراً ، ثم توهَّمْ مقادير النعم وتصاريفها .

١٤٩ وقد علمنا أنَّ الله عذَّب الأممَ بالغَرَق ، والرِّياح ، وبالحاصِب[1] ، والرُّجُم[2] ، وبالصَّواعق ، وبالخسْف[3] ، والمسخ ، وبالجُوع ، وبالنقص من الثمرات ، ولم يبعث عليهم نَاراً ، كما بعث [عليهم[4]] ماءً وَرِيحاً وحجارة . وجعلها من عقاب الآخرة ، ونهى أن يُحرَق بها شيء من الهوامّ وقال[5] : « لاتُعَذِّبُوا بِعَذَابِ الله » . فَقَدْ عَظَّمَهَا كما ترى .

فتفهَّمْ — رَحِمَكَ الله — فقد أرادَ اللهُ إفهامك .

وقال الله تعالى للثَّقَلَيْنِ[6] : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنْتَصِرَان . فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ . فجعل الشُّواظ والنحَاسَ ، وهما النَّارُ وَالدُّخانُ ، من الآية . ولذلك قال على نَسَق الكلام : ﴿ فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ،ولم يَعْنِ أن التَّعْذيبَ بالنَّار نِعمةٌ يومَ القيامة ، ولكنه أرادَ التَّحذيرَ بالخوفِ والوَعِيدِ بها[7] ، غيرَ إدخالِ النَّاس[8] فيها ، وإحراقهم بها .

---

(١) الحاصب : ريح شديدة تحمل التراب والحصباء . وقيل : هو ما تناثر من دقاق البرد والثلج ، أو الريح التي تقلع الحصباء .

(٢) الرجم ، بضمتين : النجوم التي يرمى بها .

(٣) الخسف : تغييب الشيء في باطن الأرض . وفي الكتاب في شأن قارون : « فخسفنا به وبداره الأرض » .

(٤) الزيادة من س ، هـ : وثمار القلوب ٤٥٤ .

(٥) أي على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم . والحديث الآتي رواه أبوداود والترمذي والحاكم في المستدرك . انظر الجامع الصغير ٩٨٣٠ .

(٦) الثقلان ، بالتحريك : الجن والإنس .

(٧) كذا في س . وفي ط ، هـ : « والخوف والمواعيد بها » .

(٨) في الأصل : « النار » ، ووجهه ما أثبت .

(شعر فى بعض النبات)

وقال المرّار بن منقذ[1] :

وكأنَّ أرحُلنا بجوٍّ مُحصَّبٍ   بلوَى عُنيزةَ مِنْ مَقِيلِ التُّرْمُسِ[2]
فى حيثُ خالطت الخزامى عَرْفَجاً   يأتيك قابسُ أهْلِهَا لم يُقْبِسِ[3]

أراد خِصْبَ الوادى ورُطوبَتَهُ . وإذا كان كذلك لم تَقْدَحْ عيدانُهُ ، فإنْ دَخَلها[4] مستقبسٌ لم يُورِ ناراً .

وقال كُثَيِّر :

له حسبٌ فى الحىِّ ، وارٍ زِنَادُهُ   عَفَارٌ وَمَرْخٌ حَثَّهُ الوَرْىُ عاجلُ[5]

---

(١) المرار بن منقذ ، ذكره صاحب المؤتلف ١٧٦ ، ويعرف أيضاً بالمرار الحنظلى ، وهو الذى سعى بجرير إلى سليمان بن عبد الملك فهاج الهجاء بينه وبين جرير . معجم المرزبانى ٤٠٩ . والبيتان الآتيان سبقا فى (٣ : ١٢١) .

(٢) ط ، ه : « أرجلنا » صوابه فى س . ط : « مخصب » وأثبت ما فى س ، ه والبيان (٣ : ٣٤) . وما فى ط رواية المخصص (١٠ : ١٢٣) . وانظر ما سبق من شرح البيت فى (٣ : ١٢١) .

(٣) فى الأصل : « الخزاما » بالألف . وانظر ما سبق من الكلام على هذا البيت فى (٣ : ١٢١) .

(٤) انظر ما سبق من تعقيب الجاحظ فى (٣ : ١٢١) . ولعل : « دخلها » : « حكها » أو « قدحها » .

(٥) وار : متقد . والزناد : جمع زند ، أو الزناد مفرد كالزند ، عن كراع ، وهو ذاك الذى يقتدح به . وهى كناية عن الكرم وغيره من الخصال المحمودة . ط ، س : « وارى » صوابه فى ه والمخصص . حثه : أراد : عجل بإشعاله . وفى الأصل « حثة » تحريف صوابه فى المخصص (١١ : ٢٧) . وصدره فى المخصص : « لهم حسب » . ومما قيل فى مثل هذا المعنى ، قول الأعشى :

زنادك خير زناد الملوك   خالط فيهن مرخ عفارا
ولو بت تقدح فى ظلمة   حصاة بنبع لأوريت نارا

والعَفار والمَرْخ ، مِن بين جميع العِيدان التى تُقْدَحُ ، أكثرُها فى ذلك وأسرعُها .

قال : ومن أمثالهم : « فى كُلِّ الشَّجَرِ نارٌ ، واستمجَدَ المَرْخُ والعَفار [1] » .

(نار الاستمطار)

ونارٌ أخرى ، وهى النَّار التى كانوا يَسْتَمْطِرُونَ بها فى الجاهليَّةِ الأولى ؛ فإنهم كانوا إذا تتابعت عليهم الأزَمَات [2] ورَكَدَ عليهم البلاءُ ، واشتدَّ الجَدْب ، واحتاجُوا إلى الاستِمْطار ، اجتَمَعُوا وجَمَعُوا ما قَدَرُوا عليه من البَقَر ثمَّ عقَدُوا فى أذنابها وبينَ عراقِيبها ، السَّلَعَ والعُشَر [3] ، ثمَّ صعدوا بها فى جبلٍ وعْرٍ [4] ، وأشعَلُوا فيها النِّيرانَ ، وضجُّوا بالدُّعاء والتضرُّع . فكانوا يَروْنَ أنَّ ذلك من أسبابِ السُّقيا . ولذلك قال أُمَيَّةُ :

سَـــنَةٌ أَزْمةٌ تخيِّلُ بالنَّا ... سِ تَرَى للعِضَاهِ فيها صريرا

(١) استمجد : أسرع الورى ؛ فهو فى منحه النار بسرعة ، شبيه بمن يكثر من العطاء طلباً للمجد . ط ، س : « استجمد » هـ : « استمحر » صوابهما فى اللسان وأمثال الميدانى (٢ : ١٨) والمخصص (١١ : ٢٧) والخزانة (١ : ١٥٩ ، ٢ : ٨٦ ، ٤ : ٤٦ بولاق) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨) .

(٢) الأزمات ، بالتحريك : جمع أزمة بالفتح ، وهى الشدة . وفى الأصل : « الأزمان » محرفة .

(٣) السلع ، بالتحريك ، والعشر بضم ففتح : ضربان من الشجر ، كان العرب يأخذون حطبهما للغرض الذى ذكره الجاحظ .

(٤) وروى عكسه ، أى أنهم كانوا يحدرونها من الجبال . انظر شرح شواهد المغنى ٣٤٧ .

إذْ يَسفُّونَ بالدَّقيقِ وكانوا   قَبْلُ لا يأْكُلونَ شيئاً فَطيرا(١)

ويَسُوقون باقراً يطردُ السَّهـ   لَ مهازيلَ خَشْيةً أن يَبُورَا(٢)

عاقِدِينَ النِّيرانَ في شُكُرِ الأذْ   نابِ عَمْداً كيما تَهيجَ البُحورا(٣)

فاشتَوَتْ كلها فهاجَ عليهم   ثمّ هاجَتْ إلى صَبِيرٍ صَبِيرَا(٤) ١٥٠

فرآها الإلٰه تُرْشِمَ بِالْقَطْـ   رِ وأمسى جَنَابُهم ممطورا(٥)

فسقاها نَشاصُه واكفَ الغيْـ   ثِ منه إذ رادعوه الكبيرا(٦)

سَلَعٌ ما ومِثْله عُشَرٌ ما   عائلٌ ما وعالت البيقورا(٧)

---

(١) سففت السويق والدواء ونحوهما ، بكسر الفاء الأولى ، أسف ، بفتح السين . والباء في : « بالدقيق » زائدة . أي يسفون الدقيق . انظر أدب الكاتب ٣٩٧ والاقتضاب ٤٥٦ . والفطير : ماعجل خبزه من ساعة ، ولم يترك حتى يختمر .

(٢) الباقر : البقر . ورواية اللسان (عيل) : « ويسوقون باقر السهل للطود » وهي رواية الآلوسي في بلوغ الأرب (٢ : ٣٠١) عن ابن الكلبي . مهازيل : نحاف ، هزلتها الأزمة . يبور : يهلك ، أي الباقر . س : « تبورا » .

(٣) الشكر : جمع شكير ، وهو الشعر القصير بين الشعر الطويل . ط : « عهدا » مكان « عمدا » هـ : « عداء » ، صوابهما ما أثبت من س . وهاجت البحور : أثارتها . يقال : هاجه وأهاجه . وروى في اللسان (ثكن) وبلوغ الأرب : « في ثكن الأذناب » .

(٤) كلها : أي كل الأذناب ، أو كل الباقر . والصبير : السحاب يثبت يوما وليلة ولا يبرح ، كأنه يصبر أي يحبس .

(٥) ضمير رآها للأرض المفهومة من الكلام . وأرشمت الأرض : بدا نبتها . في الأصل والديوان : « ترسم » ولا وجه له . والقطر ، بالفتح : المطر .

(٦) النشاص ، بالفتح : السحاب المرتفع . والغيث الواكف : المطر الهاطل . وفي الأصل : « فسقاها نشاطه واكف النبت » تحريف . منه : أي من النشاص . وفي الأصل : « منهم » صوابه من ديوان أمية ٣٦ . هـ : « إذ رأى دعوة » وفي الديوان : « إذا وادعوه » . وأرى كل ذلك محرفا . وشعر أمية مفعم بالتحريف والتصحيف .

(٧) السلع والعشر مضى ضبطهما وتفسيرهما . والكلمة الأخيرة من البيت حكاية من =

هكذا كان الأصمعيُّ ينشِدُ هذه الكلمة ، فقال له علماءُ بَغدادَ : صحَّفْتَ ، إنما هي البيقور ، مأخوذة من البقر .

وأنشد[1] القحذمى[2] للوَرَلِ الطائيِّ[3] :

لادَرَّ درُّ رِجالٍ خابَ سَعيُهُمُ يستَمْطِرُون لَدَى الأَزْماتِ بالعُشَرِ[4]

أجاعلٌ أنتَ بَيْقُوراً مُسلَّعةً ذَريعةً لك بينَ اللهِ والمَطَرِ[5]

= الجاحظ لتصحيف الأصمعى ، كما سيأتى . والرواية : « البيقورا » بمعنى البقر ، كما نبه وكما فى اللسان (بقر ، عيل) والديوان . ويقال عال الشىء فلانا : ثقل عليه . القاموس . يقول : أثقلت البقر بما حلته من السلع والعشر . انظر اللسان (عيل) وأنشد البيت صاحب اللسان مرة ثالثة فى (علي) بعد أن قال : « وعالِ عَلَيَّ : أى احمِلْ » فكأنه جعل « عالت » مرة أخرى من المعالاة . والبيت استشهد به ابن هشام فى المغنى على زيادة « ما » ثلاث مرات . وقد نقل السيوطى فى المزهر (٢ : ٢٢٣) ما كتبه الجاحظ هنا عن تصحيف الأصمعى . وفيه : « النيقورا » . وليس أحد التصحيفين بأولى فى الإثبات من صاحبه . ونقل الآلوسى فى بلوغ الأرب (٢ : ٣٠١) أن تصحيف الأصمعى هو : « وغالت البيقورا » بالغين المعجمة .

(١) ط : « فأنشد » صوابه فى س ، هـ .

(٢) القحذمى هو الوليد بن هشام القحذمى ، كما فى البيان (١ : ٢٩١ ، ٢ : ٢٥٤) . وفى لسان الميزان (٦ : ٢٢٨) . « قال ابن حبان فى الطبقة الثالثة من الثقات : الوليد بن هشام بن قحذم ، أبو عبد الرحمن القحذمى ، من أهل البصرة ، يروى عن جرير بن عثمان . حدثنا عنه أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى . مات سنة اثنتين وعشرين ومائتين » . والقحذمى ، بفتح القاف بعدها حاء مهملة ساكنة وذال معجمة مفتوحة : نسبة إلى جده قحذم ، كما رأيت . وفى الأصل : « القحدمى » بالدال ، تصحيف ، صوابه من المصدرين السابقين .

(٣) كذا فى الأصل واللسان (بقر) نقلا عن الجوهرى ، حيث أنشد البيتين . وفى اللسان (سلع) : « الورك » .

(٤) س ، هـ : « لدى الأزمان » ، صوابه فى ط واللسان (بقر ، وسلع) .

(٥) مسلعة : وضع فى أذنابها وبين عراقيبها السلع . والسلع ، بالتحريك : نبت .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال بَقَر ، وبَقِير ، وبَيقور ، وباقر⁽١⁾ . ويقال للجماعة منها : قطيع وإجْل ، وكَوْر⁽٢⁾ . وأنشد⁽٣⁾ :

فسكَّنتهم بالقَوْلِ حتى كأنَّهم بواقِرُ جُلْحٌ أسكنَتْها المراتعُ⁽٤⁾

وأنشد⁽٥⁾ :

ولا شَبُوبٌ مِنَ الثيران أفْرَدَهُ عَنْ كَوْرِه كَثْرَةُ الإغْرَاءِ والطَّرَدُ⁽٦⁾

---

(١) زاد عليه فى اللسان : باقور وباقورة . وكلها أسماء جمع .

(٢) إجل ، بالكسر . وكور ، بالفتح . وفى الصحاح : « والكور أيضاً : الجماعة الكثيرة من الإبل . . . . وجعله أبو ذؤيب فى البقر أيضاً » .

(٣) البيت الآتى لقيس بن عيزارة الهذلى ، كما فى اللسان (جلح) . وله ترجمة فى معجم المرزبانى ٣٢٦ . والعيزارة أمه ، وهو قيس بن خويلد .

(٤) جلح : جمع أجلح وجلحاء ، وهو الذى لا قرن له . أسكنتها : جعلتها تسكن . وفى اللسان (جلح) : « سكنتها » ، وروى فى (بقر) : « أسكنتها » . وفى ب : « أمكنتها » .

(٥) البيت الآتى لأبى ذؤيب الهذلى ، كما فى ديوان الهذليين ١ : ١٢٤ واللسان (كور) . وقبله ، وهو أول القصيدة :

تالله يَبْقَى على الأيّام مُبْتَقِلٌ جَوْنُ السَّراة رَبَاعٌ سِنُّهُ غَرِدُ

يقول : تالله لايبقى على الأيام مبتقل : أى الذى يرعى البقل . جون السراة : أسود الظهر . غرد : مصوت .

(٦) أى : ولا يبقى شبوب . والشبوب ، كصبور : التام الشباب . ومثله الشبب ، بالتحريك . والمشب ، بضم الميم وكسر الشين . ورواية الجوهرى : « ولا مشب » وهى كذلك رواية ابن سيده (٨ : ٣٣) . وفى (٨ : ٤٢) : « ولا شبوب » . وقد ضبط فى اللسان : « ولا شَبوبَ » بالبناء على الفتح ، وهو خطأ ، فإنه عطف على : « مبتقل » فى البيت السابق فى التنبيه السالف . أفرده عن كوره : جعله مفرداً عن جماعته وشرده . وروى فى اللسان : « من كوره » . والإغراء : =

(نار التحالف والحلف)

ونار أخرى ، هى التى توقَدُ عند التَّحالُف ؛ فلا يعقِدُونَ حِلفهُمْ إلاَّ عندَها . فيذكرون عنـد ذلك[1] منافعَها ، ويَدْعُونَ إلى الله عزَّ وجلَّ ، بالحرمان والمنع من منافعها ، على الذى يَنْقُضُ عَهْدَ الحِلف ، ويَخيس بالعهد[2] .

ويقولون فى الحلف : الدَّمُ الدَّمُ ، والهـدمُ الهـدَمُ[3] (يحركون الدّالَ فى هذا الموضع) لا يزيده[4] طلوعُ الشمس إلاَّ شَدًّا ، وطولُ اللَّيالى إلاّ مَدًّا ، ما بلَّ البحر صوفة[5] ، وما أقام رضوى فى مكانه[6] . (إن كان جبلهم رَضْوَى) .

= أى إغراء الكلاب الصائدات به . والطرد ، بالتحريك ، مثل الطرد بالفتح : المطاردة ومزاولة الصيد . هـ : « من النيران » محرف . وفى الأصل : « كثرة الأعداء » ، صوابه من اللسان والمخصص والصحاح .

(١) هـ : « عند ذكر » .

(٢) خاس بالعهد : أخلفه ونقضه .

(٣) الهدم ، بالسكون ، وبالتحريك : إهدار دم القتيل . والمعنى : إن طلب دمكم فقد طلب دمنا ، وإن أهدر دمكم فقد أهدر دمنا . وقيل : الهدم ، بالتحريك : القبر . أى قبرنا قبركم . أى لا نزال معكم حتى نموت عندكم . وللعبارة تفاسير أخر مذكورة فى اللسان ، وكلها جيد .

(٤) أى لا يزيد الحلف .

(٥) فى الأصل : « وما بل البحر صوفة » والواو مقحمة . والصوفة : واحدة الصوف . وصوف البحر : شىء على شكل هذا الصوف الحيوانى . ويروى : « مابل بحر صوفة » ، كما فى اللسان (صوف) .

(٦) رضوى ، بالفتح : جبل بالمدينة .

وكلُّ قومٍ يذكرون جبلهم ، والمشهورُ من جبالِهم .

وربّما دَنَوْا منها حتى تكاد تحرقهم[1] .

ويهوِّلون على من يُخافُ عليه الغَدْرُ ، بحقوقها ومنافعها . والتَّخويفِ مِنْ حِرْمانِ منفعتها . وقال الكُمَيت :

كهُولةِ ما أوقد المحلفُو ... ن للحالِفِينَ وما هَوّلوا[2]

وأصلُ[3] الحِلْف والتَّحالف ، إنما هو مِن الحَلِفِ والأيمان[4]

ولقد تحالفت قبائلُ من قبائِل مُرَّةَ بنِ عوف ، فتحالفوا عندَ نارٍ فَدَنَوْا منها . وعشُوا بها[5] . حتّى محَشَتهم . فسُمُّوا : المحاشَ[6] .

وكان سيدَهم والمطاعَ فيهم ، أبو ضمرة يزيد بن سنان بن أبي حارثة[7] . ولذلك يقول النّابغة :

جَمِّعْ مِحاشَكَ يا يزيدُ فإنَّني ... جَمَّعْتُ يَرْبُوعاً لكم وتميما[8]

(١) هـ : « تحرقهم » مصحفة .

(٢) الهولة ، بالضم : مايهول . ط ، س : « لهولة » صوابه فى هـ واللسان (هول) . وكانوا يطرحون فى النار ملحا يفقع يهولون بذلك . اللسان (نور) . وانظر الخزانة (٣ : ٢١٤) حيث تجد تفصيلا أوسع . وقبل البيت كما فى الخزانة :

فَقد صرتُ عمًّا لها بالمشيبِ ... زَوَالاً لدَيْهاَ هُوَ الأَزْوَلُ

(٣) فى الأصل : « وأهل » ، ووجهه ما أثبت .

(٤) الأيمان : جمع يمين ، وهى القسم . ط : « ولا يماو » تحريف ما أثبت من س ، هـ .

(٥) عشى بالنار ، كرضى ودعا : ساء بصره . ومصدره العشا ، يكتب بالألف وبالياء .

(٦) المحاش ، بالكسر . ومحشته النار : أحرقته. والمحاش : هم صرمة وسهم ومالك بنومرة ابن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض ، وضبة بن سعد . اللسان (محش) . وفى شرح ديوان النابغة للبطليوسى ٦٩ أنهم بنو خصيلة بن مرة ، وبنو نشبة بن غيظ بن مرة ، تحالفوا على بنى يربوع بن غيظ بن مرة ، رهط النابغة .

(٧) يزيد هذا ، هو أخو هرم بن سنان بن أبى حارثة الذى مدحه زهير بن أبى سلمى . وأبوهما سنان ، كان أيضاً من مدحه زهير .

(٨) رواية اللسان والديوان : « أعددت يربوعا » .

١٥١ ولحِقتُ بالنَّسَبِ الذى عَـيَّرتَنِي ... وتركْتَ أصلاً يا يزيدُ ذميما[1]

وقوله : « تميم » يريد : تميمة[2] . فحذف الهاء .

(التحالف والتعاقد على الملح)

وربّما تحالفوا وتعاقدُوا على الملح . والملحُ شيئان : أحدهما المَرَقة[3] ، والآخر اللَّبَنَ . وأنشدوا لشُتيم بن خُويلدٍ الفَزارىّ[4] :

لا يبعد اللهُ رَبُّ العبـــادِ ... والمِلْـــحَ ما وَلَدَت خَالِدَهْ[5]

(١) كان يزيد يفتخر بنسبته فى قيس ويقول :

إنى امرؤ من صلب قيس ماجد ... لامدع نسبا ولا مستنكر

وكان يقول للنابغة : والله ما أنت من قيس ولا أنت إلا من قضاعة . فقال النابغة له : أنا لاحق بمن عيرتنى ومتحقق بهم ، ولست مثلك تنتفى عن أصلك . وقيس من العدنانية . وأما قضاعة فكانت فى العدنانية ، ثم تحولت إلى القحطانية . انظر ما سبق من الكلام على هذا فى ص ٣٢٥ — ٣٢٦ من هذا الجزء . وفى الديوان : « وتركت أصلك » و « ذميما » حال من فاعل « تركت » أى فعلت ذلك وأنت مذموم .

(٢) أى استعمل الترخيم فحذف الهاء . وتميمة هى ابن ضبة بن عذرة بن سعد بن ذبيان ، كما فى شرح ديوان النابغة ٧٠ . قال : « قوله وتميما ، لم يرد تميم بن مر . إنما أراد : تميمة بن ضبة بن عذرة » . وقد عقب على ذلك بقوله : « فرخم فى غير النداء » . وكلمة : « مر » هى فى أصل الشرح : « مرة » . و « تميمة بن ضبة » هى فى أصلها : « تميم ابن ضبة » . وقد أصلحت التحريفين .

(٣) كذا . وفى القاموس واللسان أن الملح « الحرمة » . وفى اللسان عن ابن الأنبارى والخزانة (٤ : ١٦٤ بولاق) عن المفضل بن سلمة أن الملح « البركة » . ولم أجد من فسرها بأنها المرقة .

(٤) شتيم ، بهيئة التصغير ، شاعر جاهلى كما فى الخزانة (٤ : ١٦٤ بولاق) . وروى فى الخزانة أيضاً عن نوادر ابن الأعرابى منسوبا إلى نهيكة بن الحارث المازنى من مازن فزارة . ورواه المبرد فى كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه ص ٢٧ منسوبا إلى ابن الزبعرى . وفى مقطعات المراثى ١٠٦ نسبتها إلى الحارث بن عمرو الفزارى يرثى بنى خالدة : كردما وإخوته . وانظر اللسان (لوم ٣٨) .

(٥) الملح ، روى بالرفع فى الفاخر ٩ والكامل ٢٨٤ ليبسك . عطف على لفظ الجلالة

وأنشدوا فيه[1] قول أبى الطَّمَحَان[2] :

وإنى لأَرْجُو مِلْحَهَا فى بطونِكم   وما بَسَطتْ مِنْ جِلْدِأَشْعَثَ أَغْبَرَا[3]

وذلك أَنَّهُ كان جاورهم ، فكان يَسقيهم اللَّبن ؛ فقال : أرجو أن تشكروا لى رَدَّ إبِلِى[4] ، عَلَى ما شربتم من ألبانها ، وما بَسَطتْ من جلْدِ أَشْعَثَ أغبر . كأنَّهُ يقول : كنتم مهازيل — والمهزولُ يتقشَّف جِلْدُهُ وينقبض — فَبَسَطَ ذلك من جُلودِكم .

(نار المسافر)

ونار أخرى[5] ، وهى النّار الّتى كانوا رُبَّما أوقدوها خَلْفَ المسافر ،

= وروى بالجر عطفا على « العباد » أو بجعل الواو واو القسم . انظر اللسان (٣ : ٤٤٤ س ٤) حيث تجد العبارة مضطربة . وقد حررتها . وخالدة هى بنت أرقم ، أم كردم وكريدم ابنى شعبة الفزاريين .

(١) أى فى الملح . وفى الأصل : « فى » محرفة .

(٢) أبو الطمحان ، بالتحريك ، هو حنظلة بن الشرقى . كان نديما للزبير بن عبد المطلب فى الجاهلية ، ثم أدرك الإسلام . وهو أحد المعمرين . الإصابة ٢٠٠٧ والأغانى (١١ : ١٢٥) والشعراء ٣٤٨ .

(٣) كذا جاءت الرواية هنا وفى الكامل ٢٨٤ ليبسك والاشتقاق ٢٦٧ والغريب المصنف ٤٩٤ والمخصص (١ : ٢٦) بالجر . والقصيدة مكسورة الروى . وأولها :

ألا حنَّتِ المرقالُ واشتاق رَبُّها   تَذَكَّرُ أَرْمَامًا وأَذْكُرُ مَعْشَرِى

انظر اللسان (ملح) والشعراء والأغانى (١١ : ١٢٨) . والبيت يقوله لقوم نزلوا عليه فشربوا من ألبانها ثم أغاروا عليها فأخذوها .

(٤) الرد بمعنى الفائدة والنفع . وانظر البيان (٣ : ٥٠) . ط ، هـ : « ردائلى » س : « رزائلى » بهذا الإهمال . وصوابهما ماأثبت .

(٥) سماها العسكرى فى كتاب الأوائل : « نار الطرد » صبح الأعشى (١ : ٤٠٩) وتنزيل الآيات لمحب الدين أفندى . وسماها الثعالبى فى ثمار القلوب ٤٥٩ : « نار المسافر » .

وخَلْفَ الزَّائِرِ الذى لا يحبُّونَ رُجُوعَهُ . وكانوا يقولون فى الدُّعاءِ : أبعده الله وأسحقه ، وَأَوْقَدَ نَاراً خلفَه ، وفى إثره ! وهو معنى قولِ بشار — وضربَهُ مثلا — :

صَحوتَ وأوقدْتَ للجهل نَارَا ورِدَّ عليك الصِّبَا ما اسْتَعَارَا[1]

وأنشدوا :

وَجمَّةِ أقوامٍ حَمَلْتَ ولم تكنْ لتوقِدَ نَاراً إثْرهم للتندُّمِ[2]

والجَمَّة : الجَمَاعَة يمشون فى الصلح . وقال الراجز فى إبله :

* تقسَمُ فى الحقِّ وَتعْطَى فى الجُمَمْ[3] *

يقول[4] : لا تندم على ما أعطيت فى الحمالة[5] ، عند كلام الجماعة فتوقد خلفهم نَاراً كَى لا يعودوا .

(نار الحرب)

ونار أخرى[6] وهى النَّار التى كانوا إذا أرادوا حرْباً ، وتوقعُوا جيشاً عظيما ، وأرادوا الاجتماع أوقدوا ليلاً على جبلهم نَاراً ؛ ليبلغَ الخبرُ أصحابَهم .

---

(١) ديوان بشار ٣ : ٤ ومجالس ثعلب ٦١١ والأزمنة والأمكنة (٢ : ٣٥٧) . واللسان (وقد) .

(٢) مثل هذه الرواية فى ثمار القلوب ٤٥٩ وتنزيل الآيات . وروى فى اللسان (نور) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٧) : « ولم أكن لأوقد ناراً » . والجمة ، بفتح الجيم وتضم .

(٣) فى الحق : أى فى حق الأضياف إذ ينحرها لهم . هـ : « يقسم » س ، هـ : « بالحق » صوابهما فى ط . س : « بالجمم » صوابه فى ط ، هـ .

(٤) أى الشاعر السابق ، لا الراجز .

(٥) الحمالة ، كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم .

(٦) سماها الثعالبى فى ثمار القلوب ٤٦١ : « نار الإنذار » والعسكرى فيما نقل عنه محب الدين أفندى : « نار الأهبة للحرب » ، وفيما نقل عنه القلقشندى : « نار الحرب » .

وقد قال عمرُو بنُ كلثومٍ :

ونحنُ غداةَ أُوقِدَ فى خزازٍ   رَفدْنَا فوْقَ رِفْدِ الرَّافدينا[١]

وإذا جَدُّوا فى جَمْعِ عشائرهم إليهم[٢] أَوْقَدُوا نارَيْنِ . وهو قول الفرزدق[٣] :

لولا فوارسُ تَغْلِبَ ابنَةِ وائِلٍ   سَدَّ العدوُّ عليكَ كل مكانِ[٤]

ضربُوا الصَّنَائِعَ والملوكَ وأوقدُوا   نارَيْنِ أشرفَتَا على النِّيرانِ[٥]

---

(١) خزاز وخزازى ، بالفتح : جبل . وروى البيت بالروايتين . س ، هـ : « حزاز » مصحفة . وانظر خبر يوم خزاز فى معجم البلدان والميدانى (٢ : ٣٥٣) والعقد (٣ : ٣٦٥) وكامل ابن الأثير (١ : ٣١٠) والعمدة (٢ : ١٦٦) . رفدنا : أعنا .

(٢) فى الأصل : « فى جميع » محرفة . ط ، س : « ولما وجدوا » هـ : « ولما حدوا » وهما تصحيف ما أثبت . وجاء فى تنزيل الآيات ٩٢ : « فإذا جد الأمر أوقدوا نارين » ، وفى الخزانة (٣ : ٢١٤ بولاق) نقلا عن ابن قتيبة : « فإذا جدوا وأعجلوا أوقدوا نارين » .

(٣) من قصيدة يهجو بها جريرا ، ويذكر فضل التغلبيين رهط الأخطل . الديوان ٨٨٢ — ٨٨٣ .

(٤) روى فى الديوان وتنزيل الآيات : « نزل العدو عليك » هـ : « ترك » محرفة عن الرواية السابقة .

(٥) الصنائع ، يروون أنه كان للنعمان الأكبر ملك الحيرة ، خمس كتائب : الرهائن ، والصنائع ، والوضائع ، والأشاهب ، ودوسر . فالرهائن : خمسمائة رجل رهائن لقبائل العرب يقيمون سنة على باب الملك طوع أمره ، ثم يستبدل غيرهم بهم . و (الصنائع) : بنو قيس وبنو تيم اللات ابنى ثعلبة . وكانوا خواص الملك لا يبرحون بابه . والوضائع : ألف رجل من الفرس يضعهم ملك الملوك بالحيرة نجدة لملوك العرب ، يقيمون سنة ثم يستبدل غيرهم بهم . والأشاهب : إخوة ملك العرب وبنو عمه . وأما دوسر فكانت أخشن كتائبه وأشدها بطشا ، وكانوا من كل قبائل العرب : وأكثرهم من ربيعة . انظر بلوغ الأرب (٢ : ١٧٦) . وفى الأصل : « ضربوا المصانع والتلول » وليت شعرى ماذا يجدى عليهم ضرب التلول ؟ ! =

(نار الحرَّتين)

ونار أخرى ، وهى « نار الحرّتين(١) » ، وهى نار خالد بن سنان ،
أحد بنى مخزوم ، من بنى قُطَيْعَةَ بنِ عَبْس(٢) . ولم يكن فى بنى إسمعيل
١٥٣ نبىٌّ قبلَهُ . وهو الذى أطفأ الله به نار الحَرَّتَينِ . وكانت ببلاد بنى عبس(٣) ،
فإذا كان اللَّيلُ فهى نارٌ تسطعُ فى السَّماء ، وكانت طيِّئٌ تُنْفِشُ بها إبلها
من مسيرةِ ثلاث(٤) . وربّما ندَرَتْ منها العُنُق(٥) فتأتى على كلِّ شىء
فتحرقه . وإذا كان النهارُ فإنما هى دخانٌ يفور . فبعث الله خالدَ بنَ سنان

= فهو تحريف صوابه ما أثبت من الخزانة ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨) ، وتنزيل الآيات . ورواية الديوان : « قتلوا الصنائع والملوك » وفيه أيضاً : « نارين قد علتا » . وأشرفتا وعلتا بمعنى .

(١) الحرة ، بالفتح : أرض ذات حجارة نخرة سود . والحرتان ، هما حرة ليلى ، لبنى مرة ، وحرة النار لغطفان ، كما فى المزهر (٢ : ١١٩) . أما حرة ليلى فهى من وراء وادى القرى من جهة المدينة . وحرة النار قريبة من حرة ليلى قرب المدينة . عن معجم البلدان .

(٢) قطيعة ، كجهينة ، بهيئة التصغير .

(٣) فى الأصل : « وكانت حرة ببلاد بنى عبس » . وكلمة « حرة » تفسد الكلام . وضمير « كانت » راجع إلى : « نار الحرتين » فالصواب حذفها ، كما جاء فى نقل الثعالبى عن الجاحظ فى ثمار القلوب ٤٥٦ . وكما فى صبح الأعشى (١ : ٤٠٩) وبلوغ الأرب .

(٤) أنفش الراعى إبله : جعلها ترعى ليلا دون أن يراقبها . من مسيرة ثلاث : أى ثلاث ليال ، كما جاء فى ثمار القلوب نقلا عن الجاحظ ، وكما فى صبح الأعشى (١ : ٤٠٩) وبلوغ الأرب . س : فقط « ثلاثة » : أى ثلاثة أيام . فى الأصل : « تتبين بها إبلها » ، وفى ثمار القلوب : « تنعش بها إبلهم » ، ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨) وهو ينقل عن الجاحظ ولو لم يصرح — : « تنقش فيها الإبل » صواب هذا كله « تنفش » بالفاء ، كما أثبت موافقا لما فى عجائب المخلوقات ٨٨ .

(٥) ندرت : ظهرت وبدت . والعنق : القطعة أو الطائفة .

فاحتفرَ لَهَا بئراً ، ثمّ أدخلها فيها ، والنّاسُ ينظرون ؛ ثمّ اقتحم فيها حتى غيَّبها . وسمع بعض القوم وهو يقول [هَلَكَ الرَّجُلُ ! فقال خالدُ بنُ سِنان[(١)]] : كذب ابنُ راعية المعز ، لأخرجنّ منها وجبيني يَنْدَى[(٢)] ! فلمّا حضَرَتْه الوفاة ، قال لقومه : إذا أنا متُّ ثمّ دفنتمونى ، فاحضُرونى بعدَ ثلاثٍ ؛ فإنّكم تَرَوْنَ عَيراً أبتَرَ يطوفُ بقبرى ، فإذا رأيتم ذلك فانبشونى ؛ فإنّى أخبرُكم بما هو كائن إلى يوم القيامة . فاجتمعوا لذلك فى اليوم الثالث[(٣)] ، فلما رأوا العَيْرَ[(٤)] وذهبوا ينبشونه ، اختلفوا ، فصاروا فرقتين ، وابنه عبدُ الله فى الفِرقة التى أَبَتْ أن تنبشه وهو يقول : [لا أفْعَلُ ! إنّى[(٥)]] إذًا أُدْعَى ابنَ المنبوش ! فتركوه .

وقد قدِمَتْ ابنَتُهُ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فبسَطَ لها رِداءَهَ وقال : هذه ابنةُ نَبيٍّ ضيّعهُ قومُهُ .

قال : وسَمِعَتْ سورَةَ : ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ فقالت : قد كان أبى يتلو هذه السورة .

---

(١) هذه التكلة من الإصابة ٢٣٥١ فى ترجمة خالد بن سنان . وبدونها لايصح الكلام .

(٢) كذا على الصواب فى محاضرات الراغب ، والعبارة محرفة فى الأصل . فنى ط : « وجبّى تندل » هـ : « وحيتى يندا » س : « وجبينى تندى » . وينلى : أى عليه ندى العرق . كناية عن سلامته من أذى النار ولفحها .

(٣) كذا فى س ، وثمار القلوب . وفى ط ، هـ : « فاجتمعوا له فى ذلك اليوم » .

(٤) العير ، بالفتح : الحمار الوحشى .

(٥) الزيادة من محاضرات الراغب . وانظر الخبر أيضا مروج الذهب (١ : ٦٧ — ٦٨) .

(نبوّة خالد بن سنان)

والمتكلِّمون لا يؤمنون بهذا ، ويزعمون أنَّ خالداً هذا كان أعرابيًّا وَبَرِيًّا ، من أهل شَرْجٍ ونَاظِرَة[1] . ولم يبعث الله نبيًّا قطُّ من الأعرابِ ولا من الفدَّادِينَ[2] أهلِ الوَبَرِ ، وإنما يبعثهم من أهل القرَى ، وسُكَّانِ المُدُنِ .

وقال خُلَيْدُ عَيْنَيْنِ[3] :

وأىّ نبيٍّ كانَ فى غيرِ قَوْمِهِ ... وَهَلْ كانَ حُكْمُ اللهِ إلاَّ مَعَ النَّخْلِ[4]

وأنشدُوا :

كَنَارِ الحَرَّتَيْنِ لها زفيرٌ ... يُصِمُّ مَسَامِعَ الرَّجُلِ السَّمِيعِ[5]

(عبادة النار وتعظيمها)

وما زالَ النَّاسُ كافَّةً ، والأممُ قاطبةً — حتى جَاءَ اللهُ بالحقِّ — مُولَعين بتعظيم النَّار ؛ حتى ضلَّ كثيرٌ من النَّاس لإفراطهم فيها ، أنهم يعبدونها[6] .

(١) شرج وناظرة : ماءان لعبس . عن معجم البلدان (ناظرة) . وشرج ، بفتح الشين وسكون الراء بعدها جيم . وناظرة ، بالظاء المعجمة . وفى ط ، س : « سرح وناصرة » هـ : « سرح وناصر » محرفتان صوابهما ما أثبت .

(٢) الفدادون : أهل الوبر ، أى الذين يعيشون فى بيوت من وبر الإبل ، وهم أهل البادية .

(٣) عينين : قرية بالبحرين نسب إليها خليد . وقد ترجمته فى (١ : ٢٦٦) . وفى الأصل : « خليد عبس » محرف .

(٤) يقوله لجرير فى قصيدة يهجوه بها ويرد عليه . انظر (١ : ٢٦٦) .

(٥) زفير النار : صوت توقدها واضطرامها . ط ، هـ : « تصم » . ورواية البيت فى ثمار القلوب :

ونار الحرتين لها زفير ... يصم لهوله الرجل السميع

(٦) فى ثمار القلوب : « حتى ظن كثير من الناس لإفراطهم أنهم يعبدونها » .

فأما النار العُلويَّة ؛ كالشمس والكواكب ، فقد عُبدت ألبتَّة . قال الله تعالى : ﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ .

وقد يجىءُ فى الأثرِ وفى سُنَّةِ بعضِ الأنبياء ، تعظيمها على جهة التعبّدِ والمحنة ، وعلى إيجاب الشكر على النِّعمة بها وفيها . فيغلط لذلك كثيرٌ من النَّاس ، فيجوزُون الحدَّ .

ويزعم أهلُ الكتاب أنَّ الله تعالى أوصاهُمْ بها ، وقال : « لا تُطفِئوا النِّيران مِنْ بُيوتى » . فلذلك لاتجد الكنائس والبِيَع[1] ، وبيوت العبادات ، إلاَّ وهى لا تخلو من نارٍ أبداً ، ليلاً ولا نهاراً ؛ حتَّى اتَّخذَت للنِّيرانِ ٢٩٥٣
البُيُوتَ وَالسَّدَنَةَ . ووقَفُوا عليها الغَلاَّتِ الكثيرة .

(إطفاء نيران المجوس)

أبو الحسن عن مسلمة[2] وقحدَم[3] ، أن زياداً بعث عَبدَ اللهِ بنَ أبى بَكرة[4] ، وأمَرَهُ أن يُطفِئَ النيران ، فأراد عبدُ اللهِ أَنْ يَبْدَأَ بنار

---

(١) البيع بكسر ففتح : جمع بيعة ، بالكسر ، وهى كنيسة النصارى ، وقيل ، كنيسة اليهود .

(٢) هو مسلمة بن محارب ، فيما أرجح . وله حديث عن زياد فى البيان (٢ : ٧٧) .

(٣) كذا جاء بالدال المهملة . والمعروف فى أسمائهم : « قحذم » بالذال ، و : « قحزم » بالزاى .

(٤) عبد الله ، أحد أولاد أبى بكرة الأربعين ، ذكره ابن قتيبة فى المعارف ١٢٥ . وأبو بكرة اسمه نفيع بن الحارث ، أسلم ومات فى خلافة عمر . وكان تدلى إلى النبى صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ببكرة ، فاشتهر بأبى بكرة . الإصابة ٨٧٩٤ .

جُور[1] فيطفئها ، فقيل له : ليست للمجوس نارٌ أعْظَمَ من نار الكاريان[2] من دار الحارث[3] . فإن أطفأتها لم يمتنع عَلَيْكَ أحدٌ ، وإنْ أطفأت سافلتها استعدُّوا للحَرْب وامتَنَعُوا ، فابْدَأ بها . فخرجَ إلى الكاريان فتحصَّنَ أهلها فى القَلْعة . وكان رَجُلٌ من الفرس مِنْ أهل تلك البلاد معروف[4] بالشدّة ، لا يَقْدِرُ عليه أحد ، وكان يمرُّ كلَّ عشيَّةٍ بباب منزله[5] استخفافا وإدْلالاً بنفسه ، فغمَّ ذلك عبدَ الله . فقال : أما لهذا أحدٌ ؟ ! وكان معَ عبد الله ابن أبى بكْرة[6] رجلٌ من عبد القيس ، مِنْ أشدِّ النَّاس بطشاً ، وكانَ جباناً ، فقالوا له : هذا العبدى[7] ، هو شديدٌ جَبان . وإن أَمَرْتَهُ به خافَ القتالَ فلم يَعْرِضْ له . فاحتل له حيلةً . فقال : نعم .

قال : فبينا هو فى مجلسه إذ مرَّ الفارسِيُّ ، فقال عبد الله : ما رأيتُ مِثلَ خَلْق هذا ، وما فى الأرض ـ كما زعموا ـ أشدُّ منه بطشاً ! ما يقوى

---

(١) ط ، هـ : « حوم » س : « حدر » ، صوابهما ماأثبت . جاء فى مروج الذهب (١ : ٣٨٣) : « وفى مدينة جور من أرض فارس وهو البلد الذى يحمل منه ماء الورد الجورى . وإليه يضاف بيت النار ، بناه أردشير بن بابك » . ونحو هذا الكلام أيضاً فى معجم البلدان (جور) .

(٢) الكاريان ، بكسر الراء ، قال ياقوت : « مدينة بفارس صغيرة ، ورستاقها عامر ، وبها بيت نار معظم عند المجوس ، تحمل ناره إلى الآفاق » .

(٣) كذا بالأصل . ولعل وجهه : « ومن نار الحارث » ، والحارث : جبل بأرمينية انظر معجم البلدان .

(٤) كذا فى س ، هـ ، على الوصفية ، وخبره : « لايقدر » . ط : « معروفا » على الخبرية .

(٥) فى الأصل : « يأتى منزله » .

(٦) س : « وكان مع ابن أبى بكرة » .

(٧) العبدى : نسبة إلى عبد القيس : قبيلة كانت تسكن البحرين . س : « العبدكى » ولعل صواب مافى س : « العدولى » ، نسبة إلى عدولى بفتحتين فسكون ففتح ، مقصور ، وهى قرية بالبحرين بلاد عبد القيس .

عليه أحد ! فقال العبدى[1] : ما تجعلون لى إن احتملته حتّى أُدْخِلَه الدّار وأكْتِفَهُ؟ فقال له عبد الله : لك أربعةُ آلافِ درهم . فقال : تَفُونَ لى بألف ؟ قال : نَعَمْ ! فلمّا كان الغدُ مرَّ الفارسىُّ ، فقام إليه العبدىُّ فاحتمله فما امتنَع ولا قَدَر أن يتحرّك ، حتّى أدخله الدّارَ وَضَرَبَ به الأرضَ وَوَثَبَ عليه النّاسُ فقتلوه ، وغُشِىَ على العبدى[2] حين قتلوه . فلما قُتِلَ أَعْطَى أهلُ القَلْعة بأيديهم[3] . فقتل ابنُ أبى بَكْرَةَ الهرابذةَ[4] ، وأطفأ النّارَ ، ومضى يُطفِئُ النِّيرانَ حتّى بَلَغَ سِجِسْتَانَ .

(تعظيم المجوس للنار)

والمجوسُ تقدِّم النّارَ فى التّعظيم على الماء ، وتقدّم الماءَ فى التّعظيم على الأرض . ولا تكاد تذكر الهواء[5] .

(نار السعالى والجن والغيلان)

ونار أخرى ، التى يحكونها من نيران السَّعالى[6] والجنّ ، وهى غيرُ نار الغيلاَن[7] . وأنشد أبو زيد لسَهم بن الحارث[8] :

---

(١) س : « العبدلى » . وانظر التنبيه السابق .

(٢) س : « العبدلى » ، محرف .

(٣) أعطوا بأيديهم : استسلموا واستأسروا .

(٤) الهرابذة : جمع هربذ ، بكسر الهاء والباء ، كزبرج ، وهو خادم نار المجوس . وفى معجم استينجاس أنه قيم معبد النار : أو الرئيس من رؤساء كهنة المجوس .

(٥) فى الأصل : « الهوى » محرف .

(٦) السعالى : جمع سعلاة ، بالكسر ، وهى أنثى الجن فيما يزعمون .

(٧) ذهب الجاحظ إلى أن الغيلان نوع مغاير السعالى . انظر تفصيل ذلك فى الحيوان (٦ : ١٥٨ - ١٦٠) . ونحوه ماورد فى عجائب المخلوقات ٣٠٩ . وبعض اللغويين يجعلهما نوعا واحداً .

(٨) الذى فى نوادر أبى زيد ١٢٣ : « شمير بن الحارث الضبى » وضبط « شمير » =

وَنَارٍ قد حضأتُ بُعيْدَ هَـدءٍ بدارٍ لا أُريدُ بهـا مُقامَا(١)

سوَى تحليلِ رَاحلةٍ وعَـيْنٍ أكالئُها مخافةَ أنْ تَنَامَا(٢)

أتَوْا نارِى ، فقلْتُ مَنُون أنتمْ فقالوا : الجنُّ ! قلت : عِمُوا ظَلامَا(٣)

فقلت : إلى الطّعامِ ، فقال منهم زَعيمٌ : نَحسُدُ الإنْسَ الطعامَا(٤)

وهذا غلط وليس من هذا الباب ، وسنَضعُهُ فى موضعه إن شاء الله تعالى(٥) . بل الذى يقع ههنا قولُ أبى المطراب عبيدِ بنِ أيُّوبَ(٦) :

بهيئة التصغير . وقال أبو الحسن فى ١٢٤ : « حفظى سمير » أى بالسين . وانظر الخزانة (٣ : ٣ بولاق) . وجاء فى الحيوان (٦ : ١٩٦) : « شمر بن الحارث الضبى » ومثله فى اللسان (من) . ونسبه فى (عير) إلى تأبط شرا .

(١) حضأت : أشعلت . هـ : « حصأت » مصحفة . والهدء ، بالضم والفتح : أن تهدأ الرجل والليل . س : « هذا » محرفة .

(٢) فى شرح نوادر أبى زيد ١٢٦ : « سوى تحليل راحلة ، أراد سوى راحلة أقت بها فيها بقدر تحلة اليمين » . وتحلة اليمين : مثل فى القليل المفرط القلة . وهو أن يباشر من الفعل الذى يقسم عليه المقدار الذى يبر به قسمه ويحلله . مثل أن يحلف على النزول بمكان ، فلو وقع به وقعة خفيفة أجزأته ، فتلك تحلة قسمه . انظر اللسان . وروى : « سوى ترحيل راحلة » أى إزالة الرحل عن ظهرها . وروى فى المخصص (١ : ٩٤) الميدانى (١ : ٣٢٠) مع نسبته فى الأخير إلى تأبط شرا : « وعير * أكالئه مخافة أن يناما » . وفى الخزانة عن المفضل « وعير أكالئها مخافة أن تناما » . والعير ، بالفتح : إنسان العين ، يذكر ويؤنث .

(٣) منون أنتم : أى من أنتم . وانظر تفصيل القول فى هذه اللغة فى لسان العرب (من) .

(٤) إلى الطعام : أى هلموا إليه .

(٥) برّ الجاحظ بوعده . وأعاد ذكر الأبيات فى مـوضعها . انظر الحيوان (٦ : ١٩٦) .

(٦) عبيد بن أيوب : شاعر من بنى العنبر . كان يخبر فى شعره أنه يرافق الغول والسعلاة ، ويبايت الذئاب والأفاعى ، ويأكل الظباء والوحش . الشعراء ٧٥٨ — ٧٦١ .

فللّه درُّ الغُــول أىُّ رَفِيقةٍ لصاحِبِ قفرٍ خائفٍ متقفِّرِ[1] ١٥٤
أَرَنَّتْ بِلَحْنٍ بَعْدَ لَحْنٍ وأوقَدَتْ حَوَالَىَّ نِيراناً تبوخُ وَتَزْهَرُ[2]

(نار الاحتيال)

وما زالت السَّدَنَةُ تحتالُ للنَّاس جهةَ النِّيران بأنواع الحيل ، كاحتيال رُهبانِ كَنيسةِ القُمَامة[3] ببيت المقدس بمصابيحها ، وأنَّ زَيْتَ قناديلها يَسْتوْقِدُ لهم[4] من غير نَارٍ ، فى بعض ليالى أعيادِهم .

قال : وبمثل احتيال السَّادن[5] لخالد بن الوليد ، حين رماه بالشَّرَر ؛

---

(١) المتقفر : الذى يتبع آثار الصيد ونحوه . فى الأصل : « در القول » صوابه ما أثبت من الحيوان (٥ : ١٢٣) والشعراء ٧٥٨ والمسعودى (١ : ٣٢٨) وأصل إعجاز القرآن للباقلانى ٤٣ وتنزيل الآيات ٩٣ . ط ، س : « أى رقيقة » . صوابه : « رفيقة » أى صاحبته ، كما فى هـ والمراجع المتقدمة . وفى الشعراء « يتستر » بدل « متقفر » .

(٢) أرنت : من الإرنان ، وهو التصويت . فى الأصل : «أذنت» صوابه فى المراجع . ط : « حوالى نيران » صوابه فى س ، هـ ، والمصادر السابقة ، قال المسعودى ، « كانت العرب قبل الإسلام تزعم أن الغيلان توقد بالليل النيران للعبث والتخبيل واختلال السابلة » . وانظر الحيوان (٥ : ١٢٣) . تبوخ : تسكن وتفتر . تزهر : تضىء ، وبابه منع . والمعنى : أنها تخبو تارة وتشتعل أخرى . وهذه رواية الأصل والشعراء وإعجاز القرآن وتنزيل الآيات . وفى مروج الذهب والحيوان ج ٥ : « تلوح وتزهر » . وفى هذا البيت إقواء ، فإنه مروى مع أبيات خمسة أخرى مكسورة الروى . انظر الحيوان (٦ : ٥٠) .

(٣) هى كنيسة القيامة : أعظم كنيسة للنصارى بالبيت المقدس . ورجح ياقوت فى معجم البلدان تسميتها : كنيسة القمامة ، بالضم . فى الأصل : « القمة » محرفة . صوابها من الحيوان (٦ : ٢٠٢) ومعجم البلدان . وجاء فى التنبيه والإشراف ١٢٣ : « وبنت هيلانى ، بإيليا : الكنيسة المعروفة بالقيامة فى هذا الوقت ، التى يظهر منها النار فى يوم السبت الكبير الذى صبحه الفصح » .

(٤) يقال اتقدت النار وتوقدت واستوقدت . القاموس . فى الأصل : « تستوقد » .

(٥) يريد سادن العزى . وكانت العزى ثلاث شجرات من سمر ، فأرسل النبى =

ليوهمه أنّ ذلك من الأوثان ، أو عقوبةً على ترك عبادتها وإنكارها ، والتعرُّض لها ؛ حتى قال :

يا عُزُّ كُفْرَانَكِ لاسُبْحَانَكِ ... إنِّى وَجَدْتُ اللهَ قد أهَانَكِ [1]

حَتَّى كشف الله ذلك الغِطاءَ ، من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(نار الصيد والبيض)

ونار أخرى ، وهى النَّار التى توقَدُ للظباء وصيدِها . لتعشى إذا أدامت النَّظر . وتجعلُ من ورائها . ويطلب بها بيضُ النَّعام فى أفاحيصها ومكِناتها [2] . ولذلك قال طُفَيلٌ الغَنوِىّ :

عوازب لم تسمع نُبُوح مَقَامَةٍ ... وَلَمْ تَرَ نَارًا تِمَّ حَوْلٍ مُجَرَّمِ [3]

سِوى نَار بَيْض أو غزَالٍ بِقَفْرَة ... أغنَّ مِنَ الخُنْسِ المَنَاخِرِ تَوْأَمِ [4]

= صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ليعضدها ، وذلك يوم فتح مكة . انظر بقية الخبر والزعم فى الأصنام ٢٥ وثمار القلوب ١٧ وخزانة البغدادى (٣ : ٢٤٢ — ٢٤٤ بولاق) . والعزى ، فى لفظها : تأنيث الأعز .

(١) روى فى المخصص (١٥ : ١٩٠) :

كفرانك اليوم ولا سبحانك ... الحمد لله الذى أهانك

(٢) مكناتها ، بفتح الميم وضم الكاف وكسرها ، أو بضمهما . والمكنات : الأمكنة ومنه الحديث : « أقروا الطير على مكناتها » . انظر التفصيل فى لسان العرب (مكن) . قال الزمخشرى : « ويروى : مُكُناتِها ، جمع مُكُن . ومُكُنٌ : جمع مكان كصُعُدات فى صُعُد ، وحُمُرات فى حُمُر » .

(٣) س ، هـ : « بنوح مقامة » محرف . وانظر تحقيق البيت وشرحه فى ص ٣٤٨ .

(٤) انظر رواية البيت وشرحه وتحقيقه فى ص ٣٤٨ .

وقد يُوقِدون النِّيرانَ يُهَوِّلون بها على الأُسْدِ إذا خافوها . والأَسَدُ إذا عايَنَ النَّـارَ حَدَّقَ إليها وتأمَّلها ، فما أكْثَرَ ما تَشْغَلهُ عن السَّابلة[1] .

(قصة أبي ثعلب الأعرج)

وَمَرَّ أَبُو ثعلب[2] الأعرج ، على وادِي السِّباع ، فَعَرَضَ له سبع ، فقال لَهُ المُكَارِي : لو أمرتَ غِلْمانَكَ فأوْقدُوا نَاراً ، وضَرَبوا على الطِّساس[3] ! ففعلوا فأحْجَمَ عنها[4] . فأنشدني لَهُ ابن أبي كريمة ، في حُبِّه بعد ذلك للنَّـار ، ومَدْحِهِ لها وللصَّوْتِ الشَّدِيدِ ، بَعْدَ بُغْضِهِ لَهُمَا[5] وهو قوله :

فأحْبَبْتهاَ[6] حُبًّا هَوِيتُ خِلاَطَهَا ... ولو في صَمِيمِ النَّارِ نَارِ جَهَنَّمِ

وصِرْتُ أَلَذُّ الصَّوتَ لو كان صاعِقاً ... وَأَطْرَبُ من صَوْتِ الحِمار المرقَّمِ[7]

وروى أنّ أعرابيًّا اشتدَّ عليه البَرْدُ ، فأصابَ نَاراً ، فَدَنَا منها ليصطلىَ بها[8] ، وهو يقول : اللهم لا تَحْرِمْنيها في الدُّنيا ولا في الآخرة ! .

---

(١) سبق مثل هذا الكلام في ص ٣٤٩ . وقد سمى الثعالبى هذه النار : « نار التهويل » . ثمار القلوب ٤٦٠ .

(٢) في الأصل : « ابن ثعلب » وفي ثمار القلوب ٤٦١ : « أبو تغلب » . وجاء في الحيوان (٦ : ١٦٦) : « وكان من العرجان الشعراء أبو ثعلب ، وهو كليب بن الغول » وانظر ما كتب في هامش أصل معجم المرزبانى ٣٥٤ — ٣٥٥ وكذا ماجاء في نهاية مادة (اى ر) من لسان العرب .

(٣) الطساس : جمع طس ، بالفتح ، وهو الطست .

(٤) في ثمار القلوب : « وأحجم عنهم الأسد » .

(٥) في الأصل : « لها » ، والصواب ما أثبت موافقاً مافي ثمار القلوب .

(٦) ط : « فأجبتها » ، صوابه في س ، هـ وثمار القلوب .

(٧) ينعت الحمار الوحشى بالمرقم ، لأنه مخطط القوائم .

(٨) س : « فدنا ليصطلى منها » .

(حيرة الضفدع عند رؤية النار)

ومما إذا أبصَر النَّار اعتَرَتْهُ الحيرةُ ، الضِّفدعُ ؛ فإنّهُ لا يزالُ يَنِقُّ فإذا أَبْصَرَ النّـار سَكَتَ .

(نار الحباحب)

ومن النِّيران « نار الحباحِب[1] » وهى أيْضاً « نارُ أبى الحباحب » .

وقال أبو حَيَّة :

تعسر فى تغريبــه فإذا انحنى عليهنّ فى قفٍّ أرنّتْ جنادلُه[2]
وَأَوْقَدَ نيرانَ الحباحب والتقى غَضًى تتراقى بينهنَّ ولاوِلَهْ[3]

وقال القطامىُّ فى نارِ أبى الحباحِب :

تُخَوِّد تَخْويدَ النّعامةِ بَعْدَ ما تَصَوَّبَتِ الجوْزَاءُ قَصْدَ المَغَارِبِ[4]

---

(١) الحباحب ، بضم الحاء الأولى ، سيفسرها الجاحظ .

(٢) فى الشطر الأول تحريف . والقف ، بالضم : الأرض ذات حجارة عظام . أرنت : صوتت . ط ، هـ : « أرثت » س : « أرتنا » محرفتان . والجنادل : الحجارة الكبيرة . جعلها تصوت مما يضرب بعضها فى بعض .

(٣) الغضى : نبت شديد النار تبقى ناره طويلا . وفى الأصل : « عصا » صوابه فى تنزيل الآيات ٩٣ . تتراقى : تتصاعد . والولاول : الأصوات ؛ جمع ولولة .

(٤) خود البعير والظليم : أسرع واهتز فى مشيه . وفى الأصل ، وهو هنا ط ، هـ ؛ لأن البيت ساقط من س : « تجرد تجريد » وتصحيحه من الديوان ٥٣ وأمالى ابن الشجرى (٢ : ٦٠ حيدر أباد) . والجوزاء : نجم . تصوبت قصد المغارب : انحدرت ومالت إلى المغيب . يقول : تلك الناقة قد سارت ليلتها وهى بعد ذلك تواصل سيرها السريع بعد تصوب الجوزاء حين يعترى الكلال كل شىء ، فهى محتفظة أبداً بنشاطها . وإنما تتصوب الجوزاء وقت الغداة . ط : « تصوتت » صوابه فى هـ والمرجعين السابقين . وفى الأصل : « قصر » صـــوابه فى الديوان والأمالى .

ألا إنما نِيرَانُ قَيْسٍ إذا اشْتوت   لطارقِ ليْل مثلُ نارِ الحباحِبِ(١)

ويصفون نارًا أخرى ، وهي قريبةٌ من نار أبي الحباحب . وكلُّ نار تراها العينُ لا حقيقةَ لها عند التماسها ، فهي نار أبي الحباحب . ولم أسمعْ في أبي حباحب نفسِهِ شيئاً(٢) .

(نار البرق)

وقال الأعرابيُّ ، وذَكَرَ البرْق :

نَـارٌ تعُود به للعُودِ جِدَّتُه   والنّارُ تُشْعِلُ نِيرَاناً فتحترِقُ

(١) في الأصل : « ألا إنها نيران قيس إذا استوت » وتصحيح الكلمة الثانية من الديوان وأمالي ابن الشجرى وثمار القلوب ٤٦٣ المخصص (١١ : ٢٨) واللسان (حبحب) والخزانة (٣ : ١٩٠ بولاق) وأمثال الميداني (٢ : ٨٦) . وأما « استوت » فهي محرفة عما أثبت . واشتوت : صنعت شواء . ومثل هذه الرواية رواية الخزانة (٣ : ٢١٣ بولاق) : « إذا اشتووا » . وقيس تؤنث باعتبار القبيلة . والرواية الجيدة : « إذا شتوا » أي أقاموا شتاء . وهي رواية جميع المصادر السالفة وكذلك العقد (٤ : ٢٢٤) وفيه : « ألا إنها » تحريف . وهو قد هجا قيس عيلان ؛ لأنه مر في بعض أسفاره بامرأة من محارب بن قيس فاستقراها — أي طلب منها القرى — فقالت : أنا من قوم يشتوون القد من الجوع . قال : ومن هؤلاء ويحك ؟ قالت : محارب . ولم تقره ! فبات عندها بأشر ليلة ، وصنع فيها القصيدة . أمالي ابن الشجرى (٢ : ٥٠) والخزانة (٣ : ١٨٩ — ١٩٠ بولاق) . وقد نسب البيت في اللسان (حبحب) إلى النابغة . وهو خطأ .

(٢) هكذا تكون أمانة العلم . ومثله ماقال أبو حنيفة : « لا يعرف حباحب ولا أبو حباحب . ولم نسمع فيه عن العرب شيئا » . لكن جاء في المخصص (١١ : ٢٨) نقلا عن صاحب العين : « كان أبو حباحب رجلا من محارب خصفة . وكان بخيلا لا يوقد ناره إلا بحطب شخت » . ومثله في اللسان . وزاد : « لئلا ترى » . وفي اللسان : « وقيل اسمه حباحب فضرب بناره المثل ؛ لأنه كان لايوقد إلا ناراً ضعيفة مخافة الضيفان » . وفي المخصص : « وزعم قوم أن =

يقول : كلُّ نار فى الدُّنيا فهى تحرِق العِيدانَ وتُبْطلها وتُهلكها ، إلاَّ « نار البرق » ؛ فإنَّها تجىء بالغيث . وإذا غِيثَتِ[1] الأرضُ ومُطِرَتْ أحدَثَ اللهُ للعِيدَانِ جِدَّةً ، وللأشْجارِ أغصاناً لم تكن .

(نار اليراعة)

ونَارٌ أخرى ، وهى شبيهةٌ بنار البرق ، ونارِ أبى حباحب ، وهى « نار اليراعة » . واليراعة : طائر صغير ، إنْ طار بالنَّهار كان كبعض الطَّير ، وإن طار باللَّيل كان كأنَّهُ شهابٌ قُذِفَ[2] أو مصباحٌ يطير .

(الدفء برؤية النار)

وفى الأحاديثِ السَّائرة المذكورة فى الكتب ، أنَّ رَجُلاً ألقى فى ماءٍ راكِدٍ[3] فى شتاءٍ بارد ، فى ليلةٍ من الحنادِس[4] ، لا قمر ولا ساهور[5] — وإنما ذكر ذلك ؛ لأنَّ ليلة العَشْر[6] والبدر والطوق الذى يستدير حول القمر ، يكون كاسِراً[7] من بَرْد تلك الليلة — قالوا : فما زال الرجُل حيًّا

= أبا حباحب وحباحبا اليراع ، وهو فراشة إذا طارت بالليل لم يشك من لم يعرفها أنها شررة طارت من نار » .

(١) غيثت الأرض : أصابها الغيث . والغيث ، بالفتح : المطر . ط ، هـ : « غثيت » صوابه فى س .

(٢) أى الكوكب الذى ينقض على إثر الشيطان بالليل ويقذف به . وفى الكتاب : « إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب » .

(٣) راكد : ساكن لا يتحرك . س : « بارد » .

(٤) الحنادس : ثلاث ليال من الشهر مظلمات .

(٥) الساهور : التسع البواقى من الشهر .

(٦) أى العشر الليالى . س ، هـ : « العسر » ، صوابهما فى ط .

(٧) كاسراً : أى مضعفاً ومخففاً . ط ، هـ : « كاسداً » بالدال ، صوابه فى س .

وهو فى ذلك تَارِزٌ[1] جامِد ، ما دام ينظر إلى نَارٍ ، كانت تُجاهَ وجهِه فى القرية ، أو مصباحٍ . فلما طَفِئتْ انْتَفَضَ[2] .

(نار الخلعاء والهُرَّاب)

وقال الشّاعر :

ونارٍ قُبيلَ الصُّبحِ بادَرْتُ قَدْحَهَا حَيَا النَّارِ قد أَوْقَدْتُها للمُسَافِرِ[3]

يقول : بادرت اللَّيل ، لأنَّ النَّارَ لا تُرى بالنهار ، كأنه كان خليعاً أو مطلوبا[4] :

وقال آخر :

ودَوِّيَّةٍ لا يثقب النَّارَ سَفْرُهَا وَتَضْحِى بها الوَجْناءُ وهى لَهِيدُ[5]

كأنّهم كانوا هُرَّاباً ، فمنْ[6] حشِهم السَّيرَ لا يُوقِدون لبُرْمَةٍ ولا مَلَّةٍ ؛

---

(١) التارز : الصلب الشديد . وفى الأصل : « بارد » ، وذا يفسد المعنى ، ووجهه ما أثبت .

(٢) طفئت النار ، كسمع ، طفوءا : ذهب لهبها ، كانطفأت . وانتفض : ارتعد ، أى من البرد . وفى الأصل : « انطفأ » وهو تحريف .

(٣) أنشد هذا البيت صاحب اللسان فى (١٨ : ٢٣٣) وقال فى تفسيره : « قوله : حيا النار : أراد حياة النار ، فحذف الهاء » . ط ، هـ : « خبا » ، صوابه من س واللسان .

(٤) الخليع : الرجل قد خلعه أهله ، فإن جنى لم يطالبوا بجنايته . والمطلوب : من يطلبه السلطان ليأخذه بجنايته .

(٥) أثقب النار : أشعلها . س : « تثقب » . والسفر : المسافرون . والوجناء : الناقة الشديدة . واللهيد : المجهدة المتعبة . فى الأصل : « نهيد » بالنون ، ولا وجه له ، والصواب ما أثبت . واللهيد ، وصف يستوى فيه المذكر والمؤنث ؛ لأنه فعيل بمعنى مفعول . وانظر المزهر (٢ : ١٣٥) فيما جاء من صفات المؤنث من غير هاء .

(٦) ط : « من » وأثبت مافى س ، هـ .

لأنّ ذلك لا يكون إلاّ بالنزول والتمكث ، وإنما يجتازون بالبَسِيسَةِ[١] ، أو بأدنى عُلقة[٢] . وقال بعضُ اللُّصوص[٣] :

ملساً بذودِ الحَدَسِيِّ مَلْسا[٤]   نبّهْتُ عنهن غلاماً غُسّا[٥]

لمّا تَغَشّى فَرْوَةً وَحِلْسَا[٦]   مِنْ غَدْوَةٍ حتّى كأنّ الشّمسَا[٧]

١٥٦ بالأُفُق الغربيِّ تُكْسَى وَرْسَا   لاتَخبِزا خَبْزًا وَبُسّا بَسّا[٩]

---

(١) البسيسة : بالفتح ، سيفسرها الجاحظ . يقال بس البسيسة : صنعها . ط ، س « بالبسيصة » . هـ : « بالبيسة » صوابهما ما أثبت . وانظر اللسان (بسس) .

(٢) العلقة ، بالضم : كل شيء يتبلغ به .

(٣) هو الحفوان العقيلي ، أحد بنى المنتفق ، وأحد لصوص العرب .

(٤) ملس بالإبل ملسا : ساقها فى خفية . والذود ، بالفتح : جماعة الإبل . والحدسى يعنى الرجل الحدسى الذى سرقوا إبله . والحدسى ، بالتحريك : نسبة إلى بنى حدس ، حى من اليمن . والبيت محرف فى الأصل . ط ، هـ : « ملسا برود الحى منى » س : « برود الحى منى » صوابهما فى اللسان (حدس) ومعجم المرزبانى ٤٩٢ والمخصص (٧ : ١٢٧) . وفى اللسان (ملس) : « بذود الحلسى » محرف .

(٥) عنهن : أى عن الإبل . والغس ، بضم الغين : الضعيف اللئيم . وفى الأصل : « قاسا » صوابه من نوادر أبى زيد ١٢ ، ٧٠ . وفى معجم المرزبانى : « جبسا » . والجبس ، بالكسر : النؤوم الكسلان .

(٦) تغشى الشيء : تغطى به . والحلس ، بالكسر والتحريك ، مثل شبه وشبه ومثل ومثل . وهو مايبسط تحت حر المتاع من مسح ونحوه ، أو الكساء الذى على ظهر البعير تحت القتب .

(٧) مثله فى المخصص (٧ : ١٢٧) . وفى معجم المرزبانى : « من بكرة » .

(٨) فى الأصل : « بالأفق الشرق » صوابه من المخصص (٧ : ١٢٧) . وفى معجم المرزبانى وتهذيب الألفاظ ٦٣٦ : « بالأفق الغورى » محرف . وجعل الشمس كأنها مكسوة بالورس . والورس ، بالفتح : نبت له نور لونه يشبه الزعفران . ط : « تكاسا » س ، هـ : « تكسا » صوابه فى معجم المرزبانى ونوادر أبى زيد ١١ . ورواية المخصص ونوادر أبى زيد : « تطلى ورسا » . ومثله فى المعنى قول أسقف نجران فى الشمس — وقد سبق فى (٣ : ٨٨) — :

وطلوعها بيضاء صافية   وغروبها صفراء كالورس

(٩) رواه المرزبانى : « لا توقدا نارا » . وفسره بقوله : « لا توقدا نارا لتختبزا فتبطئا =

ولا تُطيلا بمُـاخٍ حَبْسَا وَجَنِّباهَا أَسَداً وَعَبْسَا[1]

قال : والبَسيسة[2] : أن يبلّ الدّقيق بشيء حتى يجتمع ويؤكل .

(نار الوسم)

ونار أخرى ، وهى « نار الوسْمِ[3] والمِيسَمِ » يقال للرجل : ما نار إبلِك ؟ فيقول : عِلاط[4] ، أو خِبَاط[5] أو حَلْقة[6] أو كذا وكذا .

(رجز لبعض اللصوص)

وقرّب بعضُ اللّصوص إبلاً من الهُواشة[7] ، وقد أغار عليها من كلّ

= ويعرف موضعكما — فى الأصل : موضعهما — واقتصرا على الإبساس وهو الحلب » وروى فى فقه اللغة ٥١ طبعة الحلبى : « لا تَخْبِزَا خَبْزًا ونُسَّا نَسًّا » وهى إحدى روايتى ابن سيده فى المخصص (٧ : ١١٥) ورواية اللسان (مادة خبز) . وفسر الخبز بأنه السوق الشديد . وأما النس ، بالنون ، فهو السوق الرفيق . ويروى : « لاتخبزا خبزا وبسا بسا » بالباء وبالمعنى الأخير . وقيل إنها خطأ ، كما جاء فى المخصص .

(١) أسد وعبس : قبيلتان .

(٢) البسيسة ، بالفتح . والمراد عمل البسيسة . وفى الأصل : « البسبسة » تحريف .

(٣) الوسم : التعليم على الإبل بالميسم ، وهو المكواة .

(٤) العلاط ، بالكسر : سمة فى عرض عنق البعير . والسطاع بالطول . وربما كان العلاط خطا ، وربما كان خطين أو خطوطا فى كل جانب .

(٥) الخباط ، بكسر الخاء المعجمة : سمة تكون فى الفخذ طويلة عرضاً . وهى لبنى سعد . وقيل هى التى تكون على الوجه . حكاه سيبويه . ط ، هـ : « وخباط » صوابه « أو » . س : « أو حباط » و « حباط » محرفة عما أثبت من ط ، هـ .

(٦) الحلقة ، بالفتح : سمة على شكل الحلقة ، فى الفخذ أو أصل الأذن . ط ، س « جلفة » صوابه فى هـ . وانظر بابا مفصلا فى سمات الإبل ، فى المخصص (٧ : ١٥٤ — ١٥٦) .

(٧) هاشت الإبل هوشا : نفرت فى الغارة فتبددت وتفرقت . وإبل هواشة : أخذت =

جانب ، وجَمَعَها من قبائلَ شتّى ، فقرّبها إلى بعض الأسواق ، فقال له بعض التّجّار : ما نارك ؟ وإنّما يسأله عن ذلك ، لأنهم يعرفون بميسم كلِّ قومٍ كرَمَ إبلهِمْ من لؤمها . فقال :

تَسْألُنِى البَاعَة ما نِجارُها إذْ زعزعُوها فَسَمَتْ أبصارُها[1]

فكلُّ دارٍ لأناسٍ دَارُهـا وكلُّ نَارِ العَالمِينَ نارها

وقال الكردوس المرادى[2] :

تسائلنى عن نارها ونِتَاجها وذلك عِلْمٌ لا يُحيط به الطّمْشُ[3]

والطّمشُ[4] : الخَلْقُ . والوَرَى[5] : النّاس خاصّة .

تمّ المصحفُ[6] الرابعُ من كتاب الحيوان ، ويليه إن شاء الله تعالى المصحَفُ الخامسُ . وأوله نبدأ فى [هذا] الجزء بتمام القَوْل فى نيران العجَم والعرب ، ونيران الدِّيانة ، ومبلغ أقدارها .

= من هنا وهنا . لسان العرب . وفيه : « والهواشات ، بالضم : الجماعات من الناس ومن الإبل ، إذا جمعوها فاختلط بعضها ببعض . وفى الأصل : « النواسة » محرف .

(١) زعزعوها : ساقوها سوقا شديدا . وفى الخزانة (٣ : ٢١٣ بولاق) : « إذ زعزعتها » أى زعزعتها الباعة . وانظر رواية الرجز فى الخزانة ، وأمثال الميدانى (٢ : ٧٤) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٠) .

(٢) س : « المرارى » .

(٣) الطمش ، بالفتح ، سيفسر . وفى ط : « الطمس » بالسين ، صوابه فى س ، هـ .

(٤) ط : « الطمس » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) ط ، هـ : « الودى » ، صوابه بالراء كما فى س .

(٦) ط فقط : « تم هذا المصحف » .

تذييل واستدراك

صفحة سطر

٢٧ ١ كلمة « الشبُّور » مأخوذة من العِبرية ، ولعلَّ أوّل من انتبه إلى أصل هذه الكلمة هو ابنُ الأثير فى مادة (شبر) ونقل ذلك عنه صاحب اللِّسان . وهى فى العبريّة (שופר) : شُوفَار . ومعناه عندهم : البُوق الذى يُستعمل فى الأعيـاد الكبرى كرأس السّنة . والعيد الأكبر : (عيد الصِّيام) .

٢٧ ٢ « رأس الجالوت » المراد به : رئيس الجالوت . وجاء فى مفاتيح العلوم ص ٢٤ للخوارزمىّ المتوفى سنة ٣٨٧ : « والجالوت هم الجالية ، أعنى الذين جَلَوا عن أوطانهم ببيت المقْدس . ويكون رأسُ الجالوت من ولد داودَ عليه السلام . وتزعم عامَّتُهم أنَّه لا يَرْأَس حتَّى يكونَ طويلَ الباع تبلغَ أناملُ يديه ركبتيه إذا مدَّهما » . قلت: وهو بالعبريَّة: (ראש גלויות) : رُوش جالُويُوت .

٨٩ ٩ فى الأصل « بنى النواحة » والصواب : « ابن النوَّاحة » كما جاء فى ص ٣٧٨ س ٩ . وقد ذكره ابن حجر فى الإصابة ٦٦٤٣ قال : « عبد الله بن النوّاحة ، ذكره بعضٌ من ألف فى الصَّحابة ، فقرأتُ بخطه بما هذا لفظه : كان قد أسلم ثم ارتد فاستتابه عبدُ الله بنُ مسعودٍ فلم يتُبْ ، فقتله عَلَى كُفره ورِدَّتِه . والنّواحة : الكثيرة النّوح » .

صفحة سطر

٩٣ ٣ ش ما فى ط إذا صح عن الجاحظ ، كان حكاية منه لقول العوام ، أو جريا على مذهب ضعيف فى النحو . وفى كتاب سيبويه (٢ : ٢٩٦ س ١١ — ١٢) « وحدثنى الخليل أن ناسا يقولون : ضربتيه . فيلحقون الياء » .

٩ « ريطة » هى زوج المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم ، وهى بنت سعيد — بالتصغير — ابن سهم . وولدت من المغيرة عشرةَ رجال . الإصابة ٨٣٢٩ . وفى الإصابة : « لم يَنْجُ من بنى المغيرة فى طاعون عمواس إلاّ المهاجر ، وعبد الله بن أبى عمرو بن حفص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام . وفى ذلك يقول المهاجر بن عبد الله » . وأنشد الأبيات ، ماعدا البيت الأوّل . وانظر الرِّواية عنده .

١٥٥ ١١ كتب إلىّ الأخ الشيخ على الطالبانى الكردى بتاريخ ١٩٤٧/١٢/٢٢ كتابا جاء فيه :

« أتشرف بأن أقول لك : إننى عثرت أثناء مطالعاتى لشروحك القيمة على كتاب الحيوان لأبى عثمان الجاحظ فى الجزء الرابع فى صفحة مئة وخمس وخمسين فى تعليقتك المرقمة بثلاثة على قولك « الأجدهانى » إنك لم تهتد إلى ضبطها ، وقلت : هكذا بالأصل . فإذا تنازلت فإنى أقول لكم إتماما للفائدة : إن هذه الكلمة تكتب بالفارسية : أرْدها (بفتح الألف وتسكين الراء وكسر الدال) ، وتنطق الراء الأولى — التى هى فى الأصل زاى فارسية — حسب

صفحة سطر

لغة المصريين ، بجيم شديدة التعطيش . وعلى هذا فيكون ضبطها فى الأصل الفارسى هكذا : « أرْدِهاءْ » بهمزة بدل النون والياء ، بينما إذا استبدلت الهمزة براء « أرْدهار » فيكون معناها آفة مكلوبة . ومعنى « أرْدهاء » أفعى كبيرة . وهى متعارفة عند خواص الفرس : حيوان خرافى لا وجود له . وإنى أرجو أن تتقبل منى هذه الإشارة التى يعد قبولك إياها مثلا كريما . . . » .

١٧٤ ٤ روى فى اللسان (عرر ٢٣٦) : « عرارة هبوة » وفسر العرارة بأنها الجرادة أيضاً .

١٨٤ ٣ « وسواء علينا جعلوه كلاما وحديثاً منثورا أو جعلوه رجزا وقصيدا موزوناً » . وقد يظن بعضُ الناس أنّ فى العبارة تحريفا . والحق أنها صواب ، وإن كانت مخالفةً للمذهب المشهور ، وهو أن يكون فى الجملة همزة التسوية وأن يكون العطف بكلمة « أم » لا « أو » . فتقول : سواء أكان كذا أم كذا . وجاء فى المغنى (١ : ٤٢) ، « وقد أولع الفقهاء وغيرهُم بأن يقولوا ، سواء كان كذا أو كذا . وهو نظير قولهم يجب أقل الأمرين من كذا أو كذا . والصواب العطف فى الأول بأم وفى الثانى بالواو . وفى الصحاح تقول سواءٌ علىَّ قمت أو قعدت . اهـ . ولم يذكر غير ذلك . وهو سهو . وفى كامل الهذلى أن ابن محيصن قرأ من طريق الزعفرانى : سواءٌ عليهم أَنْذَرْتَهُمْ

صفحة سطر

أَوْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ . وهذا من الشذوذ بمكان » . قلت . شذوذ هذا المذهب لا يمنع صحته . والجاحظ إمام عارف بالكلام متمرس به وكلامه حجة . وقد استعمل هذا المذهب هنا . وجرى عليه مرَّةً أخرى فى ٣٩٩ س ٢–٣ وج ٥ ص ١٣ س ١٧ .

٢٠٣ ٨ « المحلَّإِ باقِرُهْ » أخذ هذا المعنى الحطيئة فى قوله :

فهلْ كنتُ إلاَّ نائياً إذ دعوتَنى
مُنادَى عبيـدانَ المحلَّإِ باقِرُه

الديوان ص ٨ . ولعل هذا الاشتباه هو الذى دعا إلى تحريف رواية بيت النابغة .

٢١٨ ١٠ ش « عقرب » . انظر الكلام بتفصيل ، على منع صرف ما سمى من الذكور بأسماء الإناث ، فى همع الهوامع (١ : ٣٤) . لكن « عقرب » فى أصله مذكر ، وقد يؤنث . تقول : هذا عقرب ، وهذه عقرب . فإذا روعى أصل التذكير صرف ، وإذا روعى أصل التأنيث لم يصرف .

٢٢١ ٣ « ويقتلها الآخر » . انظر لتوضيح هذا الكلام وتعيين المراد منه ص ١١٠ من الجزء الخامس ، وكذا نهاية الأرب (١٠ : ١٤٨) .

٢٢٢ ١٥ ولادة الدسّاس ، ثبت علميًّا أن الدّساس وأنواعا أخرى من الحيات ، يكون تناسلها بطريق الولادة ، لا البيض . انظر

صفحة سطر

كتاب علم الحيوان المقرر للمدارس الثانوية المصرية ص ١١٤ طبع ١٩٣٤ .

٢٤٣ ٨ « دون صفاتها » أى دون إرادة صفاتها وملاحظتها .

٢٧٠ ٧ نباح الحية ، جاء فى المخصص (٨ : ١١٥) « الأفاعى تكشّ خلا الأسوَد ، فإنه يصفِر وينبِح ويضبّح » . ونبح ، يقال من بابى منع وضرب .

٣٢٣ ١١ ش « وكنت كالهيق غدا يبتغى . . . » الخ . تعرض هذا البيت للتصحيف ، فأنشده بعضهم : « فرحت كالعير غدا يبتغى » وقد أثبت هـذا التصحيف صاحب المعاهد والتنصيص » فى ترجمته لبشار (١ : ١٠٢) . بل بالغ فى تأكيد هذا التصحيف ، فعقب عليه بقوله : « قوله : فرحت كالعير » البيت ، مثل قول بعضهم :

ذهب الحمار ليستفيد لنفسه قرنا فآب وماله أذنان » اهـ

وليت شعرى ، إن كان الحمار فاقد الأذنين ، فأى حيوان سواه ميزه الله بطول الأذنين ؟ !

ومن العجيب أن يتغلغل هذا التحريف مع ظهور خطئه ، وجلاء بطلانه ، بين بعض الشعراء ، فقال آخر :

كمثل حمار كان للقرن طالبا فآب بلا أذن وليس له قرن

فالظاهر أن « الهيق » تصحف عليهم بـ « بالعير » ثم ترجموا العـير بـ « الحمار » فذاع الخطأ . ومن الشعر الذى يستشهد به

صفحة سطر

على أن طالب القرن النعامة ، ما أنشده الميدانى — عند قولهم : «كطالب القرن جدعت أذنه » — :

مثل النعامة كانت وهى سائمة
أذناء حتى زَهاها الحَين والجُنُنُ

جاءتْ لتشرى قرناً أو تعوِّضه
والدَّهرُ فيه رَباحُ البيع والغَبَنُ

فقيل أُذْناكِ ظلمٌ ثُمَّت اصطلمت
إلى الصِّماخ ، فلا قرنٌ ولا أُذُن

والجُنُن ، بضمتين : الجنون ، كما فى اللسان (جنن ٢٤٩) عند إنشاد البيت .

٣٥٣ ٨ ش «جعلها كالقسى فى نحولها » . ومما يستشهد به على تشبيه الإبل المهزولة بالقسى ، قول البحترى — (انظر معاهد التنصيص ١ : ٢١٦) — :

كالقِسِيِّ المعطَّفاتِ بل الأسْـ ـهُمِ مَبْرِيَّةً بل الأوتارِ

وقول الشَّريف :

خوص كأَمثالِ القسيِّ نواحلاً وَإذا سَمَا خطبٌ فهنَّ سِهامُ

٣٨٦ ٩ ش البيت من قصيدة للمتنبى يمدح بها ابن العميد ويودعه . ومطلعها :

نسيت وما أنسى عتابا على الصد
ولا خفرا زادت به حمرة الخد

صفحة سطر

وروايـة البيت بتمامه عند العكبرى (١ : ٢٧٧) :

وتلقى نواصيها المنايا مشيحة ورود قطا صم تشايحن فى ورد

وكلمة « تشايحن » تصحح ما نقلت عن الوساطة . ومعناها أسرعن . والبيت فى صفة خيل .

٤٠٨ ١ ش « ما زالت تحت عين خرساء » تفسير الجاحظ للعبارة يشوبه بعض الغموض والتحريف . وفى اللسان (خرس) : « أبو حنيفة : عين خرساء وسحابة خرساء : لارعد فيها ولا برق ولايسمع لها صوت رعد . قال : وأكثر مايكون ذلك فى الشتاء ؛ لأن شدّة البرْد تخرس البَرَدَ وتطفىء البرق » .

٤١٣ ١ خُلُق ، أى طبيعة . ويصح أيضاً أن تقرأ : خَلْقَ . بمعنى خِلْقَة .

٤٢٧ ٢ « أربعين عاما » . كذا جاء بالأصل . وهو خطأ ، صوابه « أربعين يوما » . وقد جاء فى الأصحاح التاسع من سفر التثنية : « حينَ صعدتُ إلى الجبل لكى آخُذَ لوحَى الحجَر ، لوحَى العهد الذى قطعه الربُّ معكُم ، أقمت فى الجبلِ أربعينَ نهاراً ، وأربعين ليلةً ، لا آكل خُبْزاً ولا أشْرَبُ ماء » .

٤٣٢ ١ الفصح هذه الكلمة معربة عن العبريّة . وهى فى أصلها : (פסח) وتنطق : پِسَحْ . ومعناها اللغوى : القفز ، أو العبور . والعلّة فى تسمية هذا العيد عند اليهود بهذه التسمية ، ماجاء فى سفر الخروج (١٢ : ٢٧) : « إنكم تقولون : هى ذبيحة فصح

صفحة سطر

للرب الذى عَبَرَ عن بيوت بنى إسرائيل فى مصر ، لما ضرب المصريِّين وخلَّص بيوتنا » . ومعنى عبر عن بيوتهم ، أن الله عاقب المصريين وخصّهم بالضَّرب ، متجاوزاً بيوت بنى إسرائيل لم يمسها بسوء . والضّربة التى تشير إليها التوراة ، هى أن الله قد أمات كل بكر من أبكار المصريين ، وكلّ بِكر من حَيوانهم كذلك . انظر (١٢ : ٢٩ — ٣٠) . وكلمة عبر هى فى النص العبرى للتوراة : (פסח) باسَاحْ . وهذا هو الفعل العبرى الذى أخذ منه المصدر المتقدم . فهذا أصل العيد وأصل تسميته عند العبرانيين . وعنهم أخذ المسيحيون .

هذا ولم تشر المعاجم العربية إلى أصل الكلمة ، حسبوها عربية لملاءمة نسجها للنسج العربى ، وهى ليست من ذلك .

٤٣٥ ٦ نمرود بضم النون والراء وآخره دال مهملة ، كما فى القاموس والتنبيه والإشراف ٣٤ ، ٨٢ . ويقال : نمروذ بذال معجمة فى آخره كما فى كامل ابن الأثير (١ : ٥٣–٥٧) ورسائل الجاحظ ١٠٠ ساسى . وعلى هذه اللغة جاء قول ابن رشيق :

يا رَبِّ لا أقوى على دفع الأذى
وبك استعنْتُ على الزّمان المؤذى

مَالى بَعثتَ إلىَّ ألفَ بعوضةٍ
وبعثْتَ واحدةً على نمروذِ

انظر شرح القاموس .

صفحة سطر

٤٥٦ ٢ « يا أَحْمَدَ المُرْتَجَى » ضبط هذا المنادى بالفتح جائز فى مذهب الكوفيِّين فقط ، وأما البصريون فيوجبون ضمّه ، إذ أن مذهب البصريين إجازة الضم والفتح فى المنادى العلم الموصوف بابن متصل بالعلم مضاف إلى علم آخر . ويوافقهم الكوفيون فى هذا ولكنهم يفارقونهم فى إجازة الضم والفتح أيضاً فى المنادى العلم الموصوف بأى صفة أخرى كانت غير كلمة ابن . انظر همع الهوامع (١ : ١٧٦) .

٤٨٧ ٧ البيت خامس أبيات خمسة رواها ابن سيده فى المخصص (٩ : ١٠٢) وانظر الرواية فيه .

مصر الجديدة فى { أول صفر سنة ١٣٨٦
٢٢ من مايو سنة ١٩٦٦ }

كتبه

عبد السلام محمد هارون

أبواب الكتاب

صفحة

٥ القول فى الذَّرَّةِ والنّمل
٣٦ باب جملة القول فى القرد والخنزير
٦٠ رجع القول إلى ذكر الخنزير
١٠٧ القول فى الحيَّات
١٢٠ ومن أعاجيب الحيَّات
٢٣٢ أصوات خشاش الأرض
٢٣٣ باب من ضرب المثل للرجل الداهية وللحىِّ الممتع بالحية
٢٩٣ ماجاء فى الحديث من الحيات
٣١٠ جملة القول فى الظّليم
٣٢٠ باب آخر وهو أعجب من الأول
٣٣٥ القول فيما اشتَقَّ له من البيض اسمٌ
٤٦١ القول فى النيران
٤٦٣ باب آخر